الجمهورية العربية السورية
جامعة دمشق
كلية الآداب والعلوم الإنسانية
قسم التاريخ

تاريخ ولاية حلب
في النصف الثاني من القرن الثامن عشر
(دراسة اجتماعية وثقافية وعمرانية)

رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في تاريخ العرب الحديث والمعاصر

إشراف الدكتورة
بشرى خيربك

إعداد
رفعت فخري عثمان

العام الدراسي
2015 / 2014

Syrian Arab Republic
Damascus University
Facility Of Letters and Humanities
History Department

The History Of Aleppo State In The Second Half Of The Eighteenth Century
(A Social, Cultural And Architectural Study)

A Dissertation submitted to obtain the Doctorate Degree
in Modern and Contemporaneous History

Supervised by professor Dr

Boushra Khirbek

Prepared by

Ref'at Fakhri Othman

Academic year
2014/2015

إشراف الدكتورة

بشرى خيربك

تاريخ ولاية حلب
في النصف الثاني من القرن الثامن عشر
(دراسة اجتماعية وثقافية وعمرانية)

إعداد

رفعت عثمان

فهرس المحتويات

العنوان	الصفحة
المقدمة	١
التمهيد	٧
الفصل الأول التركيب الاجتماعي في ولاية حلب في النصف الثاني من القرن الثامن عشر	١٨
أولاً - البنية السكانية في ولاية حلب	١٨
١- الفئات الاجتماعية الدينية	١٩
أ - المسلمون	١٩
ب- أهل الذمة	٢١
٢- الفئات الاجتماعية العرقية	٣٠
أ- الفئات العربية	٣٠
ب- الفئات غير العربية	٣٥
٣- الفئات الوافدة إلى حلب	٣٩
أ - الفئات الوافدة من الولايات العربية والعثمانية	٣٩
ب- الفئات الاجنبية	٤١
٤ – الرقيق	٤٦
ثانياً- الواقع الاجتماعي	٤٩
١- الفئة العليا	٥٠
٢- الفئة الوسطى	٦٩
٣- الفئة الدنيا	٧٢
استنتاجات الفصل الأول	٧٥
الفصل الثاني مظاهر من الحياة الاجتماعية في ولاية حلب في النصف الثاني من القرن الثامن عشر	٧٧
أولاً -الأسرة والأحوال الشخصية	٧٧
١– أوضاع الأسرة	٧٧
٢- المرأة	٨٠
٣- الطفل	٨٣
٤-الأحوال الشخصية	٨٥
ثانياً- العادات والتقاليد	١٠٥
١- المأكل والمشرب	١٠٦
٢- دُور وأدوات التسلية	١١١
٣- اللباس	١١٤

ثالثاً- مظاهر الانحراف في مجتمع ولاية حلب ١٢٢
١- الاخلال بالأمن وقطاع الطرق ١٢٣
٢- السرقة ١٢٦
٣- الرشوة ١٢٧
٤- الذم والقدح والانحلال الأخلاقي ١٢٨
رابعاً- الأوضاع الصحية ١٣١
١- الأوبئة والأمراض ١٣١
٢- الواقع الصحي والرعاية الطبية ١٣٥
خامساً- الهجرة: ١٤٠
استنتاجات الفصل الثاني ١٤٧
الفصل الثالث الحياة الثقافية في حلب في النصف الثاني من القرن الثامن عشر ١٤٩
أولاً : الحركة التعليمية ١٥٠
١- الهيئة التدريسية ١٥٠
٢- الإجازات العلمية ١٥٤
٣- المدارس ١٥٦
أ- المدارس الدينية الابتدائية : الكتاتيب ودور القرآن الموقوفة..... ١٥٦
ب- المدارس الدينية الإسلامية العالية ١٥٨
ج- المدارس الصوفية ١٦٩
٤- التعليم عند المسيحيين ١٧١
أ- الكتاتيب والتعليم العالي ١٧١
ب- المدارس الأجنبية التبشيرية ١٧٢
٥- التعليم عند اليهود ١٧٣
ثانياً- الحياة الفكرية في ولاية حلب في النصف الثاني من القرن الثامن عشر : ١٧٤
١- الحركة العلمية والأدبية: ١٧٤
أ- أبرز المفكرين والأدباء ١٧٦
٢- التصوّف: ١٧٩
أ- مفهوم التصوّف ١٧٩
ب- أنواع التصوف ١٨٠
ج- ملامح الطرق الصوفية ١٨٤
د- الطرق الصوفية في حلب ١٨٦
هـ - مراسِم الطريقة الصوفية ١٩٤
و- العلاقة بين الطرق الصوفية والتنظيمات الحرفية ١٩٦
ثالثاً- الطباعة ١٩٨
رابعاً-المكتبات ٢٠٠

١- المكتبات الإسلامية ٢٠٠
أ- مكتبة المدرسة الأحمدية ٢٠٠
ب- مكتبة المدرسة الرضائية..... ٢٠١
٢ -المكتبات المسيحية ٢٠١
أ- المكتبة المارونية ٢٠١
ب- مكتبة كنيسة الروم الأرثوذكس ٢٠٢
ج- مكتبة كنيسة الأرمن ٢٠٢
خامساً -الموسيقى والطرب..... ٢٠٢
١ - الآلات الموسيقية ٢٠٣
٢- الغناء والطرب ٢٠٤
٣- فنون الغناء الحلبي ٢٠٥
٤- الإنشاد الديني والصوفية ٢٠٧
استنتاجات الفصل الثالث ٢٠٨
الفصل الرابع الحياة العمرانية في ولاية حلب في النصف الثاني من القرن الثامن عشر ٢١٠
أولاً- الحركة المعمارية ٢١٠
١- المظهر العمراني العام لحلب ٢١٠
٢- الطوائف المعمارية ٢١٢
٣- مواد البناء ٢١٤
٤- العناصر الانشائية ٢١٥
٥ - أبرز الأعمال العمرانية المستحدثة في حلب في فترة البحث: ٢١٨
٦- أبرز أعمال الترميم ٢٣٢
ثانياً – أهم المنشآت العمرانية القائمة..... ٢٣٦
١- قلعة حلب ٢٣٦
٢- الجوامع والمساجد ٢٣٧
٣- الكنائس ٢٤٠
٤-الأسواق والقيساريات ٢٤١
٥- الخانات ٢٤٣
٦- الحمامات ٢٤٥
٧- الزوايا والتكايا والمشاهد ٢٤٧
٨- الدور السكنية والقصور ٢٥٠
خاتمة البحث ٢٥٢
الملاحق ٢٥٥
المصادر والمراجع ٢٧٨



أولاً–مقدمة جغرافية لولاية حلب :

تبوأت ولاية حلب موقعاً متوسطاً بين قارات العالم القديم آسيا وافريقيا وأوروبا فكانت جسراً وممراً لطرق المواصلات بين هذه القارات، وعلى هذه الطرق سارت الأقوام والشعوب والجيوش والقوافل التجارية حاملة معها البضائع والأفكار ونتاج الحضارات المختلفة، وكملتقى للتفاعلات الحضارية العالمية منذ فجر التاريخ ، فهي موطن قديم لأقليات عرقية بشرية غير عربية مندمجة مع الغالبية العربية .

تقع حلب في الزاوية الشمالية الغربية من آسيا العربية، بين درجتي عرض٣٥د و١١ دقيقة شمال خط الاستواء، ودرجتي طول ٣٤ د شرقي غرينتش[١]، ويحدّها من جهة الجنوب: لواء حماة من ولاية طرابلس، ومن الغرب: البحر الأبيض المتوسط، ثم ولاية أدنة، ومن الشمال: ولاية سيواس وولاية بيره جك، ومن الشرق: ولاية ديار بكر وولاية الرقة ولواء الزور.[٢] وبدأ خط حدود ولاية حلب في فترة البحث كما وصفها الرحالة فولني من خليج اسكندرونة، ليضم داخله باياس على حدود ولاية أضنة، ثم يتجه نحو الشمال على حدود عنتاب، ويصل إلى الشرق حتى حدود أورفه ويحاذي نهر الفرات، وينحرف الخط جنوباً، بشكل محاذ لنهر الفرات، ثم يتابع الخط جنوباً ليضمّ داخله معرة النعمان، ثم جبل الزاوية، فسهل الغاب، فجسر الشغور، ثم يتّجه نحو

١– سالنامة ولاية حلب ١٢٨٦. ص١٧.

٢ –الكسندر وباتريك راسل ،**تاريخ حلب الطبيعي** ، ترجمة خالد الجبيلي، شعاع للنشر والعلوم، حلب ، ط١، ١٩٩٩ ص٣٧.

الشمال الغربي، ليخترق جبال الساحل، ويضمّ انطاكية ونواحيها :السويدية القصير وجبل الأقرع فيكون في الغرب محاذياً للبحر المتوسط(١).

تتكون جبال الولاية من السلسلة الجبلية الغربية، ويطلق عليها جبال (اللكام) والممتدّة من جبال الأمانوس من الشمال، وهو المعروف باسم كاورداغ، وجبل بيلان، وجبال القصير، متّصلة به إلى الجنوب حتى تخوم صهيون والشغر والقصير، وتنتهي عند أنطاكية ، ويمرّ بالعاصي بين منتهى هذه السلسلة إلى الجنوب، وتدعى جبل النقاح وتنتهي عند رأس الخنزير على الساحل ويتلوه جبل موسى المشتمل على قرى الأرمن، التابعة قضاء أنطاكية، أما الجبال الجنوبية الغربية ، فتتكون من جبل الأقرع الموازي لسلسلة جبل طوروس، ويتّصل به جبل آخور، المؤلّف من جبال زيتون ومرعش وجبل الأكراد وجبل قره بيقلي، المعترض في بطائح عنتاب، وجبل الزاوية في قضاء إدلب، والجبل الأعلى في قضاء حارم، والذي كان يعرف بجبل السّماق، وتميّزت الجبال الغربية بغزارة أمطارها الشتوية، وقد انفصلت عن بعضها بفعل العوامل الطبيعية وتركت منخفضات وأودية(٢).

تمتدّ الهضبة الشمالية الغربية بين وادي العاصي غرباً والفرات شرقاً، وتتألّف من جبل حلب الذي يمتد بين نهري عفرين والأسود، وارتفاعه ١٢٠٠ م ، وإلى الجنوب الشرقي من جبل حلب يوجد جبل سمعان، ويفصل بين الجبلين وادي عفرين، وهو عبارة عن مجموعة هضاب تقطّعت فأخذت شكل تلال عالية، وأضخم هذه التلال يرتفع إلى ٨٧٠م ، وإلى جنوب جبل سمعان يوجد جبل الزاوية ويفصله عن جبال اللاذقية وادي نهر العاصي غرباً ، ويمتدّ الجبل شرقي سهل الغاب وهو هضبة كلسية وعرة، أعلى قممها تسمّى قمّة جبل الأربعين ويبلغ ارتفاعه ٨٧٨م(٣).

وبالنسبة للأنهار التي تخترق ولاية حلب، وأكبرها **نهر الفرات** وينبع من هضبة أرمينية مشكلاً الحد الطبيعي الشرقي للولاية، ويمر في الرقة والزور متابعاً سيره في الأراضي العراقية وأيضاً يخترقها **نهر العاصي** الذي ينبع من هضبة بعلبك، ويمرّ في ولاية حلب عند جسر الشغور

1- C-F. Volny, **Travels through Syria and Egypt,in the years 1784**,and1785,printed for G.G J.and j. Robinson, pater-Noster –Row.MDCCL XXXVIII,p.138.

٢ -كامل الغزي الحلبي، **نهر الذهب في تاريخ حلب**، ط٢، ثلاثة أجزاء ، دار القلم العربي، حلب، ١٩٩٩ج١ ص١٩.

٣- عادل عبد السلام، **جغرافية سورية الإقليمية**، منشورات جامعة دمشق، مطبعة الروضة،دمشق،١٩٨٢،ص٤٥

ويدخل العمق ويصل إلى انطاكية ويصبّ في خليج السويدية[١]. وأما نهر قويق فينبع من عينتاب ويدخل حلب بالقرب من حيلان، ويجري في منطقة صخرية قليلة المطر، فيشكّل التواءات عبر البساتين ويمرّ بقرية اعزاز، ثم بالقرب من باب جسر الدباغة الذي يؤدي إلى حي المشارقة[٢]، ثم يصبّ في مستنقعات المطخ جنوب حلب، ويشتدّ تيار النهر في الشتاء، ولا تحدث الفيضانات الكبيرة في النهر إلا في المواسم الغزيرة الأمطار، أو بعد هطول الثلوج، وتغطي مياهه الحقول والأراضي المجاورة، أما في فصل الصيف فتكاد مياهه تجفّ[٣].

ومن أهمّ البحيرات في الولاية بحيرة أنطاكية وهي منبسطة على أراض تعرف بالعمق، في غربيّها محاطة بأطراف جبل طوروس، وجبل أومانوس، والجبل الأعلى، وجبل سمعان، وطولها أكثر من عشرين ميلا ، وعرضها تسعة أميال، يصبّ فيها من شماليها ماء نهر عفرين، والنهـــر الأسود ونهر يغرا، ويخرج من جنوبها نهر واحد يتّصل بالعاصي على بعد ميل من أنطاكية[٤].

يسيطر على القسم الغربي للولاية والتي تشمل منطقة عفرين وغرب جبل سمعان، حتى الاسكندرونة، المناخ المتوسطي والقاري، فشتاؤه بارد وصيفه حار، ولا تقل الأمطار عن ٥٠٠مم وتوجد الغابة المتوسطية على السفوح الشرقية لجبل الأكراد، وفي أجزاء من جبل سمعان، وأما المناطق الساحلية، وضمنها انطاكية واسكندرونة، فيسيطر عليها المناخ المتوسطي، ذو الشتاء الماطر القصير، والصيف الحار الرطب ، وتنمو في الغابة أشجار الأرز والصنوبر، أما القسم

١-الغزي، نهر الذهب،ج١،ص٢٣.

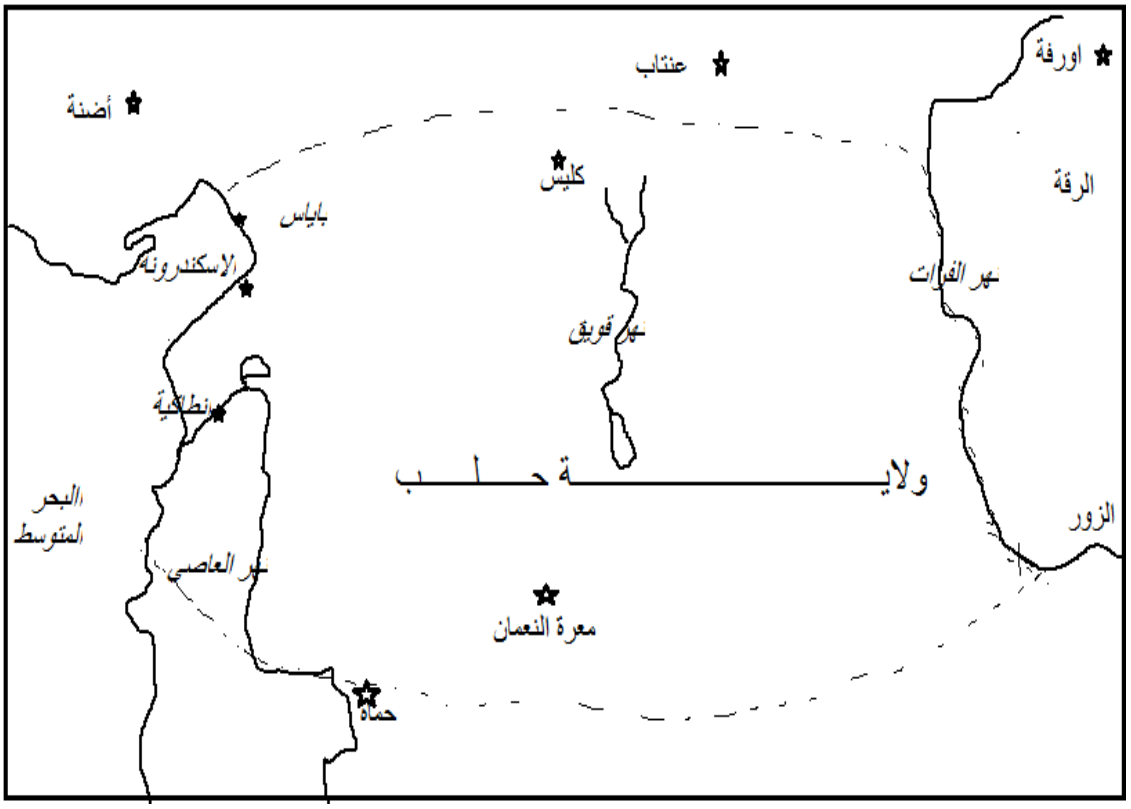
٢ – المشارقة: من أحياء حلب، تقع بين باب الجنان وباب انطاكية، وسميت بالمشارقة وفق أراء عديدة، منهم نسبة إلى قبائل المشارقة وهاجروا إلى حلب وضربت خيامها ، ثم بنت على توالي الأيام. ومنهم من قال أن المشارقة نسبة إلى الشوايا الذين جاؤوا من شرق حلب على ضفاف الفرات وسكنوا هذه البقعة من أرباض حلب. وقال آخرون أنه في تاريخ الحروب الصليبية تقدم أميلر أنطاكي الصليبي واامير الرها الصليبي لمحاصرة حلب ، وعسكرا في حي المشارقة على ضفاف نهر قويق، منهم من قال أن المشارقة نسبة إلى الى القوم الشرقيين وهم قرباط العجم، ، محمد خير الدين الأسدي، **موسوعة حلب المقارنة** تنقيح محمد كمال ، جمعية العاديات ، حلب ٢٠٠٩. ص١١٥. ملاحظة : الكتاب مرقم من أ–ي ، والترقيم خاص بكل حرف هجاء.

3 – W.G, Browne , **Travels in Africa, Egypt and Syria, from the years 1792 to 1798**. Printed for T. Cadell Junior and w. Davies, ,pater Noster –Row, London, 1799,p384.

٤–وصفي زكريا، **جولة أثرية في بعض البلاد الشامية**، ط٢، دار الفكر، دمشق ،١٩٨٤،ص٦٤.

الصحراوي، فتتراوح أمطاره بين ٥٠٠و٢٥٠مم ، وتقلّ بالتّوغل في الصحراء[١]، بينما المناطق السهبية فهي مراعٍ تنبت فيها النباتات الصغيرة ونباتات أخرى كالأشنان والقلوي، وتحيط بحلب عدة تلال مرتفعة صخرية، ويتخللها ينابيع قليلة، وأغلبها جرداء، إلا أنها تعتبر مراعي جيدة للأغنام والماعز[٢].

إن الأهمية الجغرافية التي تمتعت بها ولاية حلب، إلى جانب تنوّع التضاريس فيها من جبال وهضاب وصحارى، ووجود الأنهار والأراضي الصالحة للزراعة ترك آثاراً كبيرة على تنوّع أنماط الحياة الاجتماعية والثقافية والعمرانية، والتي بدورها أعطت حلب خصوصية تميّزت بها عن باقي المنطقة المحيطة بها.



رسم توضيحي لخريطة ولاية حلب في النصف الثاني من القرن الثامن عشر

١ – أردافازد سورمايان ، **تاريخ حلب** ، ترجمة الكسندر كشيشيان ،جزءان، دار النهج ، حلب ، ٢٠٠٣،ج١،ص٢٤.

٢–الغزي، نهر الذهب ، ج١، ص٣٥–٤٥.

ثانياً- التقسيمات الإدارية حتى نهاية القرن الثامن عشر :

اجتمعت السلطات الإدارية في السلطنة العثمانية[١] في يد السلطان والديوان الهمايوني[٢] الذي يترأسه الصدر الأعظم[٣]، ونظراً لممتلكات السلطنة الواسعة في آسيا وأوروبا وإفريقيا[٤]استلزم الأمر ايجاد نظام إداري، لوصل هذه الممتلكات بالمركز، فانقسمت الدولة إداريا إلى ولايات، وقد وصل عددها إلى ٣٢ ولاية في أواخر القرن السابع عشر، وكان يمثّل السلطنة العثمانية في مركز كل ولاية نائب للسلطان يعرف باسم الوالي، وهو رئيس للجهاز الإداري للولاية، وبالنسبة لولاية حلب فقد قسمت إلى ألوية، وهي طبقاً للدفاتر العثمانية العائدة للفترة بين (١٧٠٠-١٧٤٠) والتي اعتمدها فاضل بيات[٥]، ووثائق المحاكم الشرعية، والأوامر السلطانية في

١- **العثمانيون:** انتموا إلى قبيلة قاي التي وفدت إلى الأناضول، مع قبائل تركية أخرى، أمثال القارلوق والقبجاق والقالاج، وقد خرجت هذه القبائل من أواسط آسيا إلى الغرب، تحت قيادة زعيمها ارطغرل، وقد انضم إلى جيش سلطان دولة الروم السلاجقة علاء الدين الأول، ضد أعدائه ،وكان نتيجة انتصاره في العام ١٢٣٣ أن كافأ السلطان السلجوقي تلك القبيلة، وأعطاها منطقة شمال غرب الأناضول، تسمى سكودا ، إلا أن ارطغرل تخطى مهامه وهاجم ممتلكات الدولة البيزنطية في الأناضول، وبعد وفاته عيّن السلطان السلجوقي علاء الدين "عثمان" خلفاً لأبيه ارطغرل في العام ١٢٨٨ فاقتطع كافة الأراضي والقلاع التي فتحها ، وبعد وفاة السلطان علاء الدين استأثر عثمان بجميع الأراضي المقتطعة ، ولقّب نفسه باديشاه آل عثمان، ووسع أبناء عثمان مجالهم في الأناضول كلها، وعلى البلقان وشبه جزيرة اليونان، ثم كان عهد السلطان محمد الثاني(١٤٥١-١٤٨١) الملقب بالفاتح حيث استولى على القسطنطينية عاصمة الدولة البيزنطية في العام ١٤٥٣ انظر:

Shaw , (S.J). " **History of the ottoman Empire and Modren turkey**" London Newyork melboume 1978 , vol p.13.

يوسف آصاف، **تاريخ سلاطين آل عثمان**، تحقيق بسام الجابي ط٣ ، دار البصائر ، دمشق ١٩٨٥ ص١٠.

٢- همايون: لفظ فارسي معناه سعيد ، اتخذه اباطرة المغول لقباً لهم في عصر الدويلات ، وعنهم أخذ الأتراك العثمانيون، فأطلقوه على السراي السلطانية حيث كان يقيم السلطان والصدر العظم، مصطفى عبد الكريم الخطيب **معجم المصطلحات والألقاب التاريخية**، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٦، ص٤٣٤.

٣-الصدر الأعظم: رئيس الوزراء في الدولة العثمانية ، وكان وكيل السلطان، وأطلق عليه الوزير الأعظم للتفريق بينه وبين غيره من الوزراء، وله صلاحيات كافة الأمور في الدولة وكان رئيساً للديوان الهمايوني .

Yusuf Halachoglu, XIV.-XVII. Yuzyillarda Osmanlilarda Devlet Teskilati ve Sosyal Yapi, Ankara,1996 s.10

سهيل صابان المعجم **الموسوعي للمصطلحات العثمانية** ، مكتبة الملك فهد ، الرياض ٢٠٠٠، ص١٤٣-١٤٤ .

٤- أحمد عبد الرحيم مصطفى، **في أصول التاريخ العثماني**، ط٢ دار الشروق، بيروت ١٩٨٢، ص ٣٦- ٣٧.

٥-هذا التقسيم في النصف الأول من القرن الثامن عشر استمر حتى نهاية النصف الثاني من القرن نفسه. فاضل بيات، **الدولة العثمانية في المجال العربي** ، دراسة تاريخية في الأوضاع الإدارية في ضوء الوثائق والمصادر العثمانية حصراً (مطلع العهد العثماني – أواسط القرن التاسع عشر)".ط١، مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان، ٢٠٠٧. ص١٩٦.

القرن الثامن عشر كالآتي : لواء حلب، معرة النعمان[١]، بالس[٢]، العزيز[٣]، جبلة، المطخ[٤] كلّس[٥]. لم تتبع الدولة العثمانية في ولاياتها أسلوباً إداريا واحداً ، بل اتبعت أساليبَ مختلفة وفقاً لكل ولاية أو لواء لتتناسب مع خصوصيته الجغرافية والإدارية، وقد طبقت الإدارة العثمانية أسلوب الإقطاع العسكري[٦]، وطبّق هذا الأسلوب في مناطق عديدة من ألوية وأقضية ولاية حلب مثل " ادلب " التي كانت إقطاعاً خاصاً لآل الكوبريلي[٧]، ومن التقسيمات الإدارية التي اتبعتها السلطنة العثمانية كان أسلوب الأوجاقلق[٨] مثل لواء جبلة، ولواء حلب مثل الأسرة الجنبلاطية[٩]

١- معرة النعمان: كلمة آرامية معرتا : المغارة، والنعمان نسبة إلى نعمان الحمرة ، وفيها قبر أبو العلاء المعري. الأسدي، موسوعة حلب ، ص١٥٢.

٢-بالس : بين حلب والرقة والتسمية نسبة إلى بالس بن الروم بن اليقين بن سام بن نوح، شهاب الدين أبي عبدالله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي، **معجم البلدان**، خمسة مجلدات،مجلد١،دار صادر، بيروت ١٩٩٧،ص ٣٢٨

٣- لواء العزيز ذكر في وثائق الأوامر السلطانية : سجل حلب أوامر سلطانية، رقم ١٠ -صورة ٧٧، ص ٤٤ وثيقة ١٤٤، تاريخ ١٥ شوال ١١٨٦هـ/١٧٧٢م.

٤-المطخ ، أراضٍ منخفضة يصبّ فيها نهر قويق جنوب حلب،الأسدي ، موسوعة حلب ،١٣٦.

٥- سجل حلب أوامر سلطانية رقم ٦، صورة ٣٤، ص ٥٩، وثيقة ١١٧، تاريخ ١١٧٥هـ/١٧٦١م دفتر الترجمة إلى إلى العربية،كلس أو كلّز بين حل وانطاكية،الحموي،البلدان،ج٤،ص٤٧٦. بيات، الدولة العثمانية ص١٩٤.

٦- إقطاع عسكري الذي أوكل للفرسان المحاربين(السباهية) بجمع العشور وسائر الضرائب المالية. وقد قسم هذا الإقطاع الواردات الضريبية على التيمار والزعامت والخاص، فالتيمار هو الأرض التي أعطت وارداً سنوياً لم يتجاوز (٢٠ألف)أقجة، والاقطاع الثاني هو الزعامت الذي أعطي كإقطاع للضباط في الجيش وهي الأرض التي تجاوز واردها بين (٢٠ألف و ١٠٠ ألف) أقجة سنوياً . أما الخاص فقد أعطي للسلطان أو أفراد الأسرة الحاكمة أو كبار الموظفين والذي تجاوز وارده (١٠٠ألف) أقجة سنوياً. انظر :ارنولد توينبي، **مختصر دراسة التاريخ** ، ترجمة محمد شلل ، مراجعة شفيق غربال ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ،١٩٧٦، ص٢٩٦-٢٩٧.

وأيضاً " مجموعة من المؤلفين :**الدولة العثمانية تاريخ وحضارة** ، إشراف أكمل الدين إحسان أوغلي، ترجمة صالح سعداوي، مجلدين، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية باستانبول ،١٩٩٩.المجلد١، ص ٦٣٩.

٧- الكوبريلي : أسرة عثمانية عُيّن عدد منهم (صدوراً عظاماً) في دار السلطنة، وولاة في بلاد الشام منهم محمد (١٥٨٣-١٦٦١)مؤسس الأسرة ارتفع من خدمة المطبخ الشاهاني إلى الصدارة العظمى ١٦٥٦م ، فاضل أحمد (١٦٣٥-١٦٧٦) ابن محمد ، جدد الامتيازات الفرنسية ١٦٧٣م ، حسين : تولى الوزارة (١٦٩١-١٧٠٢م) عقد الصلح مع النمسا ، ارنولد توينبي ، **مختصر دراسة التاريخ** ، ترجمة محمد شلل ، مراجعة شفيق غربال ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ،١٩٧٦ ص٢٩٦-٢٩٧.انظر المنجد في اللغة والإعلام ، ط٣٣ ، دار المشرق، بيروت ١٩٩٢. ص ٤٧١.

٨-الأوجاقلق: أطلقت هذه التسمية على الأقاليم المسندة، إلى الأمراء والزعماء المحليين الذين قدموا خدمات للسلطنة، وهؤلاء الأمراء تولوا إدارة مناطقهم مدى الحياة وتوريثها إلى ذويهم، مقابل الولاء للسلطان الذي راعى حقوق الزعامات التي كانت تحكم في مناطقها، وما يمتلكون من أراضٍ وقلاع، فقد عينهم العثمانيون أمراء ألوية ضمن نظام الأوجاقلق، وكان الأمراء تحت إمرة الوالي، يدفعون الضرائب المستحقة للدولة ، وكان يتمّ قيد ألوية الأوجاقلق، في دفاتر الولايات والألوية العثمانية تحت إسم لواء وأميرها يسمى أمير اللواء . فاضل بيات، **دراسات في تاريخ العرب في العهد العثماني(رؤية جديدة في ضوء الوثائق والمصادر العثمانية)**، دار المدار الإسلامي بيروت،٢٠٠٣، ص١٤٣

الجنبلاطية[١] إضافة إلى اعتماد الدولة أسلوب ما يسمّى بـــ(مير عشيرتلك) أي أمارة عشيرة وهذا التقسيم كان في مناطق تواجد البدو[٢].

انقسم اللواء إلى أقضية، ومفردها "قضاء" ، وتعود التسمية إلى وجود قاضي شرعي يطبّق الشريعة الإسلامية، وقد قسّم القضاء إلى نواح والناحية إلى قــرى، كقضـــاء جبـــل ســـمعان[٣] الجبول[٤] الباب تتبع للواء حلب[٥]، وناحية كفر طاب تتبع للواء معرة النعمان، وناحية منبج تتبـــع للواء بالس ونواحي الجومة[٦]، ودربساك[٧]، واعزاز[٨] تتبع للواء كلّس[٩]، وقد شكلت الأقضـــية الأقضية الإدارية وحدة محددة سميت مقاطعة، ومثال على ذلك مقاطعة انطاكية[١٠]الذي كان يتبـــع لها: القصير. جبل الأقرع. واداي الذهب. السويدية. مقاطعة أريحا، وتتبعها الروج وجبل الزاوية ومقاطعة الجبول، وقضاء سرمين ومعرة المصرين[١١]، وقضاء دركوش، ومقاطعة بقراص وتتبعه ناحية اسكندرونة، ومقاطعة ادلب الصغرى، ومقاطعة حارم[١٢]، ومقاطعة بيري[١٣]، أما بالنســـبة إلى داخل المدينة، فقد جرت تقسيمات ادارية كالمحلة (الحارة أو الحي) ، والزقاق، إضـــافة إلـــى

١- بيات ، الدولة العثمانية في المجال العربي ، ص١٣٥.

٢- مير عشيرتلك: راعت الدولة العثمانية أمراء العشائر المحلية، واستمالتهم بسبب ثقلهم الأمني، يمكن استغلالهم استغلالهم لصالحها ، وكانت الدولة على يقين أن هذه العشائر لا يمكن إخضاعها إلا من خلال أمرائها ونظمتهم بتنظيم خاص أطلق عليه اسم (مير عشيرتلك) أي أمارة عشيرة، وكانوا يتولون تيماراتهم وعشائرهم وزعاماتهم، وكان وضعهم دون أمراء السناجق، واشتركوا في الحملات السلطانية ضمن السنجق اللواء الذي يتبعونه ، وتكون تيماراتهم بحكم الأجاقلق، انظر: بيات ، دراسات في تاريخ العرب ، ص ١٥٠.

٣-جبل سمعان: أطلق الأتراك (جبل سمعان) على القرى المجاورة لحلب نسبة إلى سمعان العمودي، الأسدي، موسوعة حلب ، ص٣٣.

٤- الجبول: أرضها سبخة ، وهي كلمة آرامية تعني الجيال ،الأسدي، موسوعة حلب ،ص٣٧.

٥- الباب :شرق حلب، حولها قبائل كثيرة، وسمّيت بالباب لأنها مدخل غزاة الشرق إلى حلب. الأسدي، موسوعة حلب، ص١٥.

٦- الحموي ، معجم البلدان ، ج٢،ص١٨٩.

٧- دربساك: يقع قرب من انطاكية. ابو الفضل محمد بن الشحنة، **الدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب** ، تقديم عبدالله درويش، دار الكتاب العرب ، سورية ١٩٨٤، ص٢٢٢

٨- كلمة اعزاز ارامية تعني عزز أو قوى ، الأسدي ، موسوعة حلب، ص١٠٣

٩- سجل حلب أوامر سلطانية رقم٦،صورة ٣٤،ص٥٩، وثيقة ١١٧، تاريخ١١٧٥هـ/١٧٦١م

١٠- سجل حلب أوامر سلطانية رقم ٦ ، صورة ٤١، ص ٧٢ ، وثيقة ١١٧، تاريخ ١١٧٥هـ/١٧٦١م انطاكية: بناها الملك انطيخس الملك الثالث بعد الاسكندر وفيها قبر حبيب النجار،الحموي،معجم البلدان،ج١، ص٢٦٦

١١ -سجل حلب محاكم شرعية رقم ٨٧ صورة ١٣٤، وثيقة ص ٢٥٥-٢٥٦ تاريخ ١١٧٠هـ/١٧٥٦م.

١٢- سجل حلب محاكم شرعية رقم٨٧،صورة ١٣٣-١٣٤،وثيقة ص٢٥٣-٢٥٥-٢٥٦ تاريخ ١١٧٠هـ/١٧٥٦م.

١٣- سجل حلب أوامر سلطانية رقم ٢٨، صورة ٥١، ص ٣٤، وثيقة ٦٩، تاريخ ١٢١٤هـ/١٧٩٩م

وحدة ادارية مالية تسمى الصايح وتشير إلى المحلة الكبيرة التي تضم الدور السكنية والأسواق التجارية وطوائف الحرف، وكان لكل من المحلة والزقاق والصايح، شيخ أو امام يُكلّف بتحصيل الرسوم من سكان هذه الوحدات الادارية[١].

ثالثاً-لمحة تمهيدية عامة عن التطورات السياسية والاجتماعية والثقافية والعمرانية في ولاية حلب حتى النصف الثاني من القرن الثامن عشر:

١-**التطورات السياسية:** تأثّرت ولاية حلب مثل غيرها من الولايات العربية بتطورات دولية وعالمية ومحلية عديدة تركت آثارها على مجمل نواحي الحياة الاجتماعية في الولاية [٢].وأبرز هذه التطورات، وقوعها تحت السيطرة العثمانية منذ العام ١٥١٦ ، واتباع العثمانيون سياسة محلية للتكيّف مع المجتمع الحلبي، وبدورهم العثمانيون لم يلجأوا إلى تغيير الزعامات المحلية الحاكمة لوقوف هذه الزعامات إلى جانبهم، ومساندتهم عند سيطرتهم على المنطقة، لذلك ربطوا هذه الزعامات بالسلطنة ووازنوا بها القوى الموجودة[٣].

٢-**التطورات الاجتماعية:** تأثّرت الحالة الاجتماعية في حلب بالآثار السلبية الاقتصادية التي سلكتها السلطنة في بداية عهدها، وتجلّى ذلك بفرض الضرائب الباهظة والرسوم الزائدة ، وفتح أسواق حلب في القرن السابع عشر أمام منافسة التجارة الأوروبية ، مما أدّى إلى تقويض المنتجات المحلية لدرجة لم تتمكن فيها من المنافسة ، إضافة إلى الديون الجماعية لأفراد الطبقات الشعبية والطوائف الحرفية، في مدينة حلب وريفها، مما اضطرّهم لبيع ورهن مساكنهم وأراضيهم. وبسبب ضعف السلطنة العثمانية زاد الأمر سوءاً بفقدان الأمن وقطع الطرق، وانتشار الفوضى وظهور المتمردين من البدو الأعراب والتركمان والأكراد، إضافة إلى جملة من الأزمات التي تركت آثارها على الحياة الاجتماعية في حلب.

تجلّت الآثار السلبية بسوء القضاة والحكام وازدياد الظلم، وابتزاز المسؤولين من العساكر والإقطاعيين والجباة للسكان، واستخدام العنف ضدهم أحياناً[٤]، فضلاً عن قضايا اجتماعية، تتعلّق بالمجاعات والقحط والغلاء، وذكر الغزي مثالاً على ذلك عن العام ١٦٩٧ " ...كيف أصبح هناك

١- خضر عمران، **الحياة الاجتماعية في ولاية حلب** في النصف الثاني من القرن السابع عشر١٦٥٠-١٧٠٠م، رسالة رسالة دكتوراه، اشراف عبد الكريم رافق ،جامعة دمشق، دمشق، ١٩٨٩، ص١٢.

٢- هربرت فشر، **أصول التاريخ الأوربي الحديث من النهضة الأوربية إلى الثورة الفرنسية** ، ترجمة زينب عصمت راشد واحمد عبد الرحيم مصطفى ، منشورات دار المعارف بمصر ، ١٩٦٥ ، ص ٨.

٣-علي حسون ، **العرب والدولة العثمانية** ، ط١ ، دار الرؤية، دمشق ،٢٠٠٦ ص٧٤ .

٤- عمران ،الحياة الاجتماعية ، ص٣٥٤.

غلاء عظيم، قلّت فيه الأقوات، وصار الناس يزدحمون على الأفران لأخذ الخبز، وأمر الوالي بسدّ الأبواب، وترك (طاقة) يتناول منها الخبز، فسمّي (غلاء الطاقة) واستمر أربعة أشهر .." [١]. كما عانت حلب من الطواعين والأوبئة، فقد توفي الآلاف من السكان في العام ١٦٦٩ بمرض الطاعون[٢]، وأيضاً " اجتاح حلب طاعون آخر في العام ١٧١٩ أهلك خلقاً كثر واختبأ الوالي وحاشيته.." [٣]، إضافة إلى انتشار أمراض أخرى كالجذام وحبة حلب والجدري ومرض الحصوة وغير ذلك...[٤] .

٢-**التطورات الثقافية :** لم تعطِ السلطنة العثمانية الناحية التربوية الاهتمام الكافي في حلب واقتصر الأمر على استمرارية عدد من المدارس التي بنيت في العهدين الأيوبي والمملوكي وبلغت حتى النصف الثاني من القرن الثامن عشر في العهد العثماني أكثر من(٣٩) مدرسة داخل مدينة حلب وخارجها، وتمّ تغطية نفقاتها من خلال أوقافها التي تعرّضت لتلاعب المتولين عليها واكتفت بتقديم العلوم التقليدية لطلبتها، وكان أغلبها علوم دينية. وشكّلت المساجد والجوامع مراكز علمية لتعليم القرآن والسنة النبوية من خلال الأئمة والخطباء والقراء والواعظ، إضافة إلى المكتبات العامة في المساجد والمكتبات الخاصة عند بعض العلماء من المدرسين والأشراف، وأُهمل الريف وانتشرت الأمية بين سكانه لقلّة المدارس والتعليم [٥] .

٣-**التطورات العمرانية :** ضربت حلب بجذورها من الناحية العمرانية إلى ما قبل التاريخ وميّزت نفسها عن باقي المدن بأنها لم تكن مدينة ميتة، رغم الكوارث وعاديات الزمن، فاحتفظت بآثارها التاريخية، وظهر تخطيطها العمراني منذ القرن الرابع قبل الميلاد، واتضح مظهرها الاسلامي في جامعها الكبير في القرن الثامن الميلادي إضافة إلى المنشآت العمرانية في الفترات السلجوقية والزنكية والأيوبية والمملوكية [٦].وبسبب النمو الاقتصادي والسكاني لمدينة حلب في القرن السادس عشر فقد أحدثت عمليات عمرانية متتالية، وتوسّع كبير وإعادة تشكيل هيكلية

١- الغزي، نهر الذهب ج٣،ص ٢٩٣.

٢- عمران، الحياة الاجتماعية ، ص ٤١٤.

٣- الغزي، نهر الذهب ، ج٣ ، ص٣٩٥.

٤- الغزي، نهر الذهب ،ج٣،ص ٣٦٤.

٥- عمران، الحياة الاجتماعية ، ص٣٨٠، ٤٣٠.

٦ - محمود حريتاني ، **حلب والسلطنة العثمانية** (الوقف والعمران ١٥١٦-١٩١٦) ط١ ، شعاع للنشر والعلوم، حلب، ٢٠٠٦، ص٨.

المدينة، فبني (١٨) مدرسة ومسجداً و(٥) تكايا وزوايا و(١٢) سبيلاً كما انتشر بناء الأوقاف الدينية، ففي الجنوب الشرقي للمدينة بنى والي حلب خسرو باشا في العام ١٥٤٤ الجامع الذي يحمل اسمه [١]، وأوقف للنفقة عليه أوقافاً كثيرة كالحوانيت، وقيسارية[٢] شملت (٥٠) مخزناً وخان من(٩٥) مخزناً. ومن الأعمال العمرانية المتتالية: قيام والي حلب محمد باشا دوغاكين في العام ١٥٥٥ ببناء مجمع من المنشآت العمرانية المتناسقة حول جامع العادلية والذي أوقف لصالحه أسواق وخانات عدة كسوق الجوخ وأسواق وخانات النحاسين في الغرب والعلبية في الشمال والفرائين في الشرق.

وفي العام ١٥٧٤ شكل وقف محمد باشا "ابراهيم خان زادة" في غرب المدينة مجمّعاً عمرانياً اقتصادياً ضم (٩٥٧) محلاً للاستخدام التجاري والصناعي، أهمّها خان الجمرك من حيث نوع البناء والتزيين[٣]، ونظراً لتزايد السكان التدريجي في مركز المدينة، تحت تأثير النمو الحضاري السريع، فقد أدّى إلى بناء مشروعات عمرانية خارج الأسوار، كنقل المدابغ القديمة، إلى خارج حلب بالقرب من باب انطاكية لما لها من الأثر السيء على البيئة [٤]. وفي العام ١٥٨٣ بنى بنى والي حلب بهرام باشا جامع البهرامية بمحلة الجلوم الكبرى، وأوقف لصالحه سوقين وقيسارية وتميّز الجامع بالانتظام المذهل للقطع المسقوفة، والتخطيط المستقيم للطرقات والأسواق وتقاطعها[٥].

---

١ –الغزي، نهر الذهب ، ج٢ ، ص١١٧.

٢– قيسارية: هي كلمة من أصل يوناني وتعني إمبراطوري، أطلقت أولاً على المعابد في العهد الروماني، ثم سميت بها بعض المدن التي قامت حول هذه المعابد. وقد أقتبسها العرب بعد الفتوحات وأطلقوها على الأسواق المسقوفة والمغلقة في المدن. وقد كان التمييز واضحاً في البداية بين القيسارية والفندق والخان ، وفي القرن الخامس عشر لم يعد هناك أي اختلاف بين القيسارية والخان، ولكن القيسارية ظلت مخصصة للتجارة بشكل أكثر حتى نهاية العهد المملوكي. وفي العهد العثماني زالت كل الفروق المعمارية والوظيفية بين البنائين، وقد زالت الكلمة مع زوال العهد العثماني. أكرم العلبي ، **دمشق بين عصر المماليك والعثمانيين** ،ط١ الشركة المتحدة للطباعة، دمشق ١٩٨٢،ص٧.

٣– اندريه ريمون، **المدينة العربية حلب في العصر العثماني من القرن السادس عشر إلى القرن الثامن عشر**، ترجمة ملكة أبيض ، منشورات وزارة الثقافة ، دمشق ٢٠٠٧ ، ص١٥٨، ٢٠٤.

٤– حريتاني ، حلب والسلطنة العثمانية ، ص٥ .

٥–الغزي، نهر الذهب ، ج٢ ، ص٤٧.

وعدّ القرن السابع عشر من الناحية العمرانية عصر انحطاط بسبب الاضطرابات السياسية للسلطنة العثمانية وحربها مع ايران والمجر، إضافة إلى الثورات الداخلية، وتردي الأوضاع الاقتصادية مما أدى إلى تباطؤ نسبي في التوسع العمراني، فلم يبنى سوى (١٤) مدرسة فقط و(٧) سبُّل [١]، ورغم ذلك قام والي حلب أبشير باشا في العام ١٦٥٣ بإجراء عملية عمرانية واسعة شمالاً خارج مدينة حلب في الضاحية الشمالية (الجديدة) وأحاطها بالسور، وقد تضمّنت وقفية للجامع الذي حمل اسمه، وفي الشرق احتوى على سوق "النوال" وقيسارية اشتملت على (١٣) حجرة في الطابق الأرضي و (١٣) حجرة في الطابق العلوي ومخازن وحوانيت، وفي الطرف الغربي ضمت قيساريتين احتوت(٢٨)غرفة، وفي الجنوب مبنى لبيت القهوة ، ووجد قيسارية ملاصقة للجامع ضمت(٢٧) حجرة وكان يشغلها معمل لصنع الحرير والمخمل[٢] .

وفي العام ١٦٦٣بنى الوزير محمد باشا الارناؤوط أثناء مروره بحلب التكية الاخلاصية التي كانت تنسب إلى الشيخ اخلاصي الخلوتي نزيل حلب أثناء مروره في العام ١٦٣٠، وفي العام ١٦٨٣ بنى الوزير قره مصطفى مشروعاً عمرانياً جديداً، تميّز بزخارفه الرائعة، اسمه خان الوزير ومساحته ٤٥٦٠م[٢]، وأراد من بنائه أن يكون فندقاً للتجار المسافرين من البصرة وبغداد وايران..[٣] ، فأُنشئ العديد من المنشآت العمرانية حتى النصف الأول من القرن الثامن عشر، منها المدرسة الشعبانية ١٦٧٤ ، المدرسة العثمانية ١٧٢٨، المدرسة الرحيمية ١٧٤٣، وسيتم ذكر هذه المنشآت بالتفصيل في فصل الحياة العمرانية –أهم المنشآت العمرانية القائمة في فترة البحث.

١- سبُّل : مفردها سبيل وهو بناء أنشأه أهل الخير وزودوه بماء القناة أو بماء المطر لشرب الناس والدواب ، وكما يطلق السبيل على توزيع الماء وغيره مجاناً ، الأسدي ، موسوعة حلب، ص٣١٨. حريتاني ،حلب، ص٣٣.

٢-ريمون ، المدينة العربية ، ص ١٦٠-١٦٤.

٣-حريتاني ، حلب والسلطنة العثمانية ،ص٣٥.



المقدمة

أهمية البحث: تبوأت حلب مكانة مرموقة عند العثمانيين بسبب أهميتها الجغرافية والسياسية والاقتصادية، فهي المدينة الثالثة في السلطنة العثمانية من حيث الأهمية بعد الأستانة والقاهرة، وقد تميّزت بموقع جغرافي مهمّ في شمال بلاد الشام، وبأهمية اقتصادية كبيرة كونها مركز اتصال دولي فمن خلالها مرّت الطرق التجارية القديمة، كطريق قوافل التوابل والحرير من الشرق إلى الغرب عبر ميناء الاسكندرونة على البحر المتوسط، وقد انعكست أهمية حلب الجغرافية والسياسية والاقتصادية على حياتها الاجتماعية التي شهدت في النصف الثاني من القرن الثامن عشر مرحلة تحوّل، ومن الضروري أن تدرس كي تحدد معالم هذه التحولات على الصعيد الاجتماعي والثقافي والعمراني.

أسباب اختيار البحث: يعود اختيار البحث لعدم وجود دراسة اجتماعية وثقافية وعمرانية من خلال وثائق المحكمة الشرعية فيما يتعلق بفترة النصف الثاني من القرن الثامن عشر، علماً أنه يوجد عشرات السجلات لمحاكم حلب الشرعية، وآلاف الوثائق غير المنشورة، إضافة إلى وجود العديد من الأوامر السلطانية العثمانية التي تغطي فترة البحث، والمحفوظة في مديرية الوثائق التاريخية بدمشق، ورغم تعدد الدراسات التي تناولت مدينة حلب في المرحلة العثمانية ، إلا أن وثائق المحاكم الشرعية تحوي الكثير من المعلومات التي تفيد للقيام ببحث وثائقي، وملء بعض الثغرات التي أغفلتها كتب التاريخ، بالنسبة للمرحلة التي سيتناولها البحث.

اشكالية البحث: إن بعض الدارسين لمرحلة البحث عدّوها امتداداً لحكم عثماني ليس فيه أي جديد، في الوقت الذي يمكن القول فيه أن ولاية حلب قد شهدت في هذه المرحلة متغيّرات كثيرة وبشكل خاص على المستوى الاجتماعي والثقافي والعمراني، ويمكن اعتبار هذه المتغيرات أساساً لما شهدته حلب في القرن التاسع عشر الذي هو بداية عصر الحداثة.

منهجية البحث: سيعتمد البحث على المنهج العلمي الملتزم بقواعد منهجية البحث التاريخي الصحيح، والاعتماد الرئيسي على وثائق المحاكم الشرعية، والأوامر السلطانية العثمانية، ودراسة علاقات التفاعل بين ما طرحته الوثائق من قضايا، والعوامل المؤثرة فيها، وإجراء المقارنة بين مكوناتها، والعمل على تدعيم البحث بوضع صور فوتوغرافية اجتماعية، ورسم خرائط جغرافية ومخططات وصور عمرانية، وكذلك جداول إحصائية اجتماعية، وعرض أمثلة وعيّنات في القضايا المتشابهة والمتمحورة حول موضوع واحد، والاستعانة بالمصادر والمراجع العربية والأجنبية التي تم الاعتماد عليها لدحض أو لتأكيد ما ورد في الوثائق.

وقد واجه البحث بعض الصعوبات منها: تشعّب الموضوعات التي تعرّض لدراستها كدراسة مجمل الحياة الاجتماعية في ولاية حلب في النصف الثاني من القرن الثامن عشر والخوض في تفاصيل مهمة، والتركيز على مركز الولاية (المدينة)، لأن تناول الولاية مع الألوية والأقضية عمل واسع جداً ، والسعي لعدم إغفال أي واقع اجتماعي ترك آثراً مهماً في تاريخ المدينة، إلى جانب الدراسة المعمقة للحياة الثقافية والعمرانية، ورصد التطورات الجارية لمركز الولاية في فترة البحث والتمحيص الدقيق من خلال دراسة الآلاف من وثائق المحاكم الشرعية والأوامر السلطانية في حلب غير المنشورة، والعمل الدؤوب على تصنيف موضوعات قضاياها، ومن الجدير بالذكر أن هذه الوثائق تحفل بمفردات عامية، وأخطاء لغوية ومصطلحات مبهمة، مما أوجب شرحها.

اعتمد البحث على مجموعة من المصادر والمراجع الغنية بمعلوماتها، وأهمها **(وثائق المحاكم الشرعية)** في مديرية الوثائق التاريخية بدمشق، والتي عالجت قضايا تتعلّق بالأوضاع الاجتماعية وغلب عليها دراسة الأحوال الشخصية للمجتمع الحلبي، وقضايا البيع والشراء والتملّك كما تناولت هذه الوثائق مجمل النواحي السياسية والاقتصادية والثقافية والعمرانية، وإلى جانب **(الأوامر السلطانية في حلب)** التي كان مصدرها الباب العالي في استانبول، وترد إلى والي وقاضي حلب وتتعلّق بأوامر تعيينات جهاز الإدارة والقضاة والمدرسين، والمتولين على الأوقاف وأحوال الضرائب وأهل الذمة. كما اعتمد البحث على كتاب: **(نهر الذهب في تاريخ حلب)** للمؤلف الشيخ كامل الغزي، وهو عبارة عن ثلاثة أجزاء، وتناول في الجزء الأول: دراسة جغرافية لحلب وحدودها وبحيراتها وانهارها وجبالها، ونباتاتها وحيواناتها، مع ذكر الصناعات

الحرفية والأوضاع التجارية، إلى جانب دراسة الحركة العلمية من مدارس، مكتبات، الأحوال الصحية ، والملل والطوائف الاسلامية والمسيحية حتى بداية القرن العشرين.

وأما الجزء الثاني: فتناول دراسة عمرانية لولاية حلب، من أبواب وأسوار وقلاع وأوابد أثرية مهمة، وبالنسبة للجزء الثالث: فقد تناول الأحداث التاريخية التي جرت في حلب منذ قبل الفتح الاسلامي حتى الاحتلال الفرنسي. **وكتاب: (إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء)** للمؤلف محمد راغب الطباخ الحلبي وهو في سبعة أجزاء، وتناول الجزء السادس والسابع تراجم أعلام حلب في فترة الدراسة من رجال السياسة والعلماء والمتصوفين والأدباء والأطباء .

وكتاب: **(تقصي خطى الدولة العثمانية في حلب)** لـــيافوز جوشقون، واحتوى الكتاب على معلومات وصور، تم التوصل إليها من خلال مشروع جرد الآثار التاريخية المنشأة والمرممة في حلب في الفترة العثمانية، والذي وضع من قبل جامعة غازي عنتاب، ضمن برنامج التعاون الاقليمي السوري–التركي، وقسّم الكتاب إلى أقسام، تمّ فيها دراسة الجوامع ، والتكايا والزوايا والمدارس والمباني والحمامات والسُبُل والبيوت.

ومن المصادر الأجنبية المترجمة التي أثرت البحث كتاب: **(تاريخ حلب في القرن الثامن عشر)** ويقع في مجلدين للمؤلفين الطبيبين الإنكليزيين الأخوين الكسندر وباتريك راسل، واللذين أقاما في حلب في الفترة من العام ١٧٤٢ إلى ١٧٦٨ للإشراف الطبي على الجالية التجارية البريطانية وخلال إقامتهما مارسا عملهما بالإشراف الطبي على سكان مدينة حلب من مختلف الطوائف والجنسيات، وفي كتابهما الآنف الذكر تناول المجلد الأول فيه وصف حلب بشكل دقيق بشوارعها وأزقتها وحاراتها، وبيوتها، مع القناة والبساتين المجاورة لحلب، والمواسم الزراعية. وأما المجلد الثاني فقد تحدّث عن السكان والأزياء والعادات والتقاليد، وعن الحياة الدينية للمسلمين والمسيحيين واليهود وعن نسائهم والأحوال الشخصية، إلى جانب دراسة الجهاز الاداري للحكومة وأعيان المدينة .

كما اعتمد البحث على كتاب **(الشرق الأوسط عشية الحداثة–حلب في القرن الثامن عشر)** للمؤلف ابراهام ماركوس، وتناول فيه الظروف الاجتماعية والثقافية والسياسية والقانونية والاقتصادية التي مرّ بها المجتمع الحلبي، وعن التجارب والأحداث المثيرة التي ساهمت في تشكيل حياة السكان داخل المدينة في القرن الثامن عشر، ومدى الاختراق الاوروبي وأثره قبل وعشية مرحلة الحداثة والنهضة .

إلى جانب اعتماد البحث على المصادر الأجنبية مثل كتاب :

C-F. Volny, Travels through Syria and Egypt, in the years 1784,and1785.

وتناول هذا المصدر رحلة الرحالة فولني إلى سوريا ومصر في ثمانينات القرن الثامن عشر ووصف الرحالة حلب من خلال جغرافيتها، وطبيعة الحكم ، وأحوال المرأة، والناحية العمرانية

وايضاً اعتمد البحث على المصدر التالي:

W.G, Browne , Travels in Africa, Egypt and Syria, from the years 1792 to 1798

وتناول الكتاب رحلة الرحالة براون إلى افريقيا ومصر وسوريا في نهاية القرن الثامن عشر حيث زار حلب ووصف جغرافيتها، والحالة السياسية العامة فيها، وبعض المظاهر الاجتماعية، إلى جانب وصف المظهر العمراني العام لحلب ومواد البناء المستخدمة.

إلى جانب اعتماد البحث على:

Bodman Harbart , Political faction in Aleppo 1766-1826

وعالج هذا الكتاب الأوضاع السياسية القائمة في حلب، وتطرّق للظروف الاجتماعية التي تركت أثرها على حياة السكان . ومما أثرى البحث أيضاً كتاب :

Margaret L, Meriwether,Family and Society in Ottoman Aleppo, 1770-1840

وقد تناول أيضاً أحوال العائلة الحلبية في فترة النصف الثاني من القرن الثامن عشر والتركيب الاجتماعي في تلك الفترة.

أقسام البحث: اشتمل البحث على مقدمة وتمهيد تاريخي وأربعة فصول (فصلان اجتماعيان وفصل ثقافي وآخر عمراني) وخاتمة، إضافة إلى الملاحق وقائمة المصادر والمراجع .

أما **المقدمة:** فتناولت أسباب اختيار موضوع البحث، وأهميته واشكاليته ومنهجه وصعوباته والتعريف بأهم المصادر والمراجع المتبعة، وبالنسبة **للتمهيد التاريخي** فقد خصص لدراسة جغرافية حلب مع لمحة تمهيدية عن التطورات الاجتماعية والثقافية والعمرانية في ولاية حلب حتى النصف الثاني من القرن الثامن عشر، إلى جانب التقسيمات الإدارية في فترة البحث.

الفصل الأول : تناول التركيب الاجتماعي في ولاية حلب في النصف الثاني من القرن الثامن عشر، من حيث البنية السكانية التي تميّزت بتنوّع فئاتها الاجتماعية الدينية : مسلمون ومسيحيون ويهود، إلى جانب الفئات العرقية، من عرب وأكراد وتركمان، وعلى الرعايا الوافدة من البلدان العربية والأجنبية إلى حلب ، إلى جانب وجود الرقيق، ومن ثم ركز البحث على الواقع الاجتماعي المكوّن من عدد من الفئات الطبقية .

الفصل الثاني: عالج الفصل مظاهر عديدة من الحياة الاجتماعية في ولاية حلب، من حيث الأسرة والأحوال الشخصية، وأهمّ الأسر المعروفة التي انتسبت إلى أسر راقية، ومن ثم التركيز على دراسة قضايا الأحوال الشخصية، اعتماداً على الوثائق الشرعية . كما تناول هذا الفصل العادات والتقاليد السائدة في المجتمع الحلبي مثل المأكل والمشرب ودُور وأدوات التسلية كالمقاهي والألعاب والحمامات. إضافة إلى دراسة مظاهر الانحراف في المجتمع الحلبي مثل: قطاع الطرق، وبروز مظاهر الفساد، وقضايا الانحلال الأخلاقي، والتي أصبحت أشياء شائعة ومنتشرة. أما الأوضاع الصحية فقد اهتم الفصل بالأوبئة والأمراض الموجودة، إلى جانب التركيز على الواقع الصحي والرعاية الطبية واعتماد السكان على الطب الشعبي، وأحياناً العلاج من خلال الشعوذات. أيضاً تناول هذا الفصل الهجرة وبيّن أسبابها المناخية والاقتصادية والأمنية والدينية إضافة إلى ذكر أنواعها الاختيارية والقسرية والمؤقتة .

الفصل الثالث: تناول الحياة الثقافية في حلب في فترة البحث، ودراسة الحياة الفكرية وأبرز المفكرين والأدباء الحلبيين، إ ضافة إلى دراسة مفهوم التصوف وبعض مراسيم الطرق الصوفية في حلب وملامحها وأنواعها وآثارها، والعلاقة بين التنظيمات الحرفية والطرق الصوفية. كما تناول البحث جوانب الحركة التعليمية والتي ضمّت معلم الكتاب والمعيد ونائب المدرس والمدرس وأصول تعيينهم ورواتبهم ومصادر دخلهم . وأيضاً دراسة الإجازات العلمية وأقسامها . إلى جانب دراسة المدارس الابتدائية والعالية، وتركيزها على تعليم العلوم الدينية والشرعية وأشهر هذه المدارس وموقعها في حلب، ومن ثم ركز الفصل على الطباعة ودخولها إلى حلب. وفيما يخصّ المكتبات عالج الفصل العوامل التي ساعدت على قلة الدراسات بشتى أنواعها، واقتصارها على الكتب الدينية، إلى جانب دراسة الموسيقى والطرب، والتركيز على ظهور العديد من المقطوعات الموسيقية خلال القرن الثامن عشر، ولا سيما فنون الغناء الحلبي كالقدود والموشحات الحلبية وتأثّر الحلبيين بالإنشاد الديني والصوفية .

الفصل الرابع: عالج الفصل الأوضاع العمرانية في حلب في فترة البحث، وبدأ بدراسة المظهر العمراني العام، والذي أعطى موقع حلب الاستراتيجي دوراً أساسياً في تشكيل ملامح عمارتها وفنونها وتناول الفصل الطوائف المعمارية ومواد البناء المستخدمة آنذاك والتي ساهمت بشكل كبير في تشييد المباني وتزيينها، إلى جانب دراسة العناصر الانشائية، مثل التسقيف والنقوش والزخارف الحجرية والأقواس، ومن ثم التركيز على أبرز الأعمال العمرانية، إضافة إلى أهم أعمال الترميم في تلك الفترة وتوجّه الفصل إلى دراسة المنشآت العمرانية القائمة في فترة الدراسة من قلاع وجوامع ومساجد وخانات وأسواق وقيساريات وحمامات وزوايا ودور سكنية وقصور.

الخاتمة: وقد ضمّت ما توصل إليه البحث من نتائج في الفترة التاريخية من موضوع الدراسة.

وأخيراً .. أتقدم بعميق الشكر والتقدير للأستاذة المشرفة الدكتورة بشرى خيربك، التي أعطتني الوقت والجهد الكبيرين، لمتابعتها بحثي وإرشادي إلى ما هو صحيح، والتعلم من الأخطاء، وكل ما قدّمته لي من حسن رعاية وصبر وتشجيع . وكل الاحترام والشكر إلى الأساتذة الأفاضل الذين تفضلوا بقبول مناقشة الأطروحة، والشكر لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل من رعاية وتوفير المادة البحثية، كالدور الثقافية: مكتبة الأسد، ومديرية الوثائق التاريخية بدمشق ومكتبات جامعتا دمشق وتشرين.



التركيب الاجتماعي في ولاية حلب في النصف الثاني من القرن الثامن عشر

أولاً – البنية السكانية في ولاية حلب:

كانت حلب بالنسبة للعثمانيين أهمّ مركز سكاني في شمال سوريا، وارتبط سكانها بالسلطة المركزية ارتباطاً قوياً، واعترفوا بالسلطان العثماني الحاكم الفعلي، واعتبروا الدولة العثمانية دولتهم، غير أنهم لم يعتبروا أنفسهم عثمانيين، ولم تتوقّع السلطنة من سكان حلب إظهار الإحساس بالمواطنة العثمانية، فالمفهوم الرسمي للحكم في فكر الحلبيين استند إلى عدة معايير وهي: السلطان الذي يعتبر الحاكم الأكبر، والأجهزة الحكومية، والتي هي أدواته الخاصة، بدلاً من أن تكون مستمدة من الشعب، وكان على الحكومة تأمين الأمن والعدل مقابل الولاء والطاعة من قبل فئات الشعب [١].

عرفت ولاية حلب بتنوّع فئاتها الاجتماعية، وهذا التنوع ضم فئات اجتماعية دينية: من مسلمين ومسيحيين ويهود، وفئات عرقية من عرب وأكراد وتركمان، ومن رعايا وافدين من البلدان العربية والأجنبية، وغيرها من الفئات التي لم تكن تجمعهم اللغة أو الانتماء أو العادات المشتركة. وقد تباينت الإحصاءات حول عدد سكان ولاية حلب في القرن الثامن عشر، وأشار القنصل البريطاني في حلب الطبيب راسل بأن عددهم في المدينة بلغ ٣٠٠٠٠٠ نسمة[٢] وجرت هذه الإحصاءات على أساس الأحياء: المحلة أو الحارة، التي كانت تشكّل وحدات ادارية

١- ماركوس، **الشرق الأوسط عشية الحداثة** (حلب في القرن الثامن عشر)، ترجمة هيثم حمام ، مطبعة جامعة حلب ٢٠٠٦، ص ٢٨

٢- راسل، تاريخ حلب ، مج١،ص ٩١ .

اساسية[١]، ومع الأسف فإن الاحصاءات لم تملك أرقاماً ثابتة أو مساحات جغرافية صحيحة يمكن لنا اعتمادها بشكل مطلق.

١- الفئات الاجتماعية الدينية:

تميّزت المنطقة العربية في الشرق الأوسط بغناها بالتنوّع الديني، لأنها المنطقة التي عرفت ولادة الديانات السماوية الثلاث: الإسلام والمسيحية واليهودية، وعايشت تاريخ الصراعات والانقسامات والتغيّرات التي عرفتها هذه الديانات. وورثت ولاية حلب نصيباً كبيراً من آثار ذلك التاريخ، لأن أرضها كانت الحاضنة لهذه الديانات، وتعددت فيها الانتماءات الدينية والمذهبية والثقافية، واعتبرت هذه الخاصّية على مدى السنين أكثر ما يميّز هذا المجتمع.

سادت أجواء الوحدة والتنوّع والانفتاح على المذاهب الأخرى في ثقافة المجتمع الحلبي خلال فترة البحث، على الرغم من سعي العثمانيين إلى تحويل هذا التنوّع إلى تناقض واختلاف ومحاولتهم بثّ الفرقة بين مختلف الفئات الاثنية والدينية والطبقية، ليجعلوا كل فئة تلتفّ حول ذاتها لتحقيق أمنها، ومن الفئات الدينية في حلب:

أ- المسلمون :

عززت الإدارة العثمانية موقعها في الولايات العربية عن طريق توظيف الدين في خدمة سياستها ورفع شعار الدفاع عن الإسلام والمسلمين، مع اعتبار المذهب الحنفي مذهب الدولة الرسمي، لأنه المذهب الوحيد الذي يجيز أن تكون الخلافة لغير العرب، ودعمت التعليم الديني لأنه ينمّي الإحساس بالخطر من أعداء السلطنة العثمانية وهم: الدولة الصفوية الشيعية في الشرق[٢] والدول الأوروبية المسيحية في الغرب [٣].

شكّل المسلمون السواد الأعظم في ولاية حلب في القرن الثامن عشر ومن خلال ما تبيّن من دراسة الوثائق الشرعية كان المسلمون يتوزّعون داخل المدينة في المحلات التالية:

١- ريمون، المدينة العربية حلب، ص ٣٢٥

٢ – محمد فريد بك، المحامي، **تاريخ الدولة العلية**، تحقيق إحسان حقي ط١ دار النفائس، بيروت١٩٨١،ص١٨٩.

٣- ساطع الحصري، **البلاد العربية والدولة العثمانية** ط٣، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٦٥ ص٤١.

محلات الجلوم الكبرى، الجلوم الصغرى[١]، ساحة بزا[٢]،الفردوس[٣]، الليرمون، المصابن الكلاسة، الفرافرة، زقاق باكير، باب قنسرين، الدلالين والبياضة، سويقة حاتم، جب أسد الله ، زقاق بني محب محلة المشارقة، باب المقام[٤]، محلة طوطو في باب الاحمر[٥].

كما سكن المسلمون في ظاهر حلب (خارج المدينة) في نبل الفحم التابعة لناحية جبل سمعان[٦].محلة أكراد البلاط[٧]، محلة الشيخ عربي[٨]، محلات الدكاشرة، باب النيرب، باب انطاكية[٩]، محلة بانقوسا[١٠]، محلة الصفصافة[١١]، صجليخان الفوقاني[١٢]. كما أشارت وثائق المحكمة الشرعية إلى استقرار بعض المسلمين في مئات من قرى ومزارع ولاية حلب مثل قرى قضاء سلقين واليعقوبية التابعة لقضاء جسر الشغور[١٣]، قرية الفوعة من قضاء معرة مصرين[١٤] خان العسل[١٥]، جبرين، قرى قضاء المطخ ، قرى ناحية الجبول، قرى ناحية الباب، قرى ناحية كفرطاب من قضاء معرة النعمان، قرية بكفالون قضاء ادلب الصغرى، قرى قضاء أريحا، نيرب

١- الجلوم: وردت آراء متعددة حول تسميتها، اسم الفاعل منها جلم أي يريد بالسريانية أي جز الصوف أي قطع ومنهما قطع الحي إلى قسمين الصغرى والكبرى ، الأسدي ، موسوعة حلب، ص١٦. سجل حلب ٨٧ صورة ٨، وثيقة ص ٩ تاريخ ٢٠ ذي الحجة ١١٦٩هـ/١٧٥٥م.

٢- سجل حلب محاكم شرعية رقم ٨٠ ، صورة ١٧، وثيقة ص ٢٧ تاريخ ١٧ رجب ١١٦٥هـ/١٧٥١م.

٣- سجل حلب محاكم شرعية رقم ٩٦ ، صورة ٤٨ ، وثيقة ص ٨٨ تاريخ ٢٥ محرم ١١٧٧هـ/١٧٦٣م.

٤- سجل حلب محاكم شرعية رقم ٨٧ ، صورة١٣٢،٤٣- ١٣٣ ١٣، ٧، ١١٦تاريخ ١١٧٠هـ/١٧٥٦م. الغزي، نهر الذهب ج١،ص٢٠.

٥-باب الأحمر: من أحياء حلب سميت كذلك لأن بابها كان أحد أبواب حلب الواصل إلى الحمر، والحمر قرية في صحراء حلب الشرقية ، وهدمه ابراهيم باشا المصري ١٢٤٨هـ ، الأسدي ،موسوعة حلب، ص١٦، سجل حلب محاكم شرعية رقم ٨٤ صورة ١١٢، وثيقة ص٢١٥ تاريخ ٢٥ رجب ١١٦٧هـ/١٧٥٣م.

٦- سجل حلب محاكم شرعية رقم ٨٠ صورة ٢٩، وثيقة ص٥١ تاريخ ٢٠ رجب ١١٦٥هـ/١٧٥١م.

٧- سجل حلب محاكم شرعية رقم ٨٤ صورة ١٥، وثيقة ص٢٦ تاريخ ٢١ ربيع الآخر ١١٦٦هـ/١٧٥٢.

٨- سجل حلب محاكم شرعية رقم ٨٥ صورة١٦٩، وثيقة ص٣٣٣ تاريخ ٢٥ ذي الحجة ١١٦٨هـ/١٧٥٤م.

٩- سجل حلب أوامر سلطانية رقم ٦ ، صورة ٤١، ص ٧٢ ، وثيقة ١٤٤، تاريخ ٢٧ شوال ١١٧٥هـ/١٧٦١م.

١٠- بانقوسا: سوق في محلة خان السبيل، قيل أنها كلمة سريانية بمعنى بين الناقوس، وقيل أن أصل الكلمة تركية، ومنهم من قال أنها عربية بمعنى بان قوسها ،أي ظهر قوسها، خير الدين الأسدي، **أحياء حلب وأسواقها**، تحقيق عبد الفتاح رواس قلعة جي ، منشورات وزارة الثقافة ، دمشق ١٩٨٤،ص١٢٠ .

١١- سجل حلب محاكم شرعية رقم ٨٤ ، صورة ٦، وثيقة ص٥ تاريخ ٢٩ محرم ١١٧٠هـ/١٧٥٦م .

١٢- سجل حلب محاكم شرعية رقم ٨٧ صورة ٢٦، وثيقة ص٤٥ تاريخ ١ ربيع الثاني ١١٧٠هـ/١٧٥٦م .

١٣ - الغزي، نهر الذهب ج١،ص٤٤١.

١٤،سجل حلب محاكم شرعية رقم ٨٠، صورة٩٤، ٦٠تاريخ محرم سنة ١١٦٦هـ/١٧٥٢.

١٥- سجل حلب محاكم شرعية رقم٨٥ صورة ٣٢، وثيقة ص٦٠ تاريخ ٥ شوال ١١٦٧هـ/١٧٥٣م.

سرمين التابعة لقضاء سرمين، قرى النيرب وأرمناز،قصبة تيزني[١]كفر تخاريم[٢] من قضاء جبل باريشا ، قرية البهلولية[٣]، لاذقية العرب واسكندرون[٤]، قرى السويدية كري مجدي التابعة لقضاء انطاكية[٥]، دارة عزة [٦]قرية كسب من ناحية جبل الأقرع[٧].

ب-أهل الذمة[٨]: أكد القانون الذي اعتمدته السلطنة العثمانية في ولاياتها، ومن ضمنها ولاية حلب على أهمية الفوارق الدينية، خاصة بين المسلمين وغير المسلمين، ووضعهم في مرتبة اجتماعية أدنى، فكان أهل الذمة من المسيحيين واليهود في القانون العثماني لا يسمح لهم بتسلّم المناصب في السلطة، إضافة إلى عدم السماح للمسلمين بالتحول من الدين الاسلامي إلى الدين المسيحي أو اليهودي [٩]. كما طبقت الحكومة ضريبة الجزية على أهل الذمة، وتعاملت معهم على أنهم ضمن تنظيمات دينية وليسوا أفراداً مستقلين، فصنّفت الضريبة إلى أعلى وأوسط وأدنى بحسب أملاك المكلفين ومقدار ثروتهم الاقتصادية، وأعفي منها الرهبان والبطاركة والمترجمين والعجزة والشيوخ. وبالنسبة للفقراء كانت الجزية تقسّط إلى اقساط وتدفع بالغروش، ويمكن دفع ما يعادلها من الذهب أو غيره. وقد رصد البحث أصناف الجزية من خلال الوثائق وعُبّر عن بعضها وفق الآتي :

١- سجل حلب محاكم شرعية رقم ٨٧ صورة٥٥، ٣٧،٩١،١٣٤،٥٠، ١٣٣تاريخ ١١٧٠هـ/١٧٥٦م . الغزي، نهر الذهب ج١،ص ٤٩٣.

٢- كفر تخاريم من قرى حارم، وهي كلمة آرامية بمعنى دحرما، أي بمعنى حارم ،الأسدي، موسوعة حلب، ص٣٧٢

٣- سجل حلب محاكم شرعية رقم ٨٥، صورة ١٧٤، ص ٣٤٣، تاريخ ٩ محرم سنة ١١٦٩هـ/١٧٥٥م

٤- سجل حلب أوامر سلطانية رقم ٦، صورة ١١٤، ص ١٧٩-١٨٠، وثيقة ٣٣٢، تاريخ ١١٧٧هـ/١٧٦٣م. الغزي، أندريه ريمون، **المدن العربية الكبرى في العصر العثماني**، ترجمة لطيف فرح، ط١، دار الفكر للدراسات، القاهرة، ١٩٩١، ص٨٠.

٥- سجل حلب أوامر سلطانية رقم ٢٤ ، صورة ٥٤ ، ص ٦٨ ، وثيقة ٩٦، تاريخ ١٢٠٩هـ/١٧٩٤م. الغزي، نهر الذهب ج١،ص٣٨٦-٣٩٠.

٦- سجل حلب محاكم شرعية رقم ١٠٧ صورة ٣٧٧، وثيقة ص ٦٤ تاريخ ١١ ١١٨٥هـ/١٧٧١م.

٧- سجل حلب أوامر سلطانية رقم ٧، صورة ٦٦ ، ص ١٦٨ ، وثيقة ٢٣٨، تاريخ ١١٨٠هـ/١٧٦٦م.

٨-الذميون : المعاهَدون من اليهود والمسيحيين وغيرهم ممن يقيم في دار الإسلام ، وقد أخذت منهم ضريبة الجزية في حال بقائهم على أديانهم، وعدم مشاركتهم في الحروب، مقابل أن تتعهد الدولة بحمايتهم. أوغلي ، الدولة العثمانية، ص٦٤١.

٩- هاملتون جيب وهارولد بوين ، **المجتمع الإسلامي والغرب** ، جزءان ، ترجمة أحمد عبد الرحيم مصطفى ، ومراجعة الدكتور أحمد عزت عبد الكريم ، ، ط١، دار المدى للثقافة والنشر، دمشق، ١٩٩٧م ،ص٢٤٦. وانظر أيضاً: ماركوس، الشرق الأوسط،ج١، ص٥٠ .

الأعلى (الظاهر الغنى)		الأوسط (المعتدل الحال)		الأدنى (فقير الحال)		تاريخ الجباية في بداية الأعوام الجديدة
عدد الافراد	الضريبة بالغرش	عدد الافراد	الضريبة بالغرش	عدد الافراد	الضريبة بالغرش	
	الواحد / المجموع		الواحد / المجموع		الواحد / المجموع	
١٤٠٦	١٠,٥ / ١٤٧٦٣	١١٥٢٨	٥ / ٦٣٤٠٤	٢٠٢٦	٢,٥ / ٥٠٥٦	١٧٧١م[١]
١٤٠٦	١١ / ١٥٤٠٠	١١٥٢٨	٥,٥ / ٦٣٤٠٤	٢٠٢٦	٢,٢٥ / ٤٥٥٨.٥	١٧٨٢م[٢]
١٤٥٠	١١ / ١٥٩٥٠	١١٥٢٨	٥,٥ / ٦٣٤٠٤	٢٠٢٦	٢,٥ / ٥٠٥٦	١٧٨٩م[٣]
١٤٠٠	١١ / ١٥٤٠٠	١١٥٢٨	٥,٥ / ٦٣٤٠٤	٢٠٢٦	٢,٥ / ٥٠٥٦	١٧٩٣م[٤]

نلاحظ من الجدول مؤشرات تزايد ضريبة الغني والاوسط بشكل محدود في اوساط ثمانيات القرن الثامن عشر، وبالمقابل تناقص ضريبة الفقير في نفس الفترة، ولكن يتضح أن عملية الإحصاء التي أوردتها الوثائق على مدار النصف الثاني من القرن غير دقيقة، ووجود النسب المتشابهة، بالرغم من التحسّن الاقتصادي النسبي، وزيادة الاستثمارات الاجنبية، وقد يعود ذلك إلى الرشاوى وتلاعب المحصلين والملتزمين في عمليات الدفع وجمع الأموال، إلى جانب تخلّف البعض عن التسديد للفقر الشديد. وشكّلت الجزية عبئاً مادياً، واضطّر بعض الفقراء إلى طلب المساعدة من الجمعيات الخيرية، أو من أغنياء طوائفهم لدفع ما يترتب عليهم، ففي العام ١٧٥٤ أوردت إحدى الوثائق: "ادعاء مجموعة من اليهود الفقراء في حلب على يهود أغنياء ميسوري الحال من طائفتهم وقالوا أنه كان من المعتاد أن يدفع الأغنياء الجزية عن رؤوسهم في كل سنة وأنهم قد تخلّفوا عن دفعها السنة ولا قدرة لنا على دفعها ..وأقرّ القاضي بأن ليس لهم الحق في اجبارهم(الاغنياء) على دفع الجزية عن غيرهم.."[٥].

١- سجل حلب أوامر سلطانية رقم ١٢، صورة ٩٠، ص ١٢٢-١٢٣، وثيقة ١٥٧، ١١٨٥ه/١٧٧١م ــ
٢ - سجل حلب أوامر سلطانية رقم ١٦،صورة ١٣٥،ص ١٩٩-٢٠٠، وثيقة ٢٦٢ تاريخ ١١٩٦هـــ/١٧٨١م
٣- سجل حلب أوامر سلطانية رقم ٢١، صورة ٥٧، ص ٤٥، وثيقة ٧٥، تاريخ ١٢٠٣هـ/١٧٨٨م .
٤- سجل حلب أوامر سلطانية ، رقم ٢٣ ، صورة ٨٤، ص ٧٠-٧٢، وثيقة ١٠٠، تاريخ ١٢٠٧هـ/١٧٩٢م.
٥ - سجل حلب محاكم شرعية رقم ٨٥ صورة ١٣٤، وثيقة ص٢٦٣ تاريخ ٢ شعبان ١١٦٨هـ/١٧٥٤م.

أ-المسيحيون: انقسمت كنائس الطوائف المسيحية الأساسية في حلب إلى لاتينية ويونانية ويعقوبية، وتبعها عدة طوائف كالروم[١] والأرمن والسريان[٢] والنساطرة الكلدان[٣]. فالكنيسة الكاثوليكية انضمت إلى نظام الكنيسة اللاتينية الغربية وتبعت لسلطة البابا[٤]، والكنسية اليونانية هي كنيسة الروم الأرثوذكسية، أو الكنيسة الشرقية والحقت ببطريرك القسطنطينية ، ولا تعترف بسيادة البابا، إضافة إلى الكنيسة اليعقوبية التي انشقت عن الكنيسة الرومية[٥]. وقد قسم السلم الكهنوتي المسيحي إلى مراتب دينية: فبدأت من الأعلى:البطريرك والأسقف[٦]، والمطران[٧] والخوري وهو معاون الأسقف، والقس[٨]، إضافة إلى الشماس قيّم وهو مرتبة دون القسيس والراهب وهو المنقطع

١-الروم: أطلقه العرب على البيزنطيين، وأيضاً أطلق الروم الملكيين على العرب المسيحيين السوريين، راسل تاريخ حلب، مج٢، ص٢٥٦، جيب وبوين، المجتمع الاسلامي، ج٢، ص٢٦٣.

٢- السريان :هم مسيحيون عرب ، ولا يتكلمون اللغة السريانية وتقتصر صلاتهم باللغة السريانية وجزء بالعربية، وأطلق كلمة السريان على سكان المسيحيين في مناطق كيليكيا والفرات والجزيرة العربية ومصر والمتوسط، وبعد ظهور اليعاقبة في القرن السادس اقتصر اسم السريان على المسيحيين اليعاقبة في سوريا وبلاد الرافدين، وتفرع عن السريان في حلب أرثوذكس وكاثوليك في القرن الثامن عشر. راسل، تاريخ حلب، مج٢، ص٢٦٥.

٣-النساطرة: عرفوا باسم الكلدان في الولايات العثمانية وسكنوا ما بين النهرين والبلدان المجاورة وفي الهند وايران، وقال بها النسطوريون منذ القرن الخامس الميلادي. نوفل أفندي نوفل، **سوسنة سليمان في أصول العقائد والأديان**، بدون رقم الطبعة، بيروت سنة ١٨٧٦م ، ص١٦٠-١٦١. أبو العباس أحمد، القلقشندي، **صبح الأعشى**، ١٤ جزء، دار الكتب المصرية، القاهرة١٩٩٢، ج١٣،ص٢٨٠.

٤ - الغزي، نهر الذهب، ص١٩٨.

٥- نوفل ، سوسنة سليمان، ص ١٥٤، ١٥٨-١٥٩. القلقشندي، صبح الأعشى ، ١٤ جزء، ج١٣، ص٢٧٨.

٦-البطريرك: كلمة يونانية جمعها بطاركة ، ورئيس المراتب الدينية ويختاره المطارنة أو الاساقفة الذين يسمونه على أقطار معينة أو في طائفة مسيحية ، والاسقف هو نائب البطرك ، وكتب القلقشندي بأن الاساقفة وهو بمنزلة المفتي يسمون البطريرك(الأب) والقساوسة يسمون الأسقف(الأب) فوقع اللبس عليهم، فسمّوا البطرك (البابا) ابو الآباء لتمييز البطرك عن الأسقف. وارتبط اسم البابا ببطريرك روما. الحسن بن طلال ، المسيحية في العالم العربي ، مكتبة عمان ، الأردن، ١٩٩٥. ص٥٣. المنجد في اللغة ص٣، القلقشندي، الاعشى ج١٣،ص٢٧٤.

٧-المطران: جمعها مطارنة وهو رئيس الكهنة وهو فوق الأسقف ودون البطرك وهي مقتبسة من لفظ ميتريبوليس اليونانية ومعناها المدينة الأم ويكون كرسي المطران عادة في مدينة أو قصبة .ووصف القلقشندي المطران بمنزلة القاضي الذي يفصل الخصومات ويحل النزاعات .والأرشمندريت : رتبة تسبق رتبة المطران، ويكون مرشحاً لمرتبة المطران. المنجد في اللغة، ص٧٦٦. القلقشندي، صبح الاعشى ،ج١٣،ص٢٧٤، سجل حلب محاكم شرعية رقم ٨٧، صورة ٦، ص ٦، تاريخ ٧ محرم سنة ١١٧٠هـ/١٧٥٦م .

٨-القسّ :جمعها قسوس أو قسيس وجمعها قساوسة وهو مرتبة بين الأسقف والشماس، وهو يقرب القرابين ويعمّد الداخلين في الدين، والقائم على مراسم الزواج ، وهو القارئ الذي يقرأ الإنجيل في الكنيسة. المنجد في اللغة،ص٦٢٧. القلقشندي، صبح الاعشى ،ص٤٧٣.

عن الناس، والذي حبس نفسه طلباً لعبادة الله[١]. وقد ضمت حلب في فترة البحث الطوائف المسيحية التالية:

أ- **طوائف الروم:** ومنهم الروم **الأرثوذكس:** أبعدت الإدارة العثمانية السكان العرب في سوريا وفلسطين عن مراتب الكنيسة الأرثوذكسية العليا، لصالح رعايا البلاد التي تعتبر فيها اللغة اليونانية السائدة، وقصرهم على المناصب الدنيا فقط[٢] .ومن كنائسهم في حلب كنيسة السيدة في محلة الصليبة. وفي العام ١٧٢٤انشقّت طائفة الروم **الكاثوليك** عن الكنيسة الأرثوذكسية واعتبرتهم السلطات العثمانية خارجين على سلطة بطريك القسطنطينية الأرثوذكسي، وقيّدت نشاطهم طوال القرن الثامن عشر، وأدار الروم الكاثوليك أمورهم عن طريق نواب لهم، يتمتّعون بصلاحيات واسعة، وبقي القسم الكاثوليكي دون كنيسة حتى بناء كنيستهم الخاصة في العام ١٨٤٣[٣].

منحت السلطنة العثمانية لطوائف الروم، الحرية الدينية في ممارسة شعائرهم وإشراف بطاركتهم على رعاياهم ، وعبّر عن ذلك أحد الأوامر السلطانية في العام١٧٦٦ "وتضمّن حقوق بطريرك الروم باستانبول، بالإشراف على بطريركيتي حلب وانطاكية وإجراء الطقوس الدينية من عبادات وصلوات وأحوال شخصية، وعدم مداخلة القضاة والحكام بما تفرضه البطاركة على رعاياها(حرمان أو غيره)..[٤].وأفادت أيضاً إحدى الوثائق بتكليف وكيل طائفة الروم بمدينة حلب عبد النور ولد القس حنا بمتابعة شؤون الطائفة من أوقاف وتكاليف عرفية وديون[٥].

ب- طوائف الأرمن : انقسمت طائفة الأرمن في العام ١٧٤١ إلى أرمن أرثوذكس وأرمن كاثوليك، وتكلّم الأرمن في حلب اللغة العربية إلى جانب لغتهم، وتليت الصلاة في كنيستهم بالأرمنية المكتوبة الخاصة التي يفهمها رجال الدين الأكثر تعلماً منهم[٦]. ومن أهم كنائس طائفة

١-القلقشندي ،الاعشى ص٤٧٣. سجل حلب أوامر سلطانية رقم ٧ ، صورة ١٤، ص ٦١، وثيقة ٨٦، تاريخ أواخر صفر ١١٧٨هـ/١٧٦٤م.

٣-جيب وبوين، المجتمع الاسلامي، ج٢،ص٢٦٠.

٣- يوسف ديمتري الحلبي، **حوادث حلب اليومية ١٧٧١-١٨٠٥م المرتاد في تاريخ حلب وبغداد**، تحقيق فواز محمد الفواز، ط١ ، شعاع للنشر والعلوم ، حلب ، ٢٠٠٦، ص٥٢. راسل ، تاريخ حلب ، مج٢، ص٢٦٤. المنجد في اللغة ، ص.٧٧٧

٤- سجل حلب أوامر سلطانية رقم ٧ ، صورة ٧١، ص ١٨٢، وثيقة ٢٥٥، تاريخ ١٦ ذي القعدة ١١٨٠هـ/١٧٦٦م.

٥- سجل حلب أوامر سلطانية رقم ٨٧، صورة ٨٧،١٠٤ ص ١٦١،١٩٥، تاريخ سنة ١١٧٠هـ/١٧٥٦م.

٦- راسل، تاريخ حلب، مج٢، ص٢٦٥.

الأرمن الأرثوذكس: كنيستا الأرمن في حي الصليبة وكنيسة العذراء مريم الصغيرة، وكنيسة الأربعين شهيدًا الكبيرة. وبقي الأرمن الكاثوليك دون كنيسة حتى اعتراف السلطنة العثمانية بهم كطائفة مستقلة في القرن التاسع عشر(١).

وقد أعطت السلطنة أهمية كبيرة لبطركية الأرمن في استانبول أكثر من غيرها في الولايات الأخرى، ومن ضمنها البطركية الأرمنية في حلب ، وساعدتها في تنفيذ توجهاتها وقراراتها، ففي العام ١٧٦٦ أفادت عريضة موجّهة من بطريرك الأرمن في استانبول الراهب كيرفور إلى والي حلب وقاضيها، وفحواها بأن البطريرك مسرور من بطريرك الأرمن بحلب الراهب قبرييل لقيامه برعايتها، إلا أنه مستاء من مندوبه وخادمه ابرام لما يبديه من طمع وجشع في تحصيل الصدقات الطائفية (٢)، ولكن الراهب قبرييل غضّ النظر عن العريضة السابقة وغطّى هذه الأعمال فورد الأمر السلطاني في العام ١٧٦٧ بسحب ترخيصه وكفّ يده وإلحاق رهبنة الطائفة الأرمنية في سيس وآدنة وحلب، إلى بطريركية استانبول مباشرة.(٣).وعزز هذا الإجراء السلطاني الانقسامات الدينية بين الأرمن عموماً، وقد جرى في العام ١٧٧٧ تقديم رهبان الأرمن في مدينة استانبول وتوابعها طلباً لتنظيم أمور الكنائس الأرمنية في حلب بسبب هذه الخلافات، وترك رهبانها القدامى مكانهم، ومغادرتهم إلى البلاد الأجنبية، وطالبوا برفع الحصانة وتنصيب رهبان جدد(٤).

ج- **طوائف السريان:** أشارت الوثائق الشرعية عن انقسامات دينية داخل السريان بين الأرثوذكس واليعاقبة، وبين الأرثوذكس والكاثوليك ، ففي العام ١٧٧٢ " حضر إلى مجلس الشرع قسيسون ومجموعة من طائفة النصارى السريان بحلب، وقرروا بأن جماعة من السريان، اتبعوا خوارج الروم السبعة وهم ديسقورويس وتيموتاوس وفيلكفينيوس وانتيموس وساوريوس وبرصور ويعقوب البرادعي فوافقه البعض وخالف آخرون وذهبوا إلى غير كنيسة وحصل الخلاف والشقاق وتعطّلت بسبب ذلك الأموال الأميرية وجرى التحقق من ضلالات مقالات هؤلاء السبعة بأنها مغايرة للقانون الانجيلي..."(٥).

١-سورمايان، تاريخ حلب ،ص٣.

٢- سجل حلب أوامر سلطانية رقم ٧ ، صورة ٦٥، ص ١٦٦ ، وثيقة ٢٣٥، تاريخ ١١٨٠هـ/١٧٦٦م.

٣- سجل حلب أوامر سلطانية رقم ٨ ، صورة ٥٨، ص ٧٦ ، وثيقة ١٠١، تاريخ ١١٨١هـ/١٧٦٧م.

٤- سجل حلب أوامر سلطانية رقم ١٤صورة ٢٦، ص ٣٦، وثيقة ٤١، تاريخ٥ ذي القعدة ١١٩١هـ/١٧٧٧م.

٥- سجل حلب محاكم شرعية رقم ١٠٥ ، صورة ٥٩، ص ١١٢، تاريخ ١١٨٦هـ/ ١٧٧٢م.

ومن الجدير بالذكر أن السلطنة العثمانية قد أعطت لنفسها حق الموافقة أو الرفض على انتخاب البطاركة المسيحيين، بل ورؤساء الطوائف غير الاسلامية، لتضمن لنفسها ولاءهم وأدّى ذلك إلى حدوث استياء داخلي لهذه الاجراءات، وأوردت إحدى الوثائق بأن السلطنة "فرضت في العام ١٧٦٩ تعيين البطريرك كوركيس ابن موصى على الطائفتين اليعقوبية والسريانية في كل من حلب والشام وديار بكر وماردين وموصل وتوابعها، وكلفته بالإشراف على الطائفتين في حل أمورهما من خلافات وزواج والاشراف على الأوقاف لتلك الطوائف[١]، مما أثار استياء لدى رجال الدين اليعقوبي والسرياني واعتبروه تدخلا في شؤونهم، فطالب بعض المطارنة والقساوسة والرهبان المقيمين في حلب في العام ١٧٨١ من الطائفة اليعقوبية والسريانية بتنصيب المطران ميخائيل وتنحية الراهب كوركيس، والعناية بمطرانهم المنتخب ومنحه البراءة العالية لتسيير شؤون الطائفتين ودفع التكاليف العرفية وغيرها [٢].

بالنسبة لكنائس السريان في حلب ، كانت كنيسة مار آسيا بمحلة الصليبة الجديدة خارج باب النصر بخدمة السريان اليعاقبة[٣]، وبعدما انقسمت طائفة السريان في العام ١٧٨٣ إلى أرثوذكس وكاثوليك، أصبح لكل منهما بطريركة وكهنته وأساقفته[٤].

د- **الموارنة**[٥]: أقرّ الموارنة الكاثوليك بسلطة البابا، واقتبسوا جوانب عديدة عن الكنسية الرومانية، واستخدموا اللغة العربية في صلواتهم وطقوسهم الكنسية.

---

١ -سجل حلب أوامر سلطانية رقم ٨، صورة ٥٨، ص ٧٦ ، وثيقة ١٠١، تاريخ ١١٨١هـ/١٧٦٧م.

٢- سجل حلب أوامر سلطانية رقم ١٦، صورة ٨٩، ص ١٣٤، وثيقة ١٧٨، تاريخ ١ رجب ١١٩٦هـ/١٧٨١م.

٣- سجل حلب أوامر سلطانية رقم ٨ ، صورة ١٢٩، ص ١٨٦، تاريخ ٣ رجب سنة ١١٨٣ه/١٧٦٩م

٤- الحلبي ، المرتاد، ص٥٢.

٥- المارونية: طائفة كاثوليكية شرقية، انتسبوا إلى القديس مارون الذي نشأ في مناطق حلب بين انطاكية وقوروس وتوفي في العام ٤١٠م، وهو من أبناء الطائفة السريانية، إلا أنه انشقّ عنها وسمّي أتباعه بالموارنة نسبة إليه. وقع خلاف شديد بين أتباع مارون وبين كنيسة الروم الأرثوذكس، مما اضطرهم إلى الرحيل عن أنطاكية إلى قلعة المضيق قرب أفاميا على نهر العاصي، وشيّدوا هناك ديراً يحمل اسم القديس مارون، وكان للموارنة قديمًا أسقفاً في حلب، ولكنهم نزحوا إلى لبنان في بداية القرن الحادي عشر عن طريق حماة، وبعد دخول العثمانيين إلى حلب، عادت بعض الأسر المارونية إليها، وكان المرسلون الأوربيون في حلب يستعينون بالموارنة لإقامة طقوسهم الدينية. وأخذوا يعظون في كنيستهم واضطر البطريرك الماروني إلى التدخّل لوضع نظام لوعظ المرسلين في العام ١٦٤٩ جاء فيها بأن يكون نظام الوعظ في كنيسة مار الياس للموارنة في حلب بالتناوب اسبوعاً فأسبوعاً كما يلي: أولاً دور اليسوعيين، ثانياً دور الكبوشيين، ثالثاً دور الفرنسيسكان، رابعاً دور الكرمليّين. وفي العام ١٧٢٥ عيّن أول أسقف لهذه الطائفة في حلب . المنجد في اللغة ، ص٩٨٩. فردنيان توتل، **وثائق تاريخية عن حلب**، اخبار الموارنة وما يليهم ، ج١ ص١٦-١٩.

وبعض كتبهم الدينية دوّنت باللغة السريانية، وأيضاً دونت بالعربية التي استخدمت فيها الأبجدية السريانية[١].

تواجد المسيحيون في مدينة حلب في القرن الثامن عشر في أماكن عديدة مثل: الصليبة(الجديدة)[٢]، وترب الغربا[٣]، خان السبيل[٤]، الروم الزقاق الشمالي[٥]، ساحة الجمال[٦] زقاق العطوي وجسر الكعكة[٧]، عنتر[٨]، محلة زقاق الهزارة[٩]، قسطل حرامي، زقاق الطويل[١٠]. وكان هناك بعض المحلات التي ضمت مسلمين ومسيحيين معاً وهي: الماجي[١١] قاضي عسكر[١٢]، كوجك كلاسة[١٣]، زقاق غطاس، زقاق الهزارة[١٤] ، زقاق عبد العزيز[١٥].

هـ ــ اليهود: شهد اليهود في حلب تبدّلات عديدة في بنيتهم التنظيمية، وأهمّها عدم التمسّك بتشكيل الطائفة على الأسس القديمة[١٦]، فمال يهود حلب إلى الاندماج في مجتمعاتهم عكس يهود أوروبا، فتكلموا اللغة العربية، وشاركوا المسلمين أفكارهم، وعبرت أجواء التعايش المشترك بين اليهود والمسلمين في حلب عبر التغييرات العمرانية والسكانية، حيث سكن اليهود في

١-راسل ، تاريخ حلب، مج٢، ص٢٦٦.

٢- سجل حلب ٨٥ صورة ٤٤، وثيقة ص٨٣ تاريخ أواخر شوال ١١٦٧هـ/١٧٥٣م.وأيضاً :سجل حلب رقم ١٠٧، صورة ٢٧ ، ص ٤٤ ، تاريخ ١٩جمادى الآخرى سنة ١١٨٥هـ/١٧٧١م.

٣- ترب الغربا : خارج السور ، وكانت مخصصة لدفن الموتى ثم هُجرت ، وفي القرن الثامن الهجري اخذت تعمر فيها المباني ، الغزي ، نهر الذهب ، ج٣ ، ص٤٣٠

٤- سجل حلب محاكم شرعية رقم ٨٧ صورة ٧، وثيقة ص٨ تاريخ ٢٥ محرم ١١٧٠هـ/١٧٥٦م .

٥- سجل حلب محاكم شرعية رقم ٨٥ صورة ٦، وثيقة ص٢ تاريخ ٣ رجب ١١٦٧هـ/١٧٥٣م.

٦- سجل حلب محاكم شرعية رقم ٨٥، صورة ٩٠٦، وثيقة ص١٧٥ تاريخ ١١٦٨هـ/١٧٥٤م.

٧- سجل حلب محاكم شرعية رقم ٨٥ صورة١٦٩، وثيقة ص٣٣٤ تاريخ ١٣ محرم ١١٦٨هـ/١٧٥٤م.

٨- سجل حلب محاكم شرعية رقم ٨٥ ،صورة١٤، وثيقة ص٢٠ تاريخ ٢٠ رجب ١١٧١هـ/١٧٥٧م.

٩- سجل حلب محاكم شرعية رقم ٨٥، صورة ٤، ص ٣، تاريخ ١٣ رجب سنة ١١٦٧هـ/١٧٥٣م.

١٠- سجل حلب محاكم شرعية رقم ٨٧ ،صورة ١١٤، وثيقة ص ٢١٥ تاريخ ٨ شوال١١٧٠هـ/١٧٥٦م.

١١- سجل حلب محاكم شرعية رقم ٨٧ ،صورة ٧، وثيقة ص٧ تاريخ ٧ صفر ١١٧٠هـ/١٧٥٦م .

١٢- سجل حلب محاكم شرعية رقم ٨٧ ،صورة ١٤، وثيقة ص٢١ تاريخ ١٩ صفر ١١٧٠هـ/١٧٥٦م .

١٣- سجل حلب محاكم شرعية رقم ١٠٦ صورة ٥٨، وثيقة ص١١١ تاريخ ١٦ محرم ١١٨٦هـ/١٧٧٢م.

١٤- سجل حلب محاكم شرعية رقم ٨٥، صورة ٨٤ ، ص ١٦٤ ، تاريخ ١١٦٨هـ/١٧٥٤م.

١٥- سجل حلب محاكم شرعية رقم ١٠٦ ، صورة ٣٣ ، ص ٦١ تاريخ ١٣ شوال سنة ١١٨٥هـ/١٧٧١م.

١٦- صموئيل أتينجر، اليهود في البلاد الاسلامية (١٨٥٠-١٩٥٠م)،ترجمة جمال الرفاعي، سلسلة عالم المعرفة، العدد ١٩٧، الكويت ،١٩٩٥، ص٢٥٢.

أحياء المسلمين وشاركوهم العمل والحرف. ومن ناحية الانتماء الديني فقد تفرق اليهود بشكل عام إلى فرق عديدة بلغت إحدى وسبعين فرقة، كل واحدة تضلل الأخرى، ودار الاختلاف بين هذه الفرق حول الاعتراف بأسفار التوراة (العهد القديم)[١]، وكانت جميع طوائف اليهود[٢] في حلب من أتباع التلمود[٣] وليس فيهم سامرية[٤] ولا قراؤون[٥].

وبالنسبة لمراتب اليهود الدينية في حلب فقد أطلق على كاهنهم الرئيسي حاخام، وارتبط بسلطة الحاخام الأكبر في استانبول. وكان الحاخام في مقام البطريرك عند المسيحيين، وقد مارس

١- يوسف نعيسة ، **يهود دمشق**، ط١، دار المعرفة، دمشق،١٩٨٨، ص٩.

٢ – استند اليهود إلى مصدرين للتشريع ، وهما كتابا التوراة والتلمود ، التوراة: يتألف من ٣٩ سفراً ، وتشمل كل أمور اليهود الدينية والدنيوية ، والأساس منها الأسفار الخمسة التي تنتسب إلى موسى عليه السلام ، وتقسّم التوراة أو العهد القديم إلى خمسة أقسام : أسفار التكوين والخروج واللاويين والعدد والتثنية ، وتعتبر الديانة اليهودية كهنوتية ، فالكهنة يقومون بتفسير التوراة ذاتها، ولكون وظيفة الكهان وراثية فقد رافقتها اجتهادات على الشريعة اليهودية، واعتبرت جزءاً لا يتجزأ من التوراة الحالية، وفي القرن السادس عشر قبل الميلاد دوّن أحبار اليهود أهم فصول التوراة بلغة آرامية التوراة وهي لهجة مقتبسة من الآرامية، مع العلم أن زمن النبي موسى وحوادثه تقع في القرن الثالث عشر قبل الميلاد،

أي كتبت هذه التوراة بأكثر من سبعة قرون، وتعمّد الكتبة الخلط بين الأدوار التاريخية وإهمال التسلسل الزمني وهذا يعني أن التوراة الحالية لا تمثل توراة موسى الأصلية، أو لغته السامية الآرامية الأم، وحتى الوصايا العشر التي اتفق الأحبار أنها الشي الوحيد المتبقي من التوراة الأصلية لم تكن في شكلها ومضمونها كتلك التي جاء بها موسى، وعلى مر العصور حرّفت التوراة وأضيف إليها اجتهادات ورغبات أحبار اليهود. كاميليا أبو جبل، **يهود اليمن**(دراسة سياسية واقتصادية واجتماعية منذ نهاية القرن التاسع عشر وحتى منتصف القرن العشرين)، ط١ دار النمير، دمشق، ١٩٩٩، ص١١٥-١١٧.

٣ -كلمة التلمود Talmud ، بمعنى الكتاب الذي يحتوي على التعاليم اليهودية. والتلمود يعتقد أتباعه أنه أعطي من الله لموسى عليه السلام في طور سيناء شفويا إلى جانب التوراة . و أن موسى عليه السلام لقن هذا المصدر الشفوي إلى يوشع بن نون ومن معه من الشيوخ السبعين المنتخبين من أسباط بن إسرائيل، وهؤلاء نقلوه إلى من بعدهم، استمر تداول هذا التشريع الشفوي لمدة ١٤٠٠ سنة. حتى وصل إلى الحاخام يوحناس حيث قام بكتابة المشناة ، وهي الجزء الرئيس من التلمود، ثم شُرحت المشناة في الغمارا التي انتهت تأليفها في العام ٤٩٨م. وبمعنى أن تدوين التلمود انتهى بعد ١٩٠٠ عام من نزوله على موسى عليه السلام. وفي التلمود شروحات كثيرة تؤكد مبدأ الاستعلاء والتفوق اليهودي على بقية شعوب الأرض، المنجد في اللغة ، ص٦٤. عبد المجيد همو، **الفرق والمذاهب اليهودية منذ البدايات**، ط٢، الأوائل للنشر والتوزيع، دمشق ٢٠٠٤،ص٨٥-٨٨.

٤- السامرية : انقسمت هذه الجماعة إلى فئتين إحداهما تعترف بنبوة موسى وهارون ويوشع وتنكر ما عداهم من الأنبياء، وأخرى تعتقد بنبوة كل الأنبياء ماعدا موسى وعيسى ومحمد عليهم السلام ، وينقلون عن يوشع تسعة عشر كتاباً زيادة على التوراة، يوسف نعيسة، يهود دمشق، ط١، دار المعرفة، دمشق،١٩٨٨،ص١١. القلقشندي، الأعشى،ج١٣،ص ٢٥٧. همو، الفرق والمذاهب اليهودية، ص٨٦.

٥- قراؤون : بدأت هذه الفرقة اليهودية على يد الحبر عنان بن داوود في القرن الثامن الميلادي ولا يؤمنون إلا بالتوراة فقط بما فيها من أسفار تاريخية وأسفار أنبياء، ولا يؤمنون بالروايات الشفهية للتلمود . همو، الفرق والمذاهب اليهودية، ص١١١.

سلطة روحية ودينية، وكانت قراراته موضع احترام أكبر من قرارات المطران المسيحي، ولقب حاخام أطلق على جميع الكهنة بشكل عام. وكان الكهنة اليهود يقرؤون التوراة ويشرحون آياته من خلال تفسيرات الحاخامات الأقدمين، ويعلمون في المدارس اليهودية[١]. ووجد عند اليهود ماسمي بـــ "الحزّان" وهو بمثابة الخطيب يصعد المنبر ويعظ اليهود، "والشليحصبور" وهو الامام الذي يصلّي بهم [٢].

وأفادت الوثائق الشرعية بأن سلطة الحاخام القضائية المدنية كانت محدودة، لذلك كانت الأطراف المتنازعة تلجأ إلى المحكمة لحل خلافاتها، ففي العام ١٧٥٦ "حضر في مجلس الشرع عقبيا توما ولد فرحات اليهودي، واعترف أمام المعلم يوصف الصراف والياهو هارون وفرح ولد شالوم واسحق والحاخام ضلمون والجميع من طائفة اليهود بأن أبرأ ذمتهم عن جميع الدعاوى وكافة الحقوق الشرعية..".[٣]

وأوضحت بعض الوثائق دور الحاخام كمتكلم عن طائفته في المحاكم الشرعية حول قضايا الدعاوى مع الطوائف الأخرى ، ودوره ككفيل عنهم وقائم بأمورهم ، ففي العام ١٧٥٧ " ادعى الحاج مصطفى بن خلف بمواجهة الحاخام يوسف صلمون ولد شمويل اليهودي وقال: إن لي في ذمة الرجلين المدعوين حاييم وولده اليهوديين الغائبين مبلغاً وقدره مائة وخمسة وأربعون غرشاً ونصف الغرش، منها دراهم نقدية ومنها ثمن أقمشة، ثم إن المدعى كفل المديونين من ثمانية اشهر، وأطالبه بالمبلغ، فسأل القاضي المدعى عليه فأنكر ذلك وطلب من المدعى بيّنة فأظهر العجز عن إقامتها والتمس تحليف المدعى عليه فحلف بالله الذي أنزل التوراة على سيدنا موسى على نفي دعوة المدعي فأمر القاضي المدعي بعدم التعرض للمدعى عليه.."[٤].

وعن التحول من دين اليهود إلى دين آخر فقد كان نادراً، وعادة ما كان محصوراً بالفئات الفقيرة بداعي التربية والنفقة، وأشارت إحدى الوثائق في العام ١٧٧١أنه " تزيّن وتشرّف بالإسلام الشاب المميّز المراهق محمد سعيد بن يوسف الانطاكي بعد أن كان يهودياً واختار السيد عبد القادر لتربيته وأن يبقيه في عائلته لبلوغه واياس رشده، وفرض الحاكم الشرعي لمحمد سعيد في

١- راسل، تاريخ حلب، مج٢، ص٢٨٠-٢٨١.

٢- القلقشندي ، صبح الاعشى، ج٥، ص ٤٧٤.

٣ – سجل حلب محاكم شرعية رقم ٨٦، صورة ١٦٠ ، ص ٣١٥ ، تاريخ ١١٧٠هـ/١٧٥٦م.

٤ – سجل حلب محاكم شرعية رقم ٨٩، صورة ١٠ ، ص ١٥، تاريخ ٢٦ صفر سنة ١١٧١هـ/١٧٥٧م.

كل يوم، ثلاث مصريات فضيات وأذن للسيد عبد القادر بإنفاق المبلغ من ماله ببيّنة الرجوع من مال محمد سعيد، إن وجد وإن لم يوجد فيكون متبرّعاً فيما ينفقه .."[١].

استقر اليهود في أماكن عديدة في حلب سواء منهم اليهود الساميون العرب، أو الذين قطنوا حلب منذ القديم، أو الذين هاجروا من أوروبا إلى الولايات العربية ومن ضمنها حلب منذ القرن الحادي عشر الميلادي على شكل هجرات متتالية ولأسباب اجتماعية واقتصادية [٢].وقد توزع اليهود داخل المدينة في محلات البندرة أو بندرة اليهود[٣]، بحسيتا[٤]، محلة اليهود[٥] القلة باب النصر[٦]، ووجد اليهود أيضاً في ريف حلب كقرية اليعقوبية التابعة لناحية جسر الشغور[٧]. ولم ينفصل اليهود في أحيائهم، عن المسلمين الذين جاوروهم في سكنهم، وقد تراوحت نسبة اليهود إلى المسلمين بين(١,٨%، ٩٧%) في حي العقبة، فتكون نسبتهم ١٢% من عدد السكان المسلمين وفي سويقة علي ١١,٨%، وفي حي الدباغة العتيقة، وفي حي جب أسد الله كان نسبتهم ١٤%[٨].

ثانياً- الفئات الاجتماعية العرقية :

توزعت الفئات السكانية الدينية والعرقية على مجمل نواحي ومناطق ولاية حلب، ولم تكن ذات صبغة واحدة ، بل حدث تداخل في البنية الديموغرافية، في مناطق سكنية عدة وبنسب متفاوتة ومن هذه الفئات :

١-**الفئات العربية:** صنّف مجتمع ولاية حلب من حيث نمط الاستقرار إلى حضر وبدو وأغلب أصولهم عربية، وتركّز معظم المجتمع الحضري في مراكز الولاية والأقضية، وقد شكّل مجتمع أهل المدن أكثر من ٢٠% من مجموع السكان تقريبا . وهذا دليل على أن أهمية حلب لم تأت من عدد السكان الذين قطنوها، بقدر كونها عاصمة ادارية لمناطق شاسعة، ومركز التجارة

١- سجل حلب محاكم شرعية رقم ١٠٧، صورة ٢٢ ، ص ٣٧ ، تاريخ ٢٧ ربيع الآخر سنة ١١٨٥هـ/١٧٧١م.

٢ -محمود حريتاني ، **تاريخ اليهود في حلب** ، شعاع للنشر والعلوم ، ط١ ،حلب، ٢٠٠٥ ، ص.١٥

٣- سجل حلب محاكم شرعية رقم ٨٠ صورة١١٧، وثيقة ص٢٢٥ تاريخ ٢٠ جمادى الأول ١١٦٦هـ/١٧٥٢.

٤- سجل حلب محاكم شرعية رقم ٨٨ صورة٨٩، وثيقة ص١٦٤ تاريخ ٢٦ ذي الحجة ١١٧٢هـ/١٧٥٨م.ـ

٥- سجل حلب محاكم شرعية رقم٨٧ صورة١٢٦، وثيقة ص٢٦٠ تاريخ ١٥ شوال ١١٧٠هـ/١٧٥٦م .

٦- سجل حلب محاكم شرعية رقم٨٧ ، صورة ١١٦، وثيقة ص٢٢٠تاريخ ٨شوال ١١٧٠هـ/١٧٥٦م .باب النصر: تسميته القديمة باب اليهود، الاسدي، موسوعة حلب،ص٢٠

٧- سجل حلب محاكم شرعية رقم ٨٠ صورة٩٤، وثيقة ص١٨١ تاريخ ١٥ ربيع الآخر ١١٦٦هـ/١٧٥٢.

٨-هاينتز غاوبه وأويغين فيرت، **حلب (دراسات تاريخية وجغرافية حول البنية العمرانية والتركيبة الاجتماعية والحركة الاقتصادية لأحد مراكز التجارة الدولية في الشرق الأدنى)** جزءان، تعريب صخر علبي ، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة، دمشق، ٢٠٠٧، ج١، ص٤٢٧.

والثقافة، والعلم والانتاج الحرفي[١]، بينما استقر معظم سكان حلب في الأرياف وبعض المناطق ذات الهطولات المطرية الكافية أو سهلة السقاية، وتمثّل ذلك على ضفاف الأنهار والبحيرات وعاشت أغلب هذه المجتمعات حياة ريفية على شكل قرى زراعية، امتدت إلى حدود المناطق الصحراوية للولاية، وقبائل بدوية انتشرت في المناطق الواقعة في أرياف الولاية وفي الصحراء[٢].

كانت مدينة حلب وريفها محاطة بالقبائل العربية التي تعتبر جزءاً من البنية السكانية للولاية وتكوّنت هذه القبائل من بدو ترتكز على الترحال الدائم. والأعراب فهم عبارة عن تجمعات للبدو المستقرين في قرى داخل الأرياف والواحات ، ونمط حياتهم يعتمد على انتاجهم الزراعي [٣]". وتعدّ القبيلة مجموعة بشرية تجمعها عادات وتقاليد متوارثة ولهجة مشتركة بصرف النظر عن استقرارها على أرض ثابتة في الصحاري والأرياف، أو تنقلها من مكان إلى آخر، وتحاول التمايز عن سواها من القبائل والتجمعات البشرية في المدن والأرياف.

ولكن الحضر من أهل حلب لم يسمّوا أنفسهم عرباً لأن مصطلح عرب أو عربان آنذاك كان يدل على القبائل البدوية[٤]، ومن خلال ما ورد من وثائق سجلات المحاكم الشرعية في حلب فقد كان يسمّى البدو بـ :أعراب ،عرب، بني، طائفة ثم الجماعة، وقد تكون الطائفة المذكورة في الوثائق، جزءاً من الجماعة، وشكّلت مجتمعاً بدوياً مستقلاً ،غير أن بعض المصادر التاريخية سمّت الطائفة بالقبيلة[٥].وكانت القبائل البدوية تتشعّب وتتبدّل أسماؤها، وأخذت اسم الحلف مثل (الموالي)[٦]،كما كانت العشيرة تسمى باسم أميرها أو شيخها مثل (البوسبيع

١- ماركوس ، الشرق الأوسط، ص٣٨

٢- فاضل بيات ،**دراسات في تاريخ بلاد الشام** ، ص١٣٨

٣- " البدو أصل المدن والحضر وسابق عليهما ، والبادية أصل العمران ، وأن عمران البادية ناقص عن الحواضر والأمصار ، لأن الأمور الضرورية في العمران ليست موجودة لأهل البدو ، وإنما بأيديهم تعويضها من الزراعة وأعيان الحيوان، أو فضلاته ألباناً وأوباراً وأشعاراً ." أي أن تطوّر المجتمع البدوي، هو غاية البداوة أيضاً ، لذا يمكن التأكيد أن كلمة أعراب عند ابن خلدون كانت تشير إلى الجماعات ذات التنظيم القبلي، سواء البدو الرحل أو نصف الرحل، أو شبه المستقرة، وذلك تمييزاً لها عن المزارعين والمقيمين أو الفلاحين، للتفصيل : عبد الرحمن محمد ابن خلدون ،**مقدمة ابن خلدون**، نشر علي عبد الواحد وافي، ط٢، ثلاثة أجزاء، دار النهضة القاهرة،١٤٠١هـ/١٩٨٠م ج٢ ، ص ١٨.

٤- ماركوس ، الشرق الأوسط ، ص٢٨.

٥-عمر رضا كحالة ،**معجم القبائل القديمة والحديثة**، ثلاثة أجزاء، المطبعة الهاشمية، دمشق١٩٤٩،ج٢، ص٥٠٠

٦- محمود الذخيرة ،**أهل الرقة ١٦٠٠-١٩٥٠م** ،جزءان ، ط١ دار الفرقد ، دمشق ٢٠٠٢ ، ج١، ص ٤١.

والبورجب)[١].واستقرّت قبائل رعوية مختلفة في ولاية حلب وريفها في القرن الثامن عشر، وكان الموالي من أشهر هذه القبائل [٢]، وقطنت قلب الصحراء، ولكن اقتربت من ضواحي المدينة، وتوزّعت في محلة غطاس قرب الهزارة ذات الغالبية المسيحية[٣] . ومن الطوائف البدوية التي سكنت داخل مدينة حلب **عرب الرهاب** في محلة البندرة[٤] وذكرها الغزي بأنها قبيلة الرهوب وهي بطن من عنزة[٥]. وتوزع عرب **الشطيحات** في بستان اليهود[٦] وفي محلة البندرة[٧] وفي بني الحطب التابعة للمحلة[٨].وأيضاً انتشرت طائفة **الجبور** في زقاق المبلط[٩]. وكما ورد في إحدى الوثائق فقد وجد عرب **المفلس** في محلة الكلتاوية[١٠]. ومما ذكر أيضاً وجود طائفة عرب **الدمالخة** في باب قنسرين[١١]وفي محلة البندرة[١٢].وانتشرت جماعات بدوية في داخل حلب كسوق الجمعة[١٣]والمشارقة [١٤]وفي محلة التونبغا[١٥].

واستقرّ البدو أيضاً في ظاهر حلب ولا سيما في قضاء الجبول، ومنهم عرب **المعاقير**[١٦]

١- كل فخد أو فرع صدر بكلمة" بو" فهو من الشوايا (رعاة الشياه) ، الأسدي ، أحياء حلب وأسواقها ، ص٣٤٥.

٢- ضمت تجمعات الموالي عشائر الولدة والعقيدات والجبور والحديدين والجماسة والشطيحات والحمدون سجل حلب محاكم شرعية رقم ١٠٢، صورة ٤٨ ، ص ٨٩، تاريخ ١٨محرم ١١٨١هـ/١٧٦٧م.

٣-الغزي ، نهر الذهب ، ج٢ ، ص٤٦٣ ، سجل حلب رقم ٦ – أوامر سلطانية ، صورة ٧٩ ، ص ١٣٦، وثيقة ٢٦٥، تاريخ ١١٧٦هـ/١٧٦٢م.

٤-سجل حلب رقم ٨٢، صورة ٨٦ ، ص ١٦٨ ، ٢٧ ذي الحجة سنة ١١٦٥هـ/١٧٥١م.

٥- الغزي ، نهر الذهب ، ج٢، ص٤٤٩

٦- سجل حلب محاكم شرعية رقم ٨٢، صورة ٤٠ ، ص ٧٧ ، تاريخ ١٥ شعبان سنة ١١٦٥هـ/١٧٥١م.

٧- سجل حلب محاكم شرعية رقم ٨٦، صورة ١٥٦،ص ٣٠٦، تاريخ ٢٢ ربيع الثاني سنة ١١٧٠هـ/١٧٥٦م

٨- سجل حلب محاكم شرعية رقم ٨٩، صورة ٨٣، ص١٥٩، تاريخ١ جمادى الأولى سنة ١١٧١هـ/١٧٥٧م.

٩- **الجبور**: يعود نسبها إلى زبيد القحطانية، وجاؤوا إلى بادية الشام في أواخر القرن السادس عشر للميلاد وأوائل القرن السابع عشر ميلادي، كحالة معجم القبائل ج١ ، ص ١٦٤،سجل حلب محاكم شرعية رقم ٨٧، صورة ٢١، ص ٣٦، تاريخ ١٦ ربيع الأول سنة ١١٧٠هـ/١٧٥٦م. رضا كحالة، ج٢،ص ٥٠٠.

١٠- سجل حلب محاكم شرعية رقم ٨٧، صورة ٩ ، ص ١٢، تاريخ ١٣ صفر سنة ١١٧٠هـ/١٧٥٦م .

١١- سجل حلب محاكم شرعية رقم ٨٢، صورة ٨٠ ، ص ١٥٤ ، تاريخ ٧ ذي الحجة سنة ١١٦٥هـ/١٧٥١م.

١٢- سجل حلب محاكم شرعية رقم ١٠٧، صورة ٣٦، ص٦٢، تاريخ ١١٨٥هـ/١٧٧١م. كحالة ،ج١، ص٣٨٦

١٣ -سجل حلب محاكم شرعية رقم ٨٥، صورة ٢٧ ، ص ٥٠ ، تاريخ ١٧ رمضان سنة ١١٦٧هـ/١٧٥٣م.

١٤- سجل حلب محاكم شرعية رقم ٨٢، صورة ٨٠ ، ص ١٥٤ ، تاريخ ٢٩صفر سنة ١١٧١هـ/١٧٥٧م، ضرب البدو الشوايا خيامهم في المشارقة ، ويراد بالمشارقة ألفاف الشوايا، الأسدي ، احياء حلب، ص٣٤٦.

١٥- سجل حلب محاكم شرعية رقم ٩٦، صورة ٤٥ ، ص ٨٣، تاريخ ١٥ محرم سنة ١١٧٧هـ/١٧٦٣م.

١٦-سجل حلب محاكم شرعية رقم ٨٥، صورة ٣٤، ص ٦٣، تاريخ ٨ شوال سنة ١١٦٧ه/١٧٥٣م.ـــ ، كحالة معجم القبائل، ج٣، ص١١١٦.

وعرب **الحديدين**[١] وعدّوا من أكبر عشائر الرعي، وأكثرها استعداداً للاستقرار[٢]. هذا وقد استقرّ **الجبول** في الريف[٣]، وأيضاً في محلة الصفصافة ذكر وجود طائفة عرب **جميل**[٤]. وأما عربان **حديفة**[٥]فقد وردت في كتاب عشائر الشام بأنها عشيرة تقع في أبي كهف بمنبج أحد أقضية حلب[٦]. وعن البدو الذين ألفوا حياة التنقل والارتحال، كان عرب **الكيشان** الذين تجولوا ما بين المناطق الشرقية واعزاز [٧]، وعرب بني **ربيعة** بين شيخون والمعرة [٨]، وفي انطاكية كان عرب **حرب**[٩]. وفي قرية الحاضر من قضاء جبل سمعان أشارت إحدى الوثائق عن وجود عرب **الويسات**[١٠]، وانتشر عرب **السخانة** في قصبة ادلب الصغرى [١١].وبالنسبة لآل **نعيم** فذكر وجودهم في جنوب حلب قرب قرية جبرين، في ناحية جبل سمعان، وفي جبل الأحص[١٢]،ومن القبائل الأخرى التي انتشرت في حلب قبيلة **الحويقة**[١٣]،عرب بني **مالك**[١٤]وطائفة **الشرحبيل**[١٥].

١-سجل حلب محاكم شرعية رقم ١٠٣، صورة ٢١٨، ص ٤٣١، تاريخ أواخر صفر سنة ١١٨٤هـ/١٧٧٠م.

٢- أحمد وصفي زكريا ،**عشائر الشام** ،ط٢ ، جزءان ،دار الفكر ، دمشق ، ١٩٨٣ ج٢ ، ص٥٢١

٣- سجل حلب رقم ٢٥- أوامر سلطانية ، صورة ٦٦، ص٤٥ ، وثيقة ٩٠، تاريخ ١٢١٠هـ/١٧٩٥م.

٤- عرب جميل تنتسب إلى قبيلة جرم القحطانية، اوبنهايم ، البدو، ج٢ ، ص١٠١، سجل حلب محاكم شرعية رقم ٨٩، صورة ٢٢، وثيقة ص ٣٦، تاريخ ٢٥ ربيع الأول سنة ١١٧١هـ/١٧٥٧م.، وذكرت أنها سكنت في الباب ومنبج ، كحالة ، معجم القبائل ، ج١ ، ص٢٠٧

٥- سجل حلب أوامر سلطانية رقم ١٣ ، صورة ٨٦، ص ١٥٢، وثيقة ١٦٦، تاريخ ١١٩١هـ/١٧٧٧م.

٦- وصفي زكريا، عشائر الشام ، ص٢٥٥

٧- سجل حلب أوامر سلطانية رقم٢٠، صورة ٤٨، ص٣٩، وثيقة ٥٨، تاريخ أواسط رجب ١٢٠٤هـ/١٧٨٩م.

٨ - آل ربيعة : من طي من كهلان من القحطانية وامتدت على مناطق واسعة من بادية الشام وحمص وحماه وشرقي الأردن وفي حلب، كحالة ، معجم القبائل ، ج٢،ص٤٢٠. سجل حلب محاكم شرعية رقم ٨١، صورة ١٦، ص ٢٦، تاريخ ٨ جمادى الأولى سنة ١١٦٥هـ/١٧٥١م.

٩- سجل حلب محاكم شرعية رقم ٨٠، صورة ٩٢ ، ص ١٧٧، تاريخ ٨ ربيع الثاني سنة ١١٦٦هـ /١٧٥٢. كحالة ، معجم القبائل ، ج١، ص٢٦٠.

١٠- سجل حلب محاكم شرعية رقم ٨٥، صورة ١٣٢، ص ٢٦٠، تاريخ ١٨ شعبان سنة ١١٦٨هـ/١٧٥٤م.

١١- سجل حلب محاكم شرعية رقم ٨٥، صورة ١٣٥، ص ٢٦٥، تاريخ ١ رمضان سنة ١١٦٨هـ/١٧٥٤م، ومحلة السخانة جنوب باب النيرب الغزي، نهر الذهب ،ج٢ ، ص٣٤٩.

١٢-كحالة معجم قبائل العرب، ج ٣ ، ص١١٨٨.

١٣- سجل حلب أوامر سلطانية رقم ١٥، صورة ١١، ص ١٩، وثيقة ١٣، تاريخ ٢٧ محرم ١١٩٣هـ/١٧٧٩م.

١٤ -سجل حلب محاكم شرعية رقم ١٠٢ ، صورة ١٥٢، ص ٢٩٤، تاريخ ٢ صفر سنة ١١٨٢هـ/١٧٦٨م.

١٥- سجل حلب أوامر سلطانية رقم ٢٨، صورة ١٥٤، ص ١٣٥-١٣٦،وثيقة ٢١٥، تاريخ ١٢١٥هـ/١٨٠٠م.

ومن غير المسلمين ذكر نصارى طائفة عرب **كير** في محلة الهزارة[١].ومن أشهر القبائل المتنقلة أيضاً قبيلة **عنزة**"[٢]، وعرب **المداهيش**[٣]وهي فخد من الحديدين، وقد أقامت في قرية المنطار بجسر الشغور[٤].وبالنسبة لطائفة **الطعين**[٥]وعرب **بني سعيد**[٦] فقد توزعوا في المناطق الشرقية لقضاء الباب، وأيضاً في غربي منبج[٧].وفي العام ١٧٨٤ ذكر وجود عشائر متنقلة (شوايا)[٨]بحلب وكانت السلطنة العثمانية قد أصدرت أمر بترحيلهم، بسبب وجود خلل في جباية أموال الميري لمناطق سكنهم الأصلي، وسكنهم غير المستقر في حلب أيضاً، وهؤلاء الشوايا هم " البوسبيع والجبارين والبوظاهر والبورجب والمساعده والحمد نجادين سعيد وحمدون والمثلون والعدة والعجل وباقي الساعدة وابوحسن[٩]وابوجابر واولاد محمد والنصرات والخلف والبوج وشبح والعجران وابوبطوس وابوديس والسحادة وباقي المشاعفة من عرب الزور"[١٠]، ووردت في وثائق عديدة قضايا تتعلّق بعشائر غير مستقرة، جاءت إلى حلب للتداوي[١١] ومنها عرب السماطية [١٢].

١-سجل حلب محاكم شرعية رقم ٨٥، صورة ٤، ص ٣، تاريخ ١٣ رجب سنة ١١٦٧هـ/١٧٥٣م. . وقصبة عرب كير، تابعة لسيواس من ولايات الاناضول ، وهذا ما يدل على وصول القبائل العربية إلى وسط الأناضول.

٢- عنزة: يعود نسبها إلى عنز بن وائل بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد العدنانية ومواطن عنزه بين أواسط نجد وشمالي الحجاز و قد انتشرت فروعها في سائر بلاد الشام، كحالة، كحالة، معجم قبائل العرب ، ج٢ ، ص٨٤٦. سجل حلب أوامر سلطانية رقم ١٦، صورة ١٦٣، ص ٢٣٤، وثيقة ٣٢٥، تاريخ ١١٩٧هـ/١٧٨٢م.

٣- سجل حلب محاكم شرعية رقم ٨٥، صورة ٧٥، ص ١٤٦، تاريخ ١٤ ربيع الأول سنة ١١٦٨هـ/١٧٥٤م.

٤ -كحالة، معجم قبائل العرب ، ج٣ ، ص١٠٦٠.

٥- سجل حلب محاكم شرعية رقم ٨١، صورة ٥٥، ص ١٠٥، تاريخ ٢٦ ذي القعدة سنة ١١٦٥هـ/١٧٥١م.

٦- بني سعيد: تنتسب إلى قبيلة العبيد الزبيدية، الذخيرة ، أهل الرقة ، ج١ ، ص١٩-٢١.سجل حلب محاكم شرعية رقم ٨٦، صورة ٣٣، ص ٦٣، تاريخ ١٠ رمضان سنة ١١٦٨هـ/١٧٥٤م.

٧- زكريا ، عشائر الشام ، ص ٥٥٨ ، كحالة، معجم قبائل العرب ، ج٢ ، ص٥٢٢.

٨- الشوايا: **بدو نصف الرحل** :وهم نصف متحضرين ونصف أعمالهم بالزراعة وكانت زراعتهم محدودة ، والنصف الآخر بالرعي وخاصة الأغنام، جواد علي ، **المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام** ، ١٠ أجزاء ، ط٢ ، جامعة بغداد، ١٩٩٣ ، ج٤،ص ٣١٤ ، ٢٥٤.

٩- زكريا ، عشائر الشام، ص٥٨٢.

١٠- سجل حلب أوامر سلطانية رقم ١٨، صورة٣١، ص٣١، وثيقة٦١، تاريخ ١١٩٩هـ/١٧٨٤م

١١-سيرد بالتفصيل حول ذلك في بحث الأوضاع الصحية .

١٢- سجل حلب محاكم شرعية رقم ١٠٥، صورة ٥٨،ص ١١٠، تاريخ ١١٨٦هـ/١٧٧٢م.

والسماطية :من لواحق الموالي، وجدت في ناحية محردة في حماه وفي قلعة المضيق بقضاء المعرة . كحالة معجم قبائل العرب ، ص٥٥١.

وعرب بني خالد [١] عرب العقيدات[٢]، عرب الزور[٣]، عرب شمّر من دير الزور[٤] والتي كانت تتجوّل في الجبول[٥].

٢- الفئات غير العربية:

أ- **الأكراد** :يعتبرون من الجنس الآري[٦])ومن الأصول الهندو أوروبية، ولا صلة لهم بالعربية والقحطانية ، وهم موغلون في القدم منذ آلاف السنين، ومواطنهم الأصلية سلسلة جبال زاغروس بين العراق وإيران ، وتعني(كورد) باللغة السومرية (سكان الجبل)، واستقر بعضٌ منهم، ومارس العمل الزراعي، ومنهم من اشتغل بالأعمال الحرفية في المدينة، وتمايزوا في المجتمع الحلبي، في حين حافظ بعضهم على نمط الحياة القبلية كرعاة رحل تنقلوا بين الوديان والجبال [٧].

وقسّم بعض النسابين الفئات الكردية إلى جماعات أو قبائل أو عشائر أو طوائف[٨] وذكرتهم الوثائق الشرعية باسم طائفة وجماعة، واختلفت تسميات رؤساء المجموعات الكردية، فاستخدمت كلمة مقدم أو رئيس، وكان اسم مقدم لقباً عسكرياً ومهامه عسكرية في حالة الانتفاضات، كما أطلق على اسم رؤساء المجموعات الكردية، لقب الآغا، أو البيك. أمّا زعيم القبيلة فقد سمّي رئيساً

١- بنو خالد : هم بطن من بني مخزوم من قريش العدنانية وهم رهط خالد بن الوليد ، ويدّعون النسب إليه ، إلا أن النسابين أجمعوا على انقراض نسب خالد بن الوليد، وصفي زكريا،عشائر الشام ج٢ ، ص٤٤٤. سجل حلب محاكم شرعية رقم ١٠٥، صورة ٦٤، ص ١٢٤، تاريخ ٥ جمادى الآخر سنة ١١٨٦هـ/١٧٧٢م.

٢- العقيدات: تنسب إلى قبيلة العبيد. سجل حلب محاكم شرعية رقم ١٠٥، صورة ٦٦، ص ١٢٧، تاريخ ١٨ جمادى الآخر سنة ١١٨٦هـ/١٧٧٢م. كحالة، معجم قبائل العرب، ج٢ ، ص٧٩٩

٣- سجل حلب محاكم شرعية رقم ١٠٥، صورة ٧١، ص ١٣٦، تاريخ ٥ جمادى الآخر سنة ١١٨٦هـ/١٧٧٢م.

٤- شمّر: قبيلة قحطانية الأصل وهي مجموعة عشائر متفرقة، هاجرت من شبه الجزيرة العربية في العام ١٦٧٢ م بقيادة الشيخ فارس من آل جربا ، وتوجهت شمالاً نحو بلاد الشام . زكريا عشائر الشام ، ج٢ ، ص٦٣٦-٦٣٩ . سجل حلب محاكم شرعية رقم ٨٩، صورة ٥، ص ٤، تاريخ ١٥ شعبان سنة ١١٧١هـ/١٧٥٧م.

٥- سجل حلب محاكم شرعية رقم ٨٩، صورة١٤٦، ص٢٧٩، تاريخ أواخر ذي القعدة سنة ١١٧١هـ/١٧٥٧م.

٦- الآري : مشتق من الاسم اليوناني الذي اطلق على هضبة ايران الممتدة من جبل زاغروس غرباً حتى نهاية نهر السند شرقاً، حيث كانت المنطقة تعرف باسم آريا والتي اشتقّ منها اسم ايران ، والآريون مصطلح يطلق على القبائل التي كانت تتحدث (Aran) (لغات هندو أوروبية). شاكر مصطفى سليم، **قاموس الأنثروبولوجيا انكليزي عربي**، ط١، د. م ،١٩٨١م ، ص ٦٩

٧- سليم مطر، **جدل هويات**(عرب، أكراد، تركمان، سريان، يزيدية) صراع الانتماءات في العراق والشرق الأوسط، ط١ ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ٢٠٠٣ .

٨- محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري ،**لسان العرب** ، ط١٤ ،دار صادر بيروت ١٩٨٧ ، ص١٣٧

وكانت رئاسته إما من مصدر وراثي[١]، أو بسبب نفوذه فيعيّن نفسه أو يأتي تعيينه من قبل السلطة[٢].

ويرتبط الكردي بالمكان أو البقعة التي يعيش عليها، وينتسب إليها من الناحية العائلية أو العشائرية، فالعشيرة عشيرة أرض، وليست عشيرة نسب، والأفخاذ غالبها تؤخذ من أسماء للقرى التي سكنوها، أو أسماء رؤساء اشتهروا من بينهم، أي أن الفئة أو العشيرة تتألّف من تجمّع أسر في موطن ما، ولذلك فإن انتساب الفئات الكردية إلى جدّ واحد، يخالف طبيعة المجتمع الكردي[٣].

وقد عاش الأكراد مع غيرهم من فئات المجتمع في حلب بشكل سلمي، ولم يحسب للتمايز العرقي حساباً، وهذا ما انعكس على الواقع الثقافي والاجتماعي، وأكّد على أولوية الهوية الدينية والاختلاطات الاجتماعية، والتقليل من أهمية هذا التمايز [٤]، وإذا ما حصل نوع من التنافس فسببه الصراع أو بسبب التجارة أو الحرف، أو الزواج أو التجاور في المناطق والمراعي المشتركة وغيرها، وهذا ما أدّى إلى قيام تحالفات فيما بينهم تارة، وإلى صراعات دموية تارة أخرى [٥] .

وكما ذكرت الوثائق فإن الأكراد استقروا في محلات داخل حلب وخارجها، وورد في إحدى الوثائق خبر استقرار كرديّين من طائفة **العمرانية** وطائفة **الدليكانية**، ببلدة حلب بطريق المسافرة[٦]، وفي محلة صجيلخان الفوقاني، استقرّت طائفة **اللبان** الكردية[٧]، وفي محلة الحجاج أشارت وثائق أخرى حول تواجد أكراد **البادلية**[٨]و**المالكانية والدنابلة**[٩]، كما استقرّ الأكراد في محلات سمّيت باسمهم كمحلة أكراد البلاط[١٠]، وأيضاً تواجد أكراد في محلة الجلوم [١١]، وتوزع

١- أرشاك بولاديان ،**الأكراد حسب المصادر العربية** ، ترجمة خشادور قصباريان ، عبد الكريم أبازيد ، معهد الاستشراق ، أكاديمية العلوم في أرمينية السوفيتية ، ريفان ، ١٩٨٧ ، ص٨٢ .

٢- محمد زكي ملا حسين البرواري ،**الكورد والدولة العثمانية** ، ط١ ،دار الزمان ، دمشق ، ٢٠٠٩، ص٢٠٧

٣ -مارك سايكس، **القبائل الكردية في الإمبراطورية العثمانية** ، ترجمة خليل علي مراد ، تقديم عبد الفتاح بوتاني ط١ ، دار الزمان ، دمشق ٢٠٠٧ ، ص٨ .

٤- ماركوس ، الشرق الأوسط، ص٢٩.

٥- أرشاك بولاديان ، الأكراد ، ص ٨٨ .

٦ -سجل حلب محاكم شرعية رقم ٨٠ ، صورة ٧٢، وثيقة ص١٣٨، تاريخ ٧ صفر ١١٦٦هـ/١٧٥٢.

٧ - سجل حلب محاكم شرعية رقم ٨٢ ، صورة ٨، وثيقة ص١٥، تاريخ ٥ جمادى الأولى ١١٦٥هـ /١٧٥١م.

٨- سجل حلب محاكم شرعية رقم ٧٨، صورة ٢٧، وثيقة ص٤٧، تاريخ ١٨ رمضان ١١٦٤ه/١٧٥٠م .

٩- سجل حلب محاكم شرعية رقم ٨٣ ، صورة ٢٦ ، وثيقة ص ٤٧ تاريخ ٢٣ رجب ١١٦٥هـ/١٧٥١م.

١٠ سجل حلب محاكم شرعية رقم ٨٥ صورة ١٨٥، وثيقة ص٣٦٦ تاريخ ١٠ محرم ١١٦٩هـ/١٧٥٥م.

١١- سجل حلب محاكم شرعية رقم ٨٥ سجل حلب ٨٧ ، صورة ٧٥، وثيقة ص١٣٨، تاريخ ١١٧٠هـ/١٧٥٦م.

أكراد **الرشيدية** في محلة الطوطو خارج باب الأحمر[١]، وفي كلس وإعزاز استقرّت عشيرة **أوقجي عز** الدين [٢] وأكراد **شفاعي وجوم**[٣]. وتوزّعت أيضاً قبائل كردية في أقضية جبل سمعان ومنبج واعزاز، وفي جبل الأكراد(صهيون)، التابع لقضاء اللاذقية[٤]، ومنها **الشقبندلية والهشتوانلية**[٥]، وفي خان قره موط في مقاطعة شيخ حديد التابعة لانطاكية، ذكرت عشيرة **بكتاشلي**[٦]، وانتشر الأكراد **اليزيدية** في عفرين واعزاز ومنبج[٧]. وفي قرية برنة(في جبل سمعان) سكنت طائفة البرازية[٨]، وذكر وصفي زكريا تواجد البرازية في قضاء عين العرب التابع لحلب، والذي شكلت الصحراء القسم الأكبر منه، وقد قُسم سكّانه إلى أكراد وأعراب بدو وفرقة **البرازية** هي مجموعة عشائر متحالفة، تواجدت في هذا القضاء[٩]. ووجدت في قرية كفراب من قضاء نزب طائفة **شيخان** الكردية، من فرقة البرازية[١٠]، وأكراد **السعفية** في قسطون التابعة لقضاء جسر الشغور [١١]، ومن الطوائف الكردية التي ذكرتها الوثائق أيضاَ: طائفة العامكية[١٢]، طائفة القلقزية في محلة قاضي عسكر[١٣]، طائفة المروه سية[١٤]، طائفة الشقاقية في قرية الشيخ محمد[١٥].

١- سجل حلب محاكم شرعية رقم ١٠٥ ، صورة ٦٢، وثيقة ص١١٩، تاريخ ٣ جمادى الثانية ١١٨٦ه/١٧٧٢م.

٢- سجل حلب أوامر سلطانية رقم ٦، صورة ٣٢، ص ٥٥، وثيقة ١١٢، تاريخ أوائل صفر ١١٧٥ه/١٧٦١م.

٣- سجل حلب أوامر سلطانية رقم ١٧ ، صورة ١٨، ص ٢٦-٢٧، وثيقة ٢٥، تاريخ ١١٩٧ه/١٧٨٢م.

٤- سجل حلب محاكم شرعية رقم ٩٧، صورة ٦، وثيقة ص ٥، تاريخ سنة ١١٧٤ه/١٧٦٠ــ زكريا عشائر الشام ، ج٢، ص٦٥٧.

٥- سجل حلب١٠٣ محاكم شرعية رقم ، صورة ٤٢ ، وثيقة ص ٧٩ تاريخ ١٧ رجب ١١٨٢هـ/١٧٦٨م.

٦- سجل حلب أوامر سلطانية رقم ١٦، صورة ٢٠، ص ٢٥، وثيقة ٣٩، تاريخ ١١٩٥هـ/١٧٨٠م.

٧- سجل حلب محاكم شرعية رقم ٨٩ ، صورة ١٦٨، وثيقة ص ٣٢٣ تاريخ ٥ محرم ١١٧٢هـ /١٧٥٨م. وصفي زكريا عشائر الشام ، ج٢، ص٦٧٣، عفرين: كلمة آرامية تعني التراب، شمال غربي حلب بمسافة ٦٣كم، حلب المقارنة ، الأسدي ، موسوعة حلب، ص٤١٣

٨- سجل حلب محاكم شرعية رقم ٨٢، صورة ٨٠، وثيقة ص ١٥٣، تاريخ ١١٦٦هـ/١٧٥٢.

٩- وصفي زكريا عشائر الشام ، ج٢ ، ص٦٧٠.

١٠- سجل حلب محاكم شرعية رقم ٨٧، صورة ٩١، ص ١٦٩، تاريخ ١١٧٠هـ/١٧٥٦م ، زكريا عشائر الشام ج٢ ، ص٦٧٢.

١١- سجل حلب أوامر سلطانية رقم ٧،صورة ٤٦، ص١١٨، وثيقة١٦٧، تاريخ ١١٧٨هـ/١٧٦٤م.

١٢ - سجل حلب محاكم شرعية رقم ٨٢، صورة ٢٧٤، وثيقة ص٥٤٦، تاريخ ١٧ رجب ١١٦٧ه/١٧٥٣م.

١٣ سجل حلب محاكم شرعية رقم ٨٥ ، صورة ٢٢، وثيقة ص٣٩، تاريخ ٢٤ شعبان ١١٦٧هـ/١٧٥٣م.

١٤ - سجل حلب محاكم شرعية رقم ٨٩، صورة ١٥٦، وثيقة ص٢٩٨، تاريخ ١٠ شوال ١١٧١ه/١٧٥٧م.

١٥ - سجل حلب محاكم شرعية رقم ١٠٢، صورة ٩٠، وثيقة ص١٧٣، تاريخ ٢٩ رجب ١١٨٠ه/١٧٦٦م.

عشيرة البجاقلية في نواحي سويرك[١]، أكراد الدفيالية[٢]،أكراد جبل الرشيد[٣]في محلة قسطل الأكراد[٤] أكراد جبل ايلون (في عفرين)[٥]، طائفة **السليمانية**[٦]،عشيرة **موسى بك**[٧]، أكراد سروج[٨]،أكراد **الملية**"[٩]، **الشيروية**[١٠]، ومن المجموعات الكردية التي شكلت مقاطعة مالية محددة، من أجل دفع الضرائب المفروضة على هذه العشائر للدولة وهم: حوم، الشيروي، دنللو خالدي جاوكلي الكبير، جاوكلي الصغير، الاشكي[١١].

ب- التركمان: تعود أصولهم إلى منطقة تركستان في آسيا الوسطى الممتدة بين جزر الخزر، وبحر خوارزم ونهر جيحون ، وهم أوّل من أسلم من الترك في القرن الرابع الهجري وهم كالأعراب انقسموا إلى عشائر مختلفة[١٢]، وانتشروا في حلب منذ القرن السادس عشر كقبائل بدوية متنقلة في لواء حلب وهم : بكلكي باوشو، دوكر حلب، فيلي قون، عطاش، أورخلى، كجه بكلكى، قره قيوه، باشم فزدي جبي، هوقيانلي، همايلي، مجموعة عز الدين التركمانية في كلس.

١- سجل حلب محاكم شرعية رقم ١٠٥، صورة ١٠، وثيقة ص١٢،تاريخ ٢٦ جمادى الآخر ١١٨٥هـ/١٧٧١م.

٢- سجل حلب محاكم شرعية رقم ١٠٥ ، صورة ١٤، وثيقة ص٢٠، تاريخ ٢٥ رجب ١١٨٥هـ/١٧٧١م.

٣ - سجل حلب محاكم شرعية رقم ١٠٥، صورة ٦٢، وثيقة ص١١٩،تاريخ٣جمادى الثانية ١١٨٦هـ/١٧٧٢م.

٤ - سجل حلب محاكم شرعية رقم ١٠٣، صورة ٢١٤، وثيقة ص٤٢٣، تاريخ ١٦ صفر١١٨٤هـ/١٧٧٠م.

٥ سجل حلب محاكم شرعية رقم ١٠٢، صورة ٤١، وثيقة ص٧٥، تاريخ ٢٨ ذي الحجة١١٨٠ه/١٧٦٦م.

٦ - سجل حلب محاكم شرعية رقم ٨١، صورة ١٤، وثيقة ص٢٢، تاريخ ١٠ شوال ١١٦٥ه/١٧٥١م.

٧- سجل حلب أوامر سلطانية رقم ٥، صورة٥، ص ٧، وثيقة ٩، تاريخ ٢٥ جمادى الأولى ١١٧٧هـ/١٧٦٣م.

٨- سجل حلب محاكم شرعية رقم ٨٥، صورة ١٤٧، وثيقة ص٢٨٩، تاريخ ١٧ شوال ١١٦٨هـ/١٧٥٤م.

٩- سجل حلب محاكم شرعية رقم ٨٥، صورة ١٦٥، وثيقة ص٣٢٥، تاريخ ٢٨ ذي الحجة ١١٦٨ه/١٧٥٤م.ـ وصفي زكريا عشائر الشام ، ج٢ ، ص٦٦٤.

١٠- سجل حلب محاكم شرعية رقم ٨٧ ، صورة ١٢٤، وثيقة ص٢٣٥، تاريخ ٢٨ شوال ١١٧٠هـ/١٧٥٦م .

١١ - سجل حلب أوامر سلطانية رقم ١٨، صورة ٧٢، ص ٧٩، وثيقة ١٣٤، تاريخ ٢٦محرم ١٢٠٠ه/١٧٨٥م.

١٢ -هاجر التركمان إلى بلاد الشام على مراحل عديدة ،وذلك في عهد الدولة الأتابكية والأيوبية ، وقد هاجرت قبائل تركمانية أخرى إلى سواحل بلاد الشام ولواء اسكندرون ومنطقة البسيط ، وفي القرن السادس عشر، وعند دخول السلطان سليم الأول بلاد الشام، أبقى التركمان في مناطقهم بعد تقديمهم الولاء للدولة العثمانية، وقد توافدت في هذه الفترة عدة هجرات تركمانية إلى المنطقة، منها من أتى مع قوات السلطان سليم الأول وخلفائه من السلاطين والوزراء، وأسكنوهم في البلاد التي دخلوها مكافأة لهم ، كأقضية صافيتا واللاذقية ، وأصول هذه العشائر التركمانية من عشيرة أفشار في الأناضول، وصفي زكريا ،عشائر الشام ، ج٢ ص٦٧٨ ، جوزف اليان **بنو سيفا في طرابلس ١٥٧٩-١٦٤٠** ، منشورات دار لحد خاطر، بيروت ١٩٨٧، ص٢٢ . وصفي زكريا ، الريف السوري ، محافظة دمشق، جزءان، دار البيان ، دمشق ، ١٩٥١ج٢، ص ٥١٠.

وفي القرن السابع عشر ذُكر وجود التركمان في محلة الشيخ يبرق، والألجية في خان السبيل وتركمان قوزجق والخرمندلية، والطانشماندية في كلس والعبدلي والقرملية والسمتلية والأوجلية وأيضاً تكة. بومود. آساري. أليلي. أفشا. قايي خان التي منها آل عثمان [١] .

وفي وثائق القرن الثامن عشر عُرف من طوائف التركمان طائفة **بكمشلي**[٢]، وطائفة قره قوجه[٣]، **والشام بياضة**[٤] وورد في إحدى الوثائق، بأنهم من جماعة كونجللي[٥]، وأيضاً طوائف **البهلوانية وأغجة قونلي** في إعزاز[٦]، وفي ناحية الباب، وجدت طائفة **البرازية** التركمانية [٧] وتركمان **الكوجلية**[٨]، وفي ظاهر حلب تركمان **الريحانة** القاطنون في يكي ايل[٩]. وكما توزّع التركمان في مناطق عديدة، من أقضية ولاية حلب، فقد توزّعوا أيضاً في اللاذقية وفي البسيط والباير وبرج اسلام والصليب والبدروسية[١٠]، و**السلفكاتلي** في انطاكية [١١].

ثالثاً – الفئات الوافدة إلى حلب :

١–الفئات الوافدة من الولايات العربية والعثمانية:

استطاعت حلب أن تستقطب مجموعات سكانية من الولايات العثمانية والبلاد العربية لأسباب طبيعية تتعلق بمناخها المعتدل، ولأسباب اجتماعية تتعلّق بالزواج والمصاهرة والذي بدوره وطّد علاقات الأسر مع المجتمع الحلبي، ويضاف إلى ذلك رغبة بعض الحرفيين ورجال الأعمال بالاستقرار في حلب، لما تتميّز به من مكانة تجارية وصناعية مهمة، فوفدت قبائل بدوية عربية من الجزيرة العربية والجزيرة الفراتية ومن البوادي الشامية، واستقرّت حول منبج والباب واعزاز

١– جنكيز أورهونلو ، إسكان العشائر في عهد الإمبراطورية العثمانية ،ترجمة فاروق زكي مصطفى ،الطبعة التركية ١٩٨٧ ، دار الطليعة الجديدة ط١ دمشق، ٢٠٠٥ ، ص٤١.

٢–سجل حلب محاكم شرعية رقم ٧٧، صورة ١٤١، وثيقة ص ٢٦٨ تاريخ ١٧ جمادى الأول ١١٦٤هـ/١٧٥٠.

٣– سجل حلب محاكم شرعية رقم ١٨، صورة ٣٥، وثيقة ص ٦٤ تاريخ ٢٣ شعبان ١١٦٥هـ/ ١٧٥١م.

٤– سجل حلب محاكم شرعية رقم ٨٧، صورة ٨٦ ، وثيقة ص ١٦٠ تاريخ ١٠ رجب ١١٧٠هـ/١٧٥٦م .

٥–سجل حلب محاكم شرعية رقم ١٠٢، صورة ٥٠ ، وثيقة ص ٩٣ تاريخ ١٢ صفر ١١٨١هـ/١٧٦٧م.

٦–سجل حلب محاكم شرعية رقم ١٠٢، صورة ٧٨، وثيقة ص ١٤٨ تاريخ ١ جمادى الأول ١١٨١هـ/١٧٦٧م

٧– سجل حلب محاكم شرعية رقم ١٠٣، صورة ٤٢، وثيقة ص ٧٨ تاريخ ١٦ رجب ١١٨٢هـ/ ١٧٦٨م . وأيضاً سجل حلب ٨٣ ، صورة ١١٢، وثيقة ص ٢١٩ تاريخ ١٧ صفر ١١٦٦هـ/١٧٥٢.

٨– سجل حلب محاكم شرعية رقم ١٠٣، صورة١٤٦،وثيقة ص٢٨٧ تاريخ٢٠ جمادى الآخر ١١٨٣هـ/١٧٦٩م.

٩– سجل حلب أوامر سلطانية رقم ٢٠، صورة ٨٣، ص ٧٣، وثيقة ١٠٦، تاريخ ٢٣ شوال ١٢٠٤هـ/١٧٨٩م

١٠ – زكريا ،عشائر الشام ، ص٦٧٧

١١– سجل حلب أوامر سلطانية رقم ١٦، صورة ٢٥، ص ٣٢–٣٣، وثيقة ٤٩، تاريخ ١١٩٥هـ/١٧٨٠م.

مثل: عنزة وبني سعيد والولدة وغيرها[١]، وعشيرة الرشاونة[٢]، وهناك عشائر بدوية كردية قدمت من قونية(الأناضول) كأكراد الجوم التي قدمت إلى عفرين[٣]، وسكن أفرادها في مدينة حلب [٤] واكراد جاويكلي التي استقرّت مقاطعة كلس [٥].

وإلى جانب المجموعات التي هاجرت واستقرّت في حلب، كان هناك هجرات فردية، سكنت حلب واستقرّت فيها، وانتسبت إلى المكان الجغرافي الذي قدموا منه ، ومن هؤلاء أمثلة عديدة:" اسماعيل بن محفوظ الحموي الذي استقرّ بالزقاق الطويل[٦]، وعبد الرحمن الحمصي على حسين بن سلمان في ناحية الباب[٧]، ومن الرها (اورفه) التابعة لولاية الرقة أتت الحرمة فيدوش بنت حسن واستقرت في ساحة بزا بحلب[٨]،وعثمان بن محمد الاورفهوي" [٩]، فاطمة بنت حسين العنتابية[١٠] ، وحسن بن داوود المرعشلي واستقرّ بمحلة العقبة بحلب[١١].

وأما من قدم من مصر، فقد سكنوا في أماكن متفرّقة، واختلطوا مع السكان، ونُصّب بعضهم من قبل الحاكم الشرعي، ليكون المتكلّم في أمور ومصالح المحلة، في المحكمة الشرعية، بناء على طلب الأهالي "[١٢]، وأوردت الأوامر السلطانية أماكن استقرارهم في قرى ريف حلب، عندما ذكر " بأن الرعية المصرية في حلب تقوم بتأدية ما يترتب عليها من الواجبات في (أريحا وعبادية وكفرنجة وكفرلاية وفوعة)[١٣]، كما أوردت إحدى الوثائق أماكن توطّن المصريين المسيحيين في

---

1 -Lady Anne Blunt, the Bedouin tribe of the Euphrates,Murray,1879, p 316

٢- سجل حلب أوامر سلطانية رقم٢١، صورة ٣٠، ص ١٩-٢٠،وثيقة ٢٩، تاريخ أوائل صفر ١٢٠٣ه/١٧٨٨م.

٣- وصفي زكريا عشائر الشام، ج٢، ص٦٧٣.

٤ -سجل حلب محاكم شرعية رقم ٨٥، صورة ٢٥، وثيقة ص٤٥، تاريخ ٢٧ شعبان ١١٦٧هـ/١٧٥٣م.

٥- سجل حلب أوامر سلطانية رقم ٧، صورة ٢٥،ص٦٢، وثيقة ٨٨،تاريخ ١٨جمادى الآخر ١١٧٨هـ/١٧٦٤م.

٦ - سجل حلب محاكم شرعية رقم ١٨٧ صورة ١١٤، وثيقة ص ٢١٥ تاريخ ٨ شوال١١٧٠هـ/١٧٥٦م.

٧-سجل حلب محاكم شرعية رقم ٨٤ صورة ١١٢، وثيقة ص٢١٥ تاريخ ٢٣ رجب ١١٦٧هـ/١٧٥٣م.

٨- سجل حلب محاكم شرعية رقم ٩٦، صورة ٦٤، وثيقة ص ١١٩ تاريخ ٢٥ ربيع الأول ١١٧٧هـ/١٧٦٣م.

٩-سجل حلب محاكم شرعية رقم ٨٠ ، صورة ٤٣، وثيقة ص ٧٩ تاريخ ٨ ذي القعدة ١١٦٥هـ/١٧٥١م.

١٠- سجل حلب محاكم شرعية رقم ٨٠ ، صورة ٤٥، وثيقة ص ٧٩ تاريخ ١٨ ذي القعدة ١١٦٥هـ/١٧٥١م.

١١- سجل حلب محاكم شرعية رقم ٨٥، صورة ٢٠، وثيقة ص٣٥ تاريخ ٢١ شعبان ١١٦٧ هـ/ ١٧٥٣م .

١٢- سجل حلب محاكم شرعية رقم ٩٨ صورة ٨٥، وثيقة ص ٢١٥٥تاريخ ١١ محرم ١١٧٩هـ/١٧٦٥م.

١٣ -سجل حلب أوامر سلطانية رقم ٧، صورة ٥٢، ص ١٣٣، وثيقة ١٩٣، تاريخ ١١٧٨هـ/١٧٦٤

حلب، مثل "رزق الله بن غانم ولد عيسى من طائفة نصارى الروم، من مدينة دمياط القاطن بزقاق الشمسية في ظاهر حلب"[١].

وأيضاً استقطبت حلب العراقيين، و قد استقروا في الولاية كغيرهم، وقد أوردت إحدى الوثائق إن رجلاً من مدينة بغداد سكن في محلة الحجاج بحلب [٢] ، وأيضاً سكنت المرأة فاطمة بنت عبدالله البغدادية، في محلة خارج باب النيرب[٣]، كما قطن حلب مواطنون تعود أصولهم إلى الموصل[٤]،وكانوا من المسلمين والمسيحيين[٥].هذا وقد سكن مواطن بابلي الأصل في محلة الشميصاتية في ظاهر حلب"[٦]. كما وفد إلى حلب أشخاص من المغرب وسكنوها مثل " الشريف الحاج ابراهيم بن الشيخ عبد الرحمن المغربي، في زقاق سيدي غوث"[٧]. وأيضاً قطن حلب مهاجرون من استانبول[٨]، ومن أرضروم[٩]، واسكودار[١٠].

٢-الفئات الأجنبية :

ضمّت حلب مختلف الفئات الاجتماعية، وشكّل الأجانب جزءاً من نسيجها السكاني واستقرّوا فيها لأسباب سياسية أو دينية أو تجارية، أو للعمل والخدمة أو التنقّل أو للإقامة المستقرة أو المؤقتة، وكان هؤلاء الأجانب، ينتمون إلى الجنسيات الفرنسية والإنكليزية والإيطالية والروسية والمجرية والهندية والداغستانية والزنوج الافارقة، واستطاعت هذه الجنسيات المختلفة أن تعيش في حلب، بل ارتبطت مع بعضها، بعلاقات اجتماعية قوية، إضافة إلى علاقاتها مع السكان المحليين ومع السلطة الحاكمة.

١- سجل حلب محاكم شرعية رقم ٨٣ ، صورة ٩٧، وثيقة ص ١٩٠ تاريخ ٢ صفر ١١٦٦هـ/١٧٥٢م.
٢- سجل حلب محاكم شرعية رقم ٨٥،صورة ١٠٦،وثيقة ص٢٠٨ تاريخ ١٥ جمادى الآخر ١١٦٨ هـ/ ١٧٥٤م
٣- سجل حلب محاكم شرعية رقم ٨٥، صورة ١٦٦، وثيقة ص٣٢٧ تاريخ ٢محرم ١١٦٩ هـ/ ١٧٥٥م .
٤- سجل حلب أوامر سلطانية رقم ٢٠، صورة ٣٢، ص ٢٧، وثيقة ٣٧، تاريخ أواخر جمادى الآخر ١٢٠٤هـ/١٧٨٩م دفتر الترجمة إلى العربية.
٥- سجل حلب محاكم شرعية رقم ٨٥، صورة ٢٥، وثيقة ص٤٦ تاريخ ٩ شعبان ١١٦٧ هـ/ ١٧٥٣م .
٦- سجل حلب محاكم شرعية رقم ٨٣ ، صورة ٥١، وثيقة ص ١٠٠ تاريخ ٦ شوال ١١٦٥هـ/١٧٥١م.
٧- سجل محاكم شرعية رقم حلب ٨٠، صورة٢٧،وثيقة ص٤٨تاريخ أواخر جمادى الآخر ١١٦٥هـ/١٧٥١م.
٨- سجل محاكم شرعية رقم حلب ٨٧ صورة ١٠٦، وثيقة ص٢٠٠ تاريخ ٢٩ شعبان ١١٧٠هـ/١٧٥٦م.
٩- سجل محاكم شرعية رقم حلب ٧٨ صورة ١١٠، وثيقة ص٢٠٩ تاريخ ٢٨ ربيع الأول ١١٦٤هـ/١٧٥٠م.
١٠- سجل محاكم شرعية رقم حلب ٧٨ ،صورة ١٢٣، وثيقة ص٢٤١ تاريخ ا رجب١١٦٨هـ/١٧٥٤م.

أ- **فئات اجنبية شرقية** : إضافة إلى الجاليات الأوروبية، وجدت جاليات شرقية في حلب وكان لها دوراً تجارياً ،مثل الجالية **الروسية** التي اندمج بعضها مع السكان المحليين "[١]. **والجالية الأرمنية** [٢]والتي ذُكر وجودها في الصليبة وفي محلة اليهود [٣]،والجالية **الداغستانية** وذكرت إحدى الوثائق عن وجودها خارج باب انطاكية [٤] . ومن **الهند** أيضاً وفدت إلى حلب، على شكل جماعة سميت بالطائفة الهندية [٥].

وبالنسبة **للقرباط** أو النَّوَر، فقد تركّز وجودهم خارج المدينة بحارة القرباط وعفرين ومنبج وادلب، وترجع أصولهم اللغوية والسلالية والثقافية والاجتماعية إلى شبه القارة الهندية، ولغتهم الأم يسمونها لغة العصفورة أو ضوم واري، وكانت اللغة تعتبر عند القرباط ظاهرة اجتماعية يكتسبها الفرد من البيئة الاجتماعية التي يعيش فيها، وقد يتكلمون العربية أو الكردية أو التركية أو الفارسية، وكانوا يقومون بشعائر الدين الاسلامي في حلب، كما إن قسماً من القرباط اتسمت حياتهم الاجتماعية بالطابع البدوي القائم على اقتصاد منتجات الماشية وجلودها.وكان لهم دوراً بارزاً في العمل الحرفي اليدوي حيث انقسموا إلى جماعات مهنية، وفق تراتب طبقي، وليس على أساس العصبية القبلية التي تقوم على رابطة الدم [٦].

---

١ – سجل حلب محاكم شرعية رقم ٢٥ ، صورة ١١٠، ص ٨٢، وثيقة ١٥٢، تاريخ ٧ شعبان ١٢١١ه/١٧٩٦م .

٢–الأرمن : شعوب هندو أوروبية موطنهم الأصلي بلاد ارمينية، ويتكلّمون اللغة الأرمنية منذ القرن الخامس ميلادي، ففي القرن الرابع عشر الميلادي انهارت المملكة الأرمينية من قبل المماليك عام ١٣٧٥ مما أدّى إلى نزوح عائلات أرمنية عديدة إلى ولاية حلب لممارسة التجارة ، وفي القرن السادس عشر والسابع عشر، تمّ هدم مدينة جوغا الأرمنية القديمة على يد أذربيجان، فنزحت عائلات أرمنية أخرى إلى حلب وجميع أفرادها من التجار، واستلموا مقاليد الحياة الدينية والمالية للجالية الأرمنية ، وفي بداية القرن العشرين سنة ١٩١٥م سعى الأرمن إلى التحرر، ومحاربة الظلم والقمع التي مارسته السلطات العثمانية، فقاموا بعدة تحركات مناوئة لها فكان رد العثمانيين عنيفاً ودموياً بحقهم ، فهجّروا إلى الولايات العربية، ومن ضمنها حلب وإلى الدول الأوروبية والأمريكية ، انظر : سورمايان، تاريخ حلب، ص٢٨٧. المنجد في اللغة ص٧٧٧.

٣ سجل حلب محاكم شرعية رقم ٨٧، صورة ٢٧، ص ٤٨، تاريخ ١٧ ربيع الثاني سنة ١١٧٠هـ/١٧٥٦م.

٤– سجل حلب محاكم شرعية ٨٧ ، صورة ٩٢،وثيقة ص٥٢ تاريخ ١٧ صفر ١١٧٠هـ/١٧٥٦م .

٥– سجل حلب أوامر سلطانية رقم ٢٥، صورة ٨٤، ص ٦٠، وثيقة ١١٤، تاريخ ٧ رمضان ١٢١٠هـ/١٧٩٥م.

٦– ومنهم صناع الغرابيل ورقم الطبول. الطنجرلية. الطبّالة. الحدادين، سُيّاس الخيول، المبيضين علي الجباوي **عشائر النَّوَر في بلاد الشام**، التلوين للتأليف والترجمة والنشر، دمشق،٢٠٠٦، ص٨–١١. الغزي ، نهر الذهب ج٢، ص٥–٦.

ب-الفئات الأجنبية الغربية الأوروبية أو الإفرنج[١]: استقطبت حلب كغيرها من الولايات العربية الأوروبيين لغايات عديدة منها دينية تبشيرية ، وقد كان للمندوبية البابوية[٢] دوراً كبيراً في بناء الكنائس والأديرة في حلب، وبدورها تمتعت بامتياز خاص من جانب السلطان، لحماية كل أوروبي مسيحي تابع للدولة[٣]، وبما أن حلب كانت تشكّل مركزاً تجارياً مهماً، فقد قدم إليها الإفرنج كقناصل ووكلاء وممثلين عن الشركات التجارية .[٤] وتمتّع القناصل والتجار الأوروبيون بامتيازات خاصة منحها السلطان العثماني لحكوماتهم ضمن اتفاقيات بينهم، ومنها الفرمان السلطاني الصادر في العام ١٧٦٤ وتضمّن أكثر من احد عشر بنداً من الامتيازات والإعفاءات الممنوحة، وأعفي فيه الأجانب من الضرائب العقارية والرسوم الجمركية ورسوم المنازل [٥].احتفظت الجاليات الاجنبية مع السكان الحلبيين بعلاقات تجارية متميزة، وحصلوا على ميّزات خاصة ، فقد سُمح لكل قنصل أن يوظّف مترجماً من بين السكان الحلبيين غير المسلمين وهذا ما أكّده الامر السلطاني في العام ١٧٩٣، والذي قضى بالسماح لكل قنصلية، باستخدام خمسة عشر عنصراً من طائفتهم بالعمل وشملهم الاعفاء من الجزية والرسوم، وعدم السماح لغيرهم من السكان المحليين، بالعمل في تلك القنصليات[٦].

الجالية البريطانية: كانت الجالية الإنكليزية، كما ذكر راسل تتألّف من قنصل وعشرة تجار ورئيس ديوان وسكرتير وطبيب وحاجب ، وكان في العام ١٧٥٣ عدد العائلات البريطانية (٨) عائلات، وانخفض العدد إلى (٤) عائلات في العام ١٧٧٢م ، وكانت علاقة البريطانيين مع المسلمين محدودة، ولاسيما في التجارة، على عكس الفرنسيين الذين اهتموا باللغة العربية التي ساعدتهم على التواصل مع أهل حلب[٧].

وأما **الجالية الفرنسية**، فمارست نشاطها الديني في حلب عبر البعثات التبشيرية، كما مارست نشاطها التجاري عبر الشركات التجارية التي سوّقت بضائعها في أسواق حلب، وبالنسبة لتراجمة قناصلها فهم إما من الشرقيين ولهم أسبابهم الدينية، أو من الفرنسيين الأصليين ممّن تلقّوا

١- الافرنج: وتعني الرجل الفرنسي، أو بمعنى أوسع الرجل اللاتيني، ولأن الفرنسيين تميزوا بشكل خاص بين الأوروبيين الآخرين ممن حملوا السلاح في الحروب المقدسة. وامتدت كلمة الافرنج لتشمل جميع الامم الاوروبية. راسل، تاريخ حلب ،مج٢، ص٢٦١.

٢- مندوب : القاصد الرسولي عند الكاثوليك،وهو مندوب البابا في دولة من الدول. الاسدي، موسوعة حلب،ص١٦٢.

٣- وديع قسطون، **الإفرنج في حلب في القرن الثامن عشر** ، مطبعة الضاد ، حلب، ١٩٦٩ ،ص٣٣.

٤- قسطون، الإفرنج، ص ٢٨.

٥- سجل حلب أوامر سلطانية رقم ١١، صورة ٣٣، ص ٨٨، وثيقة ١٢١، تاريخ ٦ رمضان ١١٨٧هـ/١٧٧٣م.

٦- سجل حلب أوامر سلطانية رقم ٢٣، صورة ١٠٧، ص ٨٩، وثيقة ١١٥، تاريخ ١١ صفر ١٢٠٨هـ/١٧٩٣م

٧-راسل ، تاريخ حلب ، مج٢، ص٢٥٢،٢٥٠

دروسهم في باريس ثم استانبول، ومن خلال ما ورد في أحد الأوامر السلطانية بتاريخ ١٧٧٣ فقد تمتّع المترجمون ببعض الميزات، كإعفائهم من الخراج والرسوم العقارية.. [١] .

الجالية البندقية (الونديك): تمتّعوا بميّزات تجارية كبيرة، وكان البنادقة والتوسكانيون تحت الحماية الفرنسية والبريطانية حتى العام ١٧٥٤ ،عندما عُيَن قنصل من البندقية في حلب، وكانت القنصلية في محيط المدينة القديمة(خان البنات)[٢]،وورد في أحد الأوامر السلطانية، أن سفير البنادقة المقيم بالاستانة، ويدعى بابلوس.. طالب تعيين اساق بوزونسالون، كترجمان للبنادقة لرعاية شؤونهم[٣].أما الجالية (الفلمنكية) **الهولندية** فوضعت نفسها تحت الحماية الفرنسية، وأحياناً تحت الحماية الإنكليزية. لتستطيع ممارسة عملها التجاري بحرية[٤]، وفي أحد الأوامر السلطانية التي أرسلت إلى قاضي حلب، رُفعت العريضة التي قدمها معتمد الحكومة الغيلدرلاندية وهي احدى مقاطعات هولندا " بأن قنصليتهم وتجارهم المتجولين يلاقون بعض الصعوبات والمضايقات في حلب... وجاء الأمر السلطاني بعدم إزعاجهم حسب الاتفاقيات المعقودة" [٥]، وعرف أعضاء الشركة الهولندية(VanHeemskerk,Maseyk) بتميز أداءهم في حلب، وكلفوا بإدارة القنصلية الهولندية منذ العام ١٧٦٠ [٦].

وفيما يخصّ **القنصلية الاسبانية** فورد في العام ١٧٨٩ ارسال أمر سلطاني إلى قاضي حلب، بلزوم تأمين الذمّة المتبقية لترجمان هذه القنصلية، في عهدة مأمور الجمرك عبد الرحمن

١- سجل حلب أوامر سلطانية رقم ١١ ، صورة ١٣، ص ١٣، وثيقة ١٦، تاريخ ٧ صفر ١١٨٧ه/١٧٧٣م ــ

٢ - سورمايان **تاريخ حلب** ج٢ ، ص٤١٢.

٣- سجل حلب أوامر سلطانية رقم ٧، صورة ٤٦، ص ١١٧، وثيقة ١٦٦، تاريخ أواسط ذي الحجة ١١٧٨هـــ/١٧٦٤م ، من دفتر الترجمة إلى العربية.

٤- جمهورية المقاطعات الهولندية المتحدة وعددها سبعة منها هولندا Hollande ، وزيلاندةZélande ، وفريز Frise، وغيلدرلاندا Gelderland. انظر :

Hussein I.El-Mudarris et Olivier Salmon,Les relations entre les Pays-Bas et la Syrie ottomane au XVIIe siècle Lés 400 ans du Consulat des Pays-Bas à Alep(1607-2007) P30

سجل حلب أوامر سلطانية رقم ٦،صورة ١١٢،ص١٧٥،وثيقة ٣٢٨، تاريخ أوائل ربيع الأول ١١٧٦ه/١٧٥٣مـــ من دفتر الترجمة إلى العربية.

٥- سجل حلب أوامر سلطانية رقم٧، صورة٧، ص١٤، وثيقة١٧، تاريخ أواخر جمادى الآخر ١١٧٧هـــ/١٧٦٣م من دفتر الترجمة إلى العربية.

سجل حلب أوامر سلطانية رقم ٧ ، صورة ١٩، ص٥٠، وثيقة ٧٠ ، تاريخ أواسط صفر ١١٧٨ه/١٧٦٤م من دفتر الترجمة إلى العربية

6-Hussein., Les relations entre les Pays-Bas et la Syrie ottomane.p76

سياف زادة[١]، كما وردت وثيقة حول الديون المتبقية في ذمة الصرافين (الياص – وبوخور) من الجالية الاسبانية [٢] .

وأيضاً كان **للسويد** قنصلية، وفي إحدى الوثائق نجد عريضة في العام ١٧٥٨ من سفير ملك السويد بالأستانة، بشأن ترجمان قنصليته بحلب، للحصول على(فرمان) من السلطان عثمان بمنحه امتيازات واعفاءات من الضرائب[٣]، واتضح من الوثائق، إقامة علاقات اقتصادية بين ابناء الجالية السويدية والسكان المحليين، "كقضية دين طالب بها ورثة المدعو بطرس السويدي، بذمة علي أفندي من حصة المرابحة بينهما[٤]

أما الوجود **النمساوي** فيمكن الاستدلال عليه من خلال قضايا تملّك الدور، وممارسة لتجارة والتعامل مع السكان المحليين، وورد في احدى الوثائق عن شراء ترجمان طائفة النمسا ميخائيل ولد بولص داراً في صليبة الجديدة بحلب من السيد حسن الجلبي[٥] ، وفي أحد الأوامر السلطانية نجد تأكيداً على تنفيذ بنود المعاهدة التجارية، بين الدولة العثمانية ومملكة النمسا، بخصوص الرسوم الجمركية للبضائع الواردة أو الصادرة من الدولة إلى النمسا، بحيث يجري نقلها من مكان إلى آخر، ويُدفع عنها ولمرة واحدة (٣%) رسم الجمرك، من قيمة البضاعة، كالمشروبات والمواد الغذائية واللحوم .[٦] ، ووردت قضية عن ذمة لأحد تجار النمسا: نيصر بن نيصر المترتبة على ورثة أحد سكان حلب، وهو عبارة عن قرض بمبلغ تسعين ألف غرشا[٧].

وكان **لإيطاليا** كما ورد في احدى الوثائق، تعاملات تجارية، نظّمتها قنصليتها مع تجار حلب[٨]. وأما الجالية النيوزيلاندية فقد ذّكرت من خلال أحد الأوامر السلطانية يتعلّق "بنقل ترجمان قنصلية نيوزيلاندا نيقولا ابن نعمة الله أرطين في حلب إلى أزمير وإعطائه ميزات..[٩].

١- سجل حلب أوامر سلطانية رقم ٢٠، صورة ٩٤، ص٨٦، وثيقة ١٢٠، تاريخ أواخر شوال ١٢٠٤هـ/١٧٨٩م

٢- سجل حلب أوامر سلطانية رقم ٢٥، صورة٩١، ص٦٦، وثيقة ١٢٣، تاريخ أواسط محرم ١٢١١هـ/١٧٩٦م.

٣- سجل حلب أوامر سلطانية رقم ٧، صورة ٦٢، ص ١٥٩، وثيقة ١٢٢، تاريخ ٨ ربيع الأول ١١٧٢ه/١٧٥٨م

٤-سجل حلب أوامر سلطانية رقم ٢٥، صورة ١٢٠، ص ٨٩، وثيقة ١٦٨، تاريخ أوائل صفر ١٢١٢هـ/١٧٩٧م

سجل حلب أوامر سلطانية رقم ٢٠ ، صورة ٧٠، ص ٦١، وثيقة ٨٨، تاريخ أواخر شعبان ١٢٠٤ه/١٧٨٩م

سجل حلب أوامر سلطانية رقم ٢٠ ، صورة ٧٠، ص ٦١، وثيقة ٨٨، تاريخ أواخر شعبان ١٢٠٤ه/١٧٨٩م

٥ – سجل حلب محاكم شرعية رقم ٨٧ ، صورة ٢٩٥، ٥٢ تاريخ ٢٢ ربيع الثاني ١١٧٠هـ/ ١٧٥٦م .

٦- سجل حلب أوامر سلطانية رقم ٢٨، صورة ٤٣، ص ٢٩، وثيقة ٥٩، تاريخ أواخر رجب ١٢١٤هـ/١٧٩٩م.

٧- سجل حلب أوامر سلطانية رقم ٢٥ ، صورة ٩٤، ص ٦٩، وثيقة ١٢٨، تاريخ أوائل صفر ١٢١١ه/١٧٩٦م .

٨- سجل حلب أوامر سلطانية رقم ٢٥ ، صورة ١٢١، ص ٩٠٢، وثيقة ١٦٩، تاريخ ١٨ صفر ١٢١٢ه/١٧٩٧م

٩- سجل حلب أوامر سلطانية رقم١١، صورة ٢٦، ص٣٤،وثيقة٤١،تاريخ ١٧ جمادى الثاني ١١٨٧هـ/١٧٧٣م.

٣-الرقيق:

شكّلت فئة الرقيق التي تواجدت في ولاية حلب إحدى مكوّنات البنية الاجتماعية، وقد كانوا يعملون عند العائلات الثرية يشتغلون كخدم وجواري، ويستطيع أسيادهم فعل ما يشاؤون بهم كعتقهم وتحريرهم، وكان امتلاك الرقيق دليلاً على سمو المكانة الاجتماعية التي تتميّز بها الفئات العليا[١]، وكانت فئة الرقيق تنتمي إلى بلدان الكرج (جورجيا)، واورنس وسيركاسيا(بلاد القوقاز من قبائل الشركس)، وهم من البشرة البيضاء وأغلبهم مسيحيون، وقد قام تجار الرقيق بشرائهم من بلدانهم ونقلهم إلى أنحاء مختلفة في السلطنة، وجُلب بعضهم إلى حلب في كل سنة من أرضروم مباشرة، ومنهم من جاء من العجم (بلاد فارس)،أو كأسرى حرب نتيجة حروب الدولة العثمانية مع روسيا القيصرية، أو خلال الحروب الألمانية أو الفارسية السابقة ، ومنهم من العبيد السود والزنوج الذين جلبوا بأعداد كبيرة من الحبشة وافريقيا عن طريق مصر[٢].

ولم تذكر الوثائق الاسم الأصلي للخدم أو العبيد، إنما ذكرت اسمهم الذي أطلق عليهم بعد جلبهم، ونسبهم المستحدث مثل (المملوك علي بن عبد الله) والسبب هو الجهل لأسماء آبائهم وأيضاً كانت الوثائق تحدد وضعهم القانوني بالقول: المعترف بالرق أو الرقيق الأصل، أو عيسى ولد معتوق (ابوه محرراً)، وكان يتم شراء وبيع الرقيق بأسعار مختلفة تبعاً للعمر ولون البشرة والحالة الصحية، وكان الرقيق والجواري يُقدمون من قبل الأعيان والعائلات الثرية لبعضهم البعض

ومن قضايا البيع والشراء للرقيق ذكرت إحدى الوثائق: " حضر بمجلس الشرع الشريف المدعو السيد حيدر الديار بكري الوكيل من قبل الحاج صالح ..واحضر معه الجارية الكورجية الأصل تينا اليهودية، المعترفة بالرق للحاج صالح ، وأقر الموكل بأن الجارية قد تمّ بيعها للخواجه ابراهام اليهودي الافرنجي، من افرنج طائفة الونديك بثمن(٨٥٠غرشاً) منها (١٣٠ غرشاً) دراهم نقدية، والباقي قيمة جوخ انكليزي، وتمّ البيع بينهما وعرض الحاكم الشرعي على الجارية تينا الاسلام، فأبت وأصرت على كفرها وضلالها..."[٣]. ومن القضايا التي ذُكرت : قضية شراء يوصف النصراني ترجمان الافرنج الفرنساوية من السيد مصطفى جلبي، الجارية الكورجية

١- ماركوس، الشرق الأوسط، ص٦٦

٢- راسل، تاريخ حلب ، مج١،ص١٦٥-١٦٦

٣- سجل حلب محاكم شرعية رقم ١٠٥، صورة ١٠، وثيقة ص١٢، تاريخ٢٦ جمادى الآخر ١١٨٦هـ/١٧٧٢م.

النصرانية المدعوة مرتا بثمن قدره (٧٠٠ غرش) سلطانية .."[١] إضافة إلى قضية شراء جارية كورجية مسلمة بثمن قدره (١٨٥ غرشاً).."[٢] .

كانت هناك فوارق كبيرة بين الرقيق أنفسهم، فكان العبيد السود مخصصين للأعمال المنزلية الوضيعة ، أما الخدم البيض، فقد عملوا على شكل محظيات أو غلمان، ومنهم من عاش ضمن عائلة سيدهم، وتمتّعوا بالرعاية والتعليم، ورعاية الأعمال التجارية لأسيادهم، وكان الأسياد يورّثون بطريق الارث الشرعي، إلى ابنائهم تركاتهم من الرقيق والمماليك والجواري، كما يورث أي تركة أخرى كالدور والأراضي[٣] .

واستطاع العديد من الرقيق أن يكون انساناً فاعلاً في محيطه، لدرجة أن بعضهم ترك آثاراً اجتماعية ايجابية على أسيادهم ، مما دفع بهؤلاء كنوع من الاعتراف بالجميل، إلى عتق الرقيق الذي يملكه أو تحريره، ومن قضايا عتق الرقيق، ذكرت إحدى الوثائق حول مكافأة معلّم حرفة لخادمه، وذلك بتحريره بقصد الأجر والثواب: "إن الحاج علي بن المعلم الدباغ من محلة بحسيتا عتق وحرّر جميع مملوكه الأبيض الأورنس الجنس المدعو ليون طلباً للأجر والثواب.."[٤] . وأيضاً وثيقة تفيد بعتق مملوك اختار المسيحية ديانته:"حضر قازانر ولده قره كوز النصراني الأرمني، من سكان عرب كير، وقد عتق وحرّر مملوكه في سن(١٣) العجمي الأصيل الأبيض اللون .. وأصبح حراً كسائر الأحرار من طائفة الأرمن"[٥]. وكان تحرر الرقيق بطريقة العتق بالمكاتبة، وهي منح الحرية للرقيق، مقابل مبلغ من المال، على أن يؤديه الرقيق مقسّطاً، فإن أدّاه فهو حرّ، وبعدها لا يجيز استرقاق الانسان الحر حتى لو بإرادته [٦]، وهذا ما أشارت إليه إحدى الوثائق بعدم أحقية بيع رقيقة معتوقة، لان الحر لا يملّك."[٧].

وأيضاً من وسائل تحرير الرقيق، هو العتق لأمّ الولد: فإن الأمَة أو الجارية ملك يمين[٨]لمالكها، لا يجوز لغيره أن يدخل عليها، ويجوز للسيد معاشرتها معاشرة

١- سجل حلب محاكم شرعية رقم ١٠٥ ، صورة ٧٢، وثيقة صض١٣٩، تاريخ ٢٤ رجب ١١٨٦هـ/١٧٧٢م.

٢- سجل حلب محاكم شرعية رقم ٨٥ صورة٨٩، وثيقة ص١٧٤ تاريخ ٧ جمادى الأولى ١١٦٨هـ/١٧٥٤م.

٣- ماركوس، الشرق الأوسط ، ص٦٦

٤- سجل حلب محاكم شرعية رقم ٨١، صورة ٥٨، ص ١١٠، تاريخ ٧ ذي الحجة سنة ١١٦٥هـ/١٧٥١م.

٥- سجل حلب محاكم شرعية رقم ٨٠ ، صورة ١٥، وثيقة ص ٢٣ تاريخ ١٤ رجب ١١٦٥هـ/١٧٥١م.

٦ - عبد الله ناصح عطوان ،**الرق في الاسلام**، ط٥ ، دار السلام للطباعة ٢٠٠٤ ، ص٥٤

٧ - سجل حلب محاكم شرعية رقم ٨٥ صورة٤، وثيقة ص٥ تاريخ ١٣ رجب ١١٦٧هـ/١٧٥٣م.

٨- ملك يمين : ويقصد بأن السيد لا يحتاج إلى عقد زواج من جاريته لأنه يعتمد على وثيقة ملك الرقبة.

الزوجات، وان ولدت له ولداً يحرّم على سيدها أن يبيعها، فيعتقها وتصبح حرة بعد مماته، ويحرر معها ولدها[١] ومن الوثائق التي أشارت إلى ذلك ما ذكر حول " حضور الرجل المدعو عبد القادر الحاج من أهالي محلة البساتنة بحلب، وأحضر معه أم ولده الزنجية حليمة بنت عبد الله .. وانه كان استولدها، وحصل على ولد منها ومات بإدلب بأمر الله ، وعزم على عتقها لوجه الله عملاً بقول سيد المرسلين وخاتم النبيين (ص) في حديثه : من أعتق رقبة مؤمنة أعتق الله بكل عضو منها عضواً منه من النار .صدق رسول الله، وصارت حليمة حرّة كسائر المسلمين.."[٢] .

كما وردت قضية حول مطالبة إحدى المعتوقات بتثبيت زواجها الشرعي من مالكها السابق تقول: " ادّعت المرأة مريم بنت عبدالله الرقيقة الأصل، بمواجهة محمد أمين الاسلامبولي المقيم في حلب وقالت أن المدعى عليه كان اشتراني من مالكي بثمن معلوم، ثم وهبني لإبنه اسماعيل الغائب عن هذه البلدة، وملّكه اياي وولدت منه أولاداً ثلاثة، ثم بعد ذلك عتقني وحررني وزوّجني من غيره، بمدينة لاذقية العرب وأقمت معه(غير اسماعيل) ثم أنه أباننني (طلاق ببينونة)ولم بيق لي ما يؤويني، وأطلب من المدعى عليه أن يعقد نكاحي على ابن المدعى عليه الغايب اسماعيل ، فأعلم الحاكم الشرعي المدعية بأن دعواها لا تسمع شرعاً وعقد النكاح منوط برضى الغايب.."[٣].

وفي حالات كثيرة توطدت العلاقة بين الرقيق وبين سيدّه، حتى بعد تحريره، ودخل بعضهم إلى عالم الأحرار، متزودين بخبرات عملية وتجارية كبيرة، فامتلكوا الثروات كالدور والأراضي وانتقلت لأولادهم بالإرث الشرعي، وهناك العديد من الوثائق التي أشارت إلى تملّكهم الأراضي: " فقد تملك علي بن عبدالله الزنجي، جميع قطعة الأرض في محلة المغاير ظاهر حلب وقد أوقفها على نفسه وعلى أولاده وذريته، ومن بعدهم على زوجته الزنجية، وعلى ابن معتقه عبدالله جورباجي مناصفة.."[٤].وكما يبدو من الوثيقة فإن العبد المعتوق أراد شكر سيده الذي حرره فأوصى بوقف أرضه لـ ابن سيده السابق، عرفاناً بالجميل.

وهناك حالات مغايرة، بين الأسياد ومن أعتقوهم، فأحياناً كان يلجأ البعض من أسرة المعتوق، ليأخذ حقه من السيد مهما كانت مرتبته الاجتماعية، وهذا ما قام به: "خليل جلبي ابن

١- عطوان، الرق ، ص٦٣.

٢- سجل حلب محاكم شرعية رقم ٨٧ صورة ٧٢، وثيقة ص١٣٢ تاريخ ١ جمادى الآخر ١١٧٠هـ/١٧٥٦م.

٣- سجل حلب محاكم شرعية رقم ١٠٥، صورة٦٤، وثيقة ص١٢٢، تاريخ ٥ جمادى الآخر ١١٨٦هـ/١٧٧٢م.

٤- سجل حلب محاكم شرعية رقم ٨٥ صورة٢٩، وثيقة ص٥٤ تاريخ ٨ رمضان ١١٦٧هـ/١٧٥٣م.

محمد، واعترف بطوعه بمواجهة معتق جدة المدعو مصطفى بن عبدالله ، وان له في ذمته (١١٠ غروش) وأبرأ ذمته تحاسبا معاً محاسبة خالية من الغلط .."[١]

وبدوره المعتوق عندما أصبح حراً كسائر الأحرار، فقد أعطى لنفسه الحق في تملّك الرقيق بيعاً وشراءً وتركة ، وأشارت وثيقة بهذا الخصوص، حول مطالبة معتوق بإرث عمّه المتوفى والميراث هو مملوك عجمي أبيض:" ادعى علي بن عبدالله من أهالي قرية قارون بمواجهة السيد حسن بن قاسم وقال أن عمه علي الدالي باش دفع وسلّم من ٤ سنوات للسيد حسن مملوكه العجمي المسلم وعمره(٨٠ سنة) بطريق الامانة ليحفظه وبعد موت عمّه طالب بإرثه وتسليم المملوك .. ثم لما أضرب المدعي عن قوله، ان اسم أبيه عبدالله إلى عدم العلم وقال: إني لا أعرف اسم أبي ولا اسم المتوفي الذي هو جدي ، حينئذ أعلن الحاكم إن دعواه دون اسم معرفة الاسماء، بالارتفاع إلى اسم الجد غير صحيح شرعياً، ولا يجوز التعرض للمدعى عليه .."[٢].

ثانياً- الواقع الاجتماعي :

من خلال دراسة الوثائق يمكن تصنيف المجتمع إلى ثلاث فئات اجتماعية عليا ووسطى ودنيا، غير أن التداخل بين هذه الفئات كان قوياً بسبب العلاقة الاجتماعية التي ربطت بينها، كما أن كل فئة من هذه الفئات ضمت داخلها من كل أطياف المجتمع سواء منهم رجال السياسة أو الدين والعلم أو الاقتصاد. فالفئة العليا امتلكت المكانة الاجتماعية العالية في المراكز الحكومية والدينية والعسكرية والمدنية، كالوالي والمحصل والقاضي والمفتي ونقيب الأشراف وكبار رجال الحكم والإدارة والماليين والعسكريين والأفندية وموظفو الوظائف الدينية في المساجد كالأئمة والمؤذنين ومشايخ الطرق الصوفية والمدرسين[٣] وأعيان المدن والريف ورئيس المجلس العشائري في البادية، وشيوخ ونقباء التنظيمات الحرفية والاقطاعيون وكبار التجار. أما الفئة الوسطى فقد ضمت معلمو الحرف والصناع ومتوسطو التجار وصغار الملاكين. وأما الفئة الدنيا فتكونت من عامة الشعب مثل الأجراء وصغار الكسبة من الفلاحين والبائعين والخدم والرقيق وغيرهم .

١- سجل حلب محاكم شرعية رقم ٩٨ صورة ٤، وثيقة ص ٣ تاريخ ١٤ ربيع الثاني ١١٧٨هـ/١٧٦٤م.

٢- سجل حلب محاكم شرعية رقم ٨٥ صورة٢٩، وثيقة ص٥٢ تاريخ ٥ شوال ١١٦٧هـ/١٧٥٣م

٣ - سيرد الحديث عن مشايخ الطرق الصوفية والمدرسين في الفصل الثالث

١- الفئة العليا :

برزت سمات خاصة أعطت بعض فئات المجتمع منزلة عالية ومكانة رفيعة، واعترفت الحكومة بمكانتهم العالية، واعطتهم ميّزات خاصة بناء عليها كإعفائهم من الضرائب والالتزامات[١]، ومنحهم ألقاباً فخرية وشرفية، وقد اعتبرت هذه الألقاب رمزاً للاحترام، وتم توارثها من جيل لآخر، وعبّرت عنها وثائق المحاكم الشرعية : مثل "خادم السجادة الأحمدية وماحي البدعة الردية حامي الملة الاسلامية "[٢]،" أفندي" [٣]، "بيك"[٤]،" ابن الأماجد[٥]، "الآغا"[٦] فخر التجار المعتبرين" [٧]. وهم أفراد الفئة العليا الملزمة بخدمة الدولة، وكوفئت هذه الفئة على ذلك من مختلف الواردات الحكومية [٨] .

أ-الوالي : اعتبر الوالي نائب السلطان في الولاية وهو بمرتبة وزير، وكان يلقب بالباشا ويتمّ تعيينه بموجب (فرمان) من السلطان، ويغلب على باشوات حلب أنهم من كبار الوزراء

١- ماركوس، الشرق الأوسط، ص٧١

٢- يطلق هذا اللقب على القضاة رؤساء المحاكم الشرعية انظر سجل حلب رقم ٨١، صورة ٦٦، ص ١٢٦ تاريخ ٢٧ ذي الحجة سنة ١١٦٥هـ/١٧٥١م.

٣-أفندي: كلمة رومية بيزنطية انتقلت إلى التركية منذ عهد السلاجقة واستخدمها العثمانيين للدلالة على المثقف وعلى كبار رجال الدولة وعلى الضباط من رتبة ملازم حتى البكباشي، وقد استعملت لقباً للوظائف الدينية والإدارية ورجال الشريعة والعلماء. صابان، معجم المصطلحات ، ص٣٤. سجل حلب محاكم شرعية رقم ١٠٨ صورة ٤٥، ص ٨٣، تاريخ ١٤ جمادى الآخر سنة ١١٩٣هـ/١٧٧٩م. مصطفى بركات، **الألقاب والوظائف العثمانية** (١٥١٧-١٩٢٤)، دار غريب، القاهرة، ٢٠٠٠، ص١٥١.

٤-بيك: منح لشخصيات عديدة يشغل بعضها مناصب ادارية ،وهو لقب فخري رسمي يقتضي مكانة الشخص في المجتمع، بركات، الألقاب، ص٣٢٢، انظر:سجل حلب محاكم شرعية رقم ١٠٧ صورة ٤٠، وثيقة ص٧٠ تاريخ ١٩ رجب ١١٨٥هـ/١٧٧١م.

٥- -ابن الأماجد: وهو نيل الشرف والكرامة ولا يكون إلا بالآباء وكرمهم. بركات، الألقاب والوظائف العثمانية، ص١٥٠

٦ -آغا: مصطلح فارسي ويعني السيد، استخدمه الاتراك للضباط الأميين من الانكشارية كما أطلق على الانسان صاحب المكانة العالية، وأطلق على شيوخ الأكراد وكبارهم، وعلى مالك الأرض. صابان المعجم الموسوعي،ص١٥-١٦ .بركات ، الألقاب والوظائف العثمانية، ص ١٧٣. وانظر سجل حلب محاكم شرعية رقم ٨١، صورة ١٤، ص ٢٣، تاريخ ١٦ جمادى الأولى سنة ١١٦٥هـ/١٧٥١م.

٧- سجل حلب محاكم شرعية رقم ٨١، صورة ٢٠، ص ٣٤، تاريخ ١ جمادى الآخر سنة ١١٦٥هـ/١٧٥١م.

٨ - ايرينا سميليا نسكايا ، **البنى الاقتصادية والاجتماعية في المشرق العربي على مشارف العصر الحديث**، ط١ نقله إلى العربية يوسف عطا الله ، تقديم مسعود ضاهر ، دار الفارابي ، بيروت ،١٩٨٩ .ص٢٣٢.

ذوي الثلاث الأطواغ[١]، وارتبطت مدة حكم الوالي بإرادة من عينه ، إلا أن هناك ولاة لم يستمرّ حكمهم أشهراً بسبب العزل أو النقل أو الوفاة ، لكن ذلك لا يعني أنه فقد مرتبته الاجتماعية التي حاز عليها، وخاصة إذا لم تكن السلطة في استانبول غاضبة عليه، وشغل وظيفة الوالي أعيان من المقاطعات من أصول تركية وعربية في الوقت نفسه، وكان الاختيار في معظم الأحيان يعود إلى ما يملكونه من ثروة، وقدرتهم على دفع الرشاوى مقابل توليهم منصب الوالي، وبعد صدور القانون عام ١٧٢٦ فقد سمح بتعيين الأعيان المحليين في منصب الوالي[٢]، ففي العام ١٧٩٩ عدّ ابراهيم آغا قطار آغاسي أول حلبي عُين والياً على حلب وكان من كبار الاعيان ومن نخبة الملتزمين[٣].

ولم يكن للوالي أي أجر يتقاضاه من الدولة، إنما كان يحصّله من العوائد المالية لولايته ففي نهاية القرن الثامن عشر بلغت العوائد المالية للوالي(٨٠ ألف قرش) وذلك بالطرق القانونية الشرعية، إلى جانب اقطاعه الخاص الذي منحته إياه الحكومة، ليكون مصدر رزقه[٤].

ومن المهام التي ألقيت على كاهل الوالي ترأسه للديوان وهو مجلس إدارة الولاية، وكان يتألف من المحصل والقاضي والمفتي ونقيب الاشراف والسردار و كبار الضباط والأفندية ونقيب التجار والموظفين والعلماء وأعيان البلد[٥]. وأشرف الوالي أيضاً على جمع الضرائب، واعطاء الأوامر بالسجن الفوري والاعدام المباشر وفرض الغرامات، وحفظ الأمن في الولاية ومحاربة الخارجين عن الدولة، وارسال من يلزم من سكان الولاية إلى الجبهات[٦]، واذا توفي الوالي وهو على رأس عمله، كان يحجز على أمواله المنقولة فقط، ويقوم متسلم حلب بجمعها وتسليمها

١-أطواغ : مفردها طوغ أو توغ : من التركية عن الفارسية ، وتعني ذيل الحصان ، وكانوا يعلقونه بالراية علامة للتكريم، فحكام السناجق كانوا يرفعون طوغاً واحداً، ويحق لبك البكوات رفع طوغين ، أما راية الوالي ذات الثلاثة أطواغ للدلالة على أنها ارقى الرايات. الأسدي، موسوعة حلب، ص ٤٤٥. راسل، تاريخ حلب ،مج١، ص١٨٩

٢- فرضت القوى المحلية سيطرتها على الولايات العربية على امتداد القرن الثامن عشر حيث حكم آل العظم ولاية دمشق ، والأشراف ولاية حلب (رغم صراعهم مع الانكشارية)، والمماليك في بغداد ومصر وآل الجليلي في الموصل، وظاهر العمر الزيداني في صفد، أما في ليبيا فقد حكمت الأسرة القرمنلية ، وفي تونس الأسرة الحسينية. عبد الكريم رافق، **العرب والعثمانيون**(١٥١٦-١٩١٦)، ط٢، مطابع ألف باء- الأديب ، دمشق،١٩٩٣، ص٢٣١. نسكايا، البنى الاقتصادية ، ص٤٣٤.

٣-ماركوس، الشرق الأوسط، ص١٠٠

٤ -قسطون، الإفرنج، ص١٦٥

٥- قسطون، الإفرنج، ص١٨١.

٦- ماركوس، الشرق الأوسط، ص٩٨

للسلطان، ومن الأمثلة على ذلك الأمر السلطاني الذي أرسل في العام ١٧٦٠ المتضمن فرمان السلطان العثماني إلى محصل حلب بالاستيلاء على أموال الوزير الوالي عبد الله باشا المتوفى وهي: " ثلاثة صناديق سرية مليئة بالمجوهرات والحلي الذهبية وأموال، وقام المحصل بتسليمها إلى السلطان بكل دقة .."[١] . أما عن الأموال غير المنقولة، كالجوامع والقصور والاسواق، فكانت توضع مسبقاً بعيدة عن يد السلطان من خلال وقف بعضها على أعمال البرّ، أو على شكل أوقاف ذرية لأولاده من بعده [٢].

كثرت المظالم واشتد الجور من قبل بعض الولاة وحاشيتهم، ومنها ما حصل في العام ١٧٥٠ عندما اشتدّ الغلاء، وقام الحلبيون ببعض الانتفاضات ليؤكدوا تمرّدهم على مظالم الوالي أسعد باشا العظم ، مما فرض على المركز في استانبول نقله كوالٍ على صيدا، وولّى مكانه أحمد باشا في العام ١٧٥١، والذي عرفت ولايته بالظلم والجور، مما دفع الحلبيون لإرسال شكوى إلى الدولة ضدّه لعُزله. وأثناء ولاية محمد باشا العظم عرف عنه أبطال "بدعة الدومان وهو اسم لمال يقوم باستدانته كبار حرفيي الجزارين من بعض الناس بأضعاف من الربا، ويتم ردّه ببيع اللحم بأغلى ثمن، وتؤخذ الجلود والرؤوس والكبد، بأرخص ثمن من فقراء الجزارين قهراً وجبراً، فقام الوالي بالقبض على رئيسهم وقتله وانهاء البدعة"[٣]. والجدول التالي يذكر الولاة الذين تسلموا منصب الولاية ، وتاريخ ولايته، وأهمّ ما اتسم به حكم كل والٍ:

ولاة حلب في النصف الثاني من القرن الثامن عشر			
الوالي	تاريخ ولايته	المصدر	ملاحظات
سعد الدين باشا العظم	١١٦٤هـ/ ١٧٥٠م	الغزي ج٣ص٢٩٩	
أحمد باشا	١١٦٥ هـ/١٧٥١م	سجل حلب محاكم شرعية رقم ٨٠ ،صورة ٣٠،ص٥٤،تاريخ ١١٦٥	
صارى عبد الرحمن	١١٦٥ هـ/١٧٥١م	الغزي،ج٣، ص٢٩٩	
احمد باشا	١١٦٥ هـ/١٧٥١م	محمد راغب الطباخ، **أعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء**، صححه وعلق عليه محمد كمال سبعة أجزاء،ط٢، دار القلم العربي ، ١٩٨٨م ج٣، ص٢٦٧	

١- سجل حلب أوامر سلطانية رقم ٦ ، صورة٤ ص ٢ ، وثيقة ٤، تاريخ ١٢ شعبان ١١٧٥هـ/١٧٦١م.

٢- قسطون، الافرنج ، ص١٦٩.

٣- أبي الفضل السيد محمد خليل أفندي المرادي، **سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر** ، أربعة أجزاء ، ط٣، دار البشائر الاسلامية ، دار ابن حزم، ١٩٨٨ ،ج٤، ص٩٧.

عبد الله باشا	١١٦٦ هـ/١٧٥٢م	الغزي،ج٣، ص٣٠٠	
راغب باشا	١١٦٨ هـ/١٧٥٤م	الطباخ ج٣، ص٢٦٨	مؤلف كتاب سفينة العلوم
أسعد باشا	١١٧٠ هـ/١٧٥٦م	الغزي،ج٣، ص٣٠٠	
عبدي باشا	١١٧٠ هـ/١٧٥٦م	الطباخ ج٣، ص٢٧٠	
علي باشا	١١٧٠ هـ/١٧٥٦م	الغزي،ج٣، ص٣٠١	
حسين باشا	١١٧١ هـ/١٧٥٧م	الطباخ ج٣، ص٢٧١	غلاء شديد في عهده
محمد باشا	١١٧١ هـ/١٧٥٧م	الغزي،ج٣، ص٣٠١	
عبد الله ياشا جنجي	١١٧٢ هـ/١٧٥٨م	الطباخ ج٣، ص٢٧٢	
مصطفى باشا	١١٧٢ هـ/١٧٥٨م	الغزي،ج٣، ص٣٠٢	
عبد الله باشا فراري	١١٧٣ هـ/١٧٥٩م	سجل حلب أوامر ٦ ، صورة٤ ص٢،تاريخ ١١٧٤هـ/١٧٦٠م	الاستيلاء على أمواله
بكر باشا	١١٧٤ هـ/١٧٦٠م	سجل حلب أوامر ٦ ، صورة٧ ص٨، تاريخ ١١٧٤هـ/١٧٦٠م	
مصطفى باشا	١١٧٥ هـ/١٧٦١م	سجل حلب أوامر ٦، صورة٣٠ص٥١، ١١٧٥هـ/١٧٦١م	امر تعيينه
محمد باشا العظم	١١٧٧ هـ/١٧٦٣م	سجل حلب أوامر ٧ ، صورة٩ ، ص٢٢ ، وثيقة ٢٨، تاريخ ١١٧٧هـ/١٧٦٣م.	أمر بملاحقة اشقياء اللوندات
محمد باشا الوزير	١١٧٨ هـ/١٧٦٤م	الطباخ ، ج٣، ص٢٧٨	غلاء مفرط في حلب
علي باشا	شوال ١١٨٠هـ/١٧٦٦م	سجل حلب أوامر ٧ ، صورة٧٢ ، ص١٨٦، تاريخ ١١٨٠هـ/١٧٦٦م.	تحصيل الجزية من الذميين
حمزة باشا	ذي القعدة ١١٨٠هـ/ ١٧٦٦	سجل حلب أوامر ٨ ، صورة ١٤، ص ٩ ، تاريخ ١١٨١هـ/١٧٦٧م	ارسال سجلات إلى الباب العالي
محمد أمين باشا	١١٨١هـ/١٧٦٧م	سجل حلب **أوامر** رقم ٨ ، صورة ٢٣، ص ٢٢ ، ١١٨١هـ/١٧٦٧م	التوجيه بتكليف رئيس الحجاب متسلماً لحلب
رجب باشا	١١٨٢ هـ/١٧٦٨م	مارس الفاحشه مع ١٥ جارية، الغزي ، ص٣٠٦	ربما لم تذكره الوثائق لهذا السبب
محمد أحمد باشا	١١٨٣ هـ/١٧٦٩م	الغزي ، ص٣٠٦، الطباخ ، ج٣، ص٢٨٠	لم تذكره الوثائق
عبد الرحمن باشا	١١٨٤ هـ/١٧٧٠م	سجل حلب **أوامر** رقم ٩ ، صورة ٢١، ص٣٠ ، تاريخ ١١٨٤هـ/١٧٧٠م	تأمين لوازم الجيش السلطاني
حسين باشا	١١٨٥ هـ/١٧٧١م	سجل حلب **أوامر** رقم ١٠ ، صورة ٦٠، ص٧٣، تاريخ ١١٨٦هـ/١٧٧٢م	استنفار الاسطول في البحر المتوسط
عثمان باشا	١١٨٦ هـ/١٧٧٢م	سجل حلب **أوامر** رقم ١١ ، صورة ٤، ص ١، تاريخ ١١٨٧ه/١٧٧٢م	ملاحقة المتولي رستم زادة لدفع مبلغ ٦٥٠٠غرشاً
محمد باشا	١١٨٧ هـ/١٧٧٣م	سجل حلب **أوامر** رقم ١٢ ، صورة ٣٥، ص ٤٦، تاريخ ١١٨٨ه/١٧٧٤م	استقبال السلطان في حلب

جطه لجي علي باشا	١١٨٩ هـ/١٧٧٥م	الطباخ ،ج٣،ص٢٨١	أظهر الجور على الناس
عزت باشا	١١٩٠ هـ/١٧٧٦م	سجل حلب **أوامر** رقم ١٢ ، صورة ١٧٨، ص٢٢٧، تاريخ ١١٩٠ه/١٧٧٦م	تصديق على تعيين قائمقام حلب
اسماعيل باشا	١١٩٢ هـ/١٧٧٨م	سجل حلب **أوامر** رقم ١٥ ، صورة ٧، ص ١٣ تاريخ ١١٩٣هـ/١٧٧٩م	لم يذكره الغزي
مراد باشا	١١٩٣ هـ/١٧٧٩م	الغزي ، ص٣٠٧	لم تذكره الوثائق والطباخ
عبدي باشا الكبير	١١٩٣ هـ/١٧٧٩م	الغزي، سجل حلب **أوامر** رقم ١٦ ، صورة ١٩٢، ص ٢٧٦ تاريخ ١١٩٧هـ/١٧٨٢م	بعد عزله من حلب قبض ثمن الاغنام العائدة له
يوسف باشا	١١٩٥ هـ/١٧٨٠م	سجل حلب **أوامر** رقم ١٦ ، صورة ٤٠، ص ٥٦ تاريخ ١١٩٥هـ/١٧٨٠م	
ابراهيم باشا	١١٩٦ هـ/١٧٨١م	الغزي ، ص٣٠٨ لطباخ، ص	لم تذكره الوثائق
علي باشا	١١٩٦ هـ/١٧٨١مم	سجل حلب **أوامر** رقم ١٦ ، صورة١٥٧، ص٢٢٧ تاريخ ١١٩٧هـ/١٧٨٢م	التوجيه بتنصيب متسلماً لحلب
مصطفى باشا	١١٩٧ هـ/١٧٨٢م	سجل حلب **أوامر** رقم ١٧ ، صورة ٧، ص ٤ تاريخ ١١٩٧هـ/١٧٨٢م	تسليم رواتب للموظفين
عبدي باشا	١١٩٨ هـ/١٧٨٣م	سجل حلب **أوامر** رقم ١٧ ، صورة ٩٢، ص ١١٤ تاريخ ١١٩٨هـ/١٧٨٣م Volny,p142	تحصيل أموال.
أحمد باشا	١١٩٨ هـ/١٧٨٣م	الغزي، ج٣،ص٣٠٨	لم تذكرهما الوثائق
شاهين علي باشا	١١٩٩ هـ/١٧٨٤م		
مصطفى باشا	١١٩٩ هـ/١٧٨٤م	سجل حلب **أوامر** رقم ١٨ ، صورة ٧٥، ص٨٢ تاريخ ١٢٠٠ هـ/١٧٨٥م	تحصيل أموال.
بطال حسين باشا	١٢٠٠ هـ/١٧٨٥م	الغزي، ص٣٠٨	لم تذكره الوثائق
عثمان باشا	١٢٠١ هـ/١٧٨٦م	سجل حلب **أوامر** رقم ١٩ ، صورة ٢٥، ص٢٨ تاريخ ١٢٠١ هـ/١٧٨٦م	
عبد الله باشا	١٢٠٢ هـ/١٧٨٧م	سجل حلب رقم ١٩ أوامر ، صورة ٥٦، ص٧٢ تاريخ ١٢٠٢ هـ/١٧٨٧م	تحصيل ذمم مالية
مصطفى باشا	١٢٠٤ هـ/١٧٨٩م	سجل حلب **أوامر** رقم ٢٠ ، صورة ٧٨، ص٦٩ تاريخ ١٢٠٢ هـ/١٧٨٧م	اعادة تكليفه بالولاية
كوسه مصطفى باشا	١٢٠٤ هـ/١٧٨٩م	الغزي، ص٣٠٩	لم تذكره الوثائق
سليمان باشا	١٢٠٥ هـ/١٧٩٠م	سجل حلب **أوامر** رقم ٢٠ ، صورة ١٠٢، ص٩٤ تاريخ ١٢٠٥ هـ/١٧٩٠م	ابلاغ المواطنين بتعيين متسلم حلب.

مصطفى باشا	١٢٠٦ هـ/١٧٩١م	سجل حلب **أوامر** رقم ٢٣ ، صورة ١٩، ص١٣ تاريخ ١٢٠٦ هـ/١٧٩١م	عين والي حلب والرقة معاً ولم يذكره الغزي بهذا التاريخ
عثمان باشا	١٢٠٦ هـ/١٧٩١م	سجل حلب **أوامر** رقم ٢٣ ، صورة ٥٤، ص٤٣ تاريخ ١٢٠٧ هـ/١٧٩٢م	تنبيه قناصل النصارى بالتعليمات فيما يخص العقارات
عبد الله باشا العظم	١٢٠٨ هـ/١٧٩٣م	سجل حلب **أوامر** رقم ٢٤ ، صورة ٨٩، ص١٢٦، تاريخ ١٢٠٩هـ/١٧٩٤م	توزيع الامدادات الحضرية
فيضي باشا	١٢٠٨ هـ/١٧٩٣م	سجل حلب **أوامر** رقم ٢٤ ، صورة ٧، ص٣، تاريخ ١٢٠٨هـ/١٧٩٣م الغزي، ص٣١١	استيفاء الاموال الميرية بعد وفاته
محمد شريف باشا	١٢١١ هـ/١٧٩٦م	سجل حلب **أوامر** رقم ٢٥ ، صورة ٣٩، ص٢٨ تاريخ ١٢١١ هـ/١٧٩٦م	التوجيه بتعيين قائمقام لنقيب الاشراف
محمد حقي باشا	١٢١١ هـ/١٧٩٦م	سجل حلب **أوامر** رقم ٢٥ ، صورة ١١٢، ص٨٣ تاريخ ١٢١١ هـ/١٧٩٦م	التوجيه بتعيين متسلم لحلب
حسن باشا	١٢١٢ هـ/١٧٩٧م	سجل حلب **أوامر** رقم ٢٥ ، صورة ١٣٤، ص٩٩ تاريخ ١٢١٢ هـ/١٧٩٧م	التوجيه بتعيين قائمقام لحلب
ابراهيم باشا	١٢١٤ هـ/١٧٩٩م	سجل حلب **أوامر** رقم ٢٨ ، صورة ٣،ص١، تاريخ ١٢١٤هـ/١٧٩٩م	استضافة رجال السلطان في انطاكية

ومن خلال الجداول السابقة تبين أن عدد الولاة الذين حكموا حلب من عام ١٧٥٠ حتى عام ١٨٠٠ بلغ ٥٤ والياً، وهذا دليل اضطراب سياسي كبير، وعدم استقرار الولاية[١] .

ب- المتسلم: هو الشخص الذي يقوم بمهام الحكم عند غياب الوالي للمشاركة في الحروب أو السفر ، ويعين في منصبه بعد اقتراح اسمه من الوالي إلى الديوان الهمايوني في استانبول، ويجري تعيينه لمدة عام في الغالب، ومن الممكن أن يعزل من وظيفته قبل ذلك، وفي العام ١٧٦٧ ورد أحد الأوامر السلطانية "بتوقيع والي حلب محمد أمين باشا إلى القضاة ونوابهم والأعيان بتعيين رئيس الحجاب في استانبول الحاج محمد آغا متسلماً لولاية حلب للإشراف على تحصيل الأموال الأميرية من رسوم عقارية أو جزية وخلافه "[٢]، لكن غالباً ما يتم اختياره من أعيان البلد المعروفة، وفي العام ١٧٨٢ أشار أمر سلطاني آخر مفاده " نظراً لقيام والي حلب علي باشا بمأمورية في مقاطعة قلعة إوزي توجب تنصيب متسلم لحلب من رؤساء الآغوات (الآغا جبول أبو

١- الخوض في دراسة حلب سياسياً يحتاج بحثاً واسعاً ..وهو خارج نطاق البحث

٢- سجل حلب أوامر سلطانية رقم ٨ ، صورة ٢٣، ص ٢٢ ، ١١٨١هـ/١٧٦٧م

بكر) وهو من الاداريين المقتدرين وقبضه كافة عائداته دون اي تدخل أو تعرض للمتسلمية "[١] وأيضاً وجه امر سلطاني في العام ١٧٩٦ بتعيينً محمد متسلماً لحلب بعد اقتراحه من والي حلب محمد حقي باشا[٢]وتجاهلت سالنامات ولاية سورية منصب المتسلم ومعاون الوالي، مما يدل على أن هذه الوظيفة لم تكن ثابتة في ولاية حلب[٣]، أو ربما لقيام محصل حلب بمهامه وخاصة متابعة الشؤون المالية والمحاسبة ، والجمع بين المنصبين ودل أحد الأوامر السلطانية عن تعيين ابراهيم آغا متسلماً ومحصلاً للولاية[٤].

ج-القاضي: شكّل القاضي مع الوالي هرم السلطة، وباعتماد السلطنة للمذهب الحنفي كمذهب رسمي، أصبح القاضي الحنفي في حلب يعيّن من قبل قاضي عسكر الاناضول، وعند قدومه إلى حلب يرافقه كبار الموظفين، ولم يكن القاضي وموظفوه من السكان المحليين لحلب وكانت مهمته تتطلب أن يكون عالماً اسلامياً درس في المدارس لسنوات طويلة وحصل على رتبة السليمانية[٥]، ومن خلال وثائق المحاكم الشرعية تتضح أهمية ومكانة القاضي ومنحه الألقاب الكثيرة مثل : فخر قضاة الاسلام، عمدة العلماء الكرام، صدر المدرسين ذوي الاحترام[٦]، ومن المهام التي أوكلت إليه :تولّى رئاسة الهيئة القضائية بمجالاتها الشرعية والحقوقية والجزائية في الولاية، والاشراف على الجهاز الديني، وعلى الأوقاف والمتولين عليها، والتنظيمات الحرفية وتثبيت مشايخهم والمتكلمين عنهم[٧]، وكان مقر عمل القاضي الرئيسي العثماني الحنفي المذهب هو المحكمة الشرعية الكبرى في حلب، ويساعده نائب له يفصل في الدعاوى الصغرى، أما الدعاوى الكبرى فهي من اختصاص القاضي للفصل فيها .

ومن قضاة المحكمة الكبرى في فترة البحث: المدرس إبراهيم الداغستاني الذي كان قاضياً شرعيا في حلب، ونائبه مصطفى نافع أفندي في العام١٧٧٥ [٨] ، ومحمد راشد عبد الله زاده سنة

١- سجل حلب أوامر رقم ١٦، صورة ١٥٧، ص ٢٢٧ تاريخ ١١٩٧هـ/١٧٨٢م

٢- سجل حلب أوامر رقم ٢٥، صورة ١١٢، ص٨٣ تاريخ ١٢١١ هـ/١٧٩٦م

٣- عوض، الإدارة العثمانية في ولاية سورية ، ص٩٠.

٤- سجل حلب أوامر رقم ٢٠، صورة ١٠٢، ص٩٤ تاريخ ١٢٠٥ هـ/١٧٩٠م

٥- رتبة السليمانية :سترد لاحقاً في فصل الحياة الثقافية (الإجازات العلمية)

٦- سجل حلب أوامر سلطانية رقم ٩٨، صورة ٤، وثيقة ١، تاريخ ١٦ ربيع الآخر سنة ١١٧٨ه/١٧٦٤م.

٧- عماد عبد الغني، **السلطة في بلاد الشام في القرن الثامن عشر**،ط١، دار النفائس،بيروت، ١٩٩٣، ص١٤٤

٨- سجل حلب أوامر سلطانية رقم١٣، صورة٢٠،ص٣٥-٣٦،وثيقة ٣٥-٣٦، تاريخ ٧ شوال١١٨٩هـ/١٧٧٥م.

١٧٩٥ [١]، المدرس علي طوسيوي ونائبه محمد أفندي في سنتي ١٧٩١-١٧٩٢ [٢]. وإلى جانب قضاة المحكمة الشرعية الكبرى، قضاة آخرون في محاكم فرعية أخرى موزّعة في أنحاء الولاية وكان القاضي يعيّن عليها جماعة من العلماء الشرعيين، وهم عادة من أبناء العرب برتبة قاض (نائب) ويلقّبون بالأفندية، ومهمّتهم الحكم في الدعاوى التي يرفعها المتخاصمون الساكنون في القرى والاقضية البعيدة[٣]، ومن قضاة المحاكم الفرعية: ابو بكر أفندي نقيب زادة النائب في المحكمة الصلاحية في العام ١٧٥٦ [٤]، عبد الرحمن أفندي المولى خلافة (النائب)، ورئيس المحكمة البانقوسية في العام ١٧٥٤ [٥]، والنائب محمد صادق أفندي في العام ١٧٧٨ [٦]، والنائب القاضي محمد سعيد أفندي، ورئيس المحكمة الشافعية في العام ١٧٥٤[٧] وترفع فيها الدعاوى على أتباع المذهب الشافعي[٨]، وفي العام ١٧٧٩ جرى تعيين أحمد افندي قاضي لمحكمة الباب[٩] ولم تقتصر مهام القاضي النائب على الأعمال القضائية فحسب، بل كان عليه الاشراف على سير الإدارة ايضاً في الأقضية الأخرى، وتسمّى قضاء: كأقضية حارم وأرمناز وسلقين[١٠]، وقضاء ادلب الصغرى، والتي كان القاضي فيها عام ١٧٥١ السيد اسماعيل افندي[١١]. وفي العام ١٧٩٩ عيّن الشيخ حسن زاده قاضياً لقضاء حلب الشهباء[١٢].

كان للقضاة الدور الفعّال في اتخاذ القرارات وفي السياسة المحلية، فأسند إلى قضاة المدن الساحلية الأشراف على أعمال دوائر الجمارك في الموانئ، واتّضح ذلك في العام ١٧٨٩ من خلال

١- سجل حلب رقم أوامر سلطانية ٢٥، صورة ١٠٠، ص٧٣ ، وثيقة ١٣٧، تاريخ ١ شعبان١٢١٠هـ/١٧٩٥م

٢ - سجل حلب أوامر سلطانية رقم ٢٣، صورة ٥٣، ص٤٣-٤٤، وثيقة ٦٠-٦١، تاريخ ٢٠ شوال - ١٢٠٦ه/١٧٩١م ،. وانظر أيضاً: سجل حلب أوامر سلطانية رقم ٢٤ ، صورة ٤، ص ١، وثيقة ١، تاريخ ١٢٠٧هـ/١٧٩٢م، ص٢ .

٣- قسطون ، الافرنج، ص١٧٠

٤- سجل حلب محاكم شرعية ٨٧ صورة ٤٨، وثيقة ص ٨٦ تاريخ ٢٣ جمادى الأولى١١٧٠هـ/١٧٥٦م.

٥ - سجل حلب محاكم شرعية ٨٥ صورة ١٣٤ ، وثيقة ص٢٦٣ تاريخ ٢٨ شعبان ١١٦٨هـ/١٧٥٤م.

٦- سجل حلب محاكم شرعية رقم ١٠٨، صورة ٤٣، ص ٧٩، تاريخ ١٤ ذي القعدة سنة ١١٩٢هـ/١٧٧٨م.

٧ سجل حلب محاكم شرعية ٨٥ صورة٧٥، وثيقة ص١٤٥ تاريخ ٦ ربيع الأول ١١٦٨هـ/١٧٥٤م.

٨- سجل حلب محاكم شرعية رقم ١٠٢، صورة ٥ ، ص ٣، تاريخ ٢٦ ذي القعدة ١١٨٠هـ/١٧٦٦م.

٩ - سجل حلب أوامر سلطانية رقم ١٥ ، صورة ٣١، ص ٥٦، وثيقة ٥٠، تاريخ ١٣ رجب ١١٩٣ه/١٧٧٩م.

١٠- سجل حلب أوامر سلطانية رقم ٨ ، صورة ٩، ص ٦ ، وثيقة ٩، تاريخ ١١٨١هـ/١٧٦٧م.

١١ -سجل حلب محاكم شرعية ٨٠ ، صورة ١٩، وثيقة ص ٣١ تاريخ ٢٩ رجب ١١٦٥هـ/١٧٥١م.

١٢ -سجل حلب أوامر سلطانية رقم ٢٨ ، صورة ٢، ص ١، وثيقة ١، تاريخ ٦ شعبان ١٢١٤هـ/١٧٩٩م.

صدور أمر سلطاني إلى قاضي اللاذقية " بتأمين ايصال ثلاثة مدافع مع ذخيرتها ستصل بواسطة سفينة سترسو في ميناء اللاذقية ونقلها بواسطة البغال إلى بغداد عن طريق حلب، بعد تأمين أجورها.."[١] . ولم يكن للقاضي أي راتب يتقاضاه كمصدر لدخله، لذلك يستغل منصبه لجني الأرباح الطائلة عن طريق الهدايا المشروعة، وكان يحصل في الدعاوى التي ترفع إليه على نسبة (١٠%)من المبالغ المتنازع عليها، وكان ضحايا هذا الابتزاز مشايخ الحرف والاغنياء[٢] وأيضاً ما يدفعه رابح الدعوى، إضافة إلى ١٠% من الورثة المباشرين ، وإلى جانب ما كان يحصل عليه من أموال من خلال مراقبة السوق وضبط الضرائب وما تدرّ عليه من أموال سنوياً[٣].

د-المفتي : تضمّن النظام القضائي الاسلامي إلى جانب القضاة نوعاً آخر من القانونيين هم المفتون، وكانوا أقرب إلى الحاكم بصلاحياتهم ، وقد استمدّوا قوتهم من مركزهم الديني، بسبب اعتماد الحكومة عليهم، لأنهم القادرون على إضفاء الشرعية على أعمالها، واستصدر بعض المفتيين الفتاوى التي تبرر تصرفات السلطنة واضطهادها الحكومي. وكان المفتي أحد علماء وشيوخ حلب، ويتمّ اختياره من قبل أعيان البلد في الغالب، والذين يرفعون اختيارهم إلى مفتي استانبول، أكبر شخصية دينية في الدولة العثمانية ويدعى شيخ الاسلام، للموافقة على المفتي الجديد وهناك قد يتم تثبيته أو تبديله بآخر[٤].

حرصت السلطة العثمانية على تغليب المفتي الحنفي على غيره، من مفتيي المذاهب الأخرى من الحنبلية والشافعية في بتّ الدعاوى والفتاوى ، وممّن شغل منصب المفتي الحنفي في حلب في العام١٧٥٣الشيخ محمد أفندي الطرابلسي[٥]، وفي العام ١٧٧٣ عُيّن المفتي سليمان افندي، بدل أحمد فندي حجي كواكبي[٦]، وعُيّن حسن أفندي الكواكبي في العام ١٧٨٨ "بعد الحجر على المفتي السابق محمد قدسي افندي لسوء افعاله وظلمه وتعديه" [٧]، وفي العام ١٧٨٩ اعتكف المفتي حسن الكواكبي واختار العمل في مجال التعليم فُعيّن محله المفتي علي أفندي طه زاده[٨] .

---

١ – سجل حلب أوامر سلطانية رقم ٢٠، صورة ٩٣، ص١١٩، وثيقة١١٩، تاريخ ٢٩ شوال ١٢٠٤هـ/١٧٨٩م.

٢– جيب وبوين، المجتمع الإسلامي ،ج٢، ص١٤٨.

٥ – عبد الغني، السلطة في بلاد الشام ، ص١٥٠.

٤ –جيب وبوين ، المجتمع الإسلامي، ج٢، ص١٥٤–١٥٦.

٥– سجل حلب أوامر سلطانية رقم ٦، صورة ٤٩، ص ٨٨، وثيقة ١٧٠، تاريخ ١٥ محرم ١١٧٦ه/١٧٥٣م ــ

٦– سجل حلب أوامر سلطانية رقم١١،صورة٦٦،ص١٠٥، وثيقة ١١٨، تاريخ أواخر ذي الحجة ١١٨٧ه/١٧٧٣م

٧– سجل حلب أوامر سلطانية رقم ٢١ ، صورة ٦٢، ص ٥٠، وثيقة ٨٤، ١٥ ذي الحجة ١٢٠٣هـ/١٧٨٨م.

٨– سجل حلب أوامر سلطانية رقم٢٠، صورة٧٠، ص٦١، وثيقة٨٧، تاريخ اواسط رمضان ١٢٠٤هـ/١٧٨٩م.

انحصرت الموافقة لاختيار المفتي الحنفي على الباب العالي، أما بالنسبة للمفتي الشافعي فاتضح أيضاً من الوثائق الاكتفاء بموافقة والٍ أو قاضي حلب لتعيينه، ولاحقاً كان يتمّ تثبيته من شيخ الاسلام ، ومن المفتيين الذين تولّوا منصب المفتي الشافعي في حلب، المفتي السيد أحمد افندي في العام ١٧٥١[١] ، وأيضاً في العام ١٧٧٥ "ارسل كتاب من والي حلب بتكليف محمد أفندي شراباتي للقيام بوظيفة الافتاء على المذهب الشافعي، بعد وفاة المفتي السيد محمد صادق أفندي"[٢]، وفي العام ١٧٨٨م ورد بلاغ من قاضي حلب بتعيين السيد طه أفندي مفتي الشافعية بعد وفاة المفتي السابق محمد افندي شراباتي، وتم موافقة الصدارة العظمى[٣]، وقام شيخ الاسلام بتثبيت منصبه[٤].

هـ- نقيب الأشراف :

انتشرت سلالة الرسول (ص) من حفيديه الحسن والحسين (ع) في كافة أنحاء العالم الاسلامي[٥]. وأحرز الأشراف مناصب ورتباً في العهد العثماني، وحافظوا على ألقابهم المتسلسلة من آبائهم وأجدادهم[٦]، وكانت سلطة الوجهاء من الأشراف كبيرة في مدينة حلب بشكل خاص، لامتلاكهم إرثاً دينياً وتقليدياً وتعليمياً، وبرز منهم كبار العلماء والفقهاء . ولم تقتصر وجاهة الأشراف على امتلاك الثروة فقط ، فقد كان منهم فقراء ولكنهم تمتعوا بمكانة اجتماعية كبيرة[٧]. وحصلوا على امتيازات ضريبية وحقوقية، وإعفاءات من الخدمة العسكرية، إلى جانب توزّعهم بين المذاهب الفقهية الاسلامية، وانتمائهم إلى جميع الفئات الاجتماعية، وانتشارهم في جميع مهن القضاء والتدريس والحرف كالغزل والصياغة[٨] وغير ذلك.

تميّز الأشراف والسادات بوضع العمامة الخضراء، وشرف هذه الجماعة يتوارثه الأبناء والبنات جيلاً بعد جيل، وكان نقيب الأشراف في حلب يعين من النقيب العام للأشراف في

١- سجل حلب محاكم شرعية رقم ٨٣ ، صورة ٧١، وثيقة ص ١٤١ تاريخ ١٦ ذي القعدة ١١٦٥هـ/١٧٥١م.

٢- سجل حلب أوامر سلطانية رقم ١٢ ، صورة ٩٧، ص ١٣١، وثيقة ١٧٠، تاريخ أواسط صفر١١٨٩ه/١٧٧٥م

٣- سجل حلب أوامر سلطانية رقم ٢١ ، صورة ٤١، ص ٢٩ ، وثيقة ٤٤،تاريخ ٢٦ شوال ١٢٠٣هـ/١٧٨٨م

٤ - سجل حلب أوامر سلطانية رقم ٢١ ، ص٤٧، وثيقة ٧٦ ، تاريخ اواسط ذي الحجة ١٢٠٣هـ/١٧٨٨م

٥- أوغلي، الدولة العثمانية، ج١، ص ٣٠٤.

6- Browne, Travels in Africa, Egypt and Syria,p386

٧- البرت حوراني ، فيليب حتي، ماري ك ويلسون، **الشرق الأوسط الحديث**، ترجمة أسعد صقر، ٤ أجزاء، ط١، دار طلاس، دمشق، ١٩٩٦، ج١، ، ص١١٤.

٨-ريمون ، حلب ، ص٣٥٤ . الاسدي، موسوعة حلب، ص ٣١٨.

استانبول، ومن مهامه الحكم في الدعاوى الخاصة بالأشراف ، وتمثيلهم أمام المحاكم الشرعية ولا يمكن تنفيذ حكم الاعدام إلا بموافقة النقيب[١]، وكان يقسّم تركات الاشراف بين الورثة، واتخذ مجلسه في ديوان الوالي، وهذا مازاد في نفوذه، وكان النقيب يهتمّ بضبط الادعاءات بالانتساب إلى تلك السلالة النبيلة ، ففي العام ١٧٩٣ ورد كتاب من نقيب أشراف حلب إلى القضاة يمنع الأفراد الذين يضعون اشارات خضراء على رؤوسهم، كعلامات العمائم الخضر، وذلك خشية ادعاءهم النسب[٢]. وهناك من ادّعى النسب من خلال شجرة نسب زائفة مقابل المال، مما دفع الحكومة لاستدعاء النقباء بشكل دائم لتذكيرهم بواجبات وظيفتهم .

وممن نصّب نقيباً للأشراف في حلب في فترة البحث: أبو الجود أفندي في العام ١٧٥١ كما ورد في وثيقة مختومة باسمه[٣]، ومحمد أفندي طه زادة (آل طه) في العام ١٧٦١[٤]، وتمّ عزله في العام ١٧٦٦، وتعيين محمد شريف العمادي نقيباً بدلاً عنه[٥]، وفي العام ١٧٨٩ ورد كتاب من نقيب الاشراف العام بتمديد مهمّة نقيب أشراف حلب السيد علي أفندي آل طه[٦]. ولكن تم عزله عام١٧٩١ وعين محمد أفندي القدسي محله[٧]، ثم تولى محمد أسعد أفندي آل طه حتى أُوقف عن العمل بتاريخ عام ١٧٩٩ واختيار النقيب السابق السيد محمد القدسي بدلاً عنه[٨].

و-محصل حلب: وهو رئيس المالية أو الدفتر دار في فترات سابقة، ويختلف المحصل عن الدفتردار، أنه لم يكن يعيّن في منصبه، إلا في حالة تعيينه إلى جانب وظيفته متسلماً كما ذكر سابقاً، فكان المحصل يتقلّد منصبه لقاء مبلغ يتعهّد بتأمينه إلى خزينة السلطان[٩]، وقدّر المؤرخ بودمان المبلغ الذي دفعه المحصل في فترة القرن الثامن عشر(أربعمائة ألف قرش) ، وكان يقدّم إلى الباب العالي الهدايا، ويرشي الوالي ليبقى في منصبه[١٠]، وحول مهنة المحصل ذكرت إحدى

١- جيب وبوين ،ج٢، ص١١١

٢- سجل حلب أوامر سلطانية رقم ٢٤ ، صورة ١٤ ، ص ١٦ ، وثيقة ٢٤، تاريخ ١٢٠٨هـ/١٧٩٣م ص٢٣.

٣- سجل حلب رقم محاكم شرعية رقم ٨٠، صورة ٢٩ ، ص ٥١، تاريخ ٢٤ شعبن سنة ١١٦٥هـ /١٧٥١.

٤- سجل حلب أوامر سلطانية رقم ٦ ، صورة ٣٦، ص ٦٢،وثيقة ١٢٥،تاريخ ٢٦ شوال ١١٧٥ه/١٧٦١م.

٥- سجل حلب أوامر سلطانية رقم ٧، صورة ٦٨، ص١٧٦، وثيقة ٢٤٦، تاريخ أواخر صفر١١٨٠هـ/١٧٦٦م.

٦- سجل حلب أوامر سلطانية رقم ٢٠ ، صورة ٥٦، ص ٤٦، وثيقة ٧٠، تاريخ ذي القعدة ١٢٠٤هـ/١٧٨٩م.

٧- سجل حلب أوامر سلطانية رقم ٢٣ ، صورة ١٦، ص ١٠، وثيقة ١٦، تاريخ ١٢٠٦ه/١٧٩١م.

٨-سجل حلب أوامر سلطانية رقم ٢٨ ، صورة ٣٦،ص٢٥ وثيقة ١٥٠ تاريخ ١٢١٤هـ/١٧٩٩م.

٩-قسطون ، الافرنج ، ص ١٧٨ ، موسوعة حلب ، ص٢٣٨

10- Bodman Harbart , **Political faction in Aleppo 1766-1826** , the University of north Carolina press 1963 , op. p 36

الوثائق أنه في العام ١٧٧٢ "ورد كتاب من السلطان إلى الوالي حسين باشا، حول مباشرة السيد محمد لأعمال وظيفته كمحصل حلب.."[١]. ومن يمتنع عن دفع الضرائب في موعدها، يسجنه المحصل في سجن قصره المعد خصيصاً لهذه الأغراض، لذلك كان يتقرّب منه التجار والملتزمون. وكان يدير عمله عن طريق عدد من المساعدين الموزعين على الأقضية[٢]، ومن الموظفين التابعين له، مدراء المال في المناطق، ورئيس المحاسبة[٣]، ووكيل الضابطة الجمركية[٤]، وآمر الجباية[٥]، والجباة والملتزمين [٦].

ز-السردار :القائد العام للانكشارية[٧]،وهو قائد العسكر في الولاية، وكان يعيّنه آغا الانكشارية في الاستانة، ويقبض راتبه من الوالي، ومن مصادر دخله أيضاً إلزام ضريبة على كل البضائع، والمارّة والحبوب والحشيش وغيرها.ومن مهام الانكشارية حراسة أسوار المدينة والمشاركة في حملات الوالي المحلية على الجبهات الخارجية، وأوردت إحدى الوثائق عن

---

١ -سجل حلب أوامر سلطانية رقم ١٠ صورة ٣٩، ص٦٣، وثيقة ٧٨، تاريخ ٢ ربيع الآخر ١١٨٦هـ/١٧٧٢م.

٢- راسل ، تاريخ حلب، مج١، ص ٢١٩.

٣- سجل حلب أوامر سلطانية رقم ٢٠ ، صورة ٣٦، ص ٢٢، وثيقة ٢٩، تاريخ ١٠ ربيع الأول ١٢٠٤هـ/١٧٨٩م.

٤-سجل حلب أوامر سلطانية رقم ٦ ، صورة ٣٦، ص ٦٣، وثيقة ١٢٧، تاريخ ١٥ شعبان١١٧٥ه/١٧٦١م.

٥- سجل حلب أوامر سلطانية رقم ٨ ، صورة ٦، ص ٢ ، وثيقة ٢، تاريخ٢٧ ذي الحجة ١١٨٢هـ/١٧٦٨م .

٦- عبد الحميد، مشلح، المنطقة الغربية لولاية حلب إدلب في القرن الثامن عشر (١٧٠٠-١٨٠٠) ، مطابع وزارة الثقافة ، دمشق ٢٠٠٦ص٤٠-٤٢

٧-الانكشارية : من التركية العثمانية: ينيكچرية، تعني: "الجنود الجدد" وهي طائفة عسكرية من المشاة العثمانيين شكلوا تنظيماً خاصاً، وكان لهم ثكناتهم العسكرية وشاراتهم ورتبهم وامتيازاتهم، وكانوا أقوى فرق الجيش العثماني وأكثرها نفوذاً. وكان هؤلاء الجنود يُختارون من الشبان المسيحيين الذين ترسلهم المدن المسيحية الخاضعة للأتراك كان هؤلاء الصغار يربون في معسكرات خاصة بهم، وقد شكلت في أواخر القرن الرابع عشر الميلادي، ومن المعروف أن الإنكشارية كانوا عزاباً في عهد السلطان أورخان ، ثم سمح لهم السلطان سليم بالزواج بشرط كبر السن، ثم أطلق حق الزواج. وارتبط الإنكشارية بالطريقة الصوفية البكتاشية، وامتاز الجنود الانكشاريون بالشجاعة، والصبر في القتال، والولاء للسلطان العثماني. تمتعوا في القرنين السادس عشر والسابع عشر بسلطات واسعة، جرى حلّ الانكشارية بشكل نهائي، بعد "الواقعة الخيرية" على يد السلطان محمود الثاني عام ١٨٢٦ بعد ثورتهم على السلطان وانتهوا بحادثة مذبحة الانكشارية. إسماعيل أحمد ياغي، **الدولة العثمانية في التاريخ الاسلامي الحديث**، ط٢ ، مكتبة العبيكات، الرياض ، ١٩٩٨، ص٩١. جيب وبوين،ج١،ص١٠٣-١٠٤.

مشاركة الانكشارية في الحروب ضد روسيا ونهر الطونة والقلاع الكائنة هناك[١].وأوكلت إليهم أيضاً مهمة قمع المتمردين وعصابات قطاع الطرق[٢].

ح- قادة السباهية : عدّ الجند السباهية (الفرسان) من مكوّنات الجيش العثماني، والذين كانوا من أصل كردي أو مملوكي، وحينما أعطت السلطنة الأراضي إلى أفراد الأسرة المالكة وكبار الموظفين لينفقوا من واردات هذه الأراضي على أصحابها، فقد وزّعتها أيضاً على أفراد الجيش من الفرسان السباهية كمعاش لهم[٣] . ومنحت السلطنة لكبار الموظفين قيادة السباهية ومثال على ذلك، فقد أوردت إحدى الوثائق في العام ١٧٦٤ إسناد الحكومة إلى رئيس الحجاب في حلب خليل آغا مهام رئاسة السباهية[٤] .

عُهد إلى السباهية المحافظة على القلاع في طريق الحج ، واهتمّوا بالأرض أكثر من اهتمامهم بالحرب، فلجؤوا إلى دفع مال البدل عوضاً عن الخدمة العسكرية، مما دلّ على تدنّي كفاءتهم وأهميتهم العسكرية[٥] .

ط-الصوباشي : رئيس فرقة من السباهية، وأطلق أيضاً على القائم بأعمال البلدية في الأقضية والنواحي، وكان يتم اختياره من بين أصحاب الزعامات في الأقضية، ويزاول فيها ايام السلم رئيس عساكر الضابطة(الشرطة)[٦]، وحفظ الأمن [٧] .

ي-المتصرف: وهو آمر اللواء[٨]، ويعين بأمر سلطاني ومهمته الاشراف على الأمور المالية والأمنية ضمن اللواء[٩]، وفي الوقت نفسه هو أحد أهم وجهاء حلب. وايضاً كان يوجد منصب متصرف وكيل أمراء العشائر[١٠].

١- سجل حلب أوامر سلطانية رقم ١٠ ، صورة ١٣، ص ٢٠ ، وثيقة ٢٥، تاريخ ١١٨٦هـ/١٧٧٢م..

٢ -سجل حلب أوامر سلطانية رقم ٧ ، صورة ٤١، ص ١٠٥، وثيقة ١٤٦، تاريخ ١١٧٨ه/١٧٦٤م.

٣- عبد الكريم رافق ، **دراسات اقتصادية واجتماعية في تاريخ بلاد الشام** الحديث ط١ ، مكتبة نوبل ، دمشق ٢٠٠٢ ، ص١١٠.

٤- سجل حلب أوامر سلطانية رقم ٧ ، صورة ٣٦، ص ١٠٥، وثيقة ١٤٦، تاريخ ١١٧٨ه/١٧٦٤م.

٥- رافق، دراسات، ص١١١

٦- سجل حلب أوامر سلطانية رقم ٢٤ ، صورة ٧، ص٣، وثيقة ٨، تاريخ ٢٥ رمضان ١٢٠٨هـ/١٧٩٣م ، .

٧- صابان، معجم، ص ١٤٥، وانظر: جيب وبوين ، ج١ ، ص٩٨.

٨- سجل حلب محاكم شرعية رقم ٨٠، صورة ١١٨ ، ص ٢٢٨، تاريخ سنة ١١٦٦هـ /١٧٥٢. كحالة، معجم القبائل ، ج١، ص٢٦٠.

٩ - عوض، الإدارة العثمانية، ص٩٦.

١٠- سجل حلب أوامر سلطانية رقم ١٣، صورة ١٣، ص٢٥، وثيقة ٢٠، تاريخ٥ ذي القعدة ١١٩٠هـ/١٧٧٦م

ك- القائمقام : ترأس كل قضاء من الأقضية موظف أطلق عليه قائمقام القضاء [١] ومهمته الإشراف على الأمور المالية والأمنية وتنفيذ أحكام القاضي الشرعي في القضاء[٢].إضافة إلى مكانته الاجتماعية الرفيعة.

ل- كبار التجار: شكّل كبار التجار أحد أهم وجهاء حلب ، وقد كان لكل من نقيب التجار وبازار باش خاص (شيخ السوق) مكانة رفيعة في المجتمع ، وكان يتم تثبيتهم في عملهم من خلال المحكمة بعد انتخابهم من قبل أعضاء المهن التجارية في الأسواق [٣]، كان كبار التجار المسلمين قليلي العدد بالمقارنة مع عدد التجار المسيحيين واليهود ، والذين هم بدورهم عملوا على حماية أنفسهم من أعمال الابتزاز من قبل ممثلي السلطة بواسطة ارتباطهم بالوكالات التجارية الأوروبية والتي عززها دور السلطنة في ترسيخ الامتيازات التجارية الأجنبية[٤]، والتحاق التجار بخدمة كبار الاعيان، ومنهم من التحق بحاشية الوالي[٥]. فالمهن التجارية كانت تدرّ على أصحابها أرباحاً عالية وثروات ضخمة ، إلى درجة شكّلوا فيها أهم أثرياء حلب، وعدّ الدخل العالي وسيلة للوصول إلى درجة رفيعة من أسلوب المعيشة ورفع مكانة العائلة، ولوحظ ذلك من خلال سجلات المحاكم الشرعية والأوامر السلطانية ومخاطبتهم باحترام، ومنحهم ألقاباً فخرية على عكس المهنيين الحرفيين الصناعيين أو أصحاب المحال التجارية الصغيرة مثل عمدة التجار الأخيار[٦] فخر التجار المعتبرين ...الماجد المحترم[٧]، وأيضاً لقّب أكابر تجار المسيحيين واليهود باسم "خواجه"[٨].

١- سجل حلب أوامر سلطانية رقم ٢٥ ، صورة ١٣٤، ص٩٩ ، وثيقة ١٨٦، تاريخ ١٢١٢هـ/١٧٩٧م.

٢- عوض، الإدارة العثمانية،ص٦٨.

٣ -عبد الغني، السلطة ، السلطة ، ص٢٧٢

٤-نسكايا، البنى الاقتصادية ، ص٢١٦، ٢٧١

٥- سجل حلب رقم ٢٣- أوامر سلطانية، صورة ١٠٧، ص ٨٩، وثيقة ١١٥، تاريخ ١١ صفر ١٢٠٧ه/١٧٩٢م.

٦- سجل حلب محاكم شرعية رقم ١٠٠ ، صورة ٤٥ ، ص ٨٢، تاريخ ١١ صفر سنة ١١٨٠هـ/١٧٦٦م.

٧- سجل حلب محاكم شرعية رقم ٨١، صورة ٢٠، ص ٣٤، تاريخ ١ جمادى الآخر سنة ١١٦٥هـ/١٧٥١م.

٨-خواجه : كلمة فارسية ومعناها رب البيت أو التاجر الغني ،وفي العثمانية بمعنى الكاتب أو الناسخ أو المتعلم بركات، الألقاب والوظائف، ص٢٥١، وانظر سجل حلب أوامر سلطانية رقم٦ ، صورة ١٧، ص ٢٦، وثيقة ٥٤ تاريخ ١١٧٤هـ/ ١٧٦٠مـ سجل حلب محاكم شرعية ١٠٦ صورة٣٣، وثيقة ص٦٠ تاريخ ١١٨٥هـ/١٧٧١م.

م- كبار الحرفيون:

لم يكن الحرفيون بمستوى اقتصادي واحد، وبالتالي لم يكونوا على نفس المستوى الاجتماعي، ففي الوقت الذي كان فيه شيخ الكار والنقيب واليكيت باش يعتبرون من الفئة العليا في حلب وغيرها طبعاً، كان الصانع والمعلم يعتبرون من الفئة الوسطى بينما عدّ الأجير من الفئة الدنيا.

١"-**الشيخ:** وهو الشخص الذي كان على رأس الطائفة الحرفية، وعرف بشيخ الكار وكان يختاره أعضاء الطائفة الحرفية، أمام مجلس الشرع في المحكمة، شرط أن يكون أميناً للمشيخة ويتعاطى أمورها باستقامة، وينصّبه القاضي الشرعي بناء على اختيارهم ليصبح شيخهم والمتكلم باسمهم، ومثال على ذلك، ما حدث مع طائفة الحطابة في العام ١٧٦٥ عندما اختاروا شيخاً لهم ومتكلماً باسمهم وراعياً لشؤونهم[١]. وإلى جانب لقب الشيخ على رئيس الحرفة فقد أطلق ألقاباً أخرى، فمثلاً أطلق على شيخ حرفة السراجين لقب أخي بابا[٢]، وعلى رئيس حرفة المعمارين لقب المعمار السلطاني [٣]، وعُرف رئيس طائفة القصابين بالقصاب باش[٤]. وبالمقابل امتلكت الطائفة الحرفية صلاحية عزل شيخها ، ولكن شرط توافر ظروف خاصة كانت قد حددتها الطائفة وهذا ما حدث لطائفة القطانة في حلب في العام١٧٥١" حين طالب مجموعة من حرفيي القطانة بعزل شيخ حرفتهم، لما سببه من ضرر وأذى لهم وأحدث خللاً في العادة القديمة للحرفة"[٥].

٢"-**النقيب** :نائب شيخ الحرفة، وكان يتمتّع بسلطة كبيرة في الطائفة الحرفية، وتنحصر مسؤوليته عادة على طائفة الحي، أو المحلة التي عدّت جزءاً من الطائفة الحرفية الرئيسية العامة في المدينة، ويتم تعيينه من قبل القاضي، بناء على ترشيح شيخ الطائفة[٦]وفي بعض الأحيان، كان

١- سجل حلب محاكم شرعية رقم ٩٨، صورة ٥٦، وثيقة ص١٠٥، تاريخ ١ محرم سنة ١١٧٩ه/١٧٦٥م.

٢-أخي بابا : كلمة أخي مشتقة من العربية أخ والتي أطلقت في الأناضول في مطلع التاريخ العثماني ، وجمعها الأخية ، أما كلمة بابا فقد استخدمت في الأناضول في النصف الأول من القرن الثالث عشر الميلادي للدلالة على الواعظ التركماني الشعبي ، رافق ، دراسات اقتصادية ، ص١٤٠ . وانظر أيضاً :سجل حلب رقم ٨٠، صورة ٨٦، ص ١٦٦، تاريخ سنة ١١٦٦ه/١٧٥٢ـــ

٣- سجل حلب محاكم شرعية رقم ٨٧، صورة ٩٧ ، ص ١٨١، تاريخ ٢٠ ذي الحجة سنة ١١٦٩هـــ/١٧٥٥م .

٤- سجل حلب محاكم شرعية رقم ٨٠، صورة ٧٦، ص ١٤٥، تاريخ ١٠ محرم سنة ١١٦٦ه/١٧٥٢ـــ

٥- سجل حلب محاكم شرعية رقم ٨٠، صورة ٣٦، ص ٦٥، تاريخ ٥ شوال سنة ١١٦٥ه/١٧٥١ـــ.

٦- رافق، دراسات، ص١٤٣.

القاضي يرسل إلى الباب العالي التماساً، بإصدار براءة[١] في تعيين نقيب لحرفة ما، وكان ذلك جلياً في عدد من الوثائق، مثل الكتاب الذي ورد بتعيين نقيب لسوق الصاغة، للعام ١٧٧٤[٢] وأيضاً بتجديد تعيين نقيب الحلاقين في حلب لعام ١٧٧٥[٣]. وكان يحدث ذلك، عندما تحدث خلافات كبيرة بين أعضاء الحرفة حول تعيين نقيب لحرفتهم، وعندما يّتدخل القاضي، يرفع الأمر إلى مقرّ السلطنة للبتّ بالموضوع، وعندما يأتي الجواب بتعيين نقيب ما، فالجميع يخضعون للأمر الواقع دون أي اعتراض.

٤-**اليكيت باش (مساعد النقيب)**: اليكيت كلمة تركية، تعني الفتى والرجل الأخلاقي وباشي: الرئيس، ويساعد النقيب في اختيار أعضاء الطائفة الحرفية وكان يتمّ تعيينه من قبل شيخ الحرفة، ويجب أن يكون من كبار الطائفة الحرفية، ويتّصف بالعدل والاستقامة[٤]، واعتبر وكيل الشيخ في متابعة أمور الحرفة، وحلّ مشاكلها ،وما ورد بهذا الخصوص في احدى الوثائق للعام ١٧٥٢ حول طائفة الصباغين بأنهم : "اتفقوا على جلب مواد الخام العجمي والملطي والانطاكي والعنتابي إلى ولاية حلب من أجل صبغه ألواناً ، فلا ينزل إلا بقيسارية العجمي داخل باب النصر بحلب ويقوم يكيت باش الطائفة بتقسيمه فالنصف يوزعه على الصباغين خارج مدينة حلب والنصف الآخر يوزعه داخل المدينة.."[٥].

ولم يكن العلماء ببعيدين عن الانتساب إلى الطوائف الحرفية، والعمل بها، وتولّي مشيخة بعضها، وهذا ما جعل السلطة في استانبول تمنحهم بعض الميزات عن أقرانهم من العلماء، ففي قضية تتعلّق "بامتناع الشيخ صالح المداري (الطحان) من دفع التكاليف العرفية لطائفة المدارية لأنه من السادات والعلماء فقد أبرز أمراَ سلطانياً متضمناً منع التكاليف العرفية عنه.."[٦].

١-**البراءة :** هي اصطلاح أطلق في العصر العثماني على عدة أمور مختلفة عن بعضها باختلاف طبيعتها ، وهي هنا عبارة عن أمر حكومي، يعهد فيه بتولية أحد الرعايا في وظيفة ما، وهو ما يدعي في عصرنا الحالي بـــ(قرار أو مرسوم التعيين) في وظيفة شاغرة. وكانت تمنح لحكام الولايات، وأصحاب الاقطاعات العسكرية وأصحاب الوظائف من أهل العلم من مختلف الفئات، والقابجيباشية وكتابات الإدارة، والمنتفعين بالإعانات المستقاة من الأوقاف الدينية. جيب و بوين، المجتمع الإسلامي، ج ١، ص ٧٢، ١٧٣ – ١٧٤، فرديناند توتل : **المنجد في الأدب والعلوم**، ملحق بالمنجد في اللغة، الطبعة ١٨، بيروت، ١٩٦٥م ، ص٣١.

٢- سجل حلب أوامر سلطانية رقم١٢، صورة٢٢، ص٢٩-٣٠، وثيقة ٣٥،تاريخ١٧ربيع الأول ١١٨٨ه/١٧٧٤م

٣- سجل حلب أوامر سلطانية رقم١٢، صورة١٧٩، ص٢٢٧-٢٢٨، وثيقة٢٩٨،تاريخ٢٠ شوال ١١٨٩ه/١٧٧٥م

٤-رافق، دراسات، ص١٤٣.

٥- سجل حلب محاكم شرعية رقم ٨٠، صورة٦١، ص ١٦٠، تاريخ سنة ١١٦٦ه/١٧٥٢ــ انظر الملحق رقم ٢.

٦- سجل حلب محاكم شرعية رقم ٨٥، صورة ١٨٢، ص ٣٦٠، تاريخ ٢٥ صفر سنة ١١٦٩هـــ/١٧٥٥م.

وإلى جانب العلماء في تعاطي العمل الحرفي، فقد اشتغل العسكر بالطوائف الحرفية أيضاً ومنهم من استغلّ نفوذه للحصول على مشيخة حرفة،لأن ذلك يرفع من مكانته الاجتماعية ومثال على ذلك حضور أعضاء طائفة الآلاجاتية[١]والصندلجية والدرايجية(صناعة الخيوط) وأقرّوا بأن "الحاج فتح الله تولّى مشيخة الحرف الثلاثة، بموجب براءة سلطانية، وسندات معتبرة ،وانه على وجه الاستقامة والأمانة ..إلا أن المدعو ابراهيم بن بشر، قام بإصدار براءة من العسكرية في الباب العالي، ووجّهت له مشيخة الصندلجية وحدها منفردة وهذا يؤدي إلى الضرر والاختلال بنظامنا القديم.."[٢].

هذا وقد اتّجهت بعض الطوائف الحرفية ذات العمل المتكامل، نحو العمل معاً في مكان واحد، لأن ذلك يرفع من شأن وثروة أحدهما على حساب الآخر، أو بالاعتماد على أهمية الآخر وذلك عند حدوث تفاوت كبير في العمل والثروات، أو حدوث ضرر لطائفة دون الأخرى، فمثلاً اتفق الآلاجاتية و دقاقو الاقمشة على الاجتماع والعمل في مكان واحد، وأن يقتسموا الاجرة معاً وبعد مدة قرروا أن يتفرّقوا في حوانيت متعددة من أجل حسن العمل ومنعاً في التفاوت بينهم.."[٣] وفي الوقت نفسه هناك بعض الوثائق قد أوردت كيف توطّدت العلاقات المهنية بين الطائفة الحرفية الواحدة، رغم اختلاف مذاهبهم، وقد أشارت أحدى الوثائق إلى مشاركة مسلمين، من طائفة الصياغ (المجوهرات) مع مسيحيين من نفس الطائفة الحرفية على انتخاب شيخ الحرفة على أساس الأمانة والاستقامة، وذلك بعد عزل الشيخ القديم لخيانته في ترويج الذهب والفضّة المغشوشين .."[٤]

حرص الحرفيون على توزيع العمل حسب التخصص الدقيق، وكان شائعاً حدوث الخللَ في تطبيق ذلك، بل وأدّى إلى خلافات كثيرة بين الطوائف الحرفية. وذكرت إحدى الوثائق " أن المدعوين مصطفى بن صلاح والحاج مصطفى بن محمد والحاج محمد من طائفة الحدادين الذين يشتغلون بمسامير الخيل بحلب، ادّعوا على رجلين من طائفة الصابونية، لجلبهما المسامير من قصبة إدلب، وبيعها لطائفة البياطرة[٥] وغيرهم مما يلحق الضرر في حرفتنا، لأن عمل المسامير

١-الآلاجاتية : ضرب من الحياكة اليدوية المقلمة أكثرها صفراء وسكرية تسمى بالقشطة بعسل كانت ملبوس الخواجات ، وفي الفارسية أليجة : النسيج الحريري المقلم ، موسوعة حلب المقارنة ص ١٩

٢- سجل حلب محاكم شرعية رقم ٨٠، صورة ٢٧، ص ٤٨، تاريخ ١٥ شعبان سنة ١١٦٥ه/١٧٥١ـ

٣- سجل حلب محاكم شرعية رقم ٨٠، صورة ٩٠، ص ١٧٣، تاريخ ١٠ ربيع الثاني سنة ١١٦٦ه/١٧٥٢ـ

٤- سجل حلب محاكم شرعية رقم ١٠٥ ، صورة ١٨ ، ص ٢٩، تاريخ ٢٣ شعبان سنة ١١٨٥هـ/١٧٧١ م.

٥- البيطار: كلمة يونانية وجمعها بياطرة وهو الطبيب الذي يعتني بالدواب ويعالجها ويسمّر نعالها، الاسدي، موسوعة حلب، ص٢١٥

مختص فينا من قديم الزمان، وتعهّد المدّعي بأن لن يتعرّض لبيع المسامير، وعدم جلبها ونذر مائتي غرش ان فعل ذلك..."[١].كما أوردت شكوى من طائفة الدباغين على حرفيين من السراجين، لشائعاتهم الكاذبة لدى الوالي، بأن ارباحهم كبيرة، ويترتّب عليهم ضرائب اضافية.[٢]

ن-الامام والخطيب : كان يعيّن الإمام والخطيب في هذه الوظيفة بموجب براءة شريفة بناء على كتاب ترشيح من قاضي حلب ، تتدرج وظيفته بإمامة المسلمين للصلاة في الجامع والمسجد والقاء الخطب الدينية ايام الجمع والاعياد، وفي بعض الأحيان كان يتم تنازل هذه الوظيفة إلى الأخوة والأبناء. ففي العام ١٧٩٥ رُفع كتاب من قاضي حلب إلى الباب العالي التمس فيه تعيين عبد القادر أفندي امام وخطيب جامع المهمندار بحلب، وذلك بعد حضور وتنازل أخيه محمود أفندي عن منصبه[٣]. وكان الإمام يتقاضى راتبه من غلة وقف الجامع ، وكانت مثلاً اجرة إمام مسجد الجورة اليومية ٢أقجة[٤] في العام ١٧٥١[٥]، بينما أُعطي لإمام جامع البكرجي راتب شهري وقدره(٤٠ أقجة) في العام ١٧٦١ [٦]، وبينما وصلت الأجرة اليومية لإمام جامع المهمندار (٥ أقجة) بمعدل (١٥٠ أقجة) شهرياً في العام ١٧٩٥ .

وكان يتمّ تناوب العمل في الجوامع الكبرى بين أكثر من إمام، في حين لا حاجة أن يكون هناك أكثر من خطيب، وقد اكتسب الخطيب أهمية سياسية كبيرة لحثّه الناس على الدعاء والنصر للحاكم، وهناك العديد من الوثائق التي تناولت تعيين الخطباء وكمثال :" تعيين محمد خليفة خطيباً لمسجد حيدر بك بحلب براتب يومي(٦ أقجة) مع الدعاء للسلطان بدوام العمر"[٧].

١- سجل حلب محاكم شرعية رقم ١٠٧ ، صورة ٣٤ ، ص ٥٨، تاريخ ١١٨٥هـ/١٧٧١م.

٢- سجل حلب محاكم شرعية رقم ٨٠، صورة ٨٦، ص ١٦٦، تاريخ ربيع الثاني سنة ١١٦٦ه/١٧٥٢م

٣-سجل حلب أوامر سلطانية رقم ٢٥،صورة ٦٢، ص ٤٢، وثيقة ٨٢، تاريخ ١٢١٠هـ/١٧٩٥م.

٤- اقجة: كلمة تركية معناها اللغوي الضارب إلى البياض ، وتعد ترجمة لكلمة Asporen أي البيضاء الشائعة في في بيزنطة منذ القرن العاشر الميلادي ، أما الأقجة العثمانية المتداولة في بلاد الشام فهي عملة فضية سكّت في عهد السلطان أورخان عام (٧٣٩هـ-١٣٢٨م)، وقد اطلق اسم " أقجة " أو" درهم " أو عثمانية، مضافة إلى اسم البلد التي سكّت منه لتمييزها عن العملة العثمانية التي تحمل نفس الاسم ، فكان يقال أقجة حلبية و أقجة شامية ، أو دراهم حلبية ودراهم عثمانية. مانتران ، تاريخ الدولة العثمانية ، ص٢٣٨-٢٣٩ . كارل بروكلمان ، تاريخ الشعوب الإسلامية ، ترجمة نبيه أمين فارس ومنير البعلبكي ، ط١٠، بيروت ١٩٨٢ ،ص٤١٢ .

٥- سجل حلب محاكم شرعية رقم ٨٠، صورة ٢٩ ، ص ٥١، تاريخ ٢٩ شعبان سنة ١١٦٥هـ /١٧٥١.

٦- سجل حلب أوامر سلطانية رقم ٦ ، صورة ٦٦، ص ٢١٧، وثيقة ٢٢٢، تاريخ اواسط جمادى الآخر ١١٧٥ه/١٧٦١م.

٧- سجل حلب أوامر سلطانية رقم ٢٠ ، صورة ٧٦، ص ٦٦، وثيقة ٩٦، تاريخ ٢٠ محرم ١٢٠٥هـ/١٧٩٠.

س- الأعيان:

استخدم مصطلح أعيان أي الصفوة من الأهالي منذ القدم ، لكن بدأ ظهورهم جلياً في القرن الثامن عشر، وقويت شوكتهم بعد ضعف السلطنة العثمانية، وأخذت السلطنة تعترف بمكانة العائلات المحلية، وتعيينهم في مناصب إدارية بدلاً من إرسالهم من استانبول[١]. وأوضح أحد الأوامر السلطانية في العام ١٧٧٩ أن الأعيان كانوا يتقررون عن طريق الانتخاب، ويجتمع المخاتير والأهالي في الولاية، ويتفقون لاختيار أعيان لهم في المدن والقرى، أو في المحلات والحارات، والأعيان يعيّنون وينصّبون بمعرفة القاضي، وحاملين بأيديهم ورقة المشاهدة، وهي من العادة القديمة كورقة ثبوتية . وأحياناً كان يلجأ بعض المرشحين الميسورين إلى رشوة الوالي حتى يكون لهم دورا للتوصل بنفوذهم إلى فئة الأعيان دون موافقة أغلب الأهالي، وصدور فرمانات بتعيينهم حسب الأنظمة القديمة، وقد أدى ذلك لانتقام هؤلاء الأعيان من الأهالي وفرض الضرائب الباهظة عليهم، حتى يشردوهم عن أراضيهم، ويتركونها فيتملكونها بأثمان قليلة.وكثيرا ما أكدت السلطنة على ضرورة التحقّق الدائم من أخلاق الأعيان المرشحين، وأن يكونوا قدوة حسنة لبلدتهم وعشيرتهم ولدولتهم لخدمة حكومتهم[٢] .

توسّطت فئة الأعيان أو الوجهاء في المجتمع الحلبي كلّاً من فئتي الهيئة الحاكمة والمحكومة، وتمثّل نفوذ الأعيان في عاملين مهمين، أولهما امتلاك علاقات مع السلطة الرسمية لتقديم النصح والمشورة والتكلّم باسم المجتمع، وفي الوقت نفسه فإن السلطات احتاجت إليهم ليمنحوها مدخلاً إلى المجتمع، والمساعدة في تطبيق القوانين التشريعية، وجمع الضرائب والتجنيد[٣] فأعطت السلطة المزايا والألقاب للأعيان، مثل: فخر الأشراف الكرام"[٤]، جلبي"[٥] نخبة العلماء والمدرسين[٦].

---

١ – أوغلي، الدولة العثمانية تاريخ وحضارة ، ج٢، ص٢٦٥.

٢- سجل حلب أوامر سلطانية رقم ١، صورة ٥٧، ص ٩١-٩٢-٩٣، وثيقة ٩٣، تاريخ ١١٩٣هـ/١٧٧٩م.

٣- للتفصيل حول سياسة الوجهاء بعد الاصلاح العثماني انظر : البرت حوراني ، الاصلاح العثماني وسياسية الوجهاء في كتاب الشرق الأوسط الحديث ، ج١، ص١١١-١٤١.

٤- سجل حلب محاكم شرعية ٧٩ صورة ٤١، وثيقة ص٧٢ تاريخ ١٦ شوال ١١٦٩هـ/١٧٥٥م.

٥ -جلبي : بمعنى مولى أو سيد ، الأنيق ،المثقف، أطلق على أمراء آل عثمان، واستخدمت لشيوخ الطرق الصوفية انظر: بركات، الألقاب والوظائف، ص٢٠٥ ، انظر سجل حلب محاكم شرعية رقم ١٠٦ صورة ١٣، وثيقة ص٢١ تاريخ أواخر جمادى الأولى ١١٨٥هـ/١٧٧١م.

٦- سجل حلب محاكم شرعية ٨٠ ، صورة ١٥، وثيقة ص ٢٤ تاريخ ٢٠ رجب ١١٦٥هـ/١٧٥١م.

وأما العامل الثاني، فهو حاجة الأعيان لبعض السلطات الاجتماعية العامة، غير المرتبطة بالحاكم، وإيجاد ائتلاف من قوى مدنية وريفية حول سلطتهم المستقلة. فالأعيان استطاعوا أن يؤدوا دورهم التقليدي كوسطاء، وهذا ما وطّد سيطرتهم على المدينة، وجعلها تمتدّ إلى الريف، حتى أن بعض الأعيان قادوا ثورة ضد الحاكم، وكانوا يتولون الحكم في فترة غيابه ، وفي أوقات أخرى توجب عليهم التصرف بحذر، بحيث لا يفقدون مكانتهم عند مصدري قوتهم: أي السلطة والعامة فعليهم أن لا يظهروا أمام العامة، بأنهم مجرد أدوات بيد السلطة ، وبالمقابل أن لا يظهرون العداء للسلطة، خوفاً من صلاحية الحاكم الذي بمقدوره استخدام كامل سلطته ضدهم[١] .

وقد جمع الأعيان ثروتهم من مصادر عديدة، كشغلهم للوظائف العليا في الجهاز الإداري إلى جانب مشاركتهم في تجارة القوافل وعمليات المرابحة في القروض والدين الشرعي، وتملكهم الأراض والدور والخانات[٢].

٢- الفئة الوسطى :

تمتع عدد من الحلبيين في المدينة وريفها بحياة هانئة وبمستويات متعددة من سهولة العيش وكانوا يعتبرون من الفئة الوسطى[٣]. فمنهم متوسطو التجار وصغار الملاكين، ومعلمو الحرف والصناع. ولم يكن كل التجار على نفس المستوى الاجتماعي، فقد انتمى منهم كما ذكر سابقاً إلى الفئة العليا من خلال ثرواتهم الكبيرة، وعلاقاتهم التجارية الواسعة، وفي الوقت نفسه كان هناك من التجار الذين يعملون على مستوى محلي مثل ملّاكي الدكاكين، أو ما يسمى بالمتاجر الصغيرة أو أعمال تجارية مثل الدلالين (الوسطاء)[٤]، والصرافة وكان اليهود أكثر من زاول هذه المهنة[٥] القبانين[٦]، طائفة السمانين[٧]. البقالة(بائع الطعام)[٨].

---

١ -حوراني ، الشرق الأوسط، ج١، ص١١٦.

٢- نسكايا، البنى الاقتصادية، ص ١٧٨.

٣-ماركوس، الشرق الأوسط ، ص٦١،٥٦.

٤- سجل حلب أوامر سلطانية رقم٢٨،صورة١٣١،ص١٠٠،وثيقة١٧٤،تاريخ١١جمادى الآخر ١٢١٥ه/١٨٠٠م

٥- سجل حلب محاكم شرعية رقم ٨٥، صورة ١١٠، ص ٢١٦، تاريخ ١١٦٨هـ/١٧٥٤م.

٦- سجل حلب أوامر سلطانية رقم ٧، صورة٤٧، ص١٢١، وثيقة١٧٢، تاريخ٢٥ربيع الآخر ١١٧٩هـ/١٧٦٥م.

٧- السَمّان: أطلقوها على بائع السمن والزيت ودبس الرمان والرز والبرغل ونحو هذا من مواد الطبخ عدا الخضر واللحم، وأسموه بهذا الاسم لتغليب السمن على غيره .الاسدي، موسوعة ، ص٣٩٢. وانظر:
سجل حلب محاكم شرعية رقم ٨٥، صورة ٩٠، ص ١٧٥، تاريخ ١٦ جمادى الاولى سنة ١١٦٨هـ/١٧٥٤م.

٨- سجل حلب أوامر سلطانية رقم١٣،صورة٤٠،ص٧٣،وثيقة٧٥،تاريخ غرة جمادى الأولى ١١٩٠ه/١٧٧٦م

وبائعي القضامة والخضرية[١]. باعة الزيت[٢]. والعطارين[٣]، النحاسين[٤]، الحلاقين[٥] الحمالين[٦] مبيضين[٧]، القنوية (القنواتي)[٨] النجارة[٩]، الحمّامين[١٠]، أطرقجي(بائع السجاد)[١١] بائعي الحرير[١٢].

واجه التجار صعوبات عديدة أحدثت أثراً سلبياً على وضعهم الاقتصادي ومنها دفع الايجارات المرتفعة إلى أبناء الفئة الحاكمة الذين يمثلون الملاكين الأساسيين للأسواق والأبنية التي كانت تقوم عليها المتاجر، إضافة إلى غلاء الأسعار، ومنافسة البضائع الأوروبية لهم وزيادة الضرائب والأتاوات عليهم، وقد أفادت إحدى الوثائق بهذه المعلومة "حول مطالبة ثلاث تجار من الرعايا الروس وهم (جريستوبورغاندوبورو- وقريملوكيورن والكسي اتكي بولو) التاجر الذمي حنا خجو حلبلي من تجار حلب المقيم في خان الحديد مبلغ ٣٨٠٥٠غرشاً لقاء شراءه خام أحمر وورد أمر سلطاني بتسديد ديون المواطنين الروس وعدم قبول أي عذر من المُدينين".[١٣].

كما ضمت الفئة الوسطى معلمو الحرف، و"المعلم " لقب أطلق على من كان متقناً لصنعته متبحراً بها، وأطلق عليه لقب "استاذ" أيضاً، وكان يملك مشغلاً خاصاً به أو ورشة خاصة يعمل فيه الصناع والاجراء[١٤]. كما شكّل الصنّاع الغالبية الكبرى في الطوائف الحرفية، مقابل عدد المعلمين والأجراء، والصانع هو الذي يتقن صنعته، ومن خلال خبرته العالية فيها يصل إلى رتبة المعلم[١٥].

---

١ -سجل حلب محاكم شرعية رقم ٨٩، صورة ١٦٦، ص ٢١٩، تاريخ ٢٨ ذي الحجة سنة ١١٧١هـ/١٧٥٧م.
٢- سجل حلب أوامر سلطانية رقم ٦ ، صورة ٤٥، ص ٧٨ ، وثيقة ١٥٦، تاريخ ٢٠ رجب ١١٧٤هـ/١٧٦٠م
٣ - سجل حلب محاكم شرعية رقم٨٣،صورة ١٢٣ ، ص ٢٤١ ، تاريخ ٢ جمادى الآخر سنة ١١٦٦هـ/١٧٥٢م
٤- سجل حلب محاكم شرعية رقم ٩٦، صورة ٤٧ ، ص ٨٦، تاريخ ٧ محرم سنة ١١٧٦هـ/١٧٦٢م.
٥ -سجل حلب أوامر سلطانية رقم ١٨ ، صورة ٤٢،ص ٤، وثيقة ٧٨، تاريخ شعبان١١٩٩هـ/١٧٨٤م.
٦ -سجل حلب محاكم شرعية رقم ٨٧، صورة ٤٤ ، ص ٨٢ ، تاريخ ٧ جمادى الثاني سنة ١١٦٩هـ/١٧٥٥م
٧- سجل حلب أوامر سلطانية رقم ٨ ، صورة ١٥٤، ص ٢٢٦ ، وثيقة ٢٨٣، تاريخ ١١٨٣هـ/١٧٦٩م.
٨- سجل حلب محاكم شرعية رقم ٩٥، صورة ١١١ ، ص ٢٠٩، تاريخ ٢٣ شعبان سنة ١١٧٧هـ/١٧٦٣م.
٩- سجل حلب محاكم شرعية رقم ٨٣، صورة ٨٨،وثيقة ص١٧٢،تاريخ٢٧ ذي الحجة سنة ١١٦٥هـ/١٧٥١.
١٠ -سجل حلب محاكم شرعية رقم ٨٠، صورة ٢٥، ص ٤٤، تاريخ ١٨ شعبان سنة ١١٦٥ه/١٧٥١م
١١- سجل حلب محاكم شرعية رقم ٩٨، صورة ٤٧، وثيقة ٨٧، تاريخ ٢٨ شوال سنة ١١٧٨/ه/١٧٦٤م.
١٢- سجل حلب محاكم شرعية رقم ٨٠، صورة ٤٢ ، ص ٧٨، تاريخ ٢٩ شعبان سنة ١١٦٥هـ/١٧٥١م.
١٣- سجل حلب محاكم شرعية أوامر سلطانية رقم٢٨، صورة١٤١، ص١١١، ١٩٠، تاريخ ١٢١٥هـ/١٨٠٠م
١٤ - رافق ، دراسات اقتصادية ص١٤١.
١٥- عبد الغني، السلطة، ص٢٥٠-٢٥١

ودخل ضمن الفئة الوسطى موظفو المساجد والزوايا ودور العلم، مثل المؤذن والقارئ والواعظ، فالمؤذن مهمته اعلان موعد الصلاة، وقراءة الأدعية والابتهالات، وكان غالباً ما يتمّ توريث هذه الوظيفة، والمثال على ذلك ما حدث في العام ١٧٥٦، فبعد وفاة السيد محمد المتصرف في وظيفة الآذان بجامع قصارية بأجرة(٢ أقجة) يومياً من غلّة وقف الجامع، تم ترشيح أكبر أولاده لهذه الوظيفة [١]. أما القارئ فكان يقرأ أجزاء من القرآن الكريم، في الجوامع والمقابر(الترب) في أوقات معينة، ففي العام ١٧٦١ أُسند إلى السيد عبد الرحيم أفندي وظيفة قراءة كل يوم بعد الصبح (سورة ياسين) بمبلغ (٣ أقجات) يومياً[٢]. وغالباً ما كان يسند إلى القارئ وظيفة أخرى مع القراءة، ففي العام ١٧٥٥م اوكل إلى ابن السيد عبد الرحمن أفندي وظيفة التربدارية (مشرف القبور) بمرقد حضرة سيدنا زكريا، إضافة إلى تلاوة سورة يس الشريفة وأجرة الوظيفتين اليومية ثلاث عثمانيات فضية[٣]، وفي إحدى القضايا" شغل المرحوم محمد افندي وظيفة قراءة القرآن في وقف جامع البهرامية، بإجرة كل يوم عثماني ونصف عثماني فضي، وأيضاَ وظيفة النظارة على وقف مدرسة الشاذنجية بحلب من غلة الوقف وقدره في كل يوم ستة عثمانيات فضيات، واعطي الحاكم حكمه بإسناد الوظيفتين لابن المتوفى.."[٤]. وامتهن النساء أيضاً القراءة وممّن اشتهرن في فترة البحث الشيخة مرين بنت محمد بن طه العقاد الشافعية المقرئة الصالحة الكاملة [٥]. وبالنسبة للواعظ فقد عُرف عادة باسم الشيخ، ومهمته الوعظ والدعوة الى التمسّك بالدين ومكارم الاخلاق، وتركّز وجوده في كل جامع ومسجد، فكان يقوم بالوعظ بعد صلاة الجمعة وفي الصباح والمساء[٦]، ومثلاً في العام ١٧٩٤ اسندت وظيفة واعظ جامع الارمنازي، للسيد محمود أفندي بعد وفاة سلفه الشيخ صالح بن الشيخ سلمان.[٧] وحافظت السلطنة العثمانية على وعظ الفئات الوافدة التي استقرّت في حلب، كوعظ الطائفة الهندية والتي خصّها أحد الأوامر السلطانية بواعظ: "خصصت الحكومة أجرة يومية من ضريبة الجزية قدرها(٦٠أقجة) إلى الشيخ عبد الكريم المعيَن لوظيفة الواعظ (للطائفة الهندية) بحلب بموجب براءة شريفة ، وعندما امتنع

١- سجل حلب أوامر سلطانية رقم ٢٥، صورة٦١،ص٤٢،وثيقة٨١، تاريخ أوائل جمادى الآخر١٢١٠هـ/١٧٩٥م

٢- سجل حلب أوامر سلطانية رقم ٦ ، صورة ٤٣، ص ٩١، وثيقة ١١٢، تاريخ ٢ ذي الحجة ١١٧٥ه/١٧٦١م.

٣- سجل حلب محاكم شرعية رقم ٨٥، صورة ١٨٥، وثيقة ص٣٦٥، تاريخ ١٠ ربيع الأول ١١٦٩هـ/١٧٥٥م.

٤- سجل حلب محاكم شرعية رقم ٨٧، صورة ٣٧ ، ص ٦٨، تاريخ ١ جمادى الآخر سنة ١١٦٩هـ/١٧٥٥م .

٥- الطباخ، أعلام النبلاء ،ج٧ ، ص١٦٦

٦-جيب وبوين ، ج٢،ص١١٤

٧- سجل حلب أوامر سلطانية رقم ٢٤ ، صورة ٥١ ، ص ٦٦ ، وثيقة ٩٢، تاريخ ١٢٠٩هـ/١٧٩٤م

محصل حلب عن دفع الأجرة تقدم الشيخ المشار إليه باستدعاء يطلب تأمين إجرته، وأصدرت الأوامر بلزوم دفع الأجرة كاملة ودفع(١٣٢,٥قرشاً) معجلاً من حساب دار الوكالة بحلب "[١].

وإلى جانب ذلك برز دور المرأة الحلبية في الوظائف الدينية، كوظيفة الدعجية (اللاتي كنّ يدعين إلى الله) في الأوقاف[٢]. كما ضمت الفئة الوسطى موظفون في الإدارة مثل رئيس الحجاب[٣]. رئيس الأدلاء[٤]. سعاة البريد[٥]. مأموري مستودعات الذخيرة. رئيس المطابخ[٦]. رئيس الشواهين[٧]. وممّا يمكن عدّه من الفئة الوسطى صغار الملاكين من الفلاحين من الذين عاشوا حياة كريمة مما تنتجه أملاكهم [٨] .

٣-الفئة الدنيا: شكّلت غالبية عامة الشعب، وقد عانت نسبة كبيرة منهم من الفقر الشديد وكان أغلبهم من صغار الكسبة من الفلاحين الذين يعملون عند ملاكي الأراضي، ومن الأجراء في المدينة، ومن الفلاحين والمزارعين في الأرياف، والمرتزقة من الجنود .وقد دفع الفقر الشديد الفقراء للاستدانة من الأغنياء، وعند عدم قدرتهم على تسديد ديونهم كان يتم حبسهم لأشهر طويلة، وقد ذكرت الوثائق العديد من هذه الحالات، مثل ما حدث مع " مصطفى بن صالح حُبس لمدة شهرين كاملين، لعدم سداد دين للرجل حجازي، وقدره مائتان وعشر غروش لأنه فقير مفلّس جداً، وقد أُطلق سراحه من الحبس، بكفالة الحاج أحمد ليرد الدين عند الطلب إذا حضر الدائن."[٩]. ووصل الأمر بأن تكون بذمّة قرية واحدة دين مشترك لشخص واحد، ففي العام ١٧٧١م"طالب عثمان أغا بن أحمد العربكيدي، بملاحقة إرث أخيه، وكان له مبلغ قدره تسعمائة غرش بطريق الدين الشرعي لأهالي قرية حريتوش بناحية معرة المصرين، ودخل المصلحون ودفع الأهالي

١- سجل حلب أوامر سلطانية رقم ٢٥صورة ٨٤، ص ٦٠، وثيقة ١١٤، تاريخ ٧ رمضان ١٢١٠هـ/١٧٩٥م .
٢- سجل حلب محاكم شرعية رقم ٨٥ صورة ١٧، وثيقة ص٣٠ تاريخ ١٣ شعبان ١١٦٧هـ/١٧٥٣م.
٣- سجل حلب أوامر سلطانية رقم ٢٥، صورة ١١، ص٨، وثيقة ١٣، تاريخ ٨ ربيع الأول ١٢١١هـ/١٧٩٦م.
٤- سجل حلب أوامر سلطانية رقم ٢٥، صورة ٩٥، ص٧٠ ، وثيقة ١٢٩، تاريخ ٢٥ محرم ١٢١١هـ/١٧٩٦م.
٥- سجل حلب أوامر سلطانية رقم ٧ ، صورة ١٤، ص ٣٨، وثيقة ٥٠، تاريخ ١٠ محرم ١١٧٧هـ/١٧٦٣م.
٦- سجل حلب أوامر سلطانية رقم ٢٨ ، صورة ١٦٨، ص ١٥٢-١٥٣وثيقة ٢٣٥ تاريخ ١٢١٥هـ/١٨٠٠م
٧-الشواهين : مفردها شاهين، وهو طائر من فصيلة الصقور ، واطلقت وظيفة الشواهين على مربي الطيور الصائدة، الاسدي ، حلب المقارنة ، ص٢٢ ، انظر : سجل حلب رقم ١٠ – أوامر سلطانية ، صورة ٦٥، ص٤٤ وثيقة ١٤٤، تاريخ ١٥ شوال ١١٨٦هـ/١٧٧٢م.
٨- سجل حلب محاكم شرعية رقم ٨٥، صورة ١٣٦، ص ٢٦٨، تاريخ ١٠ رمضان سنة ١١٦٨هـ/١٧٥٤م.
٩- سجل حلب محاكم شرعية رقم ص١٣ تاريخ ١٧ صفر١١٧٠هـ/١٧٥٦م.

ذممهم المالية"[١]. كما وصل دين أحد وجوه حلب قاسم بك جلبي، على عدد من أهالي قرى حلب معظمهم من الفقراء والأرامل، مبلغاً وقدره (٧٧٩٤٧,٣٠ غرشاً) " [٢] .واعترف أهالي حلب بهذه الفوارق الاقتصادية الكبيرة بحكمها واقعاً قائماً، فاعتبروا الفقراء جزءاً طبيعياً من المجتمع واعترفت الطوائف الدينية والأجهزة الحكومية، بوجود الطبقية المجتمعية كأمر واقع[٣].

عانى الفلاح الحلبي مثل باقي الفلاحين في الولايات العربية من تعسّف الحكومة ومن الضرائب الباهظة عليه، إلى جانب ما أصابه من مجاعات وأوبئة وغلاء، وتعدّي البدو عليهم...إلخ. ومن الأمثلة على تعسّف الحكومة تشديدها على الفلاحين للالتحاق بالخدمة الإجبارية والمشاركة في الحروب التي كانت تخوضها السلطنة، في وقت تساهلت فيه، بل وأعفت العاملين في وظائف الدولة، والمرتبطين في دواوين الوزراء من الخدمة، ودفعهم البدل النقدي، ففي العام ١٧٧٥ أرسل أحد الأوامر السلطانية إلى والي حلب، وضباط الانكشارية "بملاحقة الفلاحين القاطنين في مدينة حلب وضواحيها، وفي النواحي والقرى التابعة لها الذين لم يشتركوا في الخدمة العسكرية، بدفع ما يتوجّب عليهم من دفع ضرائب متراكمة للدولة أثناء الحرب، وكان لموقفهم السلبي التأثير الكبير في نقص إيرادات الحزينة"[٤].وبالتالي أضر ذلك بالفلاح.

وفي حال عدم سداد الفلاحين للضرائب، يتصرف الملتزمون الماليون بأراضيهم وبتوجيه من السلطة العثمانية التي ساعدت على انتقال ملكية المزارع إلى رجال الحكم، وذوي السلطة غير المعدّين للفلاحة والعمل الزراعي[٥]، ومن خلال أحد الأوامر السلطانية من العام ١٧٨٩ فقد" وُجه كتاباً من استانبول إلى المدير المالي عثمان ومحمد طاهر وهم الملتزمين شراكة مزرعة كفر بحاري القيام بتثبيت ملكيتهم للمزرعة وسحب سندات التمليك من أيدي أصحاب الأراضي القديمة"[٦]

---

١ – سجل حلب محاكم شرعية رقم ١٠٧ صورة ٣١،وثيقة ص ٥٢ تاريخ ٢٢ جمادى الأولى ١١٨٥هـ/١٧٧١م.

٢ – سجل حلب أوامر سلطانية رقم٢٨صورة١٧٣،ص١٦٤،وثيقة٢٤٢، تاريخ أواخر ربيع الأول ١٢١٥ه/١٨٠٠م

٣– سجل حلب أوامر سلطانية رقم ٧ ، صورة ١٧، ص ٤٦، وثيقة ٦٣، تاريخ ١١٧٨هـ/١٧٦٤م ، .

٤– سجل حلب محاكم شرعية رقم ٨٣، صورة ١١٢، وثيقة ص ٢٢٠، تاريخ١٧ربيع الأول سنة ١١٦٦هـ/١٧٥٢.

٥ – عبد المنعم الأحمد ، **مدينة حلب في الفترة الحميدية(١٨٧٦–١٩٠٩م)** ، رسالة ماجستير ، اشراف د. محمود عامر، جامعة دمشق، دمشق، ٢٠٠٥، ص١١٦–١١٧.

٦– سجل حلب محاكم شرعية رقم ٢٠، صورة ٤٢، ص٣٥، وثيقة ٤٩، تاريخ ٢٢ جمادى الآخر ١٢٠٤هـ/١٧٨٩م.

كما ضمت الفئة الدنيا الأجراء، والأجير هو المبتدئ في تعليم الحرفة وعادة ما يكون حديث السن، وكان يرسل الأهل ابنهم إلى معلم الحرفة ويفوضونه بتدريبه، وذكرت إحدى الوثائق:" أن امرأة نصرانية من محلة الأكراد بحلب، أقرت بأن ابنها الصغير القاصر، وهو أجير عند المغزّل انطون في عمل القماش، وإن عادة الأجير أن يجلس وقت العمل في مكان مرتفع يعرف بالتختاية فيجلب آلات النول لأنطون، فوقع ابني إلى الأرض وتأذّت رجله اليمنى، وإن لا ذنب لأنطون ولا دخل في ذلك، وإنما كان بعمل ابني لا غيره.."[١].

وأيضاً ممن يمكن عدّه من الفئة الدنيا الجند المرتزقة الذين استخدمهم حكام الولايات لدعم سلطتهم، عندما ازدادت الفوضى وانعدم النظام، في صفوف السباهية والانكشارية[٢]، وكان من الجند المرتزقة : السكبان[٣]، اللاوند[٤]،الدالاتية[٥]، التفنكجية[٦]وهم مشاة[٧]. إلى جانب وجود القوات المحلية الاحتياطية، وهم المجندون من القرى والمدن والقبائل البدوية [٨] .

١- سجل حلب محاكم شرعية رقم ٨٠، صورة ٣١، ص ٥٥، تاريخ ٢٦ رمضان سنة ١١٦٥ه/١٧٥١ـ

٢ - ياغي، الدولة العثمانية ص٨٢-٨٣.

٣- السكّبان أو السجَّمان: لفظة من أصل فارسي بمعنى (سكّ) الكلب و(بان) الحافظ والصاحب، والسكَّبان هو المتولّي أمر كلاب الصيد، ويرافقون السلطان في الحرب والصيد. قامت الدولة باستئجارهم من فلاحي الأناضول، وقد استخدمهم ولاة بلاد الشام في حماية القلاع وفي الخدمة كمشاة وفرسان ، ونظّموا في تشكيلات عرفت بالبلوكات، ولكل بلوك قائد يعرف بالبلوك باشي، وكان كل بلوك منهم يجمع الغنائم ويبيعها، وأحياناً إذا لم يتم السيطرة عليهم من قبل مستأجرهم فسرعان ما ينقلبون إلى فوضويين يثيرون الهلع بين السكان المحليين ، جيب وبوين ، ج١ ، ص١٠٩. صابان ، معجم، ص١٣٤. سجل حلب أوامر سلطانية رقم ٧ ، صورة ٥١، ص١٢٩، وثيقة ١٨٥، تاريخ اواسط رجب ١١٧٩ه/١٧٦٥م.

٤-اللاوند: استخدم البنادقة على البحارة في أسطولهم اسم ليفانتينو ، وأطلق العثمانيون على بحارتهم الأوائل اسم لاوند الذين استعاروها من البنادقة وحرّفوها، ارتفع شأنهم في عهد السلطان بيازيد الثاني ١٥١١م ، ومع مرور الزمن ارتكبوا مظالم كبيرة بحق الأهالي ، فلجأت الدولة إلى تسريح قسم منهم ، وفي القرن الثامن عشر جندت العناصر المسرحة في صفوف الجيش مقابل المال. وفي دمشق اقترن اسم اللاوند بالأكراد ، الخطيب ، معجم ، ص٣٧٩. سجل حلب أوامر سلطانية رقم ٧ ، صورة ٢٤، ص ٦١، وثيقة ٨٦، ١١٧٨ه/١٧٦٤م.

٥ - الدالاتية ":مفردها دالاتي وتعني الأهوج أو الطائش ،وعرفت قواتهم باندفاعهم ، وقائدهم الدالي باش وكان في موكب الوالي مع جنوده واعتمدهم الولاة في حماية الحج وفي أعمال المراسلات والخدمات، ولهم خان خاص يعرف بخان الدالاتية . الخطيب، معجم المصطلحات،ص١٧٤. وانظر: الاسدي، موسوعة حلب،ص١٥وانظر: سجل حلب محاكم شرعية رقم ٩٧، صورة ٢٣، ص ٣٨، تاريخ ١٣ شعبان سنة ١١٧٤هـ/١٧٦٠م.

٦- التفنكجية : تعني حملة (التفنك)البارودة ، أي حملة البارودة، ولكل فرقة منهم قائد يسمى تفكنجي باش الخطيب، معجم المصطلحات،ص١٠٨. رافق ، **دراسات اقتصادية** ص١١٢.

٧ -سجل حلب محاكم شرعية رقم ٨٧، صورة ٦٨، ص ١٢٤، تاريخ ٧ رمضان سنة ١١٧١هـ/١٧٥٧م.

٨- رافق ، دراسات اقتصادية ، ص١٣٣

استنتاجات الفصل الأول :

لقد بدا جلياً أن مجتمع حلب تميّز بالمزيج المتنوع والمزدحم للفئات السكانية، وضمّت في أحيائها وأسواقها وحاراتها وقراها المسلمين والمسيحيين واليهود الذين استقرّوا في أماكن عديدة من الولاية، وعاش غالبية المسلمين في أرجاء الولاية جنباً إلى جنب مع الأقليات المسيحية واليهودية، وفي الوقت الذي سكنت فيه هذه الفئات في محلات ووحدات إدارية ذات صبغة دينية فإن بعض المحلات ضمّت جميع الفئات الدينية وعاشوا سوية تسودهم المحبة والألفة. ومن الواضح أن العناصر غير العربية في الولاية كالأكراد والتركمان انتشروا في مختلف مناطق الولاية، فلم يكن التمايز العرقي موجود، أو تمّ تهميشه، فقد ظهر التناغم الاجتماعي والثقافي لمختلف الأعراق من خلال العلاقات التجارية والحرفية والأسرية ومناطق الاستقرار الواحدة والتحالفات، ولم تكن ولاية حلب حكراً على سكانها الأصليين، فقد استقبلت واستوعبت فئات اجتماعية وافدة إليها من الولايات العربية والعثمانية لأسباب اجتماعية واقتصادية، واندمجوا في مختلف الفئات الاجتماعية واكتسبوا الثقافة والعادات الحلبية ومنهم من وصل إلى مراتب عالية في المناصب والوظائف الحكومية.

ومن الجدير بالذكر، أنّ استقطاب حلب لمختلف الجنسيات الأوروبية التي زاولت الأعمال التجارية على نطاق واسع ، وأصبح لهم قنصلياتهم ، التي كان لها نشاطات متعددة الجوانب وأصبحت تشكّل مجموعة من الرعايا لهم حقوقهم على السلطة، وطبعاً عليهم واجبات في الوقت نفسه عليهم تأديتها ، ولكن الأهمّ من ذلك أن هؤلاء الرعايا، أصبحوا يشكلون مجتمعاً داخل مجتمع له امتيازاته واستقلاليته التي رفعت من مكانته وميّزته حتى عن أبناء المنطقة .

تبيّن مما سبق أن المجتمع الحلبي قُسّم إلى فئات اجتماعية عليا ووسطى ودنيا، وساعدت السلطنة العثمانية على تنمية هذه الفروق المجتمعية، فمنحت الرتب والألقاب والامتيازات الضريبية للطبقة العليا، ومن الواضح أن الولاة الذين تمّ تعيينهم كانوا من كبار أعيان السلطنة العثمانيين والذين سعوا للمحافظة على مناصبهم والبقاء مدة أطول وذلك بتقديم الهدايا والرشاوي للولاة والسلاطين، وحتى القضاة الذين مثّلوا العدل في البلاد استغلّوا مناصبهم لجني الأموال الكثيرة عن طريق دعاوى الابتزاز والهدايا والتدخل في الأسواق والضرائب.

وتمتّع عدد من الحلبيين المتوسطين بحياة هانئة وبمستويات متعددة من سهولة العيش ومنهم معلمو الطوائف الحرفية الذين ارتبطوا بشبكة علاقات اجتماعية مع السلطة ، إضافة إلى متوسطو

التجار وصغار الملاكين، و قد شكلت الفئة الدنيا نسبة كبيرة في المجتمع الحلبي في وقت لم يمتلكوا فيه إلا القليل من الثروة، فغلب عليهم الفقر، كالصنّاع الذين قاموا بأداء عملهم بأجر زهيد، وإلى جانب قسم كبير من الفلاحين والذي كان مستوى دخلهم محدوداً، وتحمّلوا أكثر من غيرهم الرسوم الكثيرة إضافة لتعرّضهم للمشكلات الاجتماعية كالغلاء والأمراض والأوبئة .



مظاهر من الحياة الاجتماعية في ولاية حلب في النصف الثاني من القرن الثامن عشر

أولاً-الأسرة والأحوال الشخصية:

١- أوضاع الأسرة :

عاش سكان حلب حياتهم العائلية، كأسرة مؤلفة من أب وأم وأولاد، وتضمنّت الوحدات الأسرية سلطة العائلة والتزاماتها، وامتدت روابط القرابة لأبعد من أعضاء الأسرة المباشرة وتأثّر امتداد الأسر وانتشارها، بالإمكانيات الاقتصادية والظروف السكانية، والمكانة الاجتماعية والأزمات العائلية[١] .

نشأت الأسر الحلبية كغيرها من الأسر العربية في محيط ثقافي ومعايير دينية، شجعت على الزواج لكونه واجب مقدس، مفروض على كل شخص سليم الصحة، فكان التوجّه نحو الزواج في سن مبكرة، يزيد من عدد الأسر، واختلف حجم الأسر في حلب تبعاً لظروف عديدة، كإيواء الأبناء المتزوجين مع أطفالهم، والأقرباء أحياناً ، أو ميل البالغين غير المتزوجين للبقاء مع العائلة، إضافة للعدد الكبير للأطفال والذي زاد من عدد أفراد الأسر ، فكان الآباء يفتخرون بالأولاد، وخاصة الذكور، لأنهم سيحملون اسم العائلة ونسبها، إضافة إلى رغبة النساء في الإنجاب، لأن ذلك يجعلهن محببات إلى الرجال، كما ان ارتفاع نسبة موت الأطفال، شجعت الآباء على الإكثار من الإنجاب[٢] .

ترك ثراء العائلة أثراً في امتداد الأسر من خلال مساعدة الآباء لأبنائهم في بداية حياتهم الزوجية، مثل عيشهم ضمن وحدة سكنية واحدة كبيرة، أو توريث المدرسين أو العلماء مناصبهم لأبنائهم في المساجد والمدارس وبدعم من الحكومة، وأيضاً بالنسبة لحرفة الأبناء يأخذون حرفة

١-ماركوس ، الشرق الأوسط، ٢٣١.

٢-راسل ، تاريخ حلب ، مج١، ص ٢٠٦.

آبائهم، أو مقدار ارثهم وتركاتهم[١]، وبالتالي فإن أبناء الأسر الفقيرة، لم يكن بمقدورهم عندما يتزوجون، أن يبقوا في منازل آبائهم الصغيرة ، لذلك كانوا يبتعدون للعيش مع أسرهم الجديدة في منازل صغيرة جداً.

وكان لدى بعض الآباء رغبة بتحديد النسل بسبب تحمّل الأعباء الاقتصادية والمشاق الكبيرة في التربية ، ولكن لم تنجح وسائل تحديد النسل، فلجأت النساء إلى تناول الأدوية وأعشاب منع الحمل، إلى جانب إرضاع الطفل حتى الثلاث سنوات كمانع للحمل، والقليل منهن لجأن إلى الإجهاض خوفاً على حياتهن ، وإضافة لإجراءات الحد من النسل، تركت عوامل عديدة مثل الطلاق والوفاة المبكرة وسوء التغذية وإهمال الصحة آثاراً سلبية على خصوبة المجتمع[٢].

ضمّ مجتمع حلب كغيره من المجتمعات نماذج متعددة من العائلات الثرية منها والفقيرة وكانت الأسر الثرية تنتسب إلى أسر راقية وذات مكانة مرموقة، وحافظت على ثرائها من جيل إلى جيل، ومن هذه العائلات، ما كان يتّصل نسبهم بالأشراف، مثل الحاج طه بن عمر أفندي طه زادة من سلالة آل عبد المناف[٣]. وارتبط اسم بعض التجار والعلماء والأعيان، باسم المهنة التي امتهنها أو أحد أجداهم ، وعُرف من خلال تميّزه بها. ولوحظ ذلك من خلال ما أشارت إليه الوثائق، فقد استخدمت اللاحقة التركية زادة (آل) مثل: عبد الله زادة[٤] نقيب زادة[٥]. وبالنسبة للأسر الثرية التي ذكرتها الوثائق: أسرة الطرابلسي[٦]، الجابري[٧]، الصابوني[٨]، حجازي[٩]، ومن أسر علماء القرن الثامن عشر كما ذكرت المؤرخة مارغريت[١٠] استناداً إلى وثائق المحكمة الشرعية إخلاصي. العمادي. الجبري. الكبيسي. الكواكبي. الكيالي. الكوراني. الميري. المدرس.

١-ماركوس، الشرق الأوسط ، ص٥٦،٦١.

٢- ماركوس، الشرق الأوسط ، ص٢٣٦.

٣- سجل حلب محاكم شرعية رقم ١٠٥ ، صورة ١٥ ، ص ٢٢، تاريخ ١٥ رجب سنة ١١٨٥هـ/ ١٧٧١م.

٤- سجل حلب أوامر سلطانية رقم ٢٥ ، صورة ١٠٠، ص٧٣ ، وثيقة ١٣٧، تاريخ ١ شعبان١٢١٠هـ/١٧٩٥م

٥-سجل حلب محاكم شرعية ٨٧ صورة ٤٨، وثيقة ص ٨٦ تاريخ ٢٣ جمادى الأولى١١٧٠هـ/١٧٥٦م.

٦- سجل حلب أوامر سلطانية رقم ٧، صورة ٤٤، ص ١١٥، وثيقة ١٦١، تاريخ ١٠ محرم ١١٧٩هـ/١٧٦٥م.

٧-سجل حلب محاكم شرعية رقم ٨٠، صورة ٩٤ ، ص ١٨٢، تاريخ سنة ١١٦٦هـ /١٧٥٢.

٨-سجل حلب محاكم شرعية رقم ١٠٥ ، صورة ١٧ ، ص ٢٦، تاريخ ١٧ رجب سنة ١١٨٥هـ/١٧٧١م.

٩-سجل حلب محاكم شرعية رقم ٨٥، صورة ٢٤، ص ٤٤، تاريخ ٢٣ شعبان سنة ١١٦٧هـ/١٧٥٣م

١٠- مارغريت: مؤرخة قدمت معلومات مهمة عن التطور الاجتماعي والسياسي والاداري والعمراني والديموغرافي لمدينة حلب في العهد العثماني في فترة البحث.

محرم. المكياد. النقيب. النسيمي. القباني. القدسي. الرفعي. الشرباتي. الطباخ. طه). أمّا أهم أسر التجار مثل: (جاليق. جميلي. جزماتي. خانجي. ميري. مواقيتي. قمري. قناع. قرني. صباحي. شريف. سياف. العبري. العلبي . عثماني. زنابيلي. زيات. وأيضاً فيما كان يخصّ ابرز الأسر العسكرية في تلك الفترة ذكرت: إبراهيم باشا، كنج علي . خانكرلي . قويق علي آجه . ناصر الدين باي. كباد بي . رجب باشا. شيخبندر. يحيى بيك.يقين)[١]. وبالمقارنة مع باقي السكان من عامة الشعب في حلب الذين لم يحملوا اسم عائلة خاصة فقد تمّ التعريف بالرجال والنساء من خلال ذكر أسمائهم واسم آبائهم مثل حنا ولد عبدالله، أو آمنة بنت الحاج علي[٢].

استقرّت الأسر الثرية وأبناء الفئة العليا من الحكام والعلماء والتجار حول المدينة في محلات الفرافرة والبياضة، وداخل باب النصر وسويقة علي والجلوم، وبلغ عدد هذه الأسر في العام ١٧٨٢ بحدود (١٠٤) أسرة من الفئة الراقية[٣]. باستثناء الشمال الشرقي كمحلة بانقوسا حيث الأسر المتوسطة[٤]. أما الأسر الأقل ثراء فاستقرّت في الضاحية الشرقية والجنوبية والغربية لمدينة حلب، وكان معظمهم من بدو وأتراك.

توزّعت أسر الأشراف بشكل طبيعي في أحياء حلب كلها بحكم صلاتهم القوية بالسكّان المحليين، وتركّز أكثرهم داخل الأسوار، مثل محلة جلوم الكبرى[٥] ، وحي جب أسد الله، والعقبة والفرافرة، وساحة بزا، ، والبياضة ، والتونبغا، والقصلية ، ويستثنى من ذلك الضاحية الشمالية المسيحية، والتي سكن فيها المهاجرون الجدد من أصل ريفي أو من خارج حلب، وفيما يتعلّق بالانكشاريين، فتوزّعوا في الضواحي الشرقية ، بانقوسا، قارلق، باب النيرب، وفي الضاحية

1-Margaret L, Meriwether, **Family and Society in Ottoman Aleppo**, 1770-1840 University Of Texas Press,1999.P215-216.

٢- سجل حلب محاكم شرعية رقم ٩٦، صورة ٤٥ ، ص ٨٢ ، تاريخ ١٨ محرم سنة ١١٧٧هـ/١٧٦٢م .

3- Margaret .p 69

٤- ماركوس،ص٣٧١.

٥ سجل حلب محاكم شرعية رقم ١٠٦ ، صورة ٤٤ ، ص ٨٢ تاريخ ١١٨٥هـ/١٧٧١م.

الجنوبية مثل باب المقام ، وفي شرق باب الحديد. ووصل الانكشاريون إلى المناطق الريفية لسيطرتهم على تجارة الحبوب[١].

٢- المرأة :

كان المجتمع الحلبي كغيره من مجتمعات الشرق ينظر للرجل على أنه متفوق على المرأة وبالتالي كانت الوظائف الحكومية والدينية والإدارية والعسكرية والحرفية، حكراً على الرجال فقط فتجلّت الفوارق الاجتماعية بين الجنسين بشكل كبير من خلال القيود المفروضة على خروج النساء خارج بيوتهن، والفصل بين الرجال والنساء في المناسبات العائلية، ومناطق التجمعات العامة حتى مع أقاربهم من الذكور، والحد من حقّهن في التعليم، وهذه الممارسات طالت المجتمع الإسلامي والمسيحي واليهودي على حد سواء في تلك الفترة [٢]. واتخذ المجتمع جميع التدابير والاحتياطات اللازمة لتطبيق المعايير الأخلاقية، كما يراها الرجل ، وعلى النساء تحمّل تطبيقها، فعفة المرأة وشرفها هو شرف العائلة[٣] .

ورغم الحد من حرية المرأة، فقد أعطتها المحاكم الشرعية الحق في اختيار شريك حياتها حتى لو كان الرجل الذي اختارته من أتباع ديانة غير دينها، ولا يسمح لزوجها إجبارها على اعتناق دينه، وورد في الوثائق العديد من الحالات التي تؤيد ما ذكر: "فالمرأة خديجة بنت عبدالله المتشرفة بدين الاسلام، كانت متزوجة من حنا ولد ابراهام النصراني"[٤]. وفي وثيقة اخرى، أفادت "بأن المرأة خانم النصرانية الأرمنية، أرادت التزوّج من وانيس النصراني الأرمني، وذلك بعد وفاة زوجها المسلم مصطفى وأنهت عدتها، وبعد سؤالها لمفتي حلب علي أفندي حول ذلك فأجاز لها الزواج الجديد..."[٥]. وعُرف من الوثيقة أن غاية سؤال المسيحية للمفتي المسلم، هو تثبيت الزواج في المحكمة واشهاره علناً[٦]. وإلى جانب ذلك ساندت المحاكم تحرّر الفتاة من عادة زواج

١- أشارت بريجيت مارينو عن تعداد الانكشاريين وتركاتهم وغناهم وسيطرتهم على تجارة الحبوب في دمشق ودرعا وغيرها. بريجيت مارينو، **حي الميدان في العصر العثماني**، ترجمة ماهر الشريف، ط١، ، دار المدى للثقافة والنشر، دمشق، ٢٠٠٠، ص٥١. ريمون، حلب ،ص٣٥٦، ٣٨٨.

٢-ماركوس، الشرق الأوسط، ص٦٧.

٣ -سجل حلب محاكم شرعية رقم ٨٧، صورة ١٢، ص ١٨، تاريخ ٢٣ صفر سنة ١١٧٠هـ/١٧٥٦م.

٤-سجل حلب محاكم شرعية رقم ٨٠، صورة ٤٥ ، ص ٨٣.

٥ -سجل حلب محاكم شرعية رقم ٩٨، صورة ٧٦، وثيقة ص١٣٧، تاريخ ٦ صفر سنة ١١٧٩ه/١٧٦٥م.

٦ - سيرد ذلك بالتفصيل في بحث الأحوال الشخصية

المقايضة بين الأقارب، وتبيّن من إحدى الوثائق "ادعاء ميخائيل من نصارى الروم على ابن عمه يحيى، بالتعدي عليه وتهديده، هو وأخته ميرم البالغة، لأنها لم ترض بالزواج به، وأنه يزعم أن بنت العم لا يقدر أحد التزوج بها مع وجود ابن عمها، فأعلم الحاكم الشرعي للمدعى عليه بعدم التعرض للمدعى واخته، ولتتزوج بمن أرادت بدون معارض.."[١].

شكّلت المرأة عنصراً هاماً في بناء المجتمع، فهي الركيزة الاساسية لبناء الأسرة الصالحة وهي المسؤولة الأولى أثناء غياب زوجها عن تربية أطفالها وحضانتهم وتنشئتهم ورعايتهم، وفي حالات أخرى أوكلت اليها مهام تربية اللقطاء[٢]وتنشئتهم، كما ذكرت إحدى الوثائق :"لما وجد اللقيط في زقاق من أزقة حلب الشهباء، ورفع لأجل تربيته، ولم يثبت نسبه ليلحق إلى أهله، فدفع لتربية هذا اللقيط، المرأة الفقيرة العاجزة لأجل التربية والتبني، وهي قبلته بنصّ{{من أحياها فكأنما أحيا الناس جميعاً}}، ولزم إعانتها في نفقته، كل يوم عشر عثمانيات من خزينة المحكمة الكبرى..."[٣] وفي إحدى الوثائق، " أذن القاضي للمرأة أن تستدين برسم نفقة اللقيط وكسوته ولترجع المال عند بلوغه وإيناس رشده[٤]. وورد في الوثائق أيضاً، تولّي بعض النساء كوصيات على أطفالهن:" حضر عبد الوهاب آغا بن أحمد أفندي الوكيل عن قبل خالته عمدة المخدرات الحاجر رابعة خاتون الأصيل عن نفسها والوصي الشرعي على ابنها الصغير ...وأقر الموكل بانه باع لأجل النفقة والكسوة للصغير جميع الدار الكائنة بمحلة الجبيلة المنتقل إليهما بالإرث الشرعي.."[٥].

أ-المستوى الاجتماعي للمرأة :

١-**المرأة في الفئة العليا** : اعترفت الحكومة بمكانة السيدات من الفئة الثرية وأعطتهنّ ألقاباً فخرية وشرفية دليل احترامهن، مثل : سيدة المستورات. إكليله المحصنات وسيدة

١- سجل حلب محاكم شرعية رقم ٨٧، صورة ١٠٨ ، ص ٢٠٣، تاريخ ٢ رمضان سنة ١١٧٠هـ/١٧٥٦م .

٢-اللقيط : وهو الوليد الذي يعثر عليه، ولم يعرف والداه ونبذه أهله خوفاً من الفقر أو فراراً من تهمة الزنا. عبد الرحمن الصابوني، **شرح قانون الأحوال الشخصية**، جزءان، الطلاق وآثاره، ط١١، منشورات جامعة دمشق،٢٠٠٦، ج٢، ص١٩١ .

٣- سجل حلب محاكم شرعية رقم ٨٧، صورة ٨١، ص ١٤٩، تاريخ ١ محرم سنة ١١٧٠ه/١٧٥٦م .

٤ -سجل حلب محاكم شرعية رقم ٨٥، صورة ١٧٠، ص ٣٣٥، تاريخ ٥ محرم سنة ١١٦٩هـ/١٧٥٥م

٥ -سجل حلب محاكم شرعية رقم ٨٧، صورة ٧، ص ٧، تاريخ ٢٢ محرم سنة ١١٧٠ه/١٧٥٦م .

المخدرات[١]، ففي قصور الباشوات، وفي الجناح المخصص للنساء(الحرملك)،كان الكيخيا(نائب الوالي) يقوم بالإشراف على جميع الأمور المتعلقة بالحريم من الخارج، وقد قامت الخادمات بالعناية بهنّ، ولا يقترب أي من الخدم الذكور من باب الحرملك أبداً، وحتى صاحب البيت لا يدخل عند وجود زائرات عند حريمه ، حتى يستأذن ، ويمنحهنّ وقتاً للاستعداد لاستقباله، فلا ينبغي أن يظهرن أمامه دون حجاب ، ووصف (راسل) نساء الفئة الثرية، بأنهن يمضين جلّ وقتهنّ في البيت، وفي صغرهنّ يتعلمن القراءة والكتابة، عند معلمة الكتاب (خجا) ، إلا أن أغلبهن يهملن ذلك عندما يكبرن، ولا تقع مسؤولية شراء الحاجات المنزلية عليهنّ، بل ترسل حاجاتهن إلى المنازل للاختيار منها ، أو تجلبها البائعات المتجولات لهنّ، وينشغلن بالأشراف على الأعمال المنزلية وتربية الأولاد، والقيام بالزيارات للأقارب في مناسبات عديدة ، كما هو الحال عند الولادة أو المرض أو العزاء، ويسمح لهنّ بالخروج من البيت أيام الاثنين والخميس لزيارة القبور، وفي أيام أخرى لزيارة الأضرحة والأولياء كنوع من العبادة، ويذهبن مع أولادهن وخادماتهن للتنزّه في الحقول والبساتين ، ويقف (كيخيا الحريم) مع عدد من الخدم، عند بوابة البستان[٢].

٢-**المرأة في الفئة المتوسطة** : لم تكن بقية النساء محصورات في عالم مغلق بشكل كامل، فقد أفادت وثائق سجلات المحاكم إلى مشاركتهنّ في الحياة العامة، ومنهنّ من عشن حياة متوسطة، ليست بالفقيرة ولا بالثرية، ومنهنّ من مارسن دوراً في العمل الحرفي ، فلم تكن الطوائف الحرفية حكراً على الرجال فقط، وإنما وجدت طوائف خاصة بالنساء في المدن والأرياف، ومن أعمالهن غزل الصوف[٣]، ومعلمات للبنات ، وقابلات وممرضات، ومن تملك الدور والعقارات والأراضي[٤] وتستثمرها بطريق الشراء والبيع، وذكرت إحدى الوثائق: "إن الشريفة مريم بنت حسين للحاج عبد الوهاب، باعت ما هو ملكها، من جميع الدار الكائنة بمحلة القصلية بحلب "[٥] . وحتى المرأة البدوية تذكر الوثائق أنها تملكت الدور [٦]، ومن أعمال المرأة كذلك تقديم القروض المالية، وأشارت إحدى الوثائق إلى أن "المرأة عائشة بنت عبدالله من زقاق

١-سجل حلب محاكم شرعية رقم ٩٨ ، صورة ٤٢، ص ١٠٨، وثيقة ١٤٩، تاريخ ١١٧٨هـ/١٧٦٤م.

٢-راسل، تاريخ حلب، مج١، ١٧٨-١٧٩.

٣ -سجل حلب رقم ٨٥، صورة ١٨، ص ٣٢، تاريخ ٧ شعبان سنة ١١٦٧هـ/١٧٥٣م.

٤ -سجل حلب أوامر سلطانية رقم ٧ ، صورة ٣٠، ص ٨١، وثيقة ١١٠، تاريخ ١١٧٦هـ/١٧٦٢م

٥-سجل حلب محاكم شرعية رقم ٩٩، صورة ٥٩ ، ص ١١٢، تاريخ ١٨ ذي القعدة سنة ١١٩٢هـ/١٧٧٨م.

٦- سجل حلب محاكم شرعية رقم ٨٢، صورة ٤٠ ، ص ٧٧ ، تاريخ ١٥ شعبان سنة ١١٦٥هـ/١٧٥١م.

العطوي، أقرضت وسلمت للأخوين (أوهان وجرجس) ولدي ارسطو النصرانيين، مبلغاً قدره خمسون غرشاً لمدة خمسة وخمسين يوماً" [١]. وسمحت الحكومة للمرأة أن تتولى المهام الوظيفية وقد أثبتت جدارتها في ذلك وتحملت المسؤولية ، فشغلت مهمة التولي على الأوقاف وإدارتها ومثال ذلك ما كان في العام ١٧٩٦ حيث ورد تكليف السيدة صالحة بنت السيد أسعد بتولّي إدارة وقف الشيخ يوسف العطار بحلب[٢]. وأسندت إليها وظيفة (الدعجية) وتشير إحدى الوثائق إلى" موت المرأة مريم بنت خلاص موت المتصرفة في وظيفة الدعجية بوقف المرحوم خيري بك موت الكائن بمدينة حلب موت بمعلوم قدره (ستة عشرة غروش) فأعطى القاضي الوظيفة المرقومة للسيد مصطفى الجابري.."[٣].

٣-**المرأة في الفئة الدنيا** : تحمّلت الفتيات والنساء في الفئات الدنيا الفقيرة أعباء كبيرة من العمل والمسؤولية في رعاية أفراد الأسرة والأعمال المنزلية ، ففي الأسر الريفية الفقيرة مثلاً نجد المرأة تعمل إلى جانب الرجل في الزراعة، بل وتقوم بالاحتطاب، وحمل الماء والعلف والعناية بالمواشي[٤]، وقطف الثمار وجمع الخضروات. أمّا نساء الفئات الدنيا الفقيرة في مجتمع مدينة حلب، فيعملن خارج بيوتهن في مجالات عديدة، كبائعات متجولات ، وبائعات المنتجات العامة، كالخبز والصوف والقمح [٥]، واشتغلن بالحرف الدنيا كخادمات وجوارٍ [٦]، وامتهان معظم نساء القرباط في مهنة التسول[٧].

٣-الطفل:

أ-**الطفل المسلم** : يرضعن الأمهات المسلمات في الغالب أطفالهن عامين كاملين من أمه أو مرضعة مستأجرة، وفي أوائل هاتين السنتين يُشدّ الطفل بقماط يستوعبه إلى رأسه، مما يترك آثاراً سلبية، إذ ربما تلتوي بعض أعضائه من شد القماط ، ومما اعتادوه من يوم ولادته إلى أن يمضي عليه بضعة أشهر أن يكحلوه في كل أسبوع تقريبا بكحل أسود، وقد اعتدن إذا ظهرت أسنان الطفل

١- سجل حلب محاكم شرعية رقم ٨٧، صورة ٥١، ص ٨٩، تاريخ ٢٠ جمادى الأولى سنة ١١٧٠ه/١٧٥٦م

٢- سجل حلب أوامر سلطانية رقم ٢٥، صورة ٩٧، ص٧١ ، وثيقة ١٣٣، تاريخ ١٢١١هـ/١٧٩٦م .

٣- سجل حلب محاكم شرعية ٨٥ صورة ٣٧، وثيقة ص٦٩، تاريخ ٢٠ رمضان ١١٦٧هـ/١٧٥٣م.

4 -Browne, Travels,p388

٥-ماركوس ، الشرق الأوسط، ص٦٨

٦- تم الإشارة سابقاً إلى أحوال الجواري في الفصل الأول (بحث الرقيق).

٧-الجباوي، عشائر النور ، ص٧.

أن يسلقوا له قمحا ويخلطوا معه سكرا ورمانا وجوزا ولوزا وفستقا ويطعموه من هذا الخليط ويفرقوا باقيه[١].

يتم ختان الولد في اليوم السابع من ولادته وكان الوالد في الطبقات الراقية يجهّز احتفالا خاصا لسنة الختان ويحضر المغنين والمطربين، وتقدم له الهدايا من أفراد أصحابه فيرسل له أحدهم أرزا أو سكرا أو غنما أو بعض أقمشة حريرية، كلّ بحسب حاله، وبعد أن يحضر المدعوون ويطربوا يفتتح الشيخ قراءة قصة المولد النبوي وفي ختامها يجاء بالولد ويختن، وينصرف الناس وتحضر المغنيات وتقبل النسوة فيبقين ذلك النهار كله ، ويقدمن الهدايا ويلبسون الولد عمامة مزينة بالأزهار والزينات، ومن عادة الناس من الطبقة الراقية ختان طفلين أو ثلاثة أطفال مما يزيد الاحتفال صخباً، وأما في الطبقة العامة يجعل حفلة الختان مساء فيأكل المدعوون ويتغنى المطربون وفي ثاني يوم تتلى قصة المولد بحضور عدد قليل من الناس وفي ختامها يختن الولد[٢]. أما أتباع الطرق الصوفية فقد اعتادوا غالبا أن يحتفلوا بالختان بأن يركب الولد على الحصان ويركبون خلفه رديفا ويطوفون به في شوارع البلد وأمامه أحد شيوخ الطرق مكللا بغطاء وردي يقوده أحد مريديه وأمامه جماعة يضربون الطبول والزمر ويحملون أعلام الطريق إلى أن يطوفوا هكذا في أكثر الشوارع ثم يرجعوا إلى بيت المختون وتتلى قصة المولد النبوي ويختن الولد في ختامها[٣].

وعند بلوغ الطفل الرابعة أو الخامسة من عمره يوضع في مكتب تعليم الأطفال[٤]، وإن كانت طفلة يضعوها عند الشيخة أو معلمة الخياطة أو التطريز. وعند بلوغ الولد سن المراهقة يصوم رمضان، فيعمل له في أول يوم صيامه فرش مملوء من أنواع الحلوى يفطر عليه مساء ذلك اليوم.

ب-الطفل المسيحي: تشبه طريقة تربية الأطفال المسيحيين الأسلوب الذي يتبع عند المسلمين إلى حد بعيد، فالأمهات المسيحيات ترضعن أطفالهن حتى السنتين، إذا لم يحدث حمل وفي حالات الحمل المبكر يسلمن الطفل إلى مرضعة.

١- الغزي، نهر الذهب، ج١، ص٢٤٣-٢٤٩.

٢ - راسل، تاريخ حلب، مج١، ص١٤٧

٣- الغزي، ج١،ص٢٤٨..

٤ - سيرد بالتفصيل حول الكتاتيب في بحث الحياة الثقافية في الفصل الثالث

ويظهر الصبية احتراماً ظاهرياً شديداً للأب ويقفون دائماً في خدمته وضيوفه، لكن لا تطبق عليهم السلطة الأبوية الصارمة، ويخشون أن توبيخهم يؤدي إلى اتخاذ أولادهم قراراً متهوراً يضر بالعقيدة المسيحية، ويرى(راسل) أن انغماس المراهقين المسيحيين في الملذات أكثر من المراهقين المسلمين، ولا يؤثر التوبيخ الكنسي كثرياً بهذا الخصوص، فالطفل غير الشرعي تتحمل العائلة والمحيط مسؤولية عنه، بذريعة أنه كان بالإمكان دون حدوث هذه الاساءة، وإن احتمال حدوث حالات الاجهاض أكبر مما هي عند المسلمين[١].

ج-الطفل اليهودي:

يتم ختان الطفل اليهودي في اليوم الثامن للولادة، ويؤجل في حالات مرض الطفل وضعفه، ويتم الختان في منزل الطفل أو في المعبد، وبعد انهاء عملية الختان ، تقام صلوات التبريك ، وعادة يذبح خروف كوليمة للأصدقاء، وبعدها يغنون الأغنيات المخصصة لحفل الختان[٢].

ويسمح للولد الذكر دخول الكنيس وهو في الثالثة من عمره، مما جعله يتفوق على الأنثى من عمره، وأدى وجوده المبكر في الكنيس إلى خروج تربيته شيئاً فشيئاً من يد أمه ، فتطور الطفل اليهودي هو نتاج التربية التي يتلقاها في الكنيس أكثر من الأسرة. وتبعاً للشريعة اليهودية كانت تجري طقوس احتفال البارمتسفا "الإبن المسؤول عن تنفيذ الأوامر والنواهي" لكل ولد يهودي بلغ الثالثة عشر من عمره ، والثانية عشر بالنسبة للإناث – بت متسفا، ويقام في هذه المناسبة احتفال يدعو إليها الأب يتخللها الغناء والرقص، ويقوم الولد المحتفى به أن يقوم بتلاوة بعض نصوص التلمود، فيقوم الحاخام بتطويق عنق اليافع بتعويذة، وهذا يفسر أن أصبح يهودياً حقاً، وفي صباح اليوم التالي يذهب اليافع مع والده إلى الكنيس لحضور الصلوات، وتنتهي هذه الطقوس بعودة اليافع إلى منزله في موكب غنائي يضم الأصدقاء والجيران[٣].

٤-الأحوال الشخصية:

طبّقت الشريعة الإسلامية أحكامها على الأحوال الشخصية للمسلمين في حلب، من خطوبة وزواج وطلاق ، وعالجت أغلب قضاياها على المذهب الحنفي، وتركت السلطة مسائل الأحوال

---

١ - راسل، تاريخ حلب، مج٢، ص٢٧٥.

٢ - أبو جبل ، يهود اليمن ، ص ١٤١.

٣ – غازي السعدي، **الأعياد والمناسبات والطقوس لدى اليهود**، ط١، دار الجليل، عمان، ١٩٩٤، ص٣٦.
أبو جبل، يهود اليمن ، ص ١٤٢.

الشخصية للذميين لرؤساء طوائفهم من قساوسة ورهبان وحاخامات، وإذا تقدّم الذميون إلى المحاكم الإسلامية، للفصل في الدعاوى والأحكام الخاصة بهم، فتطبّق الشريعة الإسلامية في قضاياهم من زواج وطلاق ، أما نظام الوصاية والإرث والتركات، فقد طبقته المحاكم الإسلامية على المسلمين والمسيحيين واليهود.

أ-**الخطوبة** : هي من مقدمات الزواج، وتتمثّل الخطبة عند المسلمين وغير المسلمين بحصول الوعد بين الجانبين، وقبول كل منهما هدايا الآخر ، والاتفاق على المهر كله أو بعضه[١] وعند المسلمين تتحقق الخطوبة، عندما تقرأ الفاتحة ، وهذا دليل القبول من قبل الطرفين، ولا تعتبر الخطوبة زواجاً شرعاً لعدم وجود عقد نكاح، ومن حق الخاطب أن يعدل عن خطبته وللمخطوبة أن تعدل عن قبوله ، وإذا ما فسخت الخطوبة فللخاطب الحق باسترداد ما قدمه من المهر ومن الهدايا[٢]. وتتم براءة الذمة عادة في المحكمة الشرعية، وإحدى الوثائق تشرح كيفية معالجة قضايا المسيحيين أيضاً في هذا المجال " اعترف سركيس النصراني الأرمني، بأنه خطب قديسة بنت كركوز، من أمها مارترنيت، لأجل أن أتزوجها لكن لم يجر بيننا عقد نكاح وإني الآن قد عدلت عن التزوّج بها، وقبضت ما كنت دفعت لها بالتمام والكمال .."[٣] ، وفي بعض القضايا تمتنع الخطيبة عن الزواج بخطيبها، ولا يجبرها الحاكم الشرعي على ذلك، ويُمنع الخاطب من التعرّض لها..[٤].

ب-**المهور**: هو المبلغ المالي الذي تستحقه الزوجة على زوجها بالعقد عليها، ويسمّى الصداق والفريضة والأجر والعقر والنحلة ، لقوله تعالى في سورة النساء:(وآتو النساء صدقاتهن نحلة)[٥]، وقوله سبحانه (فما استمتعتم به منهنّ فآتوهنّ أجورهنّ فريضة، ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة)[٦]. والمهر هو: (مقدّم يدفع قبل الزواج كأثاث منزلي ومصاغ

١- المجلس الوطني لشؤون الأسرة) (NCFA، **دليل الزواج للطوائف المسيحية** ، مطبعة الجامعة الأردنية، بدون تاريخ ، ص٢٢.

٢- عبد الوهاب خلاف، **أحكام الأحوال الشخصية في الشريعة الاسلامية وفق مذهب أبي حنيفة وما عليه العمل بالمحاكم** ، ط٢، دار القلم للنشر والتوزيع ، الكويت، ١٩٩٠، ص ٢١.

٣- سجل حلب محاكم شرعية رقم ٨٨، صورة ٧٥ ، ص ١٣٦، تاريخ ١٣ ذي القعدة سنة ١١٧٢هـ/١٧٥٨م

٤- سجل حلب محاكم شرعية رقم ٨١، صورة ٣٢، ص ٥٩، تاريخ ٨ شعبان سنة ١١٦٥هـ/١٧٥١م.

٥- سورة النساء ٤ /٤

٦ -سورة النساء ٤ /٢٦

ذهبي، ومؤخّر يعتبر دَيناً على الزوج، لابد من أدائه إلى الزوجة نفسها حسب اتفاق يتمّ بينهما ولا يشترط أن يكون المهر أموالاً، بل يجوز أن يكون سلعة تباع وتشترى ولها ثمن معلوم مثل : مواد طعام، وحتى حيوانات). ولا يوجد في التشريعات الدينية تحديد لقيمة المهر، لأن هذه القيمة تختلف من شخص لآخر، حسب حالته الاجتماعية، وتبعاً للعادات والتقاليد[١].

أشارت وثائق المحاكم الشرعية إلى أنّ المهر المقدم للمرأة، يتضمّن حاجيات وألبسة وذكرت إحداها إن امرأة قبضت مهرها وهو زنّار وقنباز[٢] قطني وقميص وطربوش[٣]. ومن المهر المقدّم أيضاً أثاث وأدوات منزلية ، فالحرمة آمنة قبضت مهرها المقدّم وهو عبارة عن أشياء منزلية مكوّنة من" طنجرتين[٤]وصطل كبير[٥]وصينية ومقلاية وطشت كبير[٦] وآخر صغير وأبريق لأجل الوضوء وكفكير[٧] ومصفاية وطاستين[٨] وأحد عشر صحناً وثمانية لنكريات[٩]وإبريق القهوة وشمعدان ومبخر وثلاثة فرش وثلاثة لحف وست مخدات ووجوها وشرشف وبساط وستون فنجاناً

---

١ –أحمد الشامي ، التطور التاريخي لعقود الزواج في الإسلام (دراسة مقارنة) ، منشورات جامعة الزقازيق، مصر ، ١٩٨٢. ص٢٣–٢٥.

٢–**القنباز** وجمعه القَنابيز :الثوب الظاهري الطويل الفضفاض يُشد عليه الزنار في الوسط أو لايُشد.وهو مصنوع من الكتان أو القطن ، الأسدي ، موسوعة ،ص ٢٥٧.

٣ –سجل حلب محاكم شرعية رقم ٩٨، صورة ٥٧، وثيقة ص١٠٨، تاريخ ١٤ محرم سنة ١١٧٩ه/١٧٦٥م.

٤–**الطنجرة** من التركية :تَنجره : القِدْر عن : TANAGHRA.اليونانية، وفي العربية : الطِنجير وهي وعاء يعمل فيه الخبيص أو قِدر من نحاس أو ألومينيوم أو نحو ذلك، والجمع : طناجر.الأسدي، موسوعة، ص٢٩٢

٥–**الصطل**: يلفظوها الصطل ، في العربية :السطل والسيطل، وفي الفارسية : شطل أو سَتَل أو سَتْله، وتعني : طاسة صغيرة لها عروة، ، ويحمل فيه الماء ويصنع من المعدن أو الخشب. الأسدي، موسوعة حلب، ص٣٤٧

٦–**الطشت**: من العربية الطَست أو الطَشت، وفي التركية تأس وتَسْتو تَشْت وطَشْت، وفي الأرمنية عن الفارسية . DASHTوفي الكردية : تَسْتو تَشْتو تاس ويعني :إناء نحاسي لغسل الأيدي، وليس بالضرورة التقيد بالنحاس ولا بغسل الأيدي فيه حصراً ، الأسدي ، ص٢٧٢.

٧–**الكَفكير** : من التركية عن الفارسية، كفگير: كفك: بمعنى : قبض، أخذ . گير: الرغوة وهي تعني بالعربية المغرفة أي الملعقة الكبيرة ذات الثقوب يقلّب فيها الطبخ، ويسكب منها ما ليس بحاجة إلى التصفية كالرز أو ما هو بحاجة إليها كالفاصولياء التي يرغب تصفيتها،الأسدي، موسوعة حلب ،ص٣٨٠.

٨–**الطاس**: في التركية طاس،والجمع :الطاسات. وفي الفارسية: تأس وسموا الصغير منه الطاسّة، فالتاء للتصغير. وفي الأرمنية:TAS.وفي العربية تعني إناء تسكب فيها المائعات أو السوائل،الأسدي، موسوعة حلب ص٢٣٣

٩–**الأنكَري** :تحريف لنْكَرَي التركية عن الفارسية وتعني : الصحن النحاسي الكبير، كالذي يستخدمه قصاب اللحم وكصينية إبريق التغسيل. الأسدي، موسوعة حلب ،ص ٣٠٤.

وقمقم[١] وأربعة قطارميز[٢] وكرسي وقبقاب..."[٣] ، وفتاة أخرى كان من مهرها " دست[٤] ولقّن[٥].

رغبت نساء الفئة الثرية أن يكون في مهورهن المقدّمة الأدوات الفاخرة والأواني الغالية الثمن المصنوعة من الذهب والفضة ، ووصلن إلى حدّ المبالغة في امتلاكها ، فلاقت رغباتهنّ استياء من قبل رجال الدين، ووصلت صداها إلى استانبول، فصدرت في العام ١٧٨٩م، فتوى من شيخ الإسلام مصطفى زادة إلى الوجوه من الأغنياء في ولاية حلب " بحرمان اقتناء وحيازة الأواني الفضية والذهبية، وبيعها إلى دار سك النقود في الآستانة(استانبول)، لأن هذا حراماً وسينالون غضب الله ورسوله، عدا الملاحقة الجزائية.."[٦]. ودخل ضمن المهر المقدم المصاغ الذهبي، فالحرمة رحمة بنت الحاج عمر كان مهرها طوق وأساور ذهبية بقيمة تسعين قرشاً[٧] وجرت العادة أن يقبض والد العروس مهرها المقدّم ، فدفع حسن بن قاسم من محلة المغاير لعمه بقصيبة باياس، أربعين قطعة ذهبية حساباً عن مهر مائة وعشرين قرشاً لابنته للزواج بها[٨].

ومن خلال ما ذكر من وثائق المحاكم الشرعية من مهور، فقد تمّ رصد عينات للمهور النقدية عند المرأة المطلقة خلال النصف الثاني من القرن الثامن عشر كالآتي:

١-**القِمْقَم :** في العربية : القُمقُم، الجرّة، استخدم كوعاء نحاسي سخّن فيها الماء، أو إناء العطّار، أو الوعاء الزجاجي ذي الرقبة الطويلة يوضع فيه العطر ليرش على المدعوّين لحفلة المولد ونحوها. كما استخدم كزجاجة الأرگيلة ذات العنق الطويل.الأسدي، موسوعة حلب ، ص٢٥٣

٢-**القْطارميز** مفردها القطرميز: وهي كلمة فارسية، قَطْر وتعني في العربية الحاوي، آميز: وتعني المستوعِب والشامل.وأطلق القطرميز على الوعاء الزجاجي الصغير منه.الأسدي، موسوعة حلب ،ص ٢٢٣.

٣- سجل حلب رقم ٩٧، صورة ٣٦، ص ٦٥، تاريخ ٩ شوال سنة ١١٧٤هـ/١٧٦٠م.

٤-**الدست :** من التركية : دَستي ، وعن الفارسية : تَستي : الإناء الكبير من الزجاج، وهم استعملوها للوعاء النحاسي الكبير ذي الحلقتين يطبخ فيه بكمية كبيرة. وجمعها :الدْسوت والدْسوتَة.الأسدي، موسوعة حلب،ص٥٠

٥-**اللَّقْن** عن السريانية : لقَنَا أولجَنَا، وفي الكلدانية: لقَنَا، وفي التركية: لكَن : وتغسل فيها الثياب ، وهو شبه طست كبير من النحاس أو الصفر متسع الفتحة. الأسدي، موسوعة حلب، موسوعة ،ص ٥٠٠.

سجل حلب محاكم شرعية رقم ٨٧، صورة ١٣٦، ص ٢٦٠، تاريخ ٢٠ رمضان سنة ١١٧٠ه/١٧٥٦م .

٦- سجل حلب أوامر سلطانية رقم ٢٠ ، صورة ١٠، ص٥، وثيقة ١٠، تاريخ أواخر صفر١٢٠٤هـ/١٧٨٩م.

٧ -سجل حلب محاكم شرعية رقم ١٠٥ ، صورة ٢٢ ، ص ٣٦، تاريخ ١٤ شوال سنة ١١٨٥هـ/١٧٧١م.

٨ -سجل حلب محاكم شرعية رقم ٧٩، صورة رقم ٢٧ تاريخ ١١٦٩ه/١٧٥٥م

القيمة بالقروش	عدد الحالات	النسبة	المصدر	ملاحظات
١-٥	١٣	%٣٩,٣	سجل حلب محاكم شرعية رقم ٧٩ في الأعوام ١٧٥٥-١٧٥٦	
١٠	١١	%٣٣		نصفهم مسيحيون
١٥-٣٠	٥	%١٥		
٤٥-٥٠	٣	%٩		
١٢٠	١	%٣		
المجموع	٣٣	%١٠٠		

جدول رقم (١) مبالغ المهور للمرأة المطلقة في أعوام ١٧٥٥-١٧٥٦

لوحظ من خلال الجدول (١) أن أكثر من ٣٩% من حالات المهور في أعوام ١٧٥٥-١٧٥٦ لم تتجاوز الخمس قروش في مناطق قارلق . بحسيتا. باب النيرب. الجبيلي. المغاير[١]، فالفئة الفقيرة ذات الشريحة الكبيرة في المجتمع الجلبي، سعت إلى تخفيف تكاليف الزواج، وتحديد نسب معقولة للمهور، وإن أكثر من ٣٣% لم تتجاوز العشر قروش، وهذه النسبة معقولة نسبياً، بين شرائح المجتمع وطوائفه الدينية ، ومن الجدير بالذكر أن في هذه الفترة رُصدت أغلب حالات المهور عند المسيحيين، في محلات شريعتلي. زقاق المغربية. أقيول. زقاق السيس[٢]، ولم تتجاوز قيمة المهور لديهم، أكثر من عشر قروش، وهذا ما يفسّر أن رؤساء الطوائف المسيحية، إلى جانب المسلمين شجّعوا على وضع حد أعلى لنسب المهور، وأما الفئة المتوسطة، ونسبتها بين ٩-١٥% فلم تتجاوز نسبة المهور (خمسين قرشاً)، ورصدت في محلات الجلوم، شريف قلعة حلب[٣]. وفي دراسة لعينات أخرى، رصدت حالات نسب المهور، خلال سبعينات القرن الثامن عشر عبر عنها في الجدول الآتي:

١ – سجل حلب محاكم شرعية رقم ٧٩، صورة رقم ١٠-١٣، ١٩-٢٠ ، ٢٦ تاريخ ١١٦٩ه/١٧٥٥م

٢ – سجل حلب محاكم شرعية رقم ٧٩، صورة رقم ١٨، ١٩، ٢٣، ٢٥، ٢٩، ٥٩، ٧٠-٧٢ تاريخ ١١٦٩هـ/١٧٥٥م

٣ –سجل حلب محاكم شرعية رقم ٧٩، صورة رقم ٢٣، ٢٧، ٧٢ تاريخ ١١٧٠ه/١٧٥٦م

القيمة بالقروش	عدد الحالات	النسبة	المصدر
١-٥	٥٢	%٥٠	سجل حلب محاكم شرعية رقم ١٠٣، ١٠٥ ، ١٠٧ في الأعوام ١٧٦٩ -١٧٧١
١٠	١٦	%١٥	
١١-٣٠	٢٦	%٢٥	
٤٥-٧٠	١١	%١٠	
١٠٠-٥٠٠	٣	%٢,٩	
المجموع	١٠٢	%١٠٠	

جدول رقم (٢) مبالغ المهور في أعوام ١٧٦٩- ١٧٧١.

ونلاحظ في الجدول (٢) وبعد مرور قرابة العشرين عاماً على رصد حالات المهور ، فان من بين اثنتين وخمسين حالة طلاق، تمّ تدوينها في سجلات المحكمة، خلال أعوام ١٧٦٩-١٧٧١، كان المهر المؤجل لا يتجاوز الخمس قروش، وبلغت نسبتها ٥٠% وجلهم من الفئات الفقيرة ، وهذا يدل على استمرار القبول بنسب المهور الزهيدة لتسهيل تكاليف الزواج ، إلى جانب ارتفاع ملحوظ في نسب المهور عند الفئات المتوسطة، وقد تجاوزت الثلاثين قرشاً وبلغت نسبتها ٢٦% ، في حين وصل مقدار المهر إلى سبعين قرشاً، وبنسبة ١١%، وقد يعود ذلك إلى تغيّر وضع العملة والقيمة الشرائية ، بينما ظهرت في العائلات الثرية المغالاة في المهور، وبلغت نسبتهم من عدد الحالات ٣%، وتراوح مقدار المهر بين(١٠٠ و٥٠٠ قرش)، واعتبر هذا الغلاء على حد فهمهم بأنه مظهرٌ للافتخار والمباهاة والشرف، وطريقة لجذب الرجال ذو المكانة العالية .

ج-الزواج :

١-الزواج عند المسلمين : ارتكزت أركان عقد الزواج على الايجاب والقبول[١] بين العاقدين، وعلى أهليتهم بحضور شاهدين رجلين عاقلين بالغين، بهدف اعلان الزواج واشهاره وللكامل الأهلية الحرية، بأن يوكل عنه من يقوم مقامه رجلاً كان أم امرأة في تزويجه والتوكيل يكون شفوياً أو كتابياً[٢]، وان فاقد الأهلية وهو الصغير والمعتوه والرقيق المملوك لا ينفذ زواجه بنفسه، وإنما الذي يزوّجه وليّه، وتكون ولاية التزويج عند المذهب الحنفي واسعة، وتشمل (القرابة

١-الايجاب: ما صدر أولا من أحد العاقدين تعبيراً عن ارادته في إيجاد الارتباط وانشائه ، والقبول : هو ما صدر ثانياً من الآخر للدلالة على موافقته ورضاه بما أوجبه الأول ، خلاف ، أحكام الأحوال الشخصية، ص٢٢.

٢- الصابوني ، شرح قانون الأحوال الشخصية ،ص١٠٠، ١٥٩.

-العصبة)، بينما المذهب المالكي، تكون الولاية للأب لا غير، ومذهب الشافعي للأب والجد الصحيح فقط، ويشترط في الوليّ أن يتميّز بأهلية العقل والبلوغ ، وأن يكون من دين المولى عليه لأن توافق الدين بينهما يوحّد وجهة النظر، في تقدير المصلحة.[١]

وترك للمرأة البالغة العاقلة حرية الزواج بمن تختار، طالما تحققت شروط عقد الزواج وورد المثال التالي في إحدى الوثائق " حضرت المرأة حليمة بنت عمر، الوكيل عن قبل ابنتها البكر البالغة العاقلة آمنة بنت عبد الكريم بشهادة الرجلين العدلين الحاج محمد الصابوني والسيد يوسف وزوّجت ابنتها من ابن خالة الموكلة المدعو عبد القادر الشيخ، على مهر قدره ثلاثمائة قرش معبّر عنه بالمقدم مائة وخمسين قرشاً قبضته حليمة قبضاً تاماً، والنصف الآخر معبّر عنه بالمؤخر مائة وخمسين قرشاً باقياً في ذمة الزوج بإيجاب وقبول الطرفين، بعد أن كان الشيخ عبد الرحيم، وهو جدّ الموكلة قبل صدور العقد أراد الاعتراض على اختيار آمنه، والتزوج بغير هذا الزوج فقابلته بالرفض وانها لا ترضى التزوج بغير ابن خالتها، واستندت إلى فتوى شريفة من المفتي وأعلمها أنها بكر عاقلة والزوج كفؤ لها، والمهر، مهر مثلها(مثل أي مهر فتاة) وليس لجدها ولا غيره على جبرها على التزوّج بغير ارادتها، وثبّت الحاكم الشرعي زواجها.."[٢] .

أما بالنسبة لتعدد الزوجات عند المسلمين، فقد شكّل أمراً اعتيادياً من ثقافة حلب ولاسيما عند الرجال ذوي الأحوال الاقتصادية الميسورة، واعتبروه عملاً مغرياً بالنسبة للفتيات اليافعات ولو كان فارق العمر كبيراً، وأوردت إحدى الوثائق، زواج الحاج موسى آغا من أربع زوجات وله منهن سبعة أولاد وست بنات.."[٣] ، وبالمقابل لم يكن بمقدور أفراد الفئة الدنيا الفقيرة التزوّج أكثر من واحدة ، رغم وجود العديد من الفئة الوسطى ممن له زوجتان[٤] .

٢-الزواج عند المسيحيين:

اعتاد المسيحيون في مرحلة البحث تزويج أبنائهم في سن مبكرة، ولا يرى الخطيبان المسيحيان بعضهما قبل الزواج ، وعالجت المحاكم الشرعية الاسلامية قضاياهم(زواج وطلاق وميراث...) وسعى المسيحيون إلى تثبيتها في هذه المحاكم ، وذكرت مئات الوثائق قضايا زواج

---

١ – خلاف، أحكام الأحوال الشخصية ، ص٦١

٢ – سجل حلب محاكم شرعية رقم ٨٧، صورة ٣٥ ، ص ٦٣، تاريخ ٤ جمادى الأول سنة ١١٧٠هـ/١٧٥٦م

٣– سجل حلب محاكم شرعية رقم ٩٨، صورة ٥٨، وثيقة ص١٥٥، تاريخ ١ محرم سنة ١١٧٨ه/١٧٦٤م.

٤ – راسل ،تاريخ حلب، مج٢، ص١٦٩.

الطوائف المسيحية دون عقد، والاكتفاء بذكر الزوجين والمقدم والمؤخر، ومن الأمثلة: "حضرت بمجلس الشرع صيدة بنت صهاك النصرانية، من طائفة الأرمن من سكان محلة شرعوس بتعريف اوهان وحنا، وزوجت نفسها برضاها من عطاالله النصراني من طائفة الموارنة، وتزوجها على مهر قدره خمسة قروش نصفها مقبوض بيدها، والنصف الآخر مؤخر لحين الأجلين"[١] . كما تعرضت الوثائق، لمن تزوّج من نفس الطائفة المسيحية، أو من طوائف مسيحية أخرى أيضاً كزواج سريانية من أرمني، أو زواج أرمنية من رومي [٢].

واعترفت المحاكم الشرعية بصكوك الأحوال الشخصية للمسيحيين التي عقدت في كنائسهم وتدخّلت بناء على رغبتهم في حل المشاكل العالقة بينهم ، وأفادت إحدى الوثائق حول " ادعاء ورتان النصراني بانه خطب المدعوة ايغيسا، ليتزوجها على قاعدة النصرانية، وواجه المدعى عليه ميناس النصراني الأورفهوي الذي منعه من التزوّج بها، ولا يرضى أن يعقد نكاحه عليها فسئل المدعى عليه عن حقيقة هذه الدعوى، فأجاب بأنه من مدة أربع سنين، وكلت اصمادون بأن يعقد نكاحي على ايغيسا، ووكّلت هي اراكيل النصراني فزوّجها وكيلها مني في الكنيسة ببلدة أورفة وأعلم الحاكم الشرعي ايغيسا أن النكاح المزبور صحيح ..ومنع ورتان من التعرض لايغيسا لثبوت كونها منكوحة ميناس .."[٣] أما بالنسبة لتعدد الزوجات، فالمسيحية لا تجيز تعدد الأزواج أو الزوجات، كما لا يجوز لشخص مسيحي رجلاً كان أم امرأة أن يتزوج لأكثر من ثلاث مرات أياً كان السبب.[٤]

٣-الزواج عند اليهود: إن وثائق المحكمة الشرعية نادراً ما تشير إلى أحوالهم الشخصية في فترة البحث، والتي كانت تحلّ في محاكم سلطاتهم الدينية ، ولم تشر إلا إلى النادر منها. وإن ثبتت قضاياهم في المحاكم الإسلامية، فكانت تتطبق عليها القوانين الإسلامية . وتتم خطوبة اليهود وهم صغار جداً ، ويقوم ديّان اليهود(مرتبة دينية) بعقد النكاح بين الزوجين ، ولا يعتبر صك الزواج شرعياً إلا بتصديقه في المحاكم[٥]، وكانت الطائفة اليهودية تعفي الرجال غير

١- سجل حلب محاكم شرعية رقم ٨٥، صورة ١٥٤ ، ص٣٠٣ ، تاريخ ٢١ ذي القعدة سنة ١١٦٧هـ/١٧٥٣م.

٢ -سجل حلب محاكم شرعية رقم ٨٠، صورة ٤٣ ، ص ٨٠، تاريخ ذي القعدة سنة ١١٦٥هـ /١٧٥١.

٣ -سجل حلب محاكم شرعية رقم ٨٥، صورة ٤، ص ٣، تاريخ ١٢ رجب سنة ١١٦٧هـ/١٧٥٣م.

٤- شؤون الأسرة ، دليل الزواج للطوائف المسيحية، ص ٨- ١٤ .

٥-حريتاني ، تاريخ اليهود في حلب، ص ١١٣

المتزوجين من الضرائب الجماعية، للسماح لهم بتوفير المال للزواج ، كما حظر رؤساء اليهود من زيادة مراسيم الأعراس بسبب التكاليف المرتفعة [١]، والزواج بين اليهود والطوائف الأخرى لم يكن شائعاً، فاليهود أكثر تعصّباً لبني قومهم، إلا في حالات نادرة تؤدي إلى حالات التحوّل إلى دين آخر[٢].

سمح الشرع اليهودي أي الكتاب المقدس والتلمود بتعدد الزوجات في حالات عقم المرأة ، أو الرغبة في إنجاب طفل ذكر، وعلى الرجل الذي سيتزوج ثانية أن يقوم باستمالة زوجته الأولى العقيمة، وذلك بتقديم المال إليها أو إقناعها، وإذا رفضت يستطيع الزواج دون رغبتها أو طردها قسراً[٣]، فتعدد الزوجات كان نادراً في حلب، وهذا ما أكّده الطبيب (راسل) خلال وجوده في حلب ١٧٧٥-١٧٧٦، بأن عدد اليهود المتزوجين من أكثر من زوجة لا يتجاوز عشرين شخصاً وصادف ثلاث حالات زواج بسبب عقم زوجاتهم[٤].

د-الطلاق : وهو حلّ رباط الزوجية الصحيحة، بعبارة تفيد ذلك صراحة أم دلالة، تصدر من الزوج أو من القاضي، بناء على طلب الزوجة[٥]، وكانت حالات الطلاق قليلة مقارنة بالزواج فأغلب الخلافات الزوجية كانت تحلّ عن طريق تدخل الأقارب، للصلح والحفاظ على الحياة الزوجية، إضافة إلى الأعباء المالية التي عدّت رادعاً لبعض الأزواج عن تطليق زوجاتهم وخاصة إذا كان مؤجل المهر مرتفعاً، ورغم ذلك فقد شُرّع الطلاق لأسباب اجتماعية وأخلاقية وصحية ومادية، [٦].

١-ماركوس ، الشرق الأوسط، ص٢٤٠

٢-حريتاني، تاريخ اليهود، ص١١٢

٣ - أبو جبل، يهود اليمن، ص١٣٣.

٤-راسل ، تاريخ حلب ،مج٢، ص٢٨٨ .

٥-خلاف ، أحكام الأحوال، ص١٢٨

٦-ماركوس ، الشرق الأوسط، ص٢٤٢.

١-**الطلاق عند المسلمين** : مارس سكان حلب جميع أنواع الطلاق: كالطلاق الرجعي والبائن والطلاق بالثلاث والمخالعة[١] وحالات فسخ الزواج، ومما ذكرته الوثائق حول قضايا الطلاق البائن: حالة الطلقة الواحدة" فقد طلق محمد سعيد من محلة التونبغا زوجته غير المدخول بها فاطمة بنت عرابي طلقة واحدة بائنة وقبضت من الطلق خمسة غروش نصف المهر قبضاً تاماً وتبرأ الطرفان من كافة الحقوق ابراء تاماً.."[٢] وأما الطلاق بالثلاث فإما أن يكون لفظاً مثل : طلاق محمد بن حسين لزوجته آمنة بنت حسن طلاقاً بالثلاث، بحضور الشهود وأعلم الحاكم الشرعي بوجوب الطلاق، ولا تحل له حتى تنكح زوجاً غيره ..[٣]أو أن يكون الطلاق بالثلاث تكراراً طلقة بعد طلقة ومثالاً على ذلك : "طلق علي بن محمد زوجته آمنة بنت زويف، بتعريف الحاج يوسف وعبد الكريم، طلقة واحدة بائنة مسبوقة قبلها بطلقتين بائنتين، فصار الطلاق ثلاثاً ولا تحل له من بعد حتى تنكح زوجاً غيره، وإبراء ذمته عن جميع الدعاوى ..."[٤]

---

١ -**الطلاق الرجعي**: بأن يقول الرجل لزوجته أنت طالق لفظاً أو كناية، وثم يملك الرجل مراجعة زوجته بالقول أو الفعل إذا طلقها للمرة الأولى والثانية ما دامت في العدة (ثلاثة أشهر أو عدة وضع الحمل) سواء كانت راضية بالرجعة أم لا ودون الحاجة إلى عقد جديد ، وبالنسبة للزوجة يكون رجعياً و يوقعه القاضي بناء على طلبها إذا كان سببه عدم إنفاق الزوج على زوجته أو عسره. **الطلاق البائن**: يكون في ثلاث حالات: الطلاق قبل الدخول الطلاق على مال، وأن تكون الطلقة مكملاً للطلقات الثلاث ، وخلالها لا بد من توافر ثلاث شروط موافقة الزوجة وعقد زواج جديد ومهر جديد ، فيستطيع الزوج مراجعة زوجته مرتين أي بعد الطلقة الواحدة البائنة أو بعد طلقتين (طلاق مرتين) وبعقد جديد . **الطلاق بالثلاث** : اعتبر جمهور فقهاء المذاهب الأئمة الأربعة(الحنفي والشافعي والمالكي والحنبلي)بأنه كل طلاق اقترن بعدد الثلاث لفظاً أو اشارة: كما لو قال الزوج لزوجته أنت طالق بالثلاثة فيقع بائناً ببينونة كبرى، واختلف فقهاء مذاهب أخرى في حالات الطلاق الثلاث بآراء مختلفة : فالطلاق بلفظ الثلاث يعتبر لغواً فلا يقع به الطلاق إلا طلقة واحدة ، فالطلقات الثلاث لا تقع إلا مرة بعد مرة،ولا تقع دفعة واحدة وهذا موافق لمذاهب أئمة الجعفرية والزيدية ومن المجتهدين مثل ابن حزم والظواهري، وأيضاً هذا ما يعمل به في القانون السوري والمصري وبعض البلدان العربية، الصابوني،ج٢،ص١٥- ١٧،٥٩-٦٠. خلاف، ص١٣٧-١٣٩.

٢ -سجل حلب محاكم شرعية رقم ٨٠، صورة ٨١، ص ١٥٦، تاريخ سنة ١١٦٦ه/١٧٥٢ـــ

٣- سجل حلب محاكم شرعية رقم ٨٧، صورة ٢٣ ، ص ٩، تاريخ ٢١ ربيع الأول سنة ١١٧٠هـــ/١٧٥٦م .

٤- سجل حلب محاكم شرعية رقم ١٠٨، صورة ٢٧، ص ٤٨، تاريخ ٤ جمادى الآخر سنة ١١٩٣هـــ/١٧٧٩م.

وعن وثائق الطلاق المعلق[١] وردت قضية أن" امرأة واجهت زوجها أمام المحكمة وقالت إن زوجي كان من مدة خمسة أيام ماضية قد علق طلاقي ثلاثاً وقال لي إن غسلتِ أنت وأمك ثيابي تكونين طالقاً ثلاثاً، وبعد يومين غسلنا ثيابه ووقع الطلاق المعلق، وإن لي في ذمته مهر مؤخر ثمانون غرشاً أطالبه فيه.. وأحضرت المدعية الشهود لطبق دعواها .. فحينئذ حكم الحاكم الشرعي بوقوع الطلاق .."[٢] . وفي قضية مشابهة حول تعليق الطلاق بالثلاث لعدم شرب الزوج للخمر ثم شربه، وذهبت زوجته إلى منزل آخر، وأعلم الحاكم الشرعي الزوج بوقوع الطلاق، فلا تحل له المدعية حتى تنكح من زوج غيره.."[٣].

ويكون طلاق الزوجين بعد إجراء المخالعة الرضائية بينهما، كأن تتنازل المرأة عن مهرها وعن نفقة عدتها، وأفادت إحدى الوثائق بالتالي " خالعت المرأة زمزم بنت خليل المعرفة شرعاً زوجها محمد بن جمول على عوض شرعي وهو مهرها المؤخر (ثلاثون غرشا) وعلى نفقة عدتها، وأن تكون مؤنة السكن عليها، وهو خلعها من عصمة نكاحه، فصارت مبانة من بينونة صغرى ومخالعة جرت بينهما بالتراضي..[٤]" .

وبعد إجراء المخالعة لا يحق للمرأة مراجعة زوجها السابق بالمهر أو أي نفقات أخرى مهما كانت الأسباب، كما بينت وثيقة ثانية " ادعت المرأة شريفة بمواجهة مطلقها الحاج يوسف بأنها كانت زوجة له، وأنه من مدة ستة أيام أكرهني بالضرب والشتم حتى خالعته، على مهري المؤخر وقدره خمسون غرش وعلى نفقة عدتي، وعلى أن أربّي ابنته المستولدة مني مدة خمس سنين من مالي ..وهي تطالبه بالمهر والنفقة فأنكر المدعي عليه، وعجزت المدعية عن إقامة البينة التي تشهد لها بالضرب ..ومنعها الحاكم من التعرض للمدعي عليه"[٥] .

١- الطلاق المعلق : إما أن يكون على شرط بربط حصوله بالأمر المعلق عليه، كما لو قال إن خرجت فأنت طالق ،فإذا خرجت فقد تحقق الأمر المعلق فيقع الطلاق حينئذ ، أو أن يكون على مستقبل أي اقترنت بلفظ مستقبل وقصد وقوع الطلاق عند هذا الزمان، واتفق جمهور الفقهاء في المذاهب الأربعة أن الطلاق يقع ولو كان بصيغة معلقة أو مضافة، وخالفهم بذلك المذهب الجعفري وابن حزم من مشايخ الظاهرية ، وابن تيمية من الحنابلة ، وجاء في القانون السوري بأن الطلاق المعلق لا يقع إلا في حالتين: كما لو قال أن ابرأتني من مؤخر مهرك فأنت طالق فأبرأته ، أو إن فعلت فاحشة فأنت طالق فإن فعلت وقع الطلاق. الصابوني،ج٢،ص٣٠-٣٢.

٢- سجل حلب محاكم شرعية رقم ٨٥، صورة ١٨٠، ص ٣٥٥، تاريخ ١٣ صفر سنة ١١٦٩هـ/١٧٥٥م.

٣- سجل حلب محاكم شرعية رقم ١٠٥ ، صورة ٧ ، ص ٣، تاريخ ٢٧ جمادى الأولى سنة ١١٨٥هـ/١٧٧١م.

٤ سجل حلب محاكم شرعية رقم ١٠٨، صورة ٢٨، ص ٤٩، تاريخ ٤ جمادى الآخر سنة ١١٩٣هـ/١٧٧٩م

٥-سجل حلب محاكم شرعية رقم ٨٣، صورة ١١٣، ص٢٢٢، تاريخ ٢٢ جمادى الآخر سنة ١١٦٦هـ/١٧٥٢م.

أمّا فسخ الزواج فقد أفادت وثائق عديدة حول حالاته[١]، ففي إحدى الوثائق بيّنت فسخ الزواج لعقد نكاح غير صحيح، ورُفعت في المحكمة البانقوسية الحنفية : " لمَا ظهر للحاكم الشرعي بأن المرأة مريم بنت ابراهيم زوجة أحمد بن عبد الله بنكاح شرعي وإن كان غاب عنها وتركها فعقدت نكاحها على عبد القادر بن عيسى وهو لا يعلم أنها زوجة أحمد فأعلم الحاكم الشرعي المشار إليه عبد القادر بأن نكاحه غير صحيح وانها تحت عصمة نكاح زوجها ..ثم طلق أحمد المرقوم زوجته طلقة بائنة وأبرأت ذمته.."[٢] ، وفي موضوع فسخ الزواج، والتفريق لغياب الزوج، وعدم الانفاق، اختلفت آراء المذاهب حوله[٣]، فكان الحكم الشائع في المحاكم الحنفية، عدم التفريق بين الزوجين، مما دفع المرأة للجوء أحياناُ إلى المحكمة الشافعية لرفع دعواها ، علماً أن القاضي الحنفي كان يثبت قرارات المحكمة الشافعية، ومثال على ذلك " ثبت بمجلس الشرع لدى النايب الشافعي (القاضي) وبشهادة الشهود الدعوى الشرعية الصادرة عن الحرمة آمنة، بأن زوجها مصطفى (بعقد نكاح شرعي) سافر وغاب عنها مدة أربع سنين ولا تملك المال للنفقة، وطلبت خيار الفسخ، ويكون لها حق التزوج بآخر بعد العدة، فأيد القاضي طلبها وفسخ نكاحها من عصمة زوجها الغائب، وحكم بينهما بالتفريق على قاعدة مذهب الإمام محمد بن إدريس الشافعي..وأمرها بالتربص إلى انقضاء عدتها منه شرعاً وعرضت هذه القضية على عمدة النواب النايب الحنفي محمد أفندي وهو فوضها إليه عقب ثبوتها لديه.. " [٤].

ومن الجدير بالذكر أن القوات العسكرية وأفراد الانكشارية اندمجوا مع الأهالي في حلب عن طريق الزواج، وظهرت حالات الطلاق بينهم، ففي إحدى الوثائق ذكر المثال التالي : "طلق الحاج

١-فسخ الزواج : التفريق بين الزوجين ويكون من القاضي بناء على طلب الزوجة في حالات التطليق لعدم الانفاق والتطليق للضرر والعيب والأمراض ، ولغيبة الزوج بلا عذر ، ولحبسه ، عدم صحة عقد الزواج كون الزوجة أخت زوجها رضاعاً ، ولعدم كفاءة الزوج وعدم رضا وليها ،ولنقصان مهر الزوجة عن مهر مثلها. خلاف، ص١٥٩-١٦٦، صابوني ، ج٢،ص٦٨-٩٨ .

٢- سجل حلب محاكم شرعية رقم ٨٠، صورة ٨٥، ص ١٦٣، تاريخ ١ ربيع الأول سنة ١١٦٦ه/١٧٥٢ـــ

٣ - رأى المذهب الحنفي في عدم التفريق بين الزوجين، وللمرأة أن تستدين وتنفق على نفسها إذا كان لها مال على أن يكون هذا في ذمة الزوج يدفعه حين رجوعه وإذا تبين للقاضي أن الزوج ممتنع عن الانفاق حكم عليه بالحبس غيابياً ودليل هذا المذهب قوله تعالى في سورة الطلاق آية ٤: ((لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا)). أما آراء المذاهب الأخرى كالمالكي والحنبلي والشافعي فدعت إلى فسخ عقد الزوجية والتفريق في جميع الحالات التي يمتنع فيها الزوج عن الانفاق، ودليلهم قوله تعالى في سورة البقرة آية ٢٢٩: ((الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ)). الصابوني ، ج٢، ص٨٣-٨٤

٤- سجل حلب محاكم شرعية رقم ٩٥، صورة ٣٣، ص٥٧، تاريخ سنة ١١٧٧هـ/١٧٦٣م. انظر الملحق رقم ٣/ أ

علي التفكجي (حامل البندقية) زوجته عائشة بنت إبراهيم الحاضرة، بتعريف الحاج سليمان بن بشه وعمر بيرقدار، وبحضور الحاج حسن جلبي الجورباجي(قائد أورطة الانكشارية) ، طلاقاً ثلاثاً على مهر قدره غرشان ، ثم ادعت المطلقة أنه لما عقد نكاحه عليها سمّي لها مؤخراً وقدره مائة غرش وطالبته بذلك فقابل دعواها بالإنكار ، واستمهلت لإحضار البينة، ثم دفع المطلق لمطلقته غرشين فقط .." [١]، ولم يكن البدو والقرباط خارج نطاق المحاكم الشرعية في حل مشاكلهم، وذكرت إحدى الوثائق عن أحدهم " طلّق يوسف ابن علي البدوي من عرب بني جميل زوجته غيابياً، بحضور الشهود موسى بن علي والسيد علي ابن عبد الرحمن، وقرر القاضي بأن لها الحق، بأن تعتد وتتزوج غيره" [٢]. وبالنسبة للقرباط فأوردت إحدى الوثائق كيف " خالعت المرأة عايشة بنت خميس القرباطية مع زوجها سفر بن حسين القرباطي، على مهر المؤخر وقدره خمس وعشرون غرشا ، وجرت المخالعة بينهما بالتراضي والقبول".[٣]

٢-**الطلاق عند المسيحيين:** يعتبر الطلاق في مفهوم المسيحيين من الأمور الحساسة ، وقد اختلف المسيحيون بشأن انحلال الزواج، لعدم تطابق ما جاء في أناجيلهم[٤] ، وتمسّكت طوائف

---

١ -سجل حلب محاكم شرعية رقم ١٠٥ ، صورة ١٩ ، ص ٣٠، تاريخ ١٨ رمضان سنة ١١٨٥هـ/ ١٧٧١م.

٢- سجل حلب محاكم شرعية رقم ٨٩، صورة٢٢، وثيقة ص٣٦، تاريخ٢٥ ربيع الأول سنة ١١٧١هـ/١٧٥٧م

٣- سجل حلب محاكم شرعية رقم ٨٧ ، صورة ١٠ ،وثيقة ص١٧٢ تاريخ ١٣ شعبان ١١٧٠هـ/١٧٥٦م .

٤- **الإنجيل:** تعني البشارة أو الأخبار السارّة، والأناجيل هي أربع كتب دينية ، تتصدر كتاب العهد الجديد والذي يعتبر مصدر العقيدة المسيحية ، والذي يحتوي على سبعة وعشرين كتاباً، وهذه الأناجيل تعتبر أعظم كتب العهد الجديد، والأناجيل الأربعة هي: **أنجيل متّى** : نسبة إلى متّى أحد الحواريين الاثني عشر، تبع المسيح منذ بداية دعوته، وبعد رفع المسيح، انصرف للتبشير في بلاد الحبشة ، وهناك مات شهيداً. **إنجيل مرقس** : نسبة إلى مرقس أحد أتباع المسيح ، لم يكن من الحواريين ، ويقال أنه كان تلميذاً للحواري بطرس، ولد في القدس، وكان أحد السبعين الذي أرسلهم المسيح للتبشير بالنصرانية، وقام برحلات تبشيرية إلى انطاكية وقبرص، وتركز نشاطه التبشيري في مصر ، واستشهد في الاسكندرية . **إنجيل لوقا:** نسبة إلى لوقا أحد أتباع المسيح ، لم يكن حوارياً ولا تلميذاً للحواريين، ويقال أنه ولد في انطاكية ، وإنه كان طبيباً ، رافق بولس في رحلاته التبشيرية واستشهد في بيوتية في اليونان . **إنجيل يوحنّا:** نسبة إلى يوحنا أحد الحواريين ، تبع المسيح منذ البداية ، بشّر في أفسس(Ephesus) غرب تركيا ، ويقال أنه ألّف إنجيله هناك، ومات شيخاً هرماً في نهاية القرن الميلادي الأول. وهذه الأناجيل لم تنزل على المسيح ، لأن المسيح بالنسبة للمسيحيين إله ، ولا يحتاج الإله إلى كتاب، ولم تكتب أثناء حياته بل كتبت بعد قيامه، بواسطة اثنين من حواريه واثنين من أتباعه، وتحتوي الأناجيل الأربعة على اخبار سيدنا عيسى عليه السلام من وقت الحمل به إلى وقت قيامته بعد صلبه كما يعتقد المسيحيين ، وتحتوي على أقواله ومواعظه ، وتشريعات الأحوال الشخصية، والتمسك بالفضائل والقيم. محمد السعدي، **دراسة في الأناجيل الأربعة والتوراة**، جمعية الدعوة الاسلامية (مالطا) ، ط١، منشورات دار الثقافة ، الدوحة ، ١٩٨٥، ص١١-١٢.

بتأييد العلاقة الزوجية ، وطوائف أخرى ترى انحلال الزواج بالتطليق وليس بالطلاق[١]، ويكون على شكل انفصال دائم أو مؤقت عند الطوائف الكاثوليكية، مع بقاء وثاق الزوجية قائماً وتحريم الفسخ، أما الطوائف الأرثوذكسية فأقرت بفسخ الزواج والطلاق، إضافة إلى أنواع الانفصال. وقيّد الانفصال والفسخ لأسباب محددة كالزنا وسوء السلوك والجنون، والرهبنة وغيرها[٢]،

وأشارت وثائق المحاكم الشرعية إلى ممارسة بعض المسيحيين أنواع الطلاق المعروفة لدى المسلمين، وهو غير جائز في شرائعهم الكنسية ، وذكرت إحدى الوثائق مثلاً " طلق ابراهام النصراني زوجته المرأة كاترين، من طائفة نصارى الروم، المعرفة بتعريف أخيها، طلقة واحدة بائنة، تملّكت بها نفسها وأبرأت ذمته عن مهرها المؤخر، وفرض الحاكم الشرعي عليه أربع مصريات، منها مصريتان لنفقة العدة ومصريتان نفقة ابنتهما .."[٣]. ويستدلّ من ذلك، أنّ رفض بعض المسيحيين تطبيق شرائعهم الخاصة بالأحوال الشخصية، ورغبتهم التقاضي في المحاكم الاسلامية، لتوثيق عقودهم لدى القضاة المسلمين، والحصول على حقوقهم في النفقات وغيرها ومشاركتهم في الحياة الاجتماعية كالمسلمين تماماً.

٣-**الطلاق عند اليهود:** يسمح الطلاق في الشريعة اليهودية ، ومع ذلك لا يتم الطلاق إلا في شروط خاصة [٤]، وقد مارس القليل من اليهود في حلب، شأنهم شأن المسيحيين، الطلاق على غرار الشريعة الإسلامية، وللأسباب نفسها الآنفة الذكر عند المسيحيين، وجاء في إحدى الوثائق عن الطلاق البائن مايلي: " طلّق ابراهام ولد صليمان اليهودي زوجته اليهودية الغائبة عن المجلس طلاقاً ثلاثا فبانت منه بينونة كبرى، فلا تحلّ من بعده حتى تنكح زوجاً غيره، وقد أبرأ ذمتها عن جميع الدعاوى والحقوق الزوجية كالمقدم والمؤخر .."[٥] . وعن قضايا المخالعة فقد ذكرت إحدى الوثائق : " خالعت المرأة سمحة بنت مردخاي اليهودية زوجها ياغوب ولد يوصف اليهودي، وهو

---

١ – سنوى علي ميلاد ، **وثائق أهل الذمة في العصر العثماني وأهميتها التاريخية** ، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، القاهرة، ١٩٨٣، ص٢١.

٢ – دليل الزواج للطوائف المسيحية، ص٢٠-٢٣.

٣- سجل حلب محاكم شرعية رقم ٨٧، صورة ١٣٢ ، ص ٢٥٢، تاريخ ٤ ذي القعدة سنة ١١٧٠هـ/١٧٥٦م .

٤- للتفصيل أكثر في عقود الزواج والطلاق انظر : ليلى أبو المجد، **عقود الزواج** ، ترجمة وتعليق على متن المشنا وشروح التلمود ، ١٩٩٥، ص١٥٧- ١٦٢.

٥- سجل حلب محاكم شرعية رقم ٩٦، صورة ٤٨ ، ص ٨٨، تاريخ ٢٥ محرم سنة ١١٧٧هـ/١٧٦٣م.

خلعها من عصمة نكاحه، على مهرها المؤخر وقدره خمسة وعشرين غرشا، وعلى نفقة عدتها وعن جميع الدعاوى المتعلقة بالزوجية.."[١] .

هـ–النفقات : وتشمل نفقات الأقارب، وهي نفقة الانسان من ماله الخاص، كالنفقة على الزوجة من طعام وكسوة ومسكن وأثاث ، ونفقة غير الزوجة، وتضم نفقة الفروع والأصول والأقرباء[٢].كما أوردت إحدى الوثائق حول نفقة إحدى النساء، وكيف "فرض الحاكم الشرعي على الرجل المدعو محمد الغائب عن هذه البلدة، لزوجته الحرمة مروة بنت عيسى في كل يوم يمضي بتاريخه تسعة عثمانيات فضيات برسم نفقة مروة المزبورة وكسوتها ولوازمها وأذن لها بالاستدانة وانفاقه بنية الرجوع به على زوجها المدعو محمد .."[٣].

وفيما يخصّ نفقة الأولاد، فقد ذكرت إحدى الوثائق حول ذلك، إذا كان الأب متوفياً : "فرض الحاكم الشرعي، للصغار الخمس أبناء المتوفي عبد الرزاق في كل يوم سبعة مصريات برسم نفقتهم وكسوتهم، وأذن لأمهم عائشة الحاضنة لهم، باستدانة ذلك وانفاقه على الصغار، من ربح مالهم المخلف لهم عن أبيهم .."[٤]. ونلاحظ أن الأيتام الذين ورثوا بعض الملكيات، فكان يتمّ الحفاظ عليها وإدارتها من قبل وصيّ، وعادة ما يكون أحد الوالدين أو أحد الأقارب .

و– الحضانة :الحالة الطبيعية للطفل أن ينشأ محاطاً بعناية أمه وأبيه ، أما إذا حصل الفراق بين الوالدين، فإن مصلحة الطفل تتوجّب الاهتمام به وتربيته، والقيام بتدبير شؤونه في سن معينة وممن له الأولوية في حضانته[٥]، وحاجات الطفل في بداية حياته تقدر عليها النساء أكثر من

١– سجل حلب محاكم شرعية رقم ٨٤، صورة ١٦٢ ، ص ٣١٦ ، تاريخ ٣ رمضان سنة ١١٦٨هـ/١٧٥٤م.

٢– اختلفت آراء الفقهاء في نفقات الأقرباء، فالمذهب الحنفي، رأى أن النفقة واجبة هي للأصول والفروع والحواشي، من ذوي الرحم المحرم وشرط اتحاد الدين ، والمذهب المالكي قال إن النفقة هي للأبوين والابناء فقط، وقال المذهب الشافعي النفقة هي للأصول والفروع فحسب ، صابوني ، ج٢ ، ص٢٨٨، خلاف ، أحكام الاحوال ص١٠٤.

٣– سجل حلب محاكم شرعية رقم٨٣، صورة ١٣٠، ص٢٥٥، تاريخ٢٨ جمادى الأولى سنة ١١٦٦هـ/١٧٥٢م.

٤– سجل حلب محاكم شرعية رقم ٩٩، صورة ٥٥ ، ص ١٠٣، تاريخ ٢٥ رمضان سنة ١١٩٢هـ/١٧٧٨م.

٥–**الأولوية في الحضانة** : أحق النساء المحارم بحضانة الطفل أمه سواء كانت زوجيتها قائمة أي هي زوجة لأب الطفل أم كانت مطلقة منه، ومع توفر شروط أهليه الحضانة ، ثم أمّ الأم مهما علت ، ثم أمّ الأب مهما علت ، ثم الأخوات الشقيقات، ثم الأخوات للأمّ ثم أخوات الأب ، ثم بنات الأخوات الشقيقات ثم بنات الأخوات الأم ، ثم خالاته بتقديم الشقيقة فالخالة لأمّ فالخالة لأب ، ثم بنت الأخت لأب ثم بنات الأخوة بتقديم بنت الأخ الشقيق فبنت الأخ لأمّ فبنت الأخ لأب، ثم عماته بتقديم العمة الشقيقية فالعمّة لأم فالعمة لأب ، ثم خالات الأمّ ثم خالات الأب، ثم عمات الأم ثم عمات الأم، واذا تساوت النساء الحاضنات بالدرجة والقوة اختار القاضي من كان أقدر على تربية الطفل. وإن لم توجد إحدى الحاضنات وفق الترتيب السابق أو لم تكن أهلاً للحضانة فتنتقل الحضانة للعصبات الذكور المحارم. انظر : الصابوني، ج٢ ، ص٢١٨–٢٢١، خلاف ، أحكام الأحوال ، ص١٩٤–١٩٥.

الرجال لشفقتهنّ وصبرهنّ. والأحق بحضانته شرعاً أمه ثم محارمه من النساء، وإن لم توجد له محرماً من النساء، انتقل حقّ الحضانة إلى محارمه من الرجال، ثم لأقاربه، ولا بد من توفّر شروط أهلية الحضانة[١].

ومدة الحضانة[٢]، وأشارت وثائق المحكمة إلى قضايا عديدة حول الحضانة منها: حضانة الجدة: "طالبت الحاجة فاطمة بنت علوان، زوجة ابنها المتوفي فاطمة بنت علي بحضانة ابنيها الصغيرين وذلك بعد زواجها، بغير ذي رحم محرم منهما، وسقوط حق حضانتها وليس لهما أمّ تحضنهما (الأولوية لأم الأم)، وأمر القاضي بتسليم الصغيرين لجدتهما أم أبيهما وانتقالهما تحت حضانتها.[٣] ومع الأخذ بالاعتبار، تأكيد شرط توافر الأهلية الكاملة للحاضن، مهما بلغت درجة قرابته : فقد ذكرت إحدى الوثائق حول إهمال الجدة للمحضونة فقد " حضرت إلى مجلس الشرع المرأة صالحة، من محلة قاضي عسكر، ومعها البنت البالغة آمنة، وأقرّت أن آمنة ابنتي متولدة مني في

١-**شروط الحضانة** : أن تكون الحاضنة قريبة الطفل وذات رحم محرم، أن تكون حرة لأن المملوكة مشغولة بخدمة مالكها عن تربيته، وأن تكون بالغة عاقلة ليست مجنونة أو معتوهة، وأن تكون قادرة على رعاية الطفل وتربيته أي لا تكون مريضة يمنعها من الحضانة ، وأن تكون أمينة عليه فالمرأة الفاسقة فاسدة الأخلاق لا يجوز أن تكون حاضنة، أن لا تقيم الحاضنة في بيت فيه من يبغض الصغير وإن كان قريباً، وفي النظام الاسلامي أن لا تكون مرتدة، أن لا تكون الحاضنة متزوجة بغير قريب الطفل، أما إذا كانت متزوجة بقريب محرم من الطفل كعمّه مثلاً فهي أهل للحضانة، وبالنسبة لهذه الحالة بشكل عام وافقها مذاهب الحنفية والشافعية والحنابلة، إلا أنه في مذهب المالكي تسقط الحضانة إذا كانت متزوجة من عم الطفل من الرضاعة، وأن لا تسافر الحاضنة بالصغير من غير إذن أبيه إلى مكان غير موطنها أو موطن الأب الأصلي. الصابوني، ج٢،ص٢٢٥-٢٢٧. خلاف ، أحكام الأحوال،ص١٩٤-١٩٥ .

٢-**مدة الحضانة**: اختلفت الآراء بين الفقهاء حول ذلك ، المذهب الحنفي : تنتهي الحضانة للذكر عن سن السابعة ، والبنت سن التاسعة، وتسلم إلى أبيها أو من يليه من العصبات المحارم، وللقاضي تقدير المصلحة بسنتين إضافيتين إذا دعت الحاجة، وإذا بلغ الطفل سن البلوغ خيّر بين أبويه . المذهب الشافعي: لا فرق بين الذكر والانثى في مدة الحضانة وهي سبع سنين وبعدها يخيّر بين والديه . مذهب الحنابلة : وافق المذهب الحنفي في المدة ولكن بعدها يخيّر الطفل بين والديه وبعد ثبوت التمييز ، مذهب المالكية : الطفل المحضون يبقى لدى أمه حتى سن البلوغ للذكر، وحتى الزواج للفتاة ، المذهب الزيدي: مدة الحضانة للذكر لا يحدد بالسنين وإنما حتى يستغنى بنفسه أكلاً وشربا مما يفعله العقلاء وأما الأنثى حتى سن الزواج ، المذهب الجعفري : مدة الحضانة للذكر سنتان وللأنثى سبع سنين وبعدها ينتقل للأب حتى يبلغ الذكر خمس عشر سنة والفتاة تسع سنين وبعدها يخير الصغير، وأما القانون السوري في الوقت الحالي: مدة الحضانة للذكر تسع سنين والبنت الحادية عشر. انظر: خلاف ، أحكام، ص١٩٦-١٩٧. الصابوني ج٢، ص٢٤٩-٢٥٣.

٣- سجل حلب محاكم شرعية رقم ٨٧، صورة ٥٨، ص ١٠٤، تاريخ ١٦ ذي الحجة سنة ١١٧٠هـ/١٧٥٦م.

فراش زوجي الأول المتوفى أحمد، وإني كنت لما مات أبوها من مدة خمس عشر سنة ماضية، دفعتها لجدتها أم أبيها المرأة فاطمة لتربيتها فألقتها فاطمة في الصحراء، في مكان خال وفقدتها من ذلك الوقت، وإني أطالب إلحاق نسبها بنسبي، ولما صدقتها البنت البالغة وكانت البنت البالغة مجهولة النسب في بلدها، فأقر الحاكم بصحة إقرار المرأة صالحة .."[١] .

ومن شروط الحضانة أيضا منع سفر الحاضنون خارجاً ، ومثالَ ذلك ماأفادت به إحدى الوثائق وكيف :"ادعت المرأة مكية من سكان حلب، الحاضنة لأبنها الصغير أحمد بن المتوفي علي، بمواجهة جدّ الصغير أب أبيه الحاج عبد الرزاق، وقالت بأنه منعها من السفر بابنها الصغير إلى مدينة دمشق، وترك موطنها الأصلي مما يسبب ضرراً بي ، وأعلم الحاكم الشرعي أم الصغير، أنها ليس لها أن تسافر بالصغير إلى بلد غير وطنها الأصلي ومنعها من السفر[٢].

ز- **الوصاية** : تثبت الوصاية (الولاية)شرعاً على المال، في حالات عديدة مثل : الوصاية على التصرفات والعقود، وفي مجال البيع والشراء، وما يتعلّق بأموال القاصرين والمجانين والمعتوهين واليتامى، والأصل في ثبوت الوصاية في الصغير عند المسلمين، قوله تعالى: ((وَابْتَلُوا الْيَتَامَى حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبَرُوا وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا))[٣]. وتكون الوصاية بالدرجة الأولى للأب ثم وصيه، ثم الجد ثم وصيه ، ومن ثم القاضي، ثم وصيه الذي يختاره كالأم، أو أقاربه، أو غير ذلك، فوصي الأب من يختاره ليكون خلفاً عنه بعد موته، لإدارة شؤون أولاده فيكون هذا الوصي مقدماً على جدهم لأبيهم، ويشترط في الوصي أن يكون كامل الأهلية بالعقل والبلوغ والأمانة[٤].

وفي وثائق المحاكم الشرعية حالات وصاية عديدة على الأبناء وعلى الأقارب، وهناك أمثلة على ذلك : " نصب الحاكم الشرعي ناقلة هذا الكتاب فخر المخدرات عائشة خانم لتكون وصياً شرعياً ومتكلمة مرعية على ابنها الصغير: محمد أمين مستحق في وقف والده المرحوم عبد الرحمن باشا لتنظر في أموره إلى حين بلوغه، وتقبض ما يستحقه من غلة الوقف، وتحفظه إلى

١- سجل حلب محاكم شرعية رقم ١٠٥ ، صورة ٧٧ ، ص ١٤٨، تاريخ ٦ شعبان سنة ١١٨٦هـ/ ١٧٧٢م.

٢- سجل حلب محاكم شرعية رقم ٨٠، صورة ٣٧ ، ص ٦٧، تاريخ ٩ شوال سنة ١١٦٥هـ /١٧٥١.

٣-القرآن الكريم ، سورة النساء ، آية ٦ .

٤-خلاف ، أحكام الأحوال ، ص ٢٢٢.

ايناس رشده.."[١].وحتى في مجال تنظيم عقود البيع والشراء، فقد ذكرت إحدى الوثائق، أنّ العم كان وصياً على أبناء وبنات أخيه، وجاء فيها:" باع أحمد بن قاسم من عمه الوصي الشرعي على بنت أخيه الصغيرة زمزم بنت قاسم (أخت أحمد)نصف الدار الكائنة بمحلة الحجاج وهو الإرث الشرعي المنتقل من أبيه بثمن قدره ثمانون غرشاً.."[٢].

وعندما لا يملك اليتامى أي أموال خاصة بهم ولا أب يتحمّل مسؤوليتهم ، كان القاضي هو الذي يختار أحد الأعمام أو الأجداد أو الأشقاء ليكون وصياً على الصغير، وملتزماً بالنفقة، وكان هذا العبء المادي، أكبر مما يستطيع تحمّله القريب في بعض الأحيان، وغالباً ما يبرهن على أنه فقير جدا، ويستدل على ذلكّ في الوثيقة الآتية : تنازل عبد القادر لزوجة أخيه والتي سقطت حضانتها لأولادها الثلاثة بعد زواجها، وقال إنه رجل فقير لا قدره له على الإنفاق عليهم، ورضي بإبقائهم عندها إلى سن البلوغ، وأن تربيهم من مالها مجاناً، برضاها وحسن اختيارها .."[٣].

وفيما يخص الوصاية على المجانين، والمعتوهين من قليلي الفهم، ومختلطي الكلام وفاسدي التدبير، أقرّ القضاة اختيار أوصياء عليهم من أقاربهم، وذلك لضرورة الحاجة لحمايتهم وصون حقوقهم، وأشارت إحدى الوثائق عن " اختيار محمد بن عبد اللطيف قيّماً على بنت عمة أبيه المعتوهة الحرمة باكية، وقد باع ما هو ملكها من الدار الكائنة بمحلة الحجاج إلى الأختين فرح وصفية لضرورة النفقة عليها[٤]. وأيضاً أشارت وثيقة أخرى : " باع الحاج محمد الوصي الشرعي على الرجل الفقير المختل عقلياً المدعو يوسف، جميع الدار المنتقلة إليه بالإرث الشرعي من والدته إلى الرجل عبد الوهاب، وذلك بمبلغ مالي لضرورة النفقه عليه"[٥].

ح-الوصيّة وأنواعها كما وردت في وثائق المحاكم الشرعية : تنعقد الوصية بالعبارة أو بالكتابة ، وهي أن يعهدالإنسان بعد موته لشخص في تصريف شيء من ماله، أو يعهد لشخص برعاية أولاده الصغار، أو يعهد لشخص في أي شيء من الأعمال التي يملكها بعد موته، وركنها

١- سجل حلب محاكم شرعية رقم ٨٠، صورة ١٣٠، ص ٢٥٢، تاريخ ١١٦٦هـ /١٧٥٢.

٢ -سجل حلب محاكم شرعية رقم ٨٣، صورة ٢٨، ص ٥٠ ، تاريخ ٢١ رجب سنة ١١٦٥هـ/١٧٥١م.

٣ -سجل حلب محاكم شرعية رقم ٨٣، صورة ١٢٣، ص ٢٤١، تاريخ ١١٦٦هـ/١٧٥٢م.

٤ -سجل حلب محاكم شرعية رقم ٧٧، صورة ١٦١، ص ٣٠٩، تاريخ ٤ رجب سنة ١١٦٤ه/١٧٥٠م .

٥ -سجل حلب محاكم شرعية رقم ١٠٣، صورة ١٧٧، ص ٣٤٨، تاريخ ١٩ شوال سنة ١١٨٣هـ/١٧٦٩م.

الأساسي الإيجاب من الموصي، والقبول من الموصى له، وتكون لازمة بوفاة الموصي[١] وجرت دراسة الوصية من خلال الوثائق الشرعية، واستخلصت بأن الموصي يوثّق وصيته في المحاكم الشرعية في حياته، لتعتبر سنداً من أجل تنفيذها بعد موته.

هناك حالات عديدة تمّ رصدها في بعض الوثائق مثل: وصية الأموال والأملاك إلى الذرية والاشراف على الأوقاف في سبيل الخير والمنفعة العامة ، وصية عينية كعتق الرقيق، وصية الدفن في مقبرة ما، وبالتفصيل عن هذه الحالات:

١-**وصية الأموال إلى الذرية** : ذكرت إحدى الوثائق : "حضور الأخوة الأربعة ياسين وعبد الرحمن وعبد الله وعبد القادر، الواضعين أيديهم على ميراث أختهما سالمة، والتي أوصت بعد موتها بمقدار من الدراهم إلى ابنتيها صالحة وفاطمة ، وقد تسلمتا جميع الوصية المرقومة.."[٢].

٢- **الوصية عن طريق الإشراف والتولّي على الأوقاف** : ذكرت إحدى الوثائق حول وصاية والي جدة السابق المقيم في حلب عثمان باشا قبل وفاته بأن تتولّى شقيقته الاشراف على وقف جامع الرضائية الذي يعود له ومن بعدها الأولاد والأحفاد [٣].

٣- **الوصية لأعمال البرّ**: وردت بعض حالات الوصية بأن تصرف في وجوه الخير والمنفعة العامة، والغرض منها هو ابتغاء الأجر والثواب في الآخرة، والمثال على ذلك : "وصية الحاج عثمان بقوله إذا مت وقضيت نحبي فيفرز من مالي، جميع المخزن المعدّ للحياكة إلى أهالي محلة الحجاج، يؤجرونه ممن يرغب في إيجاره، ويصرفون أجرته في مصالح المحلة [٤].

٤-**الوصية بعتق العبيد:** ذكرت إحدى الوثائق وصية والي حلب فيضي سليمان باشا بعد وفاته سنة ١٧٩٣، بإعتاق ثلاثة من عبيده (الخيالة) واثنين من عبيده (الخاصة) في داره لوجه الله[٥].

١-أحمد الحجي الكردي، **الأحوال الشخصية(الأهلية- والنيابة الشرعية-والوصية -والوقف-والتركات)**منشورات جامعة حلب، ٢٠٠٤، ص٤٣٤-٤٣٥. خلاف ، أحكام الأحوال، ص ٢٥٥.

٢- سجل حلب محاكم شرعية رقم ١٠٣، صورة ١٤٦،ص ٢٨٦، تاريخ ١١٨٣هـ/١٧٦٩م.

٣ -سجل حلب أوامر سلطانية رقم ٢٥، صورة ٦٤، ص٤٤ ، وثيقة ٨٧، تاريخ ١٢١٠هـ/١٧٩٥م.

٤ -سجل حلب محاكم شرعية رقم ١٠٨، صورة ٤٢، ص ٧٨، تاريخ ١١ ذي القعدة سنة ١١٩٢هـ/١٧٧٨م.

٥- سجل حلب أوامر سلطانية رقم ٢٣ ، صورة ١٣١، ص ١٠٥، وثيقة ١٤٠، تاريخ ١٢٠٨ه/١٧٩٣م.

ه-**وصايا تتعلّق بالدفن بعد الموت:** تناولت هذه الوصايا رغبة بعض النساء المسيحيات المتزوجات من مسلمين، لدفنهن في مقابر المسيحيين، بعد أن كان القاضي يعرض عليها الاسلام:" حضرت المرأة ميرم النصرانية من طائفة الأرمن، وهي متزوجة من رجل مسلم، وقال إذا ماتت أن تدفن في مقابر النصارى بحلب، وبعد ان عرض عليها الاسلام أبت وأصرت على ذلك.."[١].

ط-**الإرث والتركات** :وهو كل ما يخلفه المتوفى من الأموال والحقوق المالية والشخصية والمقتنيات والعقارات ، وللإرث أهمية اجتماعية واقتصادية كبيرة، بسبب انتقال الأموال ضمن العائلة، وتمكّن اليتامى والأرامل من توفير الرعاية لأنفسهم، مما ورثوه دون إثارة الشفقة ، أو الحاجة لمساعدة الآخرين ، إلى جانب تمسكهم في توفير دخل دائم يحميهم من الحاجة ، أو مساندة أفراد عائلاتهم[٢]. وقد استند توزيع الميراث طبقاً للقواعد الشرعية، والتي كانت تعرّف الأقرباء الذين يملكون حق الوراثة من المتوفي ، وأوردت وثائق سجلات محاكم حلب حالات توزيع الإرث بين الأولاد كحصة الذكر مثل حظ الأنثيين[٣]، وأيضاً أوضحت الوثائق حالات متنوعة للورثة، من ممتلكات أقربائهم كالزوجة والزوج والأخت والعم والعمة ..[٤].

وإذا كان المتوفي مديوناً فقد كانت الحكومة تقوم بتحصيل الديون من أموال تركاته[٥]، ولها الأولوية بالنسبة لبيع ممتلكاته في المزاد العلني[٦]، وذلك طبقاً لرأي المذهب الحنفي بهذا الخصوص[٧]، وقد أرسل شيخ الاسلام في استانبول في العام ١٨٠٠ إلى الوزراء والولاة والقضاة ونوابهم تعليمات مفصلة حول توزيع تركات موتى العسكريين والمدنيين، على الأسس الشرعية ولكن بعد أن يحذف منها مصاريف الدفن والديون المستحقة على أصحاب التركات، ثم طرح ما جاء بالوصية إذا كان هنالك وصية، والباقي يوزّع بين الورثة وفقاً لأحكام الله، ودفع أجرة للقائمين على توزيع التركات (القسامية- الكتابية-الخدامية)، وبالإضافة إلى حفظ حصة للفقهاء بما

---

١ -سجل حلب محاكم شرعية رقم ٨٠، صورة ١٨ ، ص ٣٠، تاريخ ٢٧ رجب سنة ١١٦٥هـ /١٧٥١.

٢-ماركوس ، الشرق الأوسط، ص٢٤٥.

٣ -سجل حلب محاكم شرعية رقم ٩٨، صورة ٥٩، وثيقة ١١١، تاريخ ١٧ ذي الحجة سنة ١١٧٨ه/١٧٦٤م.

٤- سجل حلب محاكم شرعية رقم ١٠٨، صورة ٣٥، ص ٦٣، تاريخ ٢٢ رجب سنة ١١٩٣هـ/١٧٧٩م.

٥ -سجل حلب أوامر سلطانية رقم ٢٥ صورة ١٢٥، ص٩٢ ، وثيقة ١٧٤، تاريخ ١٢١٠هـ/١٧٩٥م.

٦-سجل حلب أوامر سلطانية رقم ٢٠، صورة ٣٠، ص٢٤-٢٥، وثيقة ٣٤٥٨، تاريخ ١٢٠٤هـ/١٧٨٩م.

٧- الكردي، الأحوال الشخصية ، ص٢٢٤

يعادل (٢٥قرشاً) من كل (١٠٠٠قرشاً) من قيمة التركة ، وعدم تقاضي أي مبلغ آخر، بأي حجة ولا يسمح للحكام شراء متاع وأشياء التركات[١].

وحول طرق توزيع حصص الورثة، كان تحدث خلافات ، وتصل هذه الخلافات إلى السلطان في بعض الأحيان كان يحدث خلافات كثيرة بين الورثة ليتم الفصل فيها ، ففي العام١٧٩٢ورد أمر من السلطان إلى قاضي حلب بلزوم البت في الخلاف الواقع بين ورثة المتوفي عبد القادر عزولي زادة وبين أولاد ابو بكر القائمين بالوصاية، وإعادة الحق إلى نصابه " فحيث آل إلى الورثة نصف خان الصابون في محلة قنسرين وقيمتها(٢٥٠٠٠قرشاً) ولصغر سنهما ومنذ ١٣ سنة تم الأشراف على العقار كان يحدث خلافات كثيرة بين الورثة من قبل أولاد أبوبكر شقيق المتوفى والذين اخذوا مبلغ(٢٥٠٠ قرشاً) من إيراد الخان كان يحدث خلافات كثيرة بين الورثة من دون حق، وبعد تبين الأمر حول وصية المتوفي وشهادة الشهود، لا يحق للوريثين أن يملكا نصف الخان"[٢].وكان الخلاف حول الميراث أحياناً يتوجّب استدعاء الورثة، للمثول أمام المحاكم الشرعية في استانبول، وتبيّن ذلك من خلال أحد الأوامر السلطانية : "ففي العام ١٧٧٩ ورد أمر سلطاني إلى والي حلب ، وبعد الشكوى المقدمة من قبل حسين الموصلي، بشأن مطالبته بإرث والده الذي يزيد عن مائة ألف غرش ، ثم هاجر والده وعمّه إلى حلب، وبعدها توفي والده ثم نصّب عمه نفسه وصياً على الميراث، وبعد وفاة عمّه وضعت ابنة عمه خاتون على ميراث والدها وعمّها (والده)، وصدر الأمر الشريف بحضور الطرفين لدار السعادة (استانبول) ، لإجراء محاكمتهما بدار الشرع الشريف"[٣].

ثانياً- العادات والتقاليد :

تمتّعت حلب بتقاليد راسخة في كل مناحي الحياة، وهذه التقاليد، هي نتاج تفاعل المجتمع مع التشريع الديني والتزامه به منذ مئات السنين، وظهرت العادات والتقاليد في الأفعال والأعمال التي مارسها أفراد المجتمع الحلبي، ومثّلت برنامجًا يوميّاً أو دوريّاً لحياتهم، والعادات لا تظهر بين يوم وليلة، بل كانت تأخذ سنوات حتى تثبت وتستقرّ، وسنوات أطول حتى تتغيّر وتتحوّل. وتدخل

١- سجل حلب أوامر سلطانية رقم ٢٨ ، صورة ١٢٦، ص ٩٥، وثيقة ١٦٦، تاريخ ١٢١٥هـ/١٨٠٠م.

٢- سجل حلب أوامر سلطانية رقم ٢٣ ، صورة ١١، ص ٦، وثيقة ٩، تاريخ أوائل ربيع الأول ١٢٠٧ه/١٧٩٢م.

٣- سجل حلب أوامر سلطانية رقم ١٥، صورة ٧٧، ص ١٢٠-١٢١، وثيقة ١١٧، تاريخ أواسط رجب ١١٩٣هـ/١٧٧٩م ، ص١٥٧من دفتر الترجمة إلى العربية.

في دراسة العادات والتقاليد في حلب، المأكل والمشرب، إضافة إلى دُور وأدوات التسلية كالمقاهي والألعاب والحمامات وشرب التدخين، وأنواع اللباس الموجودة في تلك الفترة.

١-**المأكل والمشرب** : تكوّنت مواد الطعام والشراب الحلبي، من أصناف عديدة، مثل الحبوب والخضار واللحوم والحليب ومشتقاته، وتميّزت المأكولات في المطبخ الحلبي، بتنوّع أطباقها ومن أشهرها: الكبب بأنواعها المشوية والمقلية، وتكوّنت من اللحمة الحمراء المدقوقة إلى البرغل، ومنها محاشٍ باللحم والجوز أو الفستق ، وهناك أيضاً الكبة النيّة، ويتمّ تحضيرها بخلط وفرك البرغل مع اللحمة النيّة ، وغالباً ما سببت أمراض الديدان المختلفة، بسبب عدم طهيها وأشارت إحدى الوثائق إلى قائمة مواد الطعام والثمار والمأكولات في حلب، وذلك من خلال معرفة أنواع الحاصلات التي تم تحصيلها من رئيس السوق وهي " (الفواكه): عنب. مشمش. تين. سفرجل. برتقال. جانرك. تفاح. بطيخ وعجور. (المكسرات): جوز. لوز. بندق. فستق. صنوبر. (مأكولات أخرى): زبيب .سمك. قريشة. عسل. دبس. قمر الدين. عجوة. تمر. خيار لاذقاني. كمه. سماق. عناب . جبن . زعتر..."[١]، وفي وثيقة أخرى "أرز. سكر. بهارات زيت"[٢].

ومن العادات الاجتماعية عند الحلبيين إقامة الولائم وموائد الطعام والتي عدت مظهراً من مظاهر الكرم، وإظهار المحبة والفرح وتعزيز الروابط الاجتماعية ، وقام بها الغني والفقير وينفق كلّ منهم، بقدر استطاعته، وأصبحت أحياناً عبئاً على الفقير، بسبب المبالغة فيها[٣]، واختلفت نوعية وعادات الطعام، بين الفئات الاجتماعية ، فاتبع كل منها نمطاً خاصاً ببيئته وقدرته المادية

طعام الخاصة : استهلك الحلبيون من الفئات الثرية كمية كبيرة من الغذاء الحيواني في طعامهم، وقدّمت أصناف عديدة من الأطباق على موائدهم ، واعتبر الأرز صنفاً هاماً من أصناف الأطعمة، وكان يتمّ تناوله مرتين يومياً، و يُطبخ بالسمن العربي. وأيضاً تناول الأغنياء أفضل

١- سجل حلب أوامر سلطانية رقم ١٤،صورة ١٠، ص ٧، وثيقة ١٢، تاريخ٥ ربيع الأول ١١٩١هـ/١٧٧٧م .

٢- سجل حلب أوامر سلطانية رقم ٢٢ ، صورة ٦٧، ص ٩١، وثيقة ١٢٥، تاريخ ٥٦/١٧٩١م.

٣- أحمد زياد محبك ، **أطعمة وولائم في مدينة حلب** ، أبحاث وقائع الندوة العلمية الدولية ، التراث الثقافي غير المادي لمدينة حلب في العصور الإسلامية ، ط١، وزارة الثقافة ، دمشق، ٢٠١٠ ، ص٣٨٧.

أنواع الخبز، مثل خبز المعروك[١] المدهون بالدبس[٢] ، وخبز الصمون[٣] . وايضاً استهلك الحلبيون مشتقات الحليب بكميات كبيرة، وكان مصدرها القرى ومضارب القبائل البدوية واستخرجوا الزبدة والقشدة، وقاموا بتمليح الجبن، وحفظه لفصل الشتاء، واستخدم السمن الحيواني في الطهي أكثر من الزيت، وأما مشروبهم المفضل فكان القهوة، وكانت تقدّم بفناجين من الصيني دون سكر أو حليب، وتكون مركزة وقوية جداً، ووُضعت على أطباق من الفضة، للحماية من حرارتها، ومعدّل شربها في اليوم من(٤-٥) فناجين[٤].

ومن عادات الفئة الثرية إقامة الموائد الكبيرة والولائم ، ففي كل مناسبة، كان يقام وليمة فثمة ولائم في مناسبات الزواج والوفاة ، والقدوم من الحج ، وولائم رمضان والأعياد ، ويقدّم فيها لحم الضان أو الحمل المشوي مع الأرز المطبوخ ، ويوضع في زورق كبير، ويغُطى الأرز بطبقة من اللحم المفروم المقلي، مع الفستق والجوز واللوز والصنوبر، والخضار مع (صلصات اليخني)[٥]. ولا تعدّ الوليمة مكتملة إلا باللحوم، ولاسيما الكباب، والكبب بأنواعها ، ومن العادات في الولائم، أن يتناول الطعام الرجال أولاً، ثم النساء والأطفال، ومن عادة الحلبيين ردّ الدعوة بدعوة[٦]. وهذا لم يكن في حلب، فقط بل في كل بلاد الشام.

طعام العامة: عُدّ البرغل بالنسبة للفئات العامة من أهل المدينة، من المواد الغذائية الأساسية[٧]، فكان من أهمّ الضرورات المنزلية لديهم تأمين مؤونة القمح وتجهيز البرغل السنوي وابتياعه من التجار، في موسم الحصاد[٨] . وكانوا يتناولون الخبز العادي المصنوع من الدقيق

١- الكعك المعروك، كان يعمل غالباً في رمضان ، وسمّوه بالمعروك لأنه يعرك بعد عجنه كثيراً، وخميرته من الحمّص،المدهون سطحه بالدبس،ويذرّون عليه السمسم،والحبة السودا، واليانسون.الأسدي،موسوعة حلب،ص ٣٦٧

٢- سجل حلب محاكم شرعية رقم ١٠٦ ، صورة ٤٩ ، ص ٩٢ تاريخ سنة ١١٨٥هـ/١٧٧١م.

٣-**الصمْون** : من التركية : صوّمون : الخبز ذو اللباب، منه المستدير وهو الأقدم، ومنه المستطيل.
والواحدة :الصمنة **أو** الصمّونة.والجمع الصمنات.الأسدي، موسوعة حلب ،ص١٧٨. سجل حلب محاكم شرعية رقم ٢٨- أوامر سلطانية، صورة ١١٨، ص ٨٧، وثيقة ١٥٣، تاريخ ١٢١٥هـ/١٨٠٠م.

٤- راسل، ص٢٧١،

٥-**يَخْنِي** : من التركية عن الفارسية : وتعني الطبيخ، الخضار اليابسة تطبخ مع اللحم ويغلب أن يطبخوه من البصل والحمّص ولحم الدجاج والبندورة ،الأسدي، موسوعة حلب ،ص٤٤٦.

٦ -محبك ، أطعمة وولائم ، ص٣٨٤.

٧- سجل حلب محاكم شرعية رقم ٩٧، صورة ٢٩، ص ٥٠، تاريخ ٥ رمضان سنة ١١٧٤هـ/١٧٦٠م.

٨- كشيشيان، تاريخ حلب ،ج١، ص٢٣٨.

وشكله مسطح ورقيق، وخُبز بطريقة سيئة، ويؤكل غالباً وهو طازج من الفرن، وأيضاً تناولوا أنواعاً عديدة من خبز البقسماط[١]. ولم يختلف طعام المسيحيين عن طعام المسلمين، إلا أن المسيحيين، كانوا يفضلون الحساء والأرز المطبوخ ، ويشربون النبيذ والمشروبات الروحية، مثل (المخمرة)، ومن عاداتهم احتساء (البراندي) أثناء جلوسهم إلى المائدة، وشرب القهوة بعد الانتهاء من الطعام، واستخدموا فناجين كبيرة الحجم، وتكون قهوتهم خفيفة [٢] . لم تقتصر الولائم والعزائم على الفئة الخاصة فقط ، بل عدّت الولائم عند الفئة العامة من الواجبات الاجتماعية، ولابد من أدائها، وغالباً ما تكون متواضعة وحسب امكانياتهم، وقليلاً ما تكون مكلفة، وأحياناً يضطر بعضهم للاستدانة للقيام بواجب الضيافة .

تكوّن طعام أهل الريف الحلبي مما توفره بيئتهم الزراعية والحيوانات الداجنة ، واعتمدوا في غذائهم على البرغل، فكانوا يخزّنون القمح في بداية فصل الخريف، ثم يقومون بتنظيفه ونخله وغسله، ونشره على سطح المنازل تحت أشعة الشمس، وكان يتمّ تخزينه في أماكن بعيدة عن الرطوبة، ثم ينقلونه إلى المطحنة، لتحضير عدة أنواع من البرغل والطحين، ويحضّرون العجين في البيت ، ومن ثم يُخبز الخبز في التنور، كما اعتمد أهل الريف، على الأرز والسمن والحليب والخضار والفواكه المتوفرة ، وعلى لحوم الحيوانات الذين يربونها[٣].

اختلفت عادات أهل الريف عن أهل المدينة في موائد الطعام ، بل اختلفت العادات من قرية إلى أخرى، ففي بعض القرى إذا دعوا الضيوف إلى المائدة ، كانوا يتركون الضيوف وحدهم مع الطعام ثم يخرجون، كي لا يشعر الضيوف بالحرج، وفي قرى أخرى كانوا يجلسون مع الضيف ولا ينهضون عن المائدة ولو شبعوا، إلا بعد أن يشبع الضيف وينهض، ومن عاداتهم القديمة جلب المدعوون معهم هدايا للمضيف ، وخاصة إذا كانت الوليمة لعرس، أو للقدوم من الحج ، فيجلبون معهم الشياه ، أو أكياس الأرز أو السكر[٤].

١-**البقسماط** أوالبـقسْماط :من التركية :بَكسِماد: PAXIMADHIعن الفارسية :بَكسَمَات عن اليونانية بمعنى الخبز المجفّف أو المضاعف خبزه، ويعرف بأنه خبز يابس معروف مولّد.أو كعك. الأسدي، موسوعة حلب، ص١٥٠.

سجل حلب أوامر سلطانية رقم ٢٧، صورة ٩٦، ص ١٢٥، وثيقة ١٧٣، تاريخ ١٢١٤هـ/١٧٩٩م.

٢- راسل، تاريخ حلب، ج٢، ص٢٧٠.

٣- سجل حلب محاكم شرعية رقم ١٠٣، صورة ١٩٠، ص ٣٧٥، تاريخ ٣ ذي الحجة سنة ١١٨٥هـ/١٧٧١م.

٤- محبك، ولائم ، ص٣٨٧.

وأما طعام أهل البدو، فقد اعتمد على المنتجات الحيوانية من لحوم وحليب ومشتقاته واقتصر طعام البدو المتوسطي الحال على الخبز الفطير، مضافاُ إليه الزبدة والسمن صيفاً، وفي الشتاء كانوا يتناولون القليل من التمر الرطب أو المغلي، واللبن والشنينة والسمنة المستخرجة من حليب الغنم والماعز[١]، إلى جانب البرغل وهو أساس مؤونتهم . ويحصل مشايخهم على الأرز ويقتاتون به، وفي الربيع يتناول البدو الأعشاب والنباتات، كالقريص والجرجير، ومن عادات الضيافة عندهم تقديم المنسف للضيوف، فيقوم المضيف بتقطيع اللحم وتقديمه ، ويعدّ عمله هذا دليلاً للكرم وحسن الضيافة ، ومن أصول الطعام أن يسكبوا المرق على الطعام كلما قلّ المرق ولا يقوم أحدهم عن الطعام، قبل أن يشبع الجميع، ويقومون عن الطعام سوية .

اعتاد البدو على شرب القهوة في مجالسهم في كل ساعة ، ومن عادات تقديم القهوة لديهم أن يشرب الضيوف الممتازين في الدورة الأولى، وفي الثانية يدورون بها من اليمين دون تمييز ويمكن للزائر أن يرفض الفنجان الثاني، أما رفض الفنجان الأول فلا يجوز، ويحسب اهانة عظيمة أو إنذار، أو عرض حاجة يراد قضاؤها فتقضى حتماً، لكي يشرب الضيف القهوة[٢].

لم يعرف الحلبيون شرب الدخّان حتى العام ١٦٠٣ واستخدمه العامل والفلاح العادي، وقد شرعت النساء أيضا بالتدخين، وتعوّد بعض الصغار على رائحة الدخان، قبل وصولهم الى سن الرابعة عشرة بسبب اضطرارهم الى تقديم الجمر، من اجل نراجيل آبائهم، لكنهم لم يظهروا التدخين أمامهم، وكانت البنات يدخنّ بعد الزواج، عند صديقاتهن بشكل جماعي، وكان لكل مدخّن وعاء أو علبة لوضع التبغ، وهناك بعض العلب من مختلف أنواع المعادن التي تعتبر من مهام الخدم عند مدخني الفئة الراقية، وصنع (الغليون) من أغصان شجرة الكرز، أو نبتة الورد أو الياسمين، وتكون (الغلايين) في معظم الأحيان، مزدانة بألوان مختلفة أو فنون الأعمال اليدوية[٣]. وبالنسبة للتبغ الذي استُخدم في حلب، فقد كان يأتي من اللاذقية، وهو أخفّ بكثير من التبغ الأمريكي المستورد، وخلط الحلبيون المحليون عدة أنواع من التبغ ببعضها، ظنا منهم بأنها ستكون ألذّ، ولا يضيفون إلى هذا الخليط أي نوع من العطور.

١- بلنت ، قبائل بدو الفرات،ص٤٤١.

٢ - زكريا ، عشائر الشام ، ص٢٢٦.

٣-سورمايان ، تاريخ حلب ، ص٢٤٥.

وانتشرت طريقة التدخين الفارسية النرجيلة (الأركيلة) عند الفئات الراقية، عن طريق قارورة زجاجية ضيقة وطويلة مملوءة بالماء، ثُبّت عليها رأسٌ رفيع، له فتحات صغيرة ويوضع عليه التنباك العجمي، ويُضاف إليه قليلٌ من ماء الورد، وسكّرٌ بنيٌ خشن، وإذا استخدم المدخن تبغاً عادياً في النرجيلة، فإنه يسبّب له سعالاً مباشراً ، واستخدم عامة الناس نوعاً متدنياَ من التبغ بديلاً للتبغ الثمين.

ولم يتوقف التدخين عند حدود التسلية واللهو، فقد كان يتمّ أحياناً خلط بعض أنواع المخدّرات، كالحشيش الأفيون مع التبغ، كما انتشرت عادة استخدام النباتات المخدّرة منذ العام ١٧٥٣ عن طريق الأنف والفم، وكان بيعها مسموحا في الأسواق بناء على فرمان سلطاني شريطة دفع الضريبة، ومع ذلك لا يمكن مقارنة كميات التبغ الكبيرة المستهلكة، مع هذه النباتات المخدّرة أمّا الأفيون فلم يكن يصنع في حلب، بل يتمّ تحضير كميات كبيرة منه في استانبول[١].

تباينت آراء الفقهاء ورجال الدين في شرب الدخان، فمنهم من هو كاره ومحرّم لهذه العادة لكونها تؤدي إلى إهمال الصلاة والعبادات الدينية ، وتعرّض المارّين لتنشّق الدخان الضار[٢] ومنهم من حلّل شربها، كالشيخ عبد الغني النابلسي، ووضع رسالته في بداية القرن الثامن عشر " الصلح بين الإخوان في حكم إباحة الدخان"[٣]، وبحسب قول المرادي أن "عالم الفقه والفرائض الشيخ قاسم البكرجي الحلبي كان شديد التعصّب على الدخان وشاربه، حتى أصابت عينه الأولى المرض وتأذّت ووصف له الطبيب (شرب الدخان) خوفاً على عينه الثانية فشربه، وزالت أعراض المرض، وبعدها أحبّ شربه وتعاطاه حتى وفاته سنة ١٧٥٥" [٤] لا شك أن من غير المعقول إزالة أعراض المرض بشرب الدخان، فبرّر الشيخ قاسم شربه لإدمانه وتعوده عليه. والفتاوى الإسلامية التي كانت تدين التدخين لم تثر إلا تدخلا رسميا متشتتا وتدريجيا ضدها، وفي بعض الأحيان وافق القاضي على منع التدخين في الأماكن العامة، لكنه لم يذهب بعيداً لدرجة

١–راسل، تاريخ حلب، ج١، ص ١٠٦–١٠٧.

٢–ماركوس ، الشرق الأوسط، ص٢٧٢.

٣– المرادي، سلك الدرر ، ج٣ ، ص٥٣٣.

٤– المرادي ، ج٢، ص٢٤٠.

تحريم شرب التدخين أو بيعه، واعتبر وجود المقاهي وشرب الأركيلة والمسكرات بها، من العادات السيئة ومنع ذلك حسبما جاء في الفتاوي الشريفة [١]

انتشرت المشروبات الكحولية، بشكل محدود ومخفي بسبب تحريمها من قبل الشرع الإسلامي من جهة، وعدم توفّرها من جهة أخرى، لكن السلطنة العثمانية لم تحرّمها، وقامت بترخيص وتنظيم انتاجها، ووضع قيود خاصة بالخمور، واقتصرت على منح القناصل رخص لاستخراجه وتقطيره، لكن عملية تقطير الخمر في حلب، ازدادت بشكل ملحوظ في معامل بدائية غير مرخصة، فأمرت الحكومة العثمانية في العام ١٧٩٥ بمنع السماح بإنشاء هذه المعامل وبيعها عن طريق التهريب، ممّا سبّب قلّة إيرادات معمل التقطير الذي يستخرج منه الكحول في محمية محمود باشا في استانبول، وفرض رقابة شديدة على هذه المعامل، ومصادرة محتوياتها وأدوات الطبخ فيها[٢]. ولكن الحكومة لم تستطع ضبط ومراقبة عمل هذه المعامل في الولايات العثمانية بشكل كامل، فأصدرت في العام ١٧٩٦ أمراً سامياً إلى والي حلب "يقضي بتنظيم تقطير العنب وصنع الخمور والعرق ومشتقاته، وتقاضي رسوم الخمور والتي سميت بالرسوم الزجرية، عن إنتاج هذه المواد والمتاجرة بها ، وشروط المراقبة على انتاج أصحاب الكروم، لكي يأخذوا كفايتهم من تقطير العنب وصنع المسكّرات ،وشرط أن لا يكون الصانع أو البائع مسلماً ، وتعيين مراقبين لإحصاء الإنتاج، والعمل على جمع الرسوم من الجميع لأنها من حق بيت مال المسلمين .."[٣]. ولا يخف عن أحد أن شرب الخمور كان رائجا عند السلاطين أنفسهم ،فقد اشتهر السلطان سليم الثاني بسليم السكير، كما انتشر شرب الخمور بين الانكشارية.

ب- دُور وأدوات التسلية:

أ-المقاهي: شكّلت المقاهي المكان الرئيسي لتجمّع الرجال، ومن جميع فئات المجتمع وعمّقت علاقات الصداقة والاسترخاء والهروب من الواقع، وتنوّعت في شكل أبنيتها وحجم غرفها، تبعاً لدخلها المادي، وانتشرت في جميع أحياء المدينة، واعتبرت المقاهي نادياً موسيقياً ومسرحاً لعروض الدمى المتحركة (كراكوز) ، وكان الناس يرتادونها غالباً في الليل، عند الانتهاء من ممارسة أعمالهم اليومية، ففي المقاهي الراقية تواصل الفرقة الموسيقية بالحفلة، مع عدد من

١- سجل حلب أوامر سلطانية رقم ٦ ، صورة ٦٣، ص ١١٤، وثيقة ٢١٤، تاريخ ١١٧٥ه/١٧٦١م.

٢- سجل حلب أوامر سلطانية رقم ٢٥ ، صورة ٩، ص٦ ، وثيقة ١١، تاريخ ٢١ ذي القعدة ١٢١٠هـ/١٧٩٥م

٣- سجل حلب أوامر سلطانية رقم ٢٥ ، صورة ٣١، ص٢٤ ، وثيقة ٤٠، تاريخ ٢٢ محرم ١٢١١هـ/١٧٩٦م .

المطربين والعازفين دون توقف، أما في المقاهي الأدنى، فلا يوجد فيها فرق موسيقية، واقتصرت على تقديم القهوة والأركيلة، وقد انتشرت ظاهرة المقاهي في القرن الثامن عشر بشكل حر مع بعض القيود، عندما أدان بعض رجال الدين هذه الظاهرة كونها تدلّ على قلة التقوى، واعتبروها متعة مدنسة، وبخصوص ذلك ورد أمر من السلطان إلى والي حلب" بمنع رقص الصبيان وصغار الشباب، في المقاهي في ليالي رمضان، لعدم وقوع المجون وغيره، وحفاظاً على الأخلاق العامة"[١].

وبرز دور رواة القصص (الحكواتية) في المقاهي من خلال سرد الرواة للقصص المليئة بالحيوية والأبطال والمغامرات، وأتوا بقصصهم من قصص: ألف ليلية وليلة، وملاحم العصور الوسطى، وساهموا بنقل أجزاء من الثقافة الأدبية إلى جمهور معظمه أمّياَ، وغالباً ما يتوقّف الرواة عن سرد الرواية، في لحظات مشوّقة ليتحمّس السامعين، للعودة في اليوم التالي إلى المقهى لسماع ما تبقى من الرواية، وبالنسبة لمسرحيات الدمى المتحركة(كراكوز) فقد كانت وسيلة أخرى لتسلية الزبائن، فيؤدي العرض شخص واحد، يتميّز بموهبة فائقة، ويغير صوته، ويقلّد اللهجات المحلية، فعكست قصصه الأحداث اليومية للسكان، من حيث عرض الفساد الحكومي، وتسلّط العسكر، وذكر أسماء بعض الشخصيات في المسرحية، وتصويرهم بموضع السخرية للجمهور وقد تدخل القاضي أحياناً لمنع هذه العروض[٢] .

ومن المقاهي، أو بيوت القهوة التي أوردتها وثائق المحاكم في حلب: بيت القهوة بالقرب من خان الكبودي بحلب[٣]، قهوة بيت العجمي داخل باب النصر[٤]، بيت القهوة ببانقوسا بحلب[٥]، بيت

١- سجل حلب أوامر سلطانية رقم ٦ ، صورة٦٠، ص ١٠٩ ، وثيقة ٢٠٨، تاريخ ١١٧٦هـ/١٧٦٢م.

٢-ماركوس، الشرق الأوسط، ص٢٧٤. راسل،ص١٢٧.

٣- سجل حلب محاكم شرعية رقم ٨٥، صورة ٣١ ، ص ٥٨ ، تاريخ ٩ رمضان سنة ١١٦٧هـ/١٧٥٣م.

٤- سجل حلب محاكم شرعية رقم ٨٥، صورة ٤٠ ، ص ٧٥ ، تاريخ ٣٢ شعبان سنة ١١٦٧هـ/١٧٥٣م.

٥- سجل حلب محاكم شرعية رقم ٩٨، صورة ٥٤، وثيقة ص١٠١، تاريخ ١٨ ذي الحجة سنة ١١٧٨ه/١٧٦٤م.

القهوة بسوق الصغير[١]، مقهى تكية كلش [٢]، مقهى خانجيان[٣]، مقهى الجمرك لصاحبه إسماعيل أفندي [٤].

بً- الألعاب: كانت الألعاب تدخل في إطار التسلية، وصنوف اللهو والمرح، وتمارس داخل البيوت والمقاهي، كألعاب الشطرنج والنرد والداما والمنقلة والألعاب الشعبية، وكان اللعب بين اللاعبين لمجرد التسلية، وأحياناً مقابل فنجان قهوة يدفعه الخاسر، أو دفع إجرة الحمام [٥]، ولم يلعبوا القمار الذي ينبذه المجتمع، وإضافة إلى ذلك، كانت اللعب في المقاهي وفي المناسبات، كلعبة المبارزة بالعصي وتعرف بالنبوت[٦]والتي شكلت أحياناً خطورة على اللاعبين وإيذائهم،" وادّعى مصطفى ابن الحاج إسماعيل من محلة الكلتاوية، على حسين ابن الحاج محمد أنه كان يلعب بعصي تعرف بالنبوت، في دار القهوة الكائنة بمحلة البياضة بحلب، فأصابه بالعصا على يده اليمنى، فكسر عظمه وعطبت يده، وإنه قبض من المقر له، حسين سبعة غروش وأبرأ ذمته عن دعواه.."[٧].

جً-الحمامات: اعتبرت الحمامات أماكن للتسلية، وخاصة بالنسبة للنساء، ففي شهر رمضان كانت الحمامات مفتوحة، حتى ساعات الصباح الباكر كأمكنة لتجّمع النساء من جميع الفئات والأديان، مما أتاح لهنّ عرض الحلي والملابس الجميلة، والاستماع إلى القصص المنزلية، فالنساء الراقيات يجلبن الطعام والمطربات والوسادات الصغيرة، وقصبات التدخين والحنة والبياضات

١- سجل حلب محاكم شرعية رقم ٩٨، صورة ٨٢، وثيقة ص١٤٩، تاريخ ١١ شوال سنة ١١٧٨ه/١٧٦٤م.
٢- سجل حلب أوامر سلطانية رقم ١٠ ، صورة ١١، ص ١٧ ، وثيقة ٢١، تاريخ ١١٨٦هـ/١٧٧٢م.
٣- سجل حلب أوامر سلطانية رقم ١٤صورة ٤٧، ص ٦٦، وثيقة ٧٦، تاريخ ١١٩١هـ/١٧٧٧م .
٤- سجل حلب أوامر سلطانية رقم ٢٠-، صورة ١١، ص ٦ ، وثيقة ١١، تاريخ ١٢٠٤هـ/١٧٨٩.
٥-راسل، ص١٢٤.

٦- **نَبُّوت:** الفرع النابت من الشجر، العصا. وحُرّفت إلى نبّود، وتطلق على الطويلة الغليظة المستوية الملوّنة، كانت تستعمل كسلاح في الحرب.وفي التركية يسمى لوبوط. و في العُراضات ينزل حامل النبّوت ويتبارى مع سيّافَيْن. وأكثر الأمم القديمة استعملت النّبود سلاحاً، منهم :الآشوريون والمصريون واليونان والرومان، وأكثر شعوب أوروبا واليابانيون والهنود والصينيون والأثيوبيون والمغاربة والعرب، كما شوهد عند معظم شعوب أمريكا بعد اكتشافها..ولعبة النبوت من الوجهة الفنية هي اللعب بالعصا للمنافسة بقصد إظهار المهارة والرشاقة، وسرعة الخاطر، وللقوة وللدفاع عن النفس، وتُلعب في المناسبات القومية والتاريخية والدينية كأعياد الفطر والأضحى ومولد النبي ومولد الأولياء، بل تعدّى هذا إلى الحفلات والأفراح والليالي الملاح . الاسدي، موسوعة ، ص ٢٦١.
٧- سجل حلب محاكم شرعية رقم ٨٥، صورة ١٧٩ ، ص ٣٥٤ ، تاريخ ١٥ صفر سنة ١١٦٩هـ/١٧٥٥م.

المزركشة[١] ، واعتبر (الغزي) أن تمضية النساء الكثير من الوقت في الحمام هو من العادات القبيحة[٢] .

كانت الاجراءات الحكومية تقوم بفصل النساء المسلمات عن النساء المسيحيات واليهوديات عند دخول الحمامات، متذرعة بتفاسير وآراء " المجتهدين" بعدم عرض عورة المسلمة أمام الذمية، وخُصّصت أيام محددة في الأسبوع لارتياد الحمام لكل من المسلمات والمسيحيات واليهوديات[٣]، وأفادت إحدى الوثائق في العام ١٧٥١ " باتفاق وكلاء طوائف الأرمن والروم والسريان والموارنة، مع (شيخ الحمامين) على أن نساء النصارى يدخلن يوم الخميس، ويوم السبت حمام ابرام باشا وابن القواس وابن المرعشلي والألمه لجي والبساتنة وابن عيد، والحمام المعروف بحمام الأفندي ببانقوسا والبجاش وحمام التل وحمام البيلوني والشيباني والخواجه الكائنة بحلب، ولا تدخل معهن نساء الملتين اتفاقاً مرضياً ، وأيضاً اتفق وكيل طائفة اليهود، مع (شيخ الحمامين) على أن ترتاد النساء اليهوديات، يوم الجمعة والأثنين والثلاثاء والأربعاء، حمام البجاش، ويوم الأربعاء فقط حمام التل، ويوم الأحد والثلاثاء حمام علي، ويوم الخميس حمام العسكر بحلب، ولا يدخل معهن أحد من النساء المسلمات"[٤]. وفي العام ١٧٦١ "صدر أمر بالسماح للنساء المسلمات بدخول حمام السوق أيام الخميس والجمعة والأحد والاثنين والأربعاء ، أما نساء النصارى واليهود فيدخلن يومي السبت والثلاثاء" [٥].

٣-اللباس :

ارتبط اللباس في حلب بالأوضاع الاقتصادية والاجتماعية، ويشير كل نوع من الأزياء إلى المهنة أو الحرفة أو الفئة السياسية أو العسكرية ، وكان اللباس أيضاً يشير إلى أن الشخص بدوي أو ريفي، أو من أتباع الدين الإسلامي أو المسيحي أو اليهودي . هذا وقد صنع الحرفيون الحلبيون أغلب أنواع الألبسة ولكل الفئات الاجتماعية، إلى جانب ما كان يستورد من الألبسة المصنّعة خارج حلب، وذكرت إحدى الوثائق في العام ١٧٧١ مجموعة من الألبسة المستوردة

١-راسل ،تاريخ حلب، مج١، ص ١٢١.

٢- الغزي، نهر الذهب، ج١، ص٢٧٩.

٣ سيتم ذكر أهم الحمامات الموجودة في حلب في الفصل الرابع (الأوضاع العمرانية)

٤- سجل حلب محاكم شرعية رقم ٨١، صورة ١٧، ص ٢٩، تاريخ ١١ -١٢ جمادى سنة ١١٦٥هـ/١٧٥١م.

٥- سجل حلب أوامر سلطانية رقم ٦ ، صورة ٦٣، ص ١١٤، وثيقة ٢١٤، تاريخ ١١٧٥ه/١٧٦١م.

،سلّمها تاجر حلبي إلى تاجر آخر " شاش أزرق. طربوش إفرنجي. زنار طرابلسي وحموي صغير وكبير. شاش موصلي. سراويل. زنار آلاجة. قميص ملس. قلابق(جمع قالباق) . فروة تقليد القاقوم. بيز مصبوغ (قنابيز جمع قنباز) من نوع ماردیني وملطي . جوخ . شال افرنجي. حلق " [١].

أ-ألبسة المسلمين: تميّزت بتنوّعها الغني من الأنسجة والألوان والعمامات والمجوهرات وكانت الألبسة ضمن فئات المسلمين تعكس المكانة والرفعة الاجتماعية، فالحرير الناعم والفراء والمجوهرات دلّت على مكانة اجتماعية رفيعة، وجعلتها بعيدة عن إمكانيات الفقراء والفئات الدنيا الذين يلبسون ألبسة أقل تكلفة. من الصوف وجلود الغنم. والملابس المستعملة والمجوهرات الزائفة.

١- ألبسة الرجال : اتّسمت ألبسة رجال الفئة الخاصة والحاكمة بالإسراف في استخدام الفراء بأنواعه، مثل: فرو القاقوم والسمور والنمس والناقة، وفصّلت هذه الفراء على ثيابهم المصنوعة من أفخر الأقمشة، وكان ثوبهم: عبارة عن ثلاث قطع من الفرو، الواحدة فوق الأخرى، الأولى حتى منتصف الفخذ، وهي مصنوعة من الحرير والقطن الناعم والمبطن بفرو القاقوم[٢] دون أكمام، وتصل الثانية إلى منتصف الساق وهي ذات أكمام قصيرة، وتكون الثياب فضفاضة، ويطلق عليها الجبة، أما الثالثة فكانت تدعى الفرو أو القرق، وهو ذو أكمام طويلة وتكون القبّة والأكمام مغطاة بأغلى أنواع الفرو، ولُبس تحت القنباز، سراويلٌ من القماش الأبيض وذكرت إحدى الوثائق لباس أحد الباشوات، وكان عبارة عن فروة من السمور، ومن الجوخ السيسباني (الأبيض) اللون[٣] ، قيمتها (ألف ومائتا غرش) وساعة من الذهب قيمتها ألف عرش [٤]. وأما في الصيف فيرتدون ثوباً من الحرير (العباية)، ومنهم من يلبس الزي الغربي كالسترة والبنطلون[٥].

١- سجل حلب محاكم شرعية رقم ١٠٥ ، صورة ٦٤-٦٥ ، ص ٤١١٢٣-١٢٤، تاريخ ١١٨٥هـ/١٧٧١م.

٢-القاقوم : حيوان يشبه الفأر .

٣-السيّسَبان :نسبة إلى شجر عريض الورق أبيض الزهر، الأسدي، موسوعة حلب ، ص ٤٣٣

٤- سجل حلب رقم ٨٠، صورة ٨٢، ص ١٥٢، تاريخ ٤ ربيع الأول سنة ١١٦٦ه/١٧٥٢م

٥-راسل، تاريخ حلب، مج١، ص٩٢

يضع رجال الفئة الخاصة على رؤوسهم أنواعاً مختلفة، مثل : العمامة أو الطربوش وتألّفت من قاووق[١] وشاش أبيض مطرز بالحرير الهندي ويلّف حوله ، وكما تميّزت عمامة الأعيان والفئة الوسطى بنعومتها، مقارنة مع الفئات الدنيا [٢] .أما رجال الفئة العامة والبساتنة والفلاحين والفقراء وأصحاب الحرف، فألبستهم ذات الألوان الناصعة، كالأحمر والوردي والأبيض ونسجت أقمشة ثيابهم من خيوط القطن أو الصوف أو الكتان أو الوبر أو الحرير، ولجأ بعض العامة، إلى ارتداء فروة الغنم والثعالب، للاعتزاز والتفاخر، وكما ارتدوا القنباز أو القرطاق ويصل إلى الكاحلين وله أكمام تغطّي الأصابع، ولبسوا فوق القنباز عباءة زوقية[٣]، وتحت الفرو ارتدوا قميصاً من الحرير أو الكتان، وسروالاً داخلياً من قماش أحمر، يدعى بـــ (الجنتان) ،وحيكت به جوارب من الجلد الأصفر (مست)، واستخدمت كحذاء في البيت، وفي السير استخدموا البابوج (خف دون كعب)، ووضع لباس الرأس عند أغلب العامة، وهو قطعة قماشية صغيرة ولفّوا حولها شاشاً خشناً، وأيضاً وضعوا (الطرطور) للأولاد، وهو على شكل مخروطي من جلد الغنم والكوفية للفلاحين[٤].

٢-**ألبسة رجال الدين** : لبس نقيب الأشراف الجبة الفاتحة اللون المصنوعة من الجوخ والمبطنة بفرو السمور الأسود،ووضع العمامة ذات الشاش الأخضر الدالّة على النسب الشريف[٥]. وكان الأشراف حريصين على الحفاظ على المظهر الخارجي في الاحتفالات والمناسبات، لكن اختلف زي الأشراف بين شريف ثري وشريف فقير، فاختلف نوع القماش المستخدم في ثيابهم ونوع فرائها وزينتها[٦]. وأما الشيوخ المسلمون فقد ارتدوا على الرأس عمامات مضلعات، محشوة بالقطن ملفوفة على شكل قطعة شاش رقيق مطوي[٧].

١-القاووق، **القاوُوق** :من التركية :قاووق عن الفارسية :كاواك بمعنى :المجوف والفارغ، وهي قبعة اسطوانية صلبة ومسطحة وتكون من القطن المندوف في الأعلى، ولبسها الخوارنة وشيوخ الدراويش .الأسدي، موسوعة ص ١٤٠.

٢-راسل، تاريخ حلب، مج١، ،ص٩٦

٣-الأسدي ،موسوعة ،ص ٢٧٣.

٤ - يوسف نعيسة، **مجتمع مدينة دمشق (١٧٧٢-١٨٤٠م)**، ط٢،جزءان، دمشق، دار طلاس، ١٩٩٤،ج٢ ص٥٨٨.

٥ -سجل حلب رقم ٢٣- أوامر سلطانية ، صورة ٩٧، ص٨٣، وثيقة ١١٢ تاريخ ١٢٠٨ه/١٧٩٣م .

٦ -نعيسة ، مجتمع دمشق،ص٥٨٤

٧- راسل، تاريخ حلب، مج١، ص١٠٣

٣-ألبسة المتصوفة: لبس بعض المتصوفة الثياب الخشنة القديمة، إلى جانب تميّز أتباع الطرق الصوفية بلباس خاص بهم، لأن لكل طريقة صوفية، لباس للرأس ولون الشاش وعمّة خاصة بها[١]. فكان زي الطريقة الصوفية البدوية اللون الأحمر، والدسوقية اللون أخضر والجيلانية والرفاعية اللون الأسمر، وكانوا يلفّون شاشاً اخضر على التاج ، والشاذلية مختلفة الألوان[٢]، ووضع أتباع الطرق المولوية، لباس المولوية المعروف المميّز وهو: ثوب أبيض فضفاض يدعى التنورة، وزنار ملون لربط الخصر، وميثاق يلبس فوق الثوب، وحذاء أسود خفيف، والطربوش المسمى (الكلاة) ويصنّع من اللباد قلنسوة طويلة من الصوف الأحمر، إلى جانب الجبة السوداء [٣]، وكان عند أغلب الطرق لباس الخرقة الصوفية، وهي من شعائر التصوّف وتمثل العلاقة بين الشيخ والمريد [٤].

٤-ألبسة النساء: صُنعت ألبسة نساء الفئة الثرية من الأقمشة المحاكة بالخيوط الفضية والذهبية المنقوشة [٥]، وكان من أهمّ ثيابها: القميص والسروال والثوب الفضفاض والقزية[٦] والقنباز ، وفي داخل المنزل يرتدين ثوباً من فرو السمور، وكان أضيق من الذي يرتديه الرجال وتكون الأكمام مفتوحة ومتدلية عند الأطراف ، أما غطاء الرأس فيضعن عمامة مستديرة مطرزة باللآلئ ودبابيس ألماس وريش طائر[٧]،وعلى الخصر يربطن زنار من الذهب غالي الثمن [٨]. إلى

١-الغزي ،ص ٢٨٦.

٢- النجار، الطرق الصوفية ، ص٦١

٣- نعيسة ، مجتمع دمشق، ج٢،ص٥٨٥.

٤ - سيتمّ ذكرها في بحث التصوف في الفصل الثالث .

٥ -سجل حلب أوامر سلطانية رقم ١٦، صورة ٩٤، ص ١٤٦، وثيقة ١٨٧، تاريخ ٥ جمادى الآخر ١١٩٦هـ/١٧٨١م.

٦- القزية : ثوب من حرير القز ،يصبغ بالرمان المغلي الذي يعطيه لونا خمريا ،وزين برسوم هندسية ، نعيسة، مجتمع مدينة دمشق،ج٢،ص٥٩٨.

٧- راسل، تاريخ حلب، مج١، ص ٩٧

٨- سجل حلب محاكم شرعية رقم ٨٥، صورة ٩٣، ص ١٨٢، تاريخ ٢٠ جمادى سنة ١١٦٨هـ/١٧٥٤م.

جانب تزين النساء الراقيات داخل البيت بأطواق وحلقان[١]وخواتم[٢]وأساور، من الذهب وخلخال حول الكاحل والأصابع[٣].

وأما الحجاب أو الإزار فلم تخرج النساء إلى الشارع بدونه، وقد التزمت كل النساء بوضعه بغض النظر عن قيمته المادية، وكان الإزار الذي ترتديه النساء المسلمات الثريات، من نوع "الفراجي" [٤]، كما قمن بتوشية إزارهنّ بخيوط الذهب والقصب، وأمّا الأحذية فتنوّعت ما بين العالية الصفراء، والبابوج أو الخف، وفي المطر كنّ يستخدمن قباقيب خشبية، ارتفاعها ثمانية بوصات.

وأما نساء الفئة المتوسطة فكنّ يرتدين القنباز بألوانه ، والمخمل الأسود وألبسة قطنية والقميص والطربوش[٥]. وبالنسبة لنساء الفئات العامة، فيضعن الجلباب العادي الطويل، وفوقه سترة من الجوخ، مع غطاء كبير من القماش، يغطّي من الرأس إلى القدم، وارتدين الحجاب الحلبي الشائع[٦]، وكان من اللون الأزرق أو الأحمر، وهو مخطط ذو مربعات[٧]. أما الفلاحات فلبسن القنباز والجنتيان ، وفي الشتاء لبسن البدلة، وهي من الجوخ أو المخمل الأسود، وتألفت من قطعتين : قميص يبعث على الدفء، وتنورة عريضة وواسعة مزينة برسوم ومطرزات وألوان متعددة ، ووضعن زناراً من الشال الصوفي، وفي أرجلهن (الصرماية)، والجزمة وهي نعل من الجلد له ساق[٨] .

٥-**ألبسة البدو** : كانت ألبستهم مصنوعة من الخام على شكل (عبايات) ومن كافة الألوان فلباس البدوي الثري، عبارة عن عباءة رقيقة في الصيف اسمها مزوية، وفي الشتاء زاد عليها كساء مبطناً أو جلداً من جلود الغنم يسمى صدرية، ولبس قميصاً واسعاً وطويلاً ثم فوقه آخر

١- سجل حلب محاكم شرعية رقم ١٠٣، صورة ٢٤، ص ٤٣، تاريخ ٢٢ جمادى سنة ١١٨٢هـ/١٧٦٨م.

٢ -سجل حلب محاكم شرعية رقم ٨٨، صورة ٨١ ، ص ١٤٩، تاريخ ٢٨ ذي القعدة سنة ١١٧٢هـ/١٧٥٨م .

٣- سجل حلب محاكم شرعية رقم ١٠٦ ، صورة ٥١ ، ص ٩٧ تاريخ ٨ شوال سنة ١١٨٥هـ/١٧٧١م.

٤-الفراجي: عبارة عن قرطاق كبير ذي أكمام طويلة مستقيمة ويصل الفراجي حتى الكعبين ،ويغطي الثوب بكامله من الرقبة حتى القدمين ،وآخر أصغر حجماً يربط بشكل متعامد فوق الجزء السفلي من الوجه ويتدلى على الرقبة

٥ -سجل حلب محاكم شرعية رقم ٩٨، صورة ٥٧، وثيقة ص١٠٨، تاريخ ١٤ محرم سنة ١١٧٩ه/١٧٦٥م.

٦-الحجاب الحلبي: عبارة عن قطعة كبيرة من الكتان تغطي كامل اللباس من الرأس إلى القدمين، ويسدل على الوجه بشكل يخفيه كله، ما عدا عيناً واحدة ، راسل، تاريخ حلب، مج١، ص١٠٣

٧-الغزي ،نهر الذهب، ج١، ص٢٨٩.

٨- نعيسة ، مجتمع دمشق،ص٦١٣.

أطول وأوسع، حتى القدم وله أكمام عريضة وطويلة ، وأما سرواله فهو فضفاض، وقد لبسه أيضاً البدو نصف الحضر والمستقرين. وأما البدو الأقحاح فلم يلبسوا سراويل قط، وانما لبسوا العباءات الخفيفة، وفوقها (الصاية) وهي عبارة عن قنباز من القماش الرقيق اللماع، وكان مفتوحاً من الأمام ومشقوقاً من الجانبين، ويُلبس فوق الصاية زنار من الصوف.

أما غطاء الرأس عند البدو، فيدعى قضاضة أو الحطّة، وهي قطعة من نسيج القطن الأبيض، تطوى وتوضع على الرأس تحت العقال، ويتدلّى طرفاها على الكتفين أو أمامهما والقضاضة تقابل الكوفية المعمولة من الحرير[١]، و في أرجلهم انتعلوا أحذية تعرف بالصرماية والخف والجزمة، وأما البدو المستقرون فقد انتعلوا الحذاء المعروف بالقندرة والسباط والبوط[٢].

ولبسن النساء البدويات عبايات وفروات كالرجال في الشتاء، وفي الصيف لبسن جلباباً من القطن، أسود اللون طويل إلى الأرض، وكنّ يشددن خصورهنّ بالكمر أو الزنار الأحمر اللون ويضعن على رؤوسهنّ المقرونة، وهي من الحرير الأسود، ويدعونها عصبة أو قمطة وتقابل كوفية الرجال، وأكثر النساء يفضّلن المشي حفاة صيفاً، وفي الشتاء يلبسن جزمة من الجلد الأصفر أو الأحمر[٣].

ب-ألبسة المسيحيين: كان المظهر العام لثياب المسيحيين مثل المسلمين، إنما اختلفت عنهم من حيث نوع القماش والفراء واللون ، فقد حافظت الحكومة العثمانية على ما كان سائداً قبل عهدهم، من تمييز أزياء أهل الذمة عن ازياء المسلمين ، وفرضت قيوداً على نوعية القماش والألوان، وكان هذا التمييز مصدر إزعاج لأهل الذمة، واستغل المسيحيون في بعض الأحيان إهمال الرقابة وتهاون السلطات العثمانية، فلبسوا كل الأصناف بحرية ، كي لا يتمّ التمييز بين الذميين والرعايا المسلمين، مما دفع السلطان في العام ١٧٧٤ لإصدار أمر إلى والي حلب، حول التقيّد بلباس أهل الذمة، وأن تكون من الألوان التالية: " الأسود والبنفسجي والأزرق، فلباس الرأس يجب أن يكون من اللون الأسود، ومن جلد الخواريف، ولفّة من الجوخ الأزرق، أو من قماش الجوخ الأحمر، ويُمنع ارتداء الألبسة (عبايات وقمصان وسراويل)ذات الألوان الأحمر

١-زكريا ، عشائر الشام ،ج١،ص ٢٠٣-٢٠٤.

٢- محمد سليم الجندي ، **تاريخ معرة النعمان** ، تحقيق عمر رضا كحالة ،جزءان، ، ط٢، وزارة الثقافة السورية ، دمشق، ١٩٩٤، ص٢٧١-٢٧٢.

٣-زكريا ، عشائر ،ص٢٠٥

والأخضر والأصفر، والحذاء الملون بالأحمر"[١]. ولاشك أن بعض السلاطين خالفوا تعاليم القرآن والاسلام بهذا الخصوص، وحثوا على الفروق الدينية.

بالنسبة للباس رجال الدين المسيحي فاشتهروا بلباس القاووق والجلباب الأسود[٢] وفوق رؤوسهم طرابيش سود، وقيدت النساء المسيحيات بأزياء مللهن ، فارتدين الحجاب الأزرق المصنوع من الكتان، واختلف عن شكل الفراجي ، وهو عبارة عن قطعة شاش[٣]، ولا يسمح لهن بوضع غطاء للرأس كما تفعل النساء المسلمات .وكنّ يشددن الزنار فوق ثيابهن من تحت الحجاب، كما لبسن القنباز والسروال والقميص والمست والبابوج.

ج-ألبسة اليهود: فرضت السلطنة على اليهود قيوداً على نوعية ولون اللباس، شأنهم شأن المسيحيين، ففي العام ١٧٧٥ صدر أمر من والي حلب إلى المسؤولين في الولاية، بلزوم تطبيق القوانين الخاصة بألبسة اليهود، وأن يفرض عليهم ارتداء لفّة بنفسجية غامقة على رؤوسهم، وأن يحتذوا بحذاء أسود، وأن لا يرتدوا اللباس الأحمر، والصندل الأصفر والطربوش والنطاق، لأن هذا اللباس خاص بالإسلام [٤].

كان لباس اليهود بشكل عام يشبه لباس المسلمين، واختلف نوع اللباس بين فقير وغني فلبس الفقراء القنباز ولُبس غالباً تحته سروال من القماش الأبيض . أما الأُثرياء فلبسوا فوق القنباز، سترة تعرف بالكبود المصنوع من الجوخ ، ولون أحذيتهم بنفسجي، وبالنسبة لرجال الدين اليهود ،فكانت أكمام أرديتهم الخارجية طويلة وعريضة، وامتاز الحاخامات اليهود عن بقية اليهود، بحجم العمامة ولونها[٥]، فقد وضعوا على رؤوسهم الطربوش وفوقه نسيج أسود مطوي ولفّوه طبقة فوق طبقة[٦].

أما لباس اليهوديات فلم يختلف عن لباس المسلمات إلا من حيث اللون، وحجاب العازبات منهن كان من قماش القطن الأبيض السادة، والمتزوجات منهن من القطن المخطط على شكل

١- سجل حلب أوامر سلطانية رقم ١٢، صورة٣٩ ص ٥٢ وثيقة ٦٦، تاريخ ١١٨٨ه/١٧٧٤م

٢- سجل حلب أوامر سلطانية رقم ١٥ ، صورة ٤٩، ص ٧٩، وثيقة ٥٤،تاريخ ٢٨ جمادى ١١٩٣هـ/١٧٧٩م.

٣- سجل حلب محاكم شرعية رقم ١٠٤، صورة ٧٩، ص ١٥٠، تاريخ ٢٢ جمادى سنة ١١٨٦هـ/١٧٧٢م.

٤-سجل حلب أوامر سلطانية رقم ١٢ ، صورة ١٢٨، ص ١٧٢، وثيقة ٢٢٢، تاريخ ٢٨ محرم ١١٨٩ه/١٧٧٥م.

٥-راسل، تاريخ حلب، مج ٢،ص٢٨١.

٦ -حريتاني ، يهود حلب ،ص١٤٧.

مربعات[١]، واليهوديات تميّزن عن غيرهنّ بارتداء الحجاب، وبترك إحدى الذراعين حرة بشكل ضفائر[٢] .

د-لباس الجاليات الأوروبية : كان لباس الجاليات الأوروبية من قناصل ورعايا على الطراز الغربي ، واحتفظوا بالقبعة والضفار(زنار مفتول) عندما يخرجون إلى السوق ، وكانوا يعتمرون العمامة إذا ما غادروا المدينة، وجميعهم حتى العام ١٧٥١ كانوا يرتدون اللباس الشرقي مع قبّعة كعلامة فارقة، ومن بعدها أخذ الإنكليز يلبسون الزي الأوروبي، وفي العام ١٧٧٠ عمّ هذا الزي جميع التجار الإنكليز [٣] . هذا وصدرت قوانين حكومية حول اللباس الخاص بالجاليات الأجنبية، تمييزاً عن غيرهم ، فسمحت لقنصل السويد في العام ١٧٧٣م بارتداء العمامة البيضاء وحمل السيف وارتداء المهموز، وحمل آلة الحرب اثناء تجواله[٤]، ولبس الجزمة [٥]. وكما أوعزت السلطنة في العام ١٨٠٠ "بإجراءات متكررة لضرورة التقيّد بلباس مخصّص، وارتداء قالباق وهو قبعة مصنوعة من فرو ثعالب السمور ، وذلك بعد تهرّب التجار من دفع رسوم الخراج، وانتساب بعضهم للقنصليات الأجنبية، وترك لباسهم الخاص، وارتكابهم أعمال منافية للنظام"[٦]. ويتضح من الوثيقة أن بعض التجار الحلبيين، من غير المسلمين قلّدوا الفئات الأجنبية هرباً من دفع التزاماتهم المالية، وقد أجرت السلطات إحصائية دقيقة حول وجود أكثر من(٣٠٠) عنصر جميعهم تابعين للسفارات والقنصليات، وسعت لكي يرتدوا القلباق[٧].

هـ-لباس الجيش : ارتدى آغا الانكشارية الجبة الزيتية اللون، وهي خالية من الفراء ومبطنة بقماش زيتي ، وفي وسطها كمر أخضر دون زنار ، ولبس الصدرية البيضاء وهي ذات أزرار كروية مصنوعة من الخيوط ، ووضع على رأسه عمامة ضيقة من أسفلها ومتسعة من

١-نعيسة ، يهود دمشق،ص٣٠، حريتاني ، يهود حلب ،ص١٤٧.
٢-راسل، تاريخ حلب، مج١، ص١٠٣.
٣-قسطون، الافرنج، ص ٢٩.
٤- سجل حلب أوامر سلطانية رقم ١١ ، صورة ١٥، ٢٦، ص ١٥، ٣٤ ، تاريخ ١١٨٧ه/١٧٧٣م .
٥- سجل حلب أوامر سلطانية رقم ١٢ ، صورة ٨٣، ص ١١٤وثيقة ١٤٤ تاريخ ذي الحجة ١١٨٨ه/١٧٧٤م
٦- سجل حلب أوامر سلطانية رقم ٢٨ ، صورة ١٤٨، ص ١٢٤-١٢٥-١٢٦، وثيقة ٢٠٤، ١٢١٥هـ/١٨٠٠م.
٧- سجل حلب أوامر سلطانية رقم ٢٣ ، صورة ٩٢، ص ٨٠، وثيقة ١٠٨، تاريخ ذي الحجة ١٢٠٧ه/١٧٩٢م.

أعلاها، مطوقة بشاش أبيض[١]. ولبس الانكشارية في أرجلهم البوستال (الحذاء العسكري) وهو نوع من الأحذية الجلدية الشبيهة بالخف، وقد استعمله القادة [٢].

ولم يختلف زي الصوباشي (رئيس الشرطة) كثيراً عن قادة الانكشارية ، فكانت ثيابه تتألف من جبة وبنش[٣] . كما صمّمت ألبسة جنود المدفعية والمشاة، بحيث لا تعيق حركتهم، وقد تألفت من قميص من الحرير أو القطن، وأما السراويل فقد ثبتت على الوسط بدكة وشدّت عند الكاحلين ووضع الفرسان غير المدرعين على رؤوسهم القالوطة(الخوذة) المصنوعة من المعدن، وثبتت عليها قطعة من الحديد، لوقاية الأنف من ضربات السيف ، كما علّق صفّ الضباط الشارات العسكرية التي كانت تدل على رتبهم العسكرية [٤].

و- لباس الموظفين الحكوميين: أصدرت السلطنة قوانين خاصة، بلباس رجال الإدارة والموظفين، ومنعت غيرهم من ارتداء ملابسهم، ومثالاً على ذلك، ففي العام ١٧٩٥ صدر أمر سلطاني بأن رجال البريد المكلفين بإيصال الكتب والرسائل، توجب عليهم ارتداء القالباق الخاص(طاقية من جلد الخروف) أثناء قيامهم بمهاتهم، كعلامة لهم ولا يسمح لغيرهم بارتداء هذا النوع من القالباق، وتجرأ البعض من الأتباع والخدم بارتداء هذا النوع من القالباق، ليستفيدوا من وسائط النقل والاستضافة الخاصة برجال البريد[٥].

ثالثاً- مظاهر الانحراف في مجتمع ولاية حلب :

ظهرت حالات الانحراف في المجتمع الحلبي في النصف الثاني من القرن الثامن عشر لأسباب عديدة : أبرزها انشغال السلطنة في حروبها على الجبهة الأوروبية، وتعيين السلطنة للولاة وعزلهم، وتعرّض السكان لطغيانهم وظلمهم، مما ولد بعض التوترات بين الشعب والحكومة، مع تحرك بعض القبائل البدوية وعدم القدرة على ضبطها، وفي سبعينيات القرن المذكور، شهدت حلب سلسلة من التحركات الداخلية، ونشبت الصراعات بين الأشراف

١- نعيسة ، مجتمع دمشق،ص٥٨٠.

٢- سجل حلب أوامر سلطانية رقم ٢٤ ، صورة ٥٩، ص ٧٣، وثيقة ١٠٦، تاريخ ١٢٠٩هـ/١٧٩٤م،

٣- البنش: قطعة من الثياب تشبه المعطف القصير يصل إلى الفخذين، وفضفاض، أكمامه طويلة وواسعة ، ذات فتحة مطرزة وليس له أزرار، نعيسة ، ص٥٩٠.

4 -Volny. Travels,p145

٥- سجل حلب أوامر سلطانية رقم ٢٥ ، صورة ٦٧، ص٤٦ ، وثيقة ٩٢، تاريخ ١٢١٠هـ/١٧٩٥م

والانكشارية[١]، وبدأت الحكومة تفقد شيئاً من سيطرتها على الوضع الداخلي[٢]، وخلال هذه الفترة التي تميّزت بالصعوبة، وعدم الاستقرار، وتراخي القيود السياسية، وازدياد حدة الاستغلال وأخذت التوترات الاجتماعية بالظهور على شكل إخلال بالأمن، إلى جانب كثرة قطاع الطرق ومظاهر الفساد والجرائم، والسرقة الرشوة والمشاجرات وجرائم القتل وقضايا الأخلاق والشرف والذم والقدح، وطفت إلى الواجهة وأصبحت أشياء مألوفة.

١- الاخلال بالأمن وقطاع الطرق:

كان لبعض القبائل البدوية العربية والكردية والتركمانية دوراً في إخلال الأمن في حلب ويعود ذلك لأسباب عديدة منها: أن القبائل البدوية ترتحل وتتحرّك بشكل مستمر، مما يجعل هناك بعض الصعوبة في ضبطها والسيطرة عليها ، وعدم قدرة الدولة العثمانية على بسط سيطرتها الكاملة على السهوب المكشوفة والصحارى الواسعة في ريف ولاية حلب، وكانت بعض القبائل تقوم بالغزو والسلب أثناء مسيرها ، ففي العام ١٧٨٢ "وردت شكوى من طائفة الحلبيين المقيمين في مدينة (القيصرية) والذين جاؤوا إلى حلب لشراء (١٣٤٠) جملاً من عربان عنزة، واثناء سوق هذه الجمال إلى حلب، اعترضتهم عشيرة الموالي بزعامة محمد خربان، وقطعوا الطريق واستولوا على(٧٥ ألف) قرش ثمن الرواس ومبلغ (١٠ آلاف) ثمن سلخه، ولم يلقوا آذاناً صاغية من والي حلب، وعليه طلب قاضي القيصرية المساعدة وإعادة الأموال المنهوبة.."[٣].

١- كانت المواجهة الكبرى الأولى بين الأشراف والانكشارية في العام ١٧٧٠، وجرى خلالها هدم قيسارية العرب، فأمر الوالي محمد باشا بالقبض على نقيب الأشراف ونفي كثيرين منهم. وفي العام ١٧٧٨ تجدد القتال وأسفر عن مقتل أحد كبار الأشراف: السيد أحمد، وجرح ثلاثة، وقد استعان الانكشاريون في حربهم بأمير الموالي في حلب ، وفي العام ١٧٩٧م قام الأشراف بعدد من المواجهات المتفرقة رداً على نفوذ الانكشارية، ثم تفجّر الوضع وتواجه الطرفان في معركة مباشرة، سميت بواقعة (جامع الأطروش)، وتغلّب الانكشارية على الأشراف، وتجددت المعارك في نهاية العام ١٧٩٧، وسيطر الأشراف على المدينة المسوّرة، والانكشاريون على القلعة واحياء بانقوسا وباب النيرب، وانحازت السلطة إلى جانب الأشراف، وفي العام ١٨٠٥ بدأ الأشراف الهجوم على الانكشارية بعد الموافقة الضمنية لوالي حلب محمد باشا ، واحتدم القتال فيما بينهما لمدة ثمانية أيام ،فخرج الأشراف مغلوبين نهائياً. ريمون، حلب ، ص٣٧٥،٣٧٢. الغزي، ج٣، ص٣٠٦. الحلبي ، المرتاد، ص٢٨٤ .سجل حلب أوامر سلطانية رقم ٢٥ صورة ١١٥، ص٨٥ ، وثيقة ١٥٩، تاريخ ١٢١٢هـ/١٧٩٧م.

2 -Browne, Travels,p386

٣- سجل حلب أوامر سلطانية رقم ١٦ ، صورة ١٦٣، ص ٢٣٤، وثيقة ٣٢٥، تاريخ ١١٩٧هـ/١٧٨٢م.

استمرّ اصطدام البدو بأهل الريف والمدن التي كان متسلمها ضعيفاً، وكانت هذه الموجات المتحركة من البدو تقوم باستغلال الظروف المحلية، مثل كثرة تبدّل الولاة والمتسلمين، والصراع على منصب المتسلم المالي، ولم تسلم الهيئة الحاكمة في حلب، من تعديات البدو، ففي العام ١٧٦٢ تعرّض قاضي حلب السابق أحمد أفندي، لهجوم من قبل الأكراد، وكان يزيد عددهم على الثلاثين شخصاً، فسرقوا كميات من النقود والأشياء ، وحصل ذلك الشيء لمباشر الصدر الأعظم محمد آغا [١]، كما تعدّى بعض البدو على المارّة، "وادعى مصطفى ابن عمر على الحاج ناصر، الواضع يده على الحمار الأسود اللون، وقال: إن الحمار المرقوم اغتصبه مني قطاع الطرق، من أشقياء الأكراد نهاراً، بالقرب من ناحية الباب، وطالب المدعي عليه برفع يده عنه وتسليمه له، وبعد سؤال المدعي عليه أفاد بأنه لم يعلم بأن الحمار مسروق"[٢]. وحتى البدو أنفسهم لم يسلموا من التعديات على بعضهم، ففي العام ١٧٥٢ تعرّض عرب حرب في انطاكية للتعدي من قبل الأشقياء البدو على أغنامهم[٣].

وكثرت غارات البدو على الأراضي الزراعية، وزاد تعسّفهم على الفلاحين، ففي العام ١٧٨٠ تعدّى أفراد من عشيرة السلفكاتلي التركمانية على قرى قضاء انطاكية [٤]، وسبب هذه التعديات، أن القرى لم تكن تحظى بحماية كبيرة من قبل الدولة بسبب بعدها، وكانت غارات البدو تزداد جرأة وشدة، كلما ضعفت السلطة المركزية للدولة، وكان سكان المدن والقرى يضطّرون إلى دفع المال اللازم للقبائل البدوية القوية، في مقابل حمايتها لهم، لتأمين محصولاتها ومشاتيها[٥] وكان إخلال البدو بالأمن من أصعب المشكلات التي واجهتها الدولة العثمانية، ورغم محاولتها المتكررة لحل هذه المشكلة، وسعت للتعاون معهم، وأحياناً أخرى استمالتهم بدفع الصرة والمال اللازم، لحمايتهم أثناء عبورهم للطرق، كما لجأت إلى إعفائهم من الضرائب في أحيان كثيرة، إلا أن الدولة لم تصل إلى ما ترجوه من استقرار، وكثيراً ما حاولت السلطنة الحدّ من نفوذهم، كما

١- سجل حلب أوامر سلطانية رقم ٦ ، صورة ٩٠، ص ١٤ ، وثيقة ٢٨٨، تاريخ ١١٧٦هـ/١٧٦٢م.

٢- سجل حلب محاكم شرعية رقم ١٠٢، صورة ١٠٦ ، ص ٢٠٢، تاريخ ١ ربيع الأول ١١٨٠هـ/١٧٦٦م.

٣- سجل حلب محاكم شرعية رقم ٨٠، صورة ٩٢ ، ص ١٧٧، تاريخ ٨ ربيع الثاني سنة ١١٦٦هـ /١٧٥٢. كحالة ، معجم القبائل ، ج١، ص٢٦٠.

٤- سجل حلب أوامر سلطانية رقم ١٦ ، صورة ٢٥، ص ٣٢-٣٣، وثيقة ٤٩، تاريخ ٢٦ جمادى الآخر ١١٩٥ه/١٧٨٠م.

٥- هاملتون جب ، المجتمع الاسلامي ، ج١، ص ٩٨

فعلت مع الموالي[١]عندما منعت أمراءها في العام ١٧٦٤ من استيفاء أموالاً زائدة من فلاحي قسطون، التابعة لقضاء جسر الشغور، ومن أكراد السعفية أيضاً "[٢].

لم تعتمد السلطنة العثمانية أسلوباً واحداً في تعاملها مع القبائل، فأحياناً كانت تلجأ إلى سياسة القوة ومحاربتهم ، واصدار أحكام سلطانية للولاة والمتسلمين للقيام بحملات تأديبية ضدهم، ففي العام ١٧٩٢ قام أفراد من الأكراد في قرية الحاضر[٣]بسرقة مواشي، وأرسلت السلطنة قوة عسكرية إلى كلّس" للقضاء على الأشقياء منهم بزعامة السيد الإيبش واسترداد المواشي وإعادتها إلى أصحابها "[٤]. وكانت الأحكام المطبقة ضد أسرى القبائل البدوية قاسية، كالإعدام واستعمال الخازوق، أو تعليق رؤوس القتلى منهم عند التكايا، بغية إرهاب القبائل وقطاع الطرق [٥]، أو زجّهم بالسجون كرهائن، وقد ارتبط إطلاق سراحهم بتنفيذ شروط السلطنة، كما ورد في العام ١٧٦٣ اطلاق سراح رهائن من عشيرة موسى بك الكردية من سجن قلعة حلب[٦].

إلى جانب البدو، أخلّ اللاوند[٧] بالأمن، وهم جند مرتزقة، قاموا بالعصيان على الدولة وأشار أحد الأوامر السلطانية في العام ١٧٦٤ "حول ظهور عصابات من أشقياء اللوندات، أخذت تغير على القرى والمدن، فتقتل وتنهب مما أوجد الرعب بالبلاد، وقد اقتضى على الأمراء

١- امتازت الموالي بمكانة مهمّة في القرن الثامن عشر، بسبب سيطرتها على الطرق التجارية الموصلة إلى حلب، مما هيأ الاقتراب من السلطات لدرجة أنهم أصبحوا حلفاء الدولة العثمانية وفي الوقت ذاته أسياد للبادية الشامية. ماكس فرايهيد فون أوبنهايم ، **البدو**، أربعة أجزاء، ترجمة ميشيل كيلو – محمود كيبو، تحقيق ماجد شبر، ط١ دار الوراق، لندن ،٢٠٠٤، ج١، ص٤٤٢. كحالة ، معجم القبائل ، ج٣،ص١١٥٧.

٢- سجل حلب أوامر سلطانية رقم ٧ ، صورة ٤٦، ص ١١٨، وثيقة ١٦٧، تاريخ ١١٧٨هـ/١٧٦٤م.

٣- الحاضر : من قرى حلب :في المطخ قرب السفيرة.الأسدي ، موسوعة ،ص١٥١

٤- سجل حلب أوامر سلطانية رقم ٢٣ ، صورة ٧٩، ص ٦٨، وثيقة ٩٣، تاريخ أواخر ذي القعدة ١٢٠٧ه/١٧٩٢م.

٥- ضحى الشطي، **توسع البدو في بلاد الشام وانحسارهم** ، المؤتمر الدولي الثاني لتاريخ بلاد الشام ، جامعة دمشق ، ١٥١٦-١٩٣٩،ص ٤٠٣

٦- سجل حلب أوامر سلطانية رقم ٥ ، صورة ٥، ص ٧، وثيقة ٩، تاريخ ٢٥ ١١٧٧هـ/١٧٦٣م.

٧-اللاوند : جند مرتزقة استخدمتهم الدولة العثمانية في جيشها ، ارتكب منهم الجرائم، وعصوا أومر الدولة ..تم ذكرهم بالتفصيل سابقاً في بحث الجند المرتزقة .

والكتخدارية والسردارية، التعاون بالعمل على إبادة هؤلاء الأشقياء، وإرسال رؤوسهم المقطوعة إلى دار السعادة ..وبعد تمزيق شملهم وإفناء المجرمين منهم...."[١].

ومن الفئات التي أخلت بالأمن في حلب في مرحلة البحث، بعض المشردين والمسلحين مستغلين ضعف وإهمال الحكومة، ففي العام ١٧٩٢ "قامت فئة من المسلحين والمشردين بالتعدي على الفقراء وفرض الغذاء عليهم، وأخذوا المال منهم جبراً، وإن ظاهرة اللامبالاة والتستّر على هؤلاء من قبل المسؤولين، وبعض الأعيان ساعدهم على المزيد من الطغيان، وطُلب إلى والي حلب فيضي سليمان باشا وإلى قضاة وحكام ولاية حلب، التصدي لهم وطردهم وإبعادهم من المناطق، والقضاء على هذه الزمرة الباغية.."[٢].

٢-السرقة : ظهرت حوادث السرقة نتيجة لظروف اجتماعية واقتصادية وإدارية أحاطت بحلب في فترة البحث، مما دفع بالسلطات والأهالي أنفسهم لردع هذه الحوادث من خلال إجراءات امنية شديدة، كإنشاء الحواجز داخل الأحياء وإغلاق بوابات الحارات ليلاً، فكان البعض من السارقين يعبرون تسللاً عبر البوابات في الليل، ففي العام ١٧٥٠ قام صاحب قيسارية، بفتح باب إلى الشارع في إحدى الحارات، فاشتكى سكان الحارة عليه في المحكمة، بسبب تعريض حارتهم لدخول مجموعة من اللصوص الذين نهبوا البيوت، فأمر القاضي بإغلاق الباب نهائياً[٣]. وقد استفحل أمر اللصوص وأثاروا ذعر اهل المدينة والريف وفي البيوت والأسواق، وحاولت الحكومة ملاحقتهم، وفرض أشد العقوبات بحقهم، ففي العام ١٧٦٤ " قدِم التاجر المعروف ملّا محمد إلى حلب، ونزل في خان خيربك بالمدينة، وفي الليلة الرابعة من نزوله، داهم لصّ غرفته وكسر صندوقه وسرق (٢٦٠٠ قرش)، وقد حضر صاحب الخان ولفيف من التجار إلى الغرفة وثبت لهم صحة الادعاء، ولكن لم يعلم من هو اللص، وعملاً بأحكام الشريعة، اقتضى الاهتمام التام بإظهار اللصّ، وإعادة المبلغ المسروق وإرسال اسمه للسلطات لينال ما يستحقه .."[٤].

١- سجل حلب أوامر سلطانية رقم ٧صورة٤١، ص١٠٥، وثيقة ١١٦، ١١٧٨هـ/١٧٦٤م. الطباخ،ج٣،ص٢٨٤.

٢- سجل حلب أوامر سلطانية رقم ٢٣ ، صورة ٩٦، ص٨٣، وثيقة ١١١تاريخ ذي القعدة ١٢٠٧ه/١٧٩٢م

٣- ماركوس، الشرق الأوسط، ص١٤٠

٤- سجل حلب أوامر سلطانية رقم ٧ ، صورة ٢٩، ص ٧٧، وثيقة ١٠٥، تاريخ أوائل رجب ١١٧٨هـ/١٧٦٤م.

٣-الرشوة : انتشرت الرشاوى بين موظفي الدولة على اختلاف درجاتهم، وأصبح أمرها متداولاً بين العامة والخاصة، وكانت الرشاوى إحدى الطرق غير الشرعية التي استطاع صاحبها تحقيق مكاسب مادية، خلال توليه لمنصب ما، أو استغلال الناس لأغراض شخصية، وتمّ شراء المناصب العليا، كالولاية والدفترداري والقضاء والافتاء، مقابل مبالغ مالية، ونتج عن ذلك إهمال أصحابها لمهامهم، والتفتوا إلى تأمين مصالحهم الخاصة، وابتزوا الأهالي بالأموال لتعويض ما دفعوه ثمناً لمناصبهم[١]، وعندما استفحل أمر الرشوة والفساد وشراء المناصب بالمال، اضطر السلاطين لإصدار الأوامر السلطانية، لتنبيه موظفي الدولة من التعامل بالرشوة وعزلهم أحياناً ففي العام ١٧٦٧ " عُزل المترجم مصطفى ابن خضر، من محكمة حلب لتقاضيه رشوات من المراجعين، واجبارهم على دفع عمولة ولا سيما رعايا أهل الذمة، وإبعاده عن المحكمة وإعادة (خمسة آلاف قرشاً) أخذهم بغير حق ..."[٢]. وفي بعض الأحيان، كانت الرشاوى تدفع تحت مسمى الهدايا، وقد قدّمها بعض الوجوه والأعيان، إرضاء لكسب ودّ الولاة والمتسلمين، وأشار أحد الأوامر السلطانية الموجهة إلى الملتزمين في حلب، حول تجديد التعليمات الخاصة بأعيان الطوائف الذمية في الولاية ، ومنع مخالفاتهم من جمع الأموال من طوائفهم، بحجة تقديم التبن لخيول المسؤولين سنوياً بالإكراه، تحت مسمى هدايا أو ما يشبه ذلك، ومنعهم من التدخل بشؤون الآخرين .."[٣].

واعترف بعض المرتشين بقلة أمانتهم تحت الاستجواب في المحكمة، ومنهم من ظهر زيف دعواهم، عندما رفضوا تأكيد الرشوة تحت القسم والتي رافقت عمليات الابتزاز ، وقد بيّنت إحدى الوثائق أن " فريج ولد غان النصراني من نصارى الروم، ادّعى على السيد طه بن علي، وقال في دعواه :بأن المدعي عليه طلب منه دراهم رشوة بغير حق، ويهدده بالشكايات الكاذبة والدعوى الباطلة إلى القاضي، و صرت أخاف ان أشتكي عليه، وأخذ منه عشر ذهبات، ولم يكتفِ بذلك وصار تكراراً يطلب رشوة مني بالتهديد، بالشكايات الباطلة الكاذبة، وإنه الآن أطالبه بالعشرة ذهبات، والتمس تنبيه المدعي عليه بعدم التعرض له ...فسئل المدعي عليه حقيقة هذه الدعوى

---

١ نعيسة ،ج٢،ص٥٤٥

٢- سجل حلب أوامر سلطانية رقم ٨ صورة ٣٢، ص ٣١ ، وثيقة ٥٣، تاريخ ١١٨١هـ/١٧٦٧م.

٣- سجل حلب أوامر سلطانية رقم ١٢، صورة ١٧٥، ص ٢٢٢-٢٢٣، وثيقة ١٩٣، تاريخ ١١٨٩ه/١٧٧٥م

فأجاب ،وأقرّ بأخذه العشر ذهبيات بالتهديد بغير حق.. فأعلم القاضي المدعي عليه بإعادة ما أخذه وعدم التعرض للمدعي"[١].

كان هناك بعض الخصوم يوجّهون تهماً مزيفة ويشترون الشهود، سعت المحكمة للتأكد من مصداقية وعدالة الشهود، وقد تمّ رفض بعض الشهود بالفعل، بسبب انحيازهم وقبولهم الرشاوي، ومن أحد الأمثلة على ذلك " ادعى ميكائيل ولد عبد الله النصراني بمواجهة الياص وقال في دعوته أن اياص كان قد باع مني أربع فردات من الجوخ الفرنساوي بثمن قدره ألف وستمائة وخمس وعشرون غرشاً وتسلم مني الجوخ وتعهد لي بعمله بعد أخذه مني فلم يصنعه..وإني الآن أطالبه بالجوخ..فسئل المدعى عليه الياص حقيقة هذه الدعوى فأجاب بالانكار..فطلب من المدعى بينة عادلة فأحضر للشهادة الجلين عبد النور وجرجس ولد عطا ولما نظر المولى(القاضي) المشار إليه جرجس فظهر أنه أعمى وأيضاً بعد شهادة عبد النور ..فطعن المدعى عليه قائلاً أن عبد النور أجير خاص بالمدعى يعد ضرره ضرر بنفسه ونفعه نفع نفسه فما صدقه.. فأقر القاضي بعدم قبول شهادة الشهود[٢].

ب- الذم والقدح والانحلال الأخلاقي:

أ-الذم والقدح : وردت وثائق عديدة عن القدح والذم في المجتمع الحلبي، وغُرّم فاعلها بالتغريم الشرعي والتنبيه، ومثال على ذلك: " ادعى كبرئيل ولد ميخائل النصراني، مطران طائفة نصارى الأرمن بحلب، بمواجهة ابراهام ولد نرسيس النصراني من أهالي محلة قسطل العقرب وقال في دعواه، بأن المدعى عليه يتعرّض لأذيتي ويشتمني بألفاظ شنيعة، ويذهب إلى الكنسية ويشتمني بألفاظ توجب تعزيره، وأحضر شهوداً على ذلك، فحينئذ أمر القاضي تعزير المدعي عليه، وعزاره التغريم الشرعي، وتنبيهه بعدم التعرض للمدعي .."[٣].

كما وردت قضايا الإساءة للسمعة والتشهير، وخاصة بحق الفتيات والنيل من شرفهن وقد حضر المدعو الحاج علي وأحضر معه ابنته زمزم ، وقال أن أحد الأشخاص اتهم ابنتي وأشاع عنها خبر سوء، أنها ليست بكراً، وقصد بذلك فضيحتها، مع أن لا أصل ولا صحة لذلك وأني ألتمس من مولانا، أن يعرضن بنتي المزبورة على النساء القابلات، ليخبرن بتبرئتها من الأمر

١- سجل حلب محاكم شرعية رقم ٨٧، صورة ٣٥، ص ٦٣، تاريخ ١٤ جمادى سنة ١١٧٠هـ/١٧٥٦م.

٢- سجل حلب محاكم شرعية رقم ٨٧، صورة ٣٠، ص ٥٣، سنة ١١٧٠هـ/١٧٥٦م.

٣- سجل حلب محاكم شرعية رقم ٩٨، صورة ٨٦، وثيقة ص١٥٧، تاريخ ١١٧٩ه/١٧٦٥م.

فأجابه الحاكم وبعث زمزم إلى أربع قابلات صالحات، وبعد ان رأينها أخبرن بأن زمزم بكر، وأنّ ما اتهمت به لا أصل ولا صحة له .."[١].

بً- الانحلال الأخلاقي :

كانت العلاقات غير الشرعية بين السكان تقع على مسؤولية مجتمعها، ووجب إبلاغ السلطات بذلك وعدم التكتّم عليها، منعاً للإجراءات العقابية بحق رؤسائهم ووجائهم، ولوحظ ذلك من وثيقة في العام ١٧٥٢م بأن " وكيل طائفة الروم بحلب، ومجموعة من رجال الطائفة، أقرّوا بمحضر من رسول والي حلب عبد الرحمن باشا: قائلين في تقريرهم بأن المدعو جرجس من نصارى الروم، من سكان محلة الدلالين بحلب، كان قبل تاريخ هذا الكتاب بخمسة أشهر أزال بكارة ابنة عمه (سبيهة) من سكان محلة قارلق فأغمضنا عن هذا الفعل الشنيع وقصدنا كتمه فصار الحاكم في صدد ملامتنا للإغماض عن مثل هذا الشأن السفيه وأننّا تعهّدنا بأنه متى صدر شيء مثل هذا الأمر نرفعه إلى والي حلب.."[٢].

وكما ورد في الوثائق أنّ الخوف من العقاب القانوني الشديد، شجّع بعض الناس على تغطية جرائم الآخرين، لكن رغم ذلك، فقد شكّل هذا العقاب رادعاً ضد ارتكاب المخالفات المتكررة وهذا ما شجّع العديد من الأهالي على إخبار السلطات عن بيوت الدعارة في الكثير من الحالات وقاموا بأنفسهم بطرد المخلين من أحيائهم بالكامل، ففي العام ١٧٥٦ أوردت إحدى الوثائق، شكوى من أهالي محلة ابن نصير بحلب على الأخوين يَس وقاسم والمرأة مريم بنت عبد الله بأنهم يأتون بالرجال والنساء ويمارسون الرذيلة وطالبوا بطردهم وشكوى أخرى في محلة اليهود في حلب " بأن المرأتين رحمة بنت محمد وأمها خانم بنت محمد تأتيان بالرجال الأجانب للفسق إلى دارهما وتجتمعان معهم على المعاصي والمحرمات، من غير (تحاشي) الفضيحة بين الناس، وقد نبهتا قبل الآن، من قبل الحكام فلم ترتدِعا وإنهما من النساء الفواحش، فحينئذ أعلم الحاكم الشرعي على رحمة وأمها أن تخرجا من المحلة المزبورة دفعاً للضر عن أهاليها وعن سائر المسلمين"[٣]. ولم يقتصر وجود حالات الانحلال الاخلاقي في الفئات الدنيا فقط، بل وجد عدداً من مومسات الفئة

١- سجل حلب محاكم شرعية رقم ٨٥، صورة ١٥٢ ، ص ٢٩٩ ، تاريخ ٢٧ شوال سنة ١١٦٨هـ/١٧٥٤م.
٢- سجل حلب محاكم شرعية رقم ٨٠، صورة ٣٤ ، ص ٦٢، تاريخ ٢٧ رمضان سنة ١١٦٥هـ /١٧٥٢.
٣- سجل حلب محاكم شرعية رقم ٨٧، صورة ٧١، ٩٠، ص١٢٩، ١٦٨، تاريخ ١١٧٠هـ/١٧٥٦م.

العليا، واللاتي استقبلن زبائنهن في بيوت أفضل، إلا أن أصحاب البيوت كانوا يخاطرون بالتعرّض إلى ملاحقات الأهالي، مما جعل عملهن يقتصر على الفئة الدنيا من العسكريين والانكشاريين[١].

وكانت المسؤولية الجماعية سبباً في اتخاذ إجراءات احتياطية من قبل السكان ضد أصحاب الفواحش التي نهى عنها القانون والشريعة، ولوحظ من خلال وثيقة أيضاً أنه " حضر مجموعة من الأشخاص من محلة المغاير بحلب، وأحضروا معهم المدعو أحمد المعروف بالحمراوي، من المحلة نفسها، واقرّوا بأن المدعو ساكن مع زوجته، وأنه يدخل النساء الفواحش والرجال، فيجتمع معهم على شرب الخمر وارتكاب المعاصي، وعلى هذا فإنه (حميماتي) يطيّر الحمام على سطح داره، ويطلع على النساء المستورات، وإنه شرير سليط اللسان، والتمسوا إخراجه من محلتهم فأعلم القاضي المشار إليه أحمد بأن يخرج من المحلة المذكورة ولا يساكن أهلها.."[٢].

أما بالنسبة للتائبات من فتيات الهوى، فقد لاقين تشجيعاً من الأهالي والحكومة للعدول عن فعل الموبقات، والتوبة لله سبحانه، وتثبيت توبتهن في المحكمة، فالمرأة فاطمة بنت أحمد من سكان محلة القصلية بحلب، أقرّت بأنها كانت بغواية الشيطان واتبعت نفسها هواها بفعل المحرمات واكتساب السيئات، حتى صدر منها ما صدر من القبائح والحال إنها بهداية الله وتوفيقه قد عدلت عن الفعل السيء والسلوك، وتابت إلى مولاها سبحانه التواب، راجية الغفران يوم الجزاء والحساب [٣]. وأظهرت إحدى الوثائق توبة مطربة وراقصة : " فالمرأة آمنة بنت حسن أقرت أنها كانت تضرب بالآلات المطربة، وترقص على نغماتها المعجبة، فإن بدت نغمات السنطير[٤] كانت تقابله كالسمير[٥]، وإن بدت نغمات الطنبور كشفت حاجزات الستور، وإن حرّكتها نغمات الأوتار تركت العار وخلصت العِذار(الحياء)، وأطربت على لهو الآلات وأظهرت ما خفي من الخلاعات وإنها قد أتت مستغفرة تائبة، والتمست تحرير وثيقة بصدور التوبة.."[٦].

١- سجل حلب محاكم شرعية رقم ١٠٥ ، صورة ٦ ، ص ٥، تاريخ ١ جمادى الآخر سنة ١١٨٥هـ/١٧٧١م.

٢- سجل حلب محاكم شرعية رقم ٨٥، صورة ١٤٩ ، ص ٢٩٣ ، تاريخ ٧ شوال سنة ١١٦٨هـ/١٧٥٤م.

٣ -سجل حلب محاكم شرعية رقم ٨٩، صورة ١٤٥، ص ٢٧٦، تاريخ ١٢ ذي الحجة سنة ١١٧١هـ/١٧٥٧م.

٤- السنطير: كلمة تركية :سانتور أو سانطور أو صونطور، وهي آلة موسيقية وترية كالقانون ينقر على أوتارها. الأسدي، موسوعة حلب، ص٣٠١.

٥- **السَمير**: والمُسامر : وهو من يتحدث ليلاً ، ويحدّث الفكاهة والتسلية. الأسدي، موسوعة حلب، ص ٤٠١.

٦ سجل حلب رقم ٧٩، صورة ٤٨، ص ١٣٤، تاريخ ٣ ذي القعدة سنة ١١٦٩ه/١٧٦٠م .

رابعاً- الأوضاع الصحية:

تركت المشكلات الصحية ونقص الغذاء والرعاية الطبية أثراً واضحاً على العلاقات الاجتماعية والأسرية في حلب، في فترة البحث ، فلم يكن سكان حلب يمتلكون المعرفة العلمية والطبية، لمكافحة الأمراض والأوبئة والتي ذهب ضحيتها الآلاف من الضحايا، سواء كانوا من الفقراء أو الأغنياء. فالحكومة التي اعتبرت مسؤولة عن تحصين السكان صحياً، لم تقم بدورها المطلوب، كإجراء تحسينات في المجالات الطبية، سوى ما كان في بعض المراكز العامة التي قدمت خدمات محدودة ، ولجأ السكان إلى التداوي بكل أنواع الطب الشعبي، واستخدام الأدوية والأعشاب، وطرق التداوي بالسحر .

١-الأوبئة والأمراض :

أ-الطاعون : ساد الاعتقاد لدى الحلبيين أن الطاعون يصيب البلاد مرة كل عشر سنوات تقريباً، وقد وصف الطبيب (راسل) المرض، بأنه لا ينتشر في الشتاء، بل يأتي مع قدوم الربيع ويختفي في الصيف، وينتهي بالموت في أغلب الأحيان. وقد ضرب حلب في فترة النصف الثاني من القرن الثامن عشر وباء الطاعون ثلاث مرات، ففي العام ١٧٦١-١٧٦٢ انتشر الوباء الأول وأحصى راسل بين ٧,٧٦٧-١١,٨٨٣ عملية دفن لضحايا المرض، بناء على تقارير المدافن[١]. وحصل وباء الطاعون الثاني في عام ١٧٨٦-١٧٨٧، ووصل عدد الضحايا لأكثر من(٣٤٠٠٠) من المسلمين، وبالنسبة لغير المسلمين ذكر (الحلبي) في مخطوطه "بأنه في أول حزيران ١٧٨٦ أودى الطاعون بحياة (٨٠)من النصارى واليهود أو أقل من ذلك"، وعندما كان الوباء في ذروته، احتفظ (المؤرخ الحلبي) بسجل يومي، لعمليات دفن الموتى من المسيحيين وكان عدد الوفيات (٢٤٧٥) شخص، لكنه رجح بوصول العدد إلى (٣٠٠٠) شخص، آخذاً بعين الاعتبار، عمليات الدفن ليلاً والتي لم يتم تسجيلها [٢]. وعانت بعض العائلات الحلبية من هذا المرض الذي كان يصيب أكثر من فرد ضمن الأسرة الواحدة، هذا ولم يوجد علاج فعال للطاعون، فالأطباء حاولوا علاج الأعراض بالطرق التقليدية، وساهموا أحياناً بتسريع موت المرضى. واختلفت ردة الفعل بين فئات المجتمع تجاه المرض ، فبعض العلماء المسلمين أقرّوا بأن الله أنزل المرض من عنده، ولم ينتشر عن طريق العدوى، وذلك حرصاً على منع حصول انهيار نفسي واقتصادي، فبقيت الأسواق

١- راسل، تاريخ حلب، مج٢، ص٤٠٣، ٤٠٦.

٢- الحلبي، المرتاد، ص١٥٤،١٨١-١٨٦.

مفتوحة، وتصرف الناس بعفوية، واختلطوا بغيرهم من المرضى دون أن يتخذوا أي احتياطات. لكن بعض الأسر المسلمة، وخاصة الغنية لزموا بيوتهم لقدرتهم اقتصادياً على تحمّل عدم العمل لعدة شهور، ومنهم من انتقل خارج المدينة خوفاً من العدوى .

اقتصرت الاحتياطات والوقاية من مرض الطاعون على الجالية الأوروبية في حلب، وعلى بعض المسيحيين واليهود الذين تعرّفوا على الاحتياطات التي اتخذها القاطنون الأوروبيون بحكم ارتباطهم بعلاقات عمل معهم كمستخدمين أو شركاء تجارة فقلّدهم الآخرون، والتزم البيوت الكثير من المسيحيين، والذين لم يلزموا أنفسهم باتباع بعض التفاسير الفكرية المسلمة تجاه الطاعون[١]. وقد بدا ذلك جلياً في الطاعون الثالث الذي اجتاح حلب في العام ١٧٩٣ ، ولوحظ أن العديد من المسيحيين لزموا منازلهم وامتنعوا عن زيارة المرضى والأصدقاء، وحتى المؤرخ الحلبي عزل نفسه في منزله مع أعضاء طائفته الدينية، وقال: "في نيسان ١٧٩٣ بعض الناس ماتوا والإفرنج سكّروا جميعهم تسكير وفي حزيران توفي شماس وانس أخي يوسف بالطاعون ومات في ظرف يومين وأما بقية النصارى فمنهم من هجر عمله ولزم بيته، وامتنع عن النزول للمدينة."[٢].

وبالنسبة للاحتياطات التفصيلية التي اتخذها الأوروبيون فهي التزام بيوتهم، بشكل منتظم وشديد، واتخذ تجّارهم إجراءات للحد من الاتصال بالبضاعة والأشخاص القادمين من المناطق الموبوءة بالطاعون، وشجع هؤلاء التجار السلطات على اتخاذ إجراءات رسمية بالحجر الصحي لكن لم ينجحوا، بذلك ففي العام ١٧٨٥م " طلبوا من المتسلم منع مرور قافلة حجاج إلى بيت المقدس، من دخول حلب، لأن منهم مرضى بالطاعون، ولم يستجب أحد لندائهم، ودخلوا المدينة ومات منهم ثلاثة أشخاص.."[٣]. ومن خلال الوثائق، يبدو أن الحكومة لم تعط توجيهات، للحذر من المرض، ولم تقم بحجر صحي، أو تشجّع على التزام البيوت، وتبيّن من الوثائق بأنه لم يتمّ ذكر وباء الطاعون، في قضايا السكان التي تخص الأمراض، وعدم ذكر أسباب الوفاة .

ب- حصاة المثانة: ذكرت الوثائق الشرعية العشرات من قضايا مرض الحصوة الذي كان منتشراً في ولاية حلب ، وتعلّق علاج المرض باستخراج حصاة المثانة بعد الشق ، فمن عادة الجراحين، اللجوء إلى المحكمة قبل إجراء العملية، بهدف الحصول على وثيقة شرعية، بضمان

١-ماركوس ، الشرق الأوسط، ص٣٠٢-٣٠٤.

٢-الحلبي ،المرتاد ، ص٢١٢.

٣- الحلبي ،المرتاد ، ص ١٤٩-١٥٠

مبلغ معين مع ذوي المريض، تتناسب مع نجاح العلاج، منعاً من اللجوء إلى القضاء فيما بعد مهما كانت النتيجة، وأجرى الجراحون العمليات بنجاح مع الأطفال، مقارنة مع عدد قليل من البالغين الذين كانوا يجازفون في إجراء العملية [١]، ففي وثيقة أفادت بأنه " حضر بمجلس الشرع الشريف الحاج حسن بن مراد، من سكان محلة المصابن بحلب، واستأجر الحاج مصطفى الجرّاح لأجل إخراج الحصوة الموجودة في مثانته بعد الشق عليها بإجرة قدرها (غرش واحد) ولأجل التداوي بعد في مدة سبعة أيام، وأن الجراح المرقوم قبل أن يقبض الأجرة، تبرّع بها للمستأجر المرقوم حباً لله تعالى وابتغاء مرضاته ثم أن المستأجر المرقوم، أقرّ قائلاً إن مت من الجرح أو ما سيحدث منه بأمر الله تعالى، ويكون الحاج مصطفى بريئاً من دمي وديتي، فلا حق لوارثي من بعدي وذلك بحضور والديه الحاج مراد والمرأة زمزم، وأقرّ الأبوان ببراءة الجراح من دية ودم ابنهما إن مات.."[٢].

ومن خلال دراسة الوثائق، تبين لجوء مرضى من ريف ولاية حلب، ومن خارجها أيضاً للتداوي وإخراج الحصوة لما شاع عن خبرة الجراحين، ونجاح عملياتهم في المدينة، فقد حضر بمجلس الشرع الشريف، عاقل بن عبيد من أهالي قرية قطرين(القطرية) التابعة لقضاء اللاذقية واستأجر الشيخ مصطفى الجراح، لإخراج الحصوة بمثانة ابنه الصغير، بأجر قدره تسع قروش[٣] وفي وثيقة أخرى،" حضر حنا من نصارى الروم، بدير الحميراء التابع لقضاء حماه، واستأجر الأخوين مصطفى وإبراهيم لإخراج الحصوة من ابنه..."[٤].

وأيضاً من القبائل البدوية" استاجر سلامة ابن عبدالله من عرب بني خالد(من حمص) الاخوين إبراهيم ومصطفى الجراحين، لإخراج الحصوة في مثانة صغيره حسين بعد الشق عليها بإجرة قدرها خمسة غروش..." [٥].ومن خلال الوثائق السابقة، تبيّن أن عمليات إخراج الحصوة من المثانة، تكلّف ما بين غرش إلى تسع غروش، ومما شكّل عبئاً على الشرائح الاجتماعية الفقيرة

١- راسل، تاريخ حلب مج٢، ص٣١٧

٢- سجل حلب محاكم شرعية رقم ٨٠، صورة ٣٠ ، ص ٥٤، تاريخ ٥ محرم سنة ١١٦٥هـ /١٧٥٢.

٣- سجل حلب محاكم شرعية رقم ٧٨، صورة ٢٠، ص ٣٤، تاريخ ٢٠ رمضان سنة ١١٦٣ه/١٧٤٩م .

٤- سجل حلب محاكم شرعية رقم ١٠٥ ، صورة ١١ ، ص ١٥، تاريخ ٣ رجب سنة ١١٨٥هـ/١٧٧١ م.

٥- سجل حلب محاكم شرعية رقم ١٠٥ ، صورة ٦٤ ، ص ١٢٢، تاريخ ١١٨٦هـ/١٧٧٢ م.

ج-حبة حلب أو (حبة السنة)[١]: وهي من الأمراض المنشرة في حلب، فالمرض نوع من الطفح الجلدي، وأطلق عليه الأوروبيون والمسلمون (آفة حلب) ويظهر على شكل درنة حمراء صغيرة، تنمو وتتوسع وتبقى، من ثمانية أشهر حتى السنة، ثم تلتئم وتسقط وتترك ندبة صغيرة.[٢]

د- **مرض دوسنطاريا (الزحار)** : انتشر في العام ١٧٥١ بشكل كبير، واستمرّ من بداية حزيران حتى منتصف تشرين الثاني ، ومن أسباب انتشاره القحط الذي أصاب حلب، ونقص محصول القمح وسوء تخزينه لفترة طويلة، وكان الخبز المصنوع منه، شديد السواد وعفناً وسيء المذاق، مما زاد في انتشار الزحار [٣].

هـ-مرض الحمى : انتشرت حالات الحمى، ولم يعرف سبب ظهورها بشكل دوري، وكان ضحاياها يعانون من رعشة وغثيان، وارتفاع في الحرارة وصداع في الرأس، وآلام في المفاصل وضعف عام، وبعض حالات الحمى أودت بالوفاة، ففي ربيع العام ١٧٥٢ ظهرت حمّى شديدة بين العديد من أهالي حلب، استمرّت حتى نهاية تموز، وتعرّض معظم المرضى لنزيف في الأنف وكان المرض مميتاً في شهري نيسان وأيار من العام نفسه [٤]، ولوحظ من خلال إحدى الوثائق أن بعض السكان، استغلوا أعراض الحمى وأثرها على صحة الجسم، ولا سيما في خلافاتهم، وعدم دفع الديون متذرعين بالمرض، فقد طالب هواجة نقولا ترجمان طائفة الإفرنج الإنكليز بمدينة حلب، الحاج عمر بمبلغ (ألفين وأربعمائة وعشرين غرشاً) المتبقية من ثمن آلة العطارة، وأقرّ المدعي عليه بالمبلغ، وأجاب أبناء الحاج عمر، بأن والدهم مريض بالحمّى، وصار لا يعي ما يقول، وأثّر على سلامة عقله، مما يمنع صحة إقراره ، وطلب القاضي من المدعي ببينة عادلة

١-**حبّة سنّة** :أو حبّاية سنة، أو حبّة حلب، أو داغة حلب : بثرة تظهر في وجه جسم الساكن في حلب مرّة في العمر. سميت بحبّة سنة لأنها تظل ملتهبة سنة أو لأقل لا أكثر تاركةً مكانها أثراً متآكلاً من البشرة .وتسمى أيضاً حبّة حلب لاستفحالها فيها وإن كانت تظهر في الموصل وبغداد وكسروان وغيرها. ويعتقد الحلبيون أنها تحدث بتأثير ذبابة تفرز سمّها محل الحبة ،دليلهم في هذا أنها تحدث في البشرة المكشوفة ولا تحدث في البشرة المستور ويرى الأتراك أنها بتأثير شرب مائها، لذا كان موظفوهم يشربون من ماء عين البيضا, وفي اعتقاد بعض الحلبيين أن ظهورها على الوجه تحسنه وفي القَدَم سَفَر وفي الإيد عمل وتوفيق. الأسدي، موسوعة حلب ،ص ١٦٧ ،

٢-الغزي، ج١،ص٢٣٩ ، راسل ،ص٣٨٩ .

٣- راسل، تاريخ حلب،مج٢، ص٣٩٩ .

٤- راسل، تاريخ حلب،مج٢، ص ٤٠٠.

فأحضر الشهود بمواجهة الحاج عمر وولديه، وأقروا بسلامة بدنه وسلامة عقله، وأن في ذمته للمدعى، المبلغ المذكور بطريق الدين الشرعي [١].

و- أمراض أخرى : انتشرت عدة أمراض بين السكان، ومنها الفتق وأجريت عمليات جراحية لمعالجته، وذكرت إحدى الوثائق: "استأجر بمجلس الشرع أحمد ابن قره شيخ الأورفه وي، الولي الشرعي على ابنه الصغير حسن، ناقل هذا الكتاب الحاج مصطفى ابن مصطفى الجراح، لأجل إخراج الفتق الموجود في جنب خصية الصغير، من الجانب الأيمن داخل الكيس وبعد الشق عليها، بإجرة قدرها خمسة عشر غرشاً، وخمسة غروش، لأجل التداوي في مدة سبعة أيام" [٢]. وأيضاً انتشرت الأمراض التي تطلّبت أعمالاً جراحية واستئصال أورام في الجسم، كما تشير وثيقة " حضرت لمجلس الشرع الحرمة زمزم، واستأجرت الشيخ مصطفى، لأجل إخراج السلعة (الورم)الموجودة بالقرب من إذنها الشمال،باجره قدرها ثلاثة غروش..."[٣]. وعن مرض القلب أفاد الطبيب (راسل) في العام ١٧٥٣ أنّ كبار السن أصيبوا بالسكتة، وانتهى معظمهم بالفالج ومنهم من شفي بالعلاج[٤].

ومما سبق يتبيّن أن الأمراض والأوبئة كانت السبب المباشر في نسب الوفاة العالية والموت المبكر للعديد من سكان حلب، مقارنة مع نسب الوفاة والإصابات البليغة، نتيجة الحروب الداخلية أو الإعدامات، أو حوادث القتل،أو التعرض لحوادث عنيفة اثناء العمل [٥]، أو بسبب الحروق الكبيرة[٦].

٢-الواقع الصحي والرعاية الطبية :

أ-الواقع الصحي: اقتصر اهتمام الحلبيين بالصحة والسلامة الشخصية على معرفة فوائد القيمة الغذائية للطعام، والمخاطر التي تسببها بعض الأطعمة، واللجوء إلى الأدوية والعلاج المتوفر، وأيضاً الوقاية قدر الإمكان، من المخاطر العامة والحفاظ على النظافة الشخصية، لكن أغلب المشكلات الصحية نتجت عن نقص وسوء التغذية ، فالفئات الفقيرة لم تستطع توفير كمية

١- سجل حلب محاكم شرعية رقم ٧٨، صورة ٨٠، ص ١٥١، تاريخ ١٠ صفر سنة ١١٦٤ه/١٧٥٠م .
٢- سجل حلب محاكم شرعية رقم ٧٨، صورة ٥، ص ٣، تاريخ ١٠ جمادى الثانية سنة ١١٦٤ه/١٧٥٠م .
٣- سجل حلب محاكم شرعية رقم ٩٨، صورة ٨٦ ، ص ١٥٨، تاريخ ١ ربيع الأول سنة ١١٧٩هـ/١٧٦٥م.
٤-راسل ،تاريخ حلب، مج٢، ص٤٠٠.
٥-سجل حلب محاكم شرعية رقم ٨٠، صورة ٣٨ ، ص ٦٩، تاريخ ١٥ شوال سنة ١١٦٥هـ /١٧٥٢.
٦ -سجل حلب محاكم شرعية رقم ١٠٥ ، صورة ١٧ ، ص ٢٦، تاريخ ١٩ رمضان سنة ١١٨٥هـ/ ١٧٧١م.

كافية من الطعام أو العناصر الغذائية المناسبة ، إضافة إلى قيام منتجي المواد الغذائية بالغشّ واستبدال مكونات مرتفعة الثمن بأخرى رخيصة[١] ، وخاصة فيما يتعلّق بالطحين الجيد الذي كان يستبدل، ويخلط بمواد ضارة مسببة الأمراض، وكثيراً ما صدرت أوامر سلطانية لمكافحة هذه الظاهرة، ففي العام ١٧٨١م ورد أمر إلى أصحاب المطاحن والأفران في مدينة حلب ببيع الخبز من الدقيق، والخالي من الغش والحذر من أيّة مخالفات[٢].

إضافة إلى قيام التجار والعطارين ببيع مواد غذائية مغشوشة أدت إلى الأمراض، وأثرت على الصحة العامة ، فالمدعو طه بن عبد القادر من سكان محلة خراب خان بحلب، ادّعى على ينطوب اليهودي العطّار من سكان محلة اليهود وقال في دعواه أن والده عبد القادر من مدة يومين ماضيين اشترى من المدعى عليه بهاراً وزعفران لأجل الطعام، فأكلت أنا ووالدي، فظهر فينا علامة السمّ، وحصل لنا اضطراب وقيء ثم استقصيت خبر ذلك، فأخبرت المدعى عليه، بأنه خلط البهار والزعفران بشيء من سمّ الفأر[٣].

وساهمت الحكومة بشكل ملحوظ بتخفيض الأمراض والتلوث، وخصصت أموالاً لازمة لتنظيف المياه، فوجد نظام القنوات والأنابيب منها مكشوفة تنقل مياه الشرب، من النهر والينابيع إلى المدينة ، ومنها تحت الأرض المعروفة (بقناة حلب) لتوزيع المياه إلى القساطل التي خدّمت المؤسسات العامة والبيوت، لكن غالباً ما أهمل الولاة العناية الصحية للأقنية، مما اضطر الأهالي لدفع أجور تنظيف المياه العذبة في أقنية حلب، خوفاً على صحتهم، ومنعاً من انتشار الأمراض ورفعوا شكاوى إلى السلطان بخصوص ذلك، وهذا ما لوحظ في أحد الأوامر السلطانية في العام ١٧٨١ الذي ذكر: " أن طائفة من اليهود، تقدّموا بشكوى وفحواها "أن المياه العذبة المتدفقة في أقنية حلب، تحتاج كل سنة إلى تنظيف وتطهير، فهم يدفعون تكاليفها برضائهم (خمسون قرشاً) بينما طلب منهم تأدية (مئة وخمسين) وهذا إجحاف ظاهر، فصدرت التعليمات بإلزام رئاسة المحاسبة، بدفع نفقات وتعمير هذه الأقنية، وأخذ ذلك من أموال تحصيلات حلب، دون الطلب للمذكورين بدفع أقجة واحدة ..."[٤].

١-ماركوس ، الشرق الأوسط، ص ٣٠٥

٢- سجل حلب أوامر سلطانية رقم ١٦ ، صورة ١٢٨،ص ١٩١، ٧ ذي القعدة ١١٩٦هـ/١٧٨١م.

٣- سجل حلب محاكم شرعية رقم ٨٥، صورة ١٥٢، ص ٢٩٩، تاريخ ٢٨ شوال سنة ١١٦٨هـ/١٧٥٤م.

٤- سجل حلب أوامر سلطانية رقم ١٦ ، صورة ١٢٨،ص ١٩١-١٩٢ ، أواسط ذي القعدة ١١٩٦هـ/١٧٨١م.

وكان لإهمال النظافة الشخصية الدور الكبير في انتشار الأمراض، فرغم وجود الحمامات العامّة، لكن العديد من الأشخاص لم يذهبوا إليها، سوى مرة واحدة في الأسبوع، وهذا ما عرّضهم للأمراض الجلدية وخصوصاً عند الأطفال، بل قام العديد من الأشخاص بالاستحمام في مستنقعات مائية غير صحية، فضلاً عن الظروف الصحية السيئة في البيوت، فلا يوجد مكافحة للحشرات والجرذان والعقارب، والتي انتشرت في كل مكان، ومما ساعد في انتشار المزيد من الأمراض[١]

ب-الرعاية الطبية: كانت العناية الطبية منظمة بشكل عام في مراكز صحية خاصة لمعالجة المرضى، ومارس الأطباء والجراحون مهنتهم، وسمّيت أماكن عملهم في محلات المدينة، كما أوردتها الوثائق، باسم (دكاكين معدّة للطبابة)، فوردت أمثلة عن وجود دكان في محلة المرعشي خارج باب النصر[٢]، وثلاثة دكاكين معدة لصنعة الطب في الصف الشمالي من زقاق عبد الحي[٣]ودكان بساحة الجديدة بزقاق الشمالي خارج باب النصر[٤]، وكان الأطباء يقومون بمعالجة المرضى، ويستقبلونهم في عياداتهم ويقومون بزيارة منازلهم، وبالنسبة للمراكز الطبية الحكومية العامة في حلب في فترة البحث، فقد وُجد اثنان فقط، وأطلق على الواحد منها بيمارستان[٥]، وهما بيمارستان ارغون الكامل[٦] في باب قنسرين، وبيمارستان النوري[٧] في حي الجلّوم الكبرى

١- ماركوس، الشرق الأوسط، ص ٣٠٦.

٢- سجل حلب محاكم شرعية رقم ٧٧، صورة ١٢١، ص ٢٢٨، تاريخ ١١ ربيع الثاني سنة ١١٦٤ه/١٧٥٠م

٣- سجل حلب محاكم شرعية رقم ٩٨، صورة٦٢-٦٣، وثيقة ص١١٥-١٦، تاريخ ١١٧٩ه/١٧٦٥م.

٤ - سجل حلب محاكم شرعية رقم ١٠٢، صورة ١٣٥، ص ٢٦١، تاريخ ٧ جمادى ١١٨١هـ/١٧٦٧م.

٥- البيمارَسْتان بفتح الراء وسكون السين، كلمة فارسية مركبة من كلمتين: بيمار بمعنى مريض أو عليل أو مصاب، وستان بمعنى مكان أو دار، فهي إذا دار المرضى، ثم اختصرت في الاستعمال فصارت مارستان، وكانت البيمارستانات من أول عهدها إلى زمن طويل مستشفيات عامة، تعالج فيها جميع الأمراض والعلل من باطنية وجراحية ورمدية وعقلية. أحمد عِيسى، **تاريخ البيمارستانات في الإسلام** ، ط٢،جزءان ، دار الرائد العربي ،بيروت ١٩٨١. ج١،ص٤.

٦- أنشأه نائب السلطنة المملوكية الأمير سيف الدين أرغون الكاملي في العام ١٣٥٤م في داخل باب قنسرين عثمان،الآثار التاريخية ،ص١٢٠ الغزي ،ج٢،ص١٠٣. أنور دويدري ، البيمارستانات في حلب ، مجلة عاديات حلب، الكتاب الأول، جامعة حلب ،١٩٧٥م ،ص١٣٨.

٧- البيمارستان النوري، ويسمى «العتيق» ويقع في درب السبيعي، في حي الجلوم، «إن الطبيب ابن بطلان هو الذي اختار البقعة التي بني عليها البيمارستان بحلب الذي وصل إلى حلب قادما من بغداد سنة /٤٤٠/ للهجرة وجدد عمارته نور الدين محمود الزنكي. وقد اختار البقعة التي بني عليها بلحم علّقه في أماكن حلب بأسرها فلم يجد أفضل من حي الجلوم لبناء البيمارستان. نجوى عثمان، **الآثار التاريخية في حلب وكلس وغازي عنتاب**، برنامج التعاون الإقليمي السوري- التركي،جامعةحلب،٢٠٠٩.ص٨٥. الغزي، ج٢،ص٦٤- دويدري، البيمارستانات في حلب،ص١٣٩.

وذكرته الوثائق الشرعية، باسم "دار الشفا " وأفادت وثيقة أنه : " لما مات الشيخ عبد الرحمن أفندي، المتصرف في نصف وظيفة الطبابة، في وقف نور الدين الشهيد، دار الشفا الكائن بحلب بمعلوم قدره (خمسة عثمانيات) وفي نصف وظيفة الطبابة الثانية، في الوقف المرقوم، بمعلوم قدره كل يوم (ثلاثة عثمانيات ونصف عثماني) وصارت الوظيفتين شاغرتين، وحينئذ وجه قاضي حلب بتولية الوظيفتين وتعاطي أمور الطبابة إلى حسب الله جلبي، وقبض إجرته من المتولي على أوقاف نور الدين .." [١] وقد تلقّى المارستان النوري الدعم المادي، من غلّة وقف بعض القرى والمزارع للإنفاق عليه [٢].

اقتصر العلاج في البيمارستانات العامة على علاج فقراء المسلمين، وعلى حجر المختلّين عقلياً منهم أيضاً، أما الكنائس فقد كانت تخصّص قسماً خاصاً لمرضى المسيحيين المصابين بالأمراض العقلية، وذكرت إحدى الوثائق أنّ" المدعو صقر ولد ميكائيل النصراني، أقر أن زوجته هيلانة من طائفة الروم، طرأ عليها الجنون، وصار في كلامها أنواع الهذيان وفي أفعالها اختلال بالعيان، وطالب بوضعها في كنسية السريان على الداب القديم (العادة القديمة)، ونظر القاضي في حال هيلانة، فتحقق من اختلال عقلها، فحينئذ أمر بوضعها في الكنيسة المرقومة .."[٣]. ولم تقم الحكومة بدعم المشافي الموجودة بشكل كبير، بالرغم من الأوقاف الكثيرة والهبات والأموال الوقفية في تلك الفترة ، فكان أغلب السكان ينفقون تكاليف العلاج الطبي بأنفسهم دون أي دعم حكومي[٤].

أما بالنسبة للأطباء والجراحين في حلب في فترة البحث، فقد كان الطبيبان الإنكليزيان الأخوين (الكسندر وباتريك راسل) اللذين أقاما في حلب للإشراف الطبي، على الجالية التجارية البريطانية، وراحا يشرفان طبّياً على سكان حلب من مختلف الجنسيات والطوائف، فالطبيب إسكندر راسل قدم إلى حلب في العام ١٧٤٢وحتى عام ١٧٥٣ ثم غادرها، وأخوه باتريك عمل مع أخيه الكسندر في العام ١٧٥٠ وبقي حتى العام ١٧٦٨م[٥] ، وتميّز الطبيبان بقدرات طبية فائقة، وعلاجهما للعديد من المرضى، إضافة لما أوردته وثائق المحاكم من أطباء، من مختلف الطوائف

١- سجل حلب محاكم شرعية رقم ٨٥، صورة ١٨٥، ص ٣٦٥، تاريخ ١٠ ربيع الأول سنة ١١٦٩هـ/١٧٥٥م

٢-دويدري ، البيمارستانات في حلب ،ص١٣٦.

٣- سجل حلب محاكم شرعية رقم ٨٧، صورة ١٧ ، ص ٢٧ ، تاريخ ٢٧ صفر سنة ١١٧٠هـ/١٧٥٦م .

٤-ماركوس ، الشرق الأوسط، ص ٣١١

٥-راسل ، تاريخ حلب، مج ١، ص٢٠-٢١.

الدينية، عالجوا المرضى على أطيافهم، فمن المسلمين الشيخ إبراهيم بن مصطفى الخلاصي[١] ورئيس الأطباء في حلب مصطفى أفندي[٢]، وسليمان بن عبدالله وصالح ابن يوسف واشتهرا في محلة ابن نصير إحدى محلات بانقوسا[٣]، وأحمد بن عبد الله [٤]. ومن الأطباء اليهود: الطبيب إسحاق اليهودي[٥]، الجراح ابراهام ولد شمويل الإفرنجي[٦] والطبيب موصي ابن ايساف[٧]، وأما الأطباء المسيحيون: إبراهيم ابن ميخائيل بزقاق باكير[٨]، وحنا الطبيب بمحلة قسطل الماوردي ظاهر حلب[٩]، والطبيب ابراهام ولد فانوس بزقاق توما[١٠].

اعتمد الأطباء على وسائل بدائية لتشخيص المرض، كما اعتمدوا على وصف الدواء المركّب من خلط أنواع معينة من الأعشاب والمساحيق، وبغض النظر عن تأثيراتها الجانبية، كما حرص بعض الأطباء، إلى عدم المغامرة بعلاج الأمراض والأوبئة، والعمليات الجراحية الخطيرة خوفاً من المخاطرة بحياة المرضى، لكي لا يتحمّلون مسؤولية موتهم، وكما أشار البحث من قبل فقد لجأ الطبيب إلى أخذ موافقة خطّية من المرضى، أو ذويهم يتخلّون فيها عن حقوقهم في المقاضاة نتيجة عدم نجاح العملية .

إضافة إلى الأطباء والجراحين، لجأ المرضى إلى المعالجين الشعبيين، فاستعانوا بمجبري العظام ومعالج الحروق والقابلات، والمعالجين الروحانيين والحلاقين، واعتمدوا على وسائل بدائية في العلاج، واستندوا إلى العادات والخرافات الشعبية، وكانت الأدوية التي يصنعونها عديمة الفائدة، وأحياناً كان علاجهم يؤدي إلى زيادة وضع المريض سوءاً[١١]، وتبيّن إحدى الوثائق أن " علي آغا ادّعى على عثمان ابن محمد الحلّاق قائلاً بأنه من مدة يومين طلب من المدعي عليه

١- سجل حلب محاكم شرعية رقم ٨٧، صورة ٦٦، ص ١٢٩، تاريخ ١٢ ذي القعدة سنة ١١٧٠هـ/١٧٥٦م.
٢- سجل حلب أوامر سلطانية رقم ٦ ، صورة ٦١، ص ١١١، وثيقة ٢١١، تاريخ ١١٧٥ه/١٧٦١م.
٣- سجل حلب محاكم شرعية رقم ١٠٢، صورة ١٠٤ ، ص ١٩٨، تاريخ ٢٥ شعبان ١١٨٠هـ/١٧٦٦م.
٤- سجل حلب محاكم شرعية رقم ١٠٣، صورة ٦٧، ص ٣٦٠، تاريخ ١١٨٣هـ/١٧٦٩م.
٥- سجل حلب محاكم شرعية رقم ٨٢، صورة ٢٤٩ ، ص ٤٧٩ ، تاريخ ١١٦٧هـ/١٧٥٣م.
٦- سجل حلب محاكم شرعية رقم ٩٦، صورة ١٨٥ ، ص ٣٦١ ، تاريخ ١٨ رجب سنة ١١٧٨هـ/١٧٦٣م .
٧- سجل حلب محاكم شرعية رقم ١٠٦ ، صورة ٤٢ ، ص ٧٨ تاريخ شعبان سنة ١١٨٥هـ/١٧٧١م.
٨- سجل حلب محاكم شرعية رقم ٨٣، صورة ٢٥، وثيقة ص ٤٥، تاريخ ١٨ رجب سنة ١١٦٥هـ/١٧٥١.
٩- سجل حلب محاكم شرعية رقم ٨٦، صورة ١٦٦ ، ص ٣٢٦ ، تاريخ ١ رجب سنة ١١٧٠هـ/١٧٥٦م .
١٠ -سجل حلب محاكم شرعية رقم ١٠٧، صورة ٣٣ ، ص ٥٨ ، تاريخ ١١٨٥هـ/١٧٧١م.
١١-ماركوس ، الشرق الأوسط، ص٣١٢

الحلاق بأن يقلع له درس[١] كان به وجع من أدراسه الفوقانيات وإذ به قلع درس غيره ..فسأل القاضي المدعي عليه فأنكر وبعدها أقر علي آغا بأنه تصالح مع المدعي عليه، على مبلغ قدره ثلاثة غروش .."[٢].

ومن الممارسات الشعبية التي اعتمد عليها المرضى، ومن جميع فئات المجتمع رجالاً ونساءً، التعويذات والحجب التي استخدمها المعالجون الروحانيون، وشيوخ الطرق الصوفية الملهمون، وكأنهم أطباء وقد قدموا النصيحة، على أنها "مستوحاة"، وكانوا يتوسّلون لمزارات الأولياء القديسين، ويستشيرون المنجّمين والعرّافين والمشعوذين[٣]. وكان لرغبة السكان في البقاء أحياء وبصحة جيدة، جعلهم يحاولون استكشاف جميع الوسائل الممكنة، كالجراحة والمداواة بالعقاقير أو الأعشاب، وعن طريق الرقية والحجب والسحر ....الخ، واعتبروا أن هذه الوسائل تكمّل بعضها، ولا تغني عن غيرها.

رابعاً- الهجرة:

ارتبطت الهجرة بالتحركات السكانية، وهي انتقال الفرد أو المجموعة اختيارياً أو قسرياً من الموطن إلى موطن آخر، لفترة زمنية قد تمتدّ مدى الحياة . وللهجرة أنواعها وأسبابها واتجاهاتها وآثارها، وصنّفت الهجرة قسرية أو اختيارية أو مؤقتة أو دائمة، واختلفت ظروف الهجرة من داخل ولاية حلب إلى خارجها كالولايات العربية والعثمانية والاجنبية أو بالعكس، وتنوعت اسباب الهجرة، فمنها ما كانت بسبب تغيّرات مناخية كالجفاف والتصحر، ومثال على ذلك تنقّل البدو الرحل من مكان إلى آخر، طلباً للكلأ والمرعى، ومنها ما كان بسبب الوضع الاقتصادي وظروف الحروب والاضطرابات الأمنية، وتردّي الأحوال الاقتصادية والمعيشية[٤].

١-أسباب الهجرة ونتائجها :

أ-هجرة طبيعية : حدثت هجرات طبيعية بسبب الظروف المناخية داخل حلب وخارجها وأبرزها هجرة العشائر البدوية من منطقة إلى أخرى، وكان منها من يلجأ إلى الاستقرار، ومنها

---

١ – درس : ضرس

٢ –سجل حلب محاكم شرعية رقم ٨٣، صورة ٨٨، وثيقة ص ١٧٢، تاريخ ٣ محرم سنة ١١٦٦هـ/١٧٥٢.

٣–راسل، تاريخ حلب، مج ١، ص١٦٣.

٤– ماركوس، الشرق الأوسط ، ص٤٢-٤٣.

من يتابع حياة التنقل والارتحال[١]، وقد يعود انتقال هذه القبائل إلى التغيرات المناخية بسبب الجفاف والبرد، أو الضغوط السكانية، وفي سنوات الخصب دفعت القبائل إلى البحث عن مراعٍ جديدة بغية تربية القطعان، فللأنهار الدائمة ميزة كبيرة لأي قبيلة. وإن انتقال القبائل شكّل أحد الأسباب لأزمة الاستقرار الزراعي في المنطقة، وخاصة أن حلب منطقة جذب لقبائل البدو، بسبب خروج بعض الأراضي الزراعية من الفلاحة، وذلك لإخفاق شروط الاستثمار الزراعي وحمايته وكانت حالة القبائل العربية في بوادي حلب، في تغيّر مستمر، فتعاقب فصول الخصب، وتوافر مناطق الرعي ، وتوالد الإبل والخيول جلب لها الثروة العاجلة[٢].

ب-الهجرة الاختيارية: هي ظاهرة انتقائية أو انتخابية وليست عشوائية، فهناك فئات من السكان تعدّ أكثر ميلاً نحو الهجرة مقارنة مع غيرها من الفئات بدافع طموحهم، والحصول على ظروف معيشية أفضل، فالهجرة الاختيارية ظاهرة صحية ومصدراً للإثراء الاقتصادي والاجتماعي والثقافي لمختلف الأطراف.

ساهمت الهجرة بدافع العمل والاستثمار في وصول بعض الحلبيين إلى (نخبة التجار) في مدن وولايات عديدة كالرقة ودمشق ومصر والاناضول، وأشارت إحدى الوثائق إلى هجرة الحلبيين إلى مصر/ القاهرة بدافع العمل [٣]، وفي استانبول نظّم التجار الحلبيون أنفسهم، وسمّوا بطائفة الحلبيين، لصيانة حقوقهم ومصالحهم [٤]. وفي العام ١٧٥٦ "ورد انتقال مواطنين من سكان اعزاز في حلب إلى الرقة واستقرارهم فيها ، وتوجه والي الرقة بكتاب إلى والي حلب يطالبه بعدم نقلهم واسكانهم في حلب من دون سبب أو مخالفة.."[٥]وفهم من الوثيقة تحقق الأثر الايجابي لهجرتهم الجديدة، وذلك من خلال تمسك الولاة بهم .

هاجر مواطنون من الولايات العربية والعثمانية إلى حلب، واستقروا فيها وانخرطوا في فئات المجتمع ومنهم :الوافدون المصريون وأشارت احدى الوثائق إلى وجودهم في حلب، وقد

١- ذُكر سابقاُ في الفصل الأول في بحث البنية السكانية، عن أسماء القبائل والعشائر التي هاجرت واستقرت في حلب.

٢- ديك دويز، **العثمانيون تاريخ من الجور**، ترجمة مصطفى العلواني، ط١، دار المعرفة، بيروت، ٢٠٠٨ ص٢٩

٣- سجل حلب محاكم شرعية ٧٨، صورة ٧، وثيقة ص٨، تاريخ ١٣ جمادى الآخر ١١٦٤ه/١٧٥٠م .

٤- سجل حلب أوامر سلطانية رقم ١٦، صورة ١٦٣،ص ٢٣٤، وثيقة ٣٢٥، تاريخ ١١٩٧هـ/١٧٨٢م.

٥- سجل حلب أوامر سلطانية رقم ٦ ، صورة ٧٩، ص ١٣٦، وثيقة ٢٦٦، تاريخ ١١٧٦ه/١٧٦٢م.

"طالب هيكل بن حسن المصري السايس، المرأة لوسية النصرانية من سكان زقاق المبلط على سبيل الأمانة برد ما أعطاه من ذهب وأموال لزوجها الغايب.."[١] .وأيضاً الوافدون من العراق(مسلمين ومسيحيين[٢]ويهود)، وعقدوا تعاملات مالية مع الحلبيين ، فإن " مطلوب ولد حاييم ولد مرخاي اليهودي الموصلي، الأصل البغدادي الوطن ،المقيم بمدينة حلب بطريق المسافرة أجرى تعاملات ومبايعات تجارية، بمبالغ كثيرة مع يهود من طائفة افرنج النمسا بحضور تجار من المسلمين..."[٣] واستلم رجلا من سكان محلة الجبيل بمدينة حلب من الحاج سلطان البغدادي مبلغاً معلوماً، وارتهن مقابله مقداراً من القز [٤]. كما اتضح من وثيقة، إقامة تعاملات مالية بين يهود أصلهم من البصرة مع يهود حلب[٥] .

أمّا المهاجرون الذين قدموا من استانبول، فقد كان لهم تعاملات مالية مع الحلبيين، وذكرت إحدى الوثائق، أن محمود ابن ابراهيم الاستانبولي وكّل وأناب عنه عبد الكريم جلبي، لقبض ماله من الدين الشرعي في ذمة عبد الله بن الحاج حسين الحلبي، وقدره ثلاثمائة وواحد وعشرون غرشا.. [٦]. ومنهم من أتى إلى حلب بشكل مؤقت لحاجات اقتصادية، فالحاج حسن آغا حضر من أهالي مدينة استانبول، النازل الآن في حلب بطريق المسافرة استدان من الخواجه جرجس ترجمان الانكليز مبلغاً وقدره (ألفان وتسعمائة وستون غرشاً) تقسيطاً لمدة ست سنين.."[٧]

وشملت الهجرة الإختيارية أيضاً هجرة **العلماء** : وضمّت المثقفين والقضاة ورجال الدين المسلمين، وعلماء الفقه والعلوم النقلية في حلب، للعمل وتسلّمهم المناصب العالية في مدن خارج الولاية، ومثالاً على ذلك في الولايات العربية، عمل السيد أحمد فندي طه زاده الحلبي[٨] كقاضٍ بمدينة بغداد[٩]، ومن الجدير بالذكر أن عاصمة السلطنة في أحيان كثيرة كانت تستقطب علماء

١- سجل حلب محاكم شرعية ٨٧ صورة ١٠٢، وثيقة ص ٢٩٢ تاريخ ٢٢ شعبان ١١٧٠هـ/١٧٥٦م.
٢- سجل حلب محاكم شرعية ٨٥، صورة ٢٥، وثيقة ص٤٦ تاريخ ٩ شعبان ١١٦٧ هـ/ ١٧٥٣م .
٣- سجل حلب محاكم شرعية رقم ١٠٥ ، صورة ١٨ ، ص ٢٨، تاريخ ١٤ شعبان سنة ١١٨٥هـ/١٧٧١م
٤ -سجل حلب محاكم شرعية ٨٧ صورة ٢٤، وثيقة ص ٤٢ تاريخ ٢٧ ربيع الأول ١١٧٠هـ/١٧٥٦م.
٥- سجل حلب محاكم شرعية ٨٧ ، صورة ٦٢ ، ص ١١٩، تاريخ ١٨ جمادى الأولى سنة ١١٨٦هـ/١٧٧٢م
٦- سجل حلب ٨٧ محاكم شرعية رقم صورة ١٠٦، وثيقة ص٢٠٠ تاريخ ٢٩ شعبان ١١٧٠هـ/١٧٥٦م.
٧- سجل حلب ٨٧ محاكم شرعية صورة ١٠٦،صورة ٣٥، وثيقة ص٢٠٠ تاريخ ٢٩ شعبان ١١٧٠هـ/١٧٥٦م.
٨ مؤسس المدرسة والمكتبة الأحمدية في حلب ، سيرد ذكره لاحقاً في بحث الأوضاع الثقافية.
٩- سجل حلب محاكم شرعية رقم ٨٤ صورة ١٥، وثيقة ص٢٧ تاريخ ٢٣ ربيع الآخر١١٦٦هـ/١٧٥٢م.

الولايات العربية ، وهذا يمنع عملية زيادة العلماء في ولاياتهم والاستفادة منهم . ومن أبرز علماء حلب الذين هاجروا إلى العاصمة العثمانية :

عثمان بن عبد الله الشهير بالعرياني الحنفي الكلسي الأصل الحلبي (ت ١٧٥٥) وهو عالم وله مؤلفات وشروحات ، وقد غادر إلى استانبول وعمل فيها [١] .

إبراهيم بن مصطفى الحلبي (ت١٧٧٦) وكان عالم بالفقه والعلوم النقلية [٢].

السيد عبد اللطيف الكيلاني الحنفي(ت١٧٧٧) : امتهن والده بحلب صنعة السراجه، وهو أيضاً في أول أمره اشتغل فيها، فلذلك اشتهر في بلدته بابن السراج ،وهو من يصنع السرج والسراجة، وتعلم الأدب والشعر، واستقطبته دار السلطنة، وعمل خطاً شريفاً (كاتباً) في عهد السلطان الأعظم محمود خان، ثم خدم شيخ الاسلام مصطفى المعروف بالدري، قبل أن يصير قاضياً للعساكر بالأناضول ، "وسلك طريق المدرسين ، وتنقّل بالمدارس على قاعدتهم، ولما توفّي كان في موصلة السليمانية، وكان يعمل ببيع الكتب ومارس الصحافة خلال اقامته في استانبول"[٣].

يوسف ابن أحمد الحلبي الحنفي الشهير بالجابري (ت١٧٨٦) : ولد في حلب وقرأ النحو واللغة الفارسية، والهداية والفرائض والحساب والحديث ، ودرّس مدة في مدرسة الاسكندرية، الموجودة خارج باب الجنان بحلب ، وسافر إلى استانبول في العام ١٧٥٦، "وأحبّه الصدور العظام، وأحاطوه بالاحترام، بفضل معارفه وعلومه ، وقام بتدوين الأحداث بدار الخلافة" [٤] .

محمد ابن يوسف المعروف بالنهالي الحنفي الرهاوي الأصل الحلبي المولد (ت١٧٧١) وقد أتقن اللغة الفارسية والتركية ، وكان مكبّاً على تحصيل الفضائل، "ولما كان مدرساً بالمدرسة الحلاوية اجتمع مع أرباب المعرف من أتباع والي حلب راغب باشا، وبلغ خبره الوالي ونال إعجابه، ولمّا طُلب الوالي إلى دار الخلافة في العام ١٧٥٦ لاستلام الصدارة العظمى ،أحضر معه يوسف النهالي، وجعله مقرّباً منه ومنحه العطايا ، وأعطاه وظيفة جمرك دار الخلافة لمدة سنة" فأثرى وأقام هناك واهتم بالأدب والشعر[٥] .

١- المرادي، سلك الدرر، ج٣،ص٦٣٢.

٢- المرادي، سلك الدرر ، ج١،ص٣٠ . الطباخ ،إعلام النبلاء ، ج٧، ص٩٢.

٣ المرادي، سلك الدرر، ج٣،ص٦١٣.

٤ - المرادي، سلك الدرر، ج٤،ص٢٤٩.

٥ -الطباخ ، اعلام النبلاء، ج٧،ص٥٩-٦١. المرادي، سلك الدرر، ج٤،ص١١٨.

محمد بن كوجك علي الحلبي (ت ١٧٧٨) وهو من كبار أعيان حلب، وكان أديباً ومتقناً للغات العربية والفارسية والتركية، وهاجر إلى استانبول، وشغل وظيفة أحد (القبوجي باشي) بالباب السلطاني [١] .

عبد الله بن محمود الأنطاكي وهو مدرس في مدرسة الرضائية، واشتهر بالذكاء المفرط والأدب الغض، والنظم العالي في اللغة الفارسية والتركية، وصرف ذكاءه في الأدب ومعاشرة الأدباء ، وذهب إلى استانبول ،ودفتر دارها يومئذ منيف أفندي الأنطاكي، أحد تلامذة والده فأكرمه وأدخله بين كتبة الديوان، وذاع صيته بين السكان من خلال أشعاره، وكانت وفاته في أواخر القرن الثامن عشر[٢].

ج- الهجرة القسرية : اتبعت السلطنة أساليب التهجير القسري، وسياسة اسكان العشائر الوافدة من خارج حلب إلى داخلها، فبعد زحف قبائل عربية من جنوب بلاد الشام باتجاه الشمال وصولاً إلى حلب، وشكلوا قوة لا يستهان بها، فقد دفع الأمر بالسلطنة العثمانية إلى إسكان عشائر تركمانية، لتعويدها على حياة الاستقرار في الولايات الشامية، لمنع تقدم العشائر العربية الزاحفة إليها، وتهجير العشائر المعادية للسلطنة، وقد صدرت فرمانات عثمانية لإسكان عشائر تركمانية منذ بداية العام ١٦٩١ في إيالة حلب مثل عشائر بني ديلي وبايندر وموساجالو التابعين لقصر اسكودار في الأناضول[٣]، وأفاد أحد الأوامر السلطانية في العام ١٧٩٩ عن" وجود عشائر بدوية تركمانية تجوّلت وتنقّلت من الأناضول إلى حلب، وهي جماعة شاميباولي وعشيرة قيونلي ووجب تحصيل أموال منهم عن مدة ثمانية عشر شهراً، وتسليمها إلى متصرف سنجق بوزاوق التابع للأناضول"[٤].وإلى جانب العشائر الكردية التي نقلها السلطان العثماني ليتحضّروا ويستقروا في حلب، مثل: عشيرة العميقي والموجلي وخورمالي وشيقانلي وأصلهم من تركيا [٥]. ومنهم ما قد هجّروا قسرياً من قبل الدولة، وأوضحت إحدى الوثائق أن "عشيرة البكتاشلي الكردية نفيت من حلب إلى الرقة بسبب اخلالهم بالأمن.."[٦].

---

١ -الطباخ ،اعلام النبلاء ،ج٧،ص١٠٠. المرادي، سلك الدرر، ج٤،ص٦٠.

٢- الطباخ ، اعلام النبلاء، ج٧،ص١١٧. المرادي، سلك الدرر، ج٣،ص٥٩٢.

٣ - دفاتر الطابو المالية العثمانية رقم ٨٤٥٨،ص٤٥لعام١١٠٣هـ/١٦٩١،جنكيزارهونلو،اسكان العشائر، ص٩٠

٤- سجل حلب أوامر سلطانية رقم ٢٧ ، صورة ١١١، ص ١٥١، وثيقة ٢٠٤، ١٢١٤ه/١٧٩٩م ،ص٢١٥ .

٥ - جنكيز اورهونلو ، اسكان العشائر ، ص١٤١، وصفي زكريا عشائر الشام ، ج٢ ، ص٦٧٣

٦- سجل حلب أوامر سلطانية رقم ١٦ ، صورة ٢١، ص ٢٦، وثيقة ٤٠، تاريخ ١١٩٥هـ/١٧٨٠م.

وكان للسلطنة الدور الأكبر في نفي بعض السكان وهجرتهم خارجياً لأسباب أمنية، وأوردت أحد الأوامر السلطانية في العام ١٧٧٩ " بنقل الاشقياء من عشيرة الريحانة التركمان في حلب واسكانها في مقاطعة الرقة (لترتاح الخلق) من شقاوتها وتعدياتها، وتكون بعيدة عن المدن"[١]. وإلى جانب الأسباب الأمنية، فقد هجّرت الدولة بعض السكان قسرياً لأسباب سياسية أيضاً، فضمّت حلب مهاجرين كثراً قسراً من الشام ففي العام ١٧٩٩ " نُفي عبد الله فندي إلى حلب للإقامة الجبرية، وتأديبه عن تصرفات خالفت النظام، وفيما بعد صدر العفو عنه والسماح بالعودة إلى بلده وأيضاً " مفتى الشام السابق عبد الله أفندي الذي كان منفياً في حلب جبرياً كتدبير تأديبي، حيث صدرت منه بعض التصرفات التي خالفت النظام، وفيما بعد صدر العفو عنه.."[٢] .

وهناك هجرة قسرية بسبب التنافس والابتزاز بين رجال الحكم والإدارة والموظفين الإداريين والماليين، والقيام فيما بينهم بعمليات الاقصاء والتهجير، تلبية لمصالحهم الخاصة، ففي العام ١٧٦٦ " وردت عريضة من يوسف المدرس، وهو ملتزم لعدة قرى بموجب حجة شرعية لمدة ثلاث سنوات، بالتزام قدره (٥٣٩ قرشاً)، ولما حاول تجديد الالتزام للسنة الرابعة تعرض له النقيب محمد طه وسجنه وغرمه ٢٠٠٠ قرشاً ، فدفع المدّرس مع أولاده وعياله للهجرة إلى استانبول ... مما حدا بالدولة إلى نفي النقيب إلى بروسه، والاقامة الجبرية تلبية لطلب شيخ الاسلام."[٣]. وأيضاً دفعت أفعال واضطهاد الولاة والملتزمين الماليين أنفسهم، إلى هجرة الكثير من السكان، ووصلت أخبار تهجيرهم إلى استانبول ، وقد اعترف السلطان العثماني سليم الثالث، على أثر اجتماع مجلس الشورى الأعلى ورجال الدولة، في العام ١٧٨٩ " بهجرة الكثير من السكان وتشريدهم وترك أوطانهم، نتيجة المظالم وتعديات رجال المال وجباة الضرائب والملتزمين، وأصدر السلطان تعليمات بأصول تعيينهم من قبل الأهالي بالانتخاب وباتفاق الآراء دون تدخل الولاة .."[٤].

١- سجل حلب أوامر سلطانية رقم ١٥، صورة ٧٠، ص ١٠٩، وثيقة ١١٠، تاريخ ١١٩٣ه/١٧٧٩م، ص١٤٢

٢- سجل حلب أوامر سلطانية رقم ٢٨ ، صورة ٤٧، ٧٩، ص٣١،٥٦ وثيقة ٦٤،١٠٥ تاريخ ١٢١٤هـ/١٧٩٩م

٣ -سجل حلب أوامر سلطانية رقم ٧، صورة ٧٣، ص ١٨٧، وثيقة ٢٦١، تاريخ ١١٨٠هـ/١٧٦٦م. دفتر الترجمة إلى العربية.

٤- سجل حلب أوامر سلطانية رقم ٢٠صورة ١٩، ص ١٤ ، وثيقة ٢٠، تاريخ أواسط شوال ١٢٠٤هـ/١٧٨٩م دفتر الترجمة إلى العربية.

د-الهجرة المؤقتة : دخلت هجرة سكان الريف إلى المدينة ضمن الهجرة المؤقتة، بسبب المجاعات والاوبئة والغلاء، والبحث عن فرص للعمل ولأسباب أمنية ، والذي دفعهم للتوجّه إلى المدينة، مركز الادارة ومقر الفئة الحاكمة، فهجرة أبناء الريف بدافع للعمل، كانت تتحوّل لتصبح دائمة، لكونهم فقراء، وكانوا أقلّ تطلباً فيما يتعلق بالأجور.[١].وبينت إحدى الوثائق ان سبب هجرتهم، هو عدم توفّر الأمن والاضطهاد الكبير للمزارعين مما دفع بعضهم إلى هجر حقولهم بأعداد كبيرة : "ففي العام ١٧٨٩ حصلت هجرة أهالي ثمانية قرى من منطقة جبل الأعلى في قضاء حارم، ويبلغ عدد سكانها ثلاثة آلاف، بسبب تعدّي اللصوص عليهم وسرقة مواشيهم واحتلال أماكنهم، وصدر الأمر السلطاني بإعادتهم إلى قراهم ومعاقبة المعتدين.."[٢].

أوضحت الوثائق جملة من الآثار التي تركتها هجرة سكان الريف إلى المدن، فقد ذكر أحد الأوامر السلطانية في العام ١٧٧٧ "بأن الأهالي في الممالك المحروسة، وفي أقضيتها ونواحيها والذين يعملون بزرع اراضيهم، من أجل الكسب والتكاليف اللازمة عليهم، وقد بدأ من وقت رحيل بعض سكانها مع عائلاتهم إلى استانبول وفيهم من أصحاب الذمة تاركين الأقضية والقرى فارغة مما أدّى إلى العجز ونقص الأموال الأميرية والرسوم، ويطلب إلى الولاة والضباط بعد ترخيصهم للسكان الراغبين بالنزوح وترك أراضيهم، ومعاقبة المخالف والمتهاون من الضباط"[٣]. وتركت هذه الهجرة آثاراً سلبية على مصالح هذه الفئة المتنفذة في المدينة، والتي اعتبرت مواجهة هذه الكوارث، أولوية لتجنّب وقوع الفوضى، وأدت إلى نشوء خلل بالنظام الضرائبي بالنسبة للدولة، إلى جانب ما شعر به أهل الريف والمدينة في نقص المواد الغذائية، وخسارة المنتجات، وقلة في العوائد.

١- ريمون ، حلب ، ص٢٧٧-٢٧٩.

٢- سجل حلب أوامر سلطانية رقم ٢٠ ، صورة ٨٢، ص ٧٢-٧٣ ، وثيقة ١٠٥، تاريخ ١٥ شوال ١٢٠٤هـ/١٧٨٩م دفتر الترجمة إلى العربية.

٣- سجل حلب أوامر سلطانية رقم ١٣ ، صورة ٨٩، ص ١٥٧، وثيقة ١٧٢، تاريخ أواخر ربيع الآخر ١١٩١هـ/١٧٧٧م ، ص١٦٧ من دفتر الترجمة إلى العربية.

استنتاجات الفصل الثاني :

تبيّن من خلال التغييرات التي طرأت على بعض المظاهر الاجتماعية في حلب، في فترة البحث أنها لم تكن على مستوى واحد ، بل تفاوتت بين مظهر اجتماعي وآخر، وفيما يخص الأسرة وأحوالها، فإن ثقافة المجتمع الحلبي والوازع الديني، شجع على الزواج والاستقرار لكونه واجب مقدس، وبدوره ساهم في زيادة عدد الأسر وانتشارها ، لكن امتداد الأسر تأثر بعوامل عديدة وأبرزها: ضعف الامكانيات الاقتصادية أو قوتها والذي كان له الأثر البالغ، في توزّع الوحدات السكنية، ومن الجدير بالذكر أن العوامل الاجتماعية تركت أثراً سلبياً، على خصوبة المجتمع مثل انتشار الأمراض الوبائية وإهمال النواحي الصحية وموت الأطفال، وإجراءات تحديد النسل والطلاق.

أثبتت المرأة الحلبية جدارتها في المجتمع الحلبي خلال العهد العثماني، رغم ظهور فروق طبقية عززها أسلوب الحكم الذي اتبعته السلطنة العثمانية في الولايات العربية، وتباينت مكانة المرأة الثرية ذات الأنساب الراقية ، مقارنة مع المرأة الحلبية الفقيرة من الفئات الدنيا، إضافة إلى الفروق الدينية بين المرأة المسلمة وغير المسلمة.

ومن اللافت للانتباه أن وثائق المحاكم الشرعية اعتبرت المصدر الحي والاصيل لقضايا الأحوال الشخصية في حلب، من زواج وطلاق وإرث ووصاية ووصية ونفقات، وطبقت المحاكم الشرعية في حلب، أحكام الأحوال الشخصية على المذهب الحنفي، واعترفت هذه المحاكم بصكوك الأحوال الشخصية لغير المسلمين التي عقدت في كنائسهم ، وأيضاً طبّقت الشريعة الاسلامية في أحكام أحوالهم، إذا تقدّموا للفصل في دعاويهم ، وعالجت قضاياهم وسعت إلى تثبيتها في المحاكم الشرعية.

ومن الواضح أن تفاعل الحلبيين ضمن مجتمعهم، أفرز عادات وتقاليد شتى، تأثّرت بالتشريعات الحكومية، وبالأوضاع الاجتماعية والاقتصادية، فوجدت فوارق اجتماعية من حيث الطعام والشراب بين الفئات الخاصة والعامة، وإن كانت الموائد والولائم تعبيراً عن القيم الاجتماعية للاجتماع والإلفة والمحبة ، لكن هذه الفروق الطبقية أنست الناس عن معناها الاجتماعي، ولا سيما شعور الفقراء بعدم القدرة على تأمين حاجاتها.

وظهر جلياً أن بعض الحلبيين أمضوا أوقات فراغهم بوسائل مختلفة، كارتياد أماكن التسلية في دور المقاهي، ومن اللافت للانتباه أن مرتاديها من الذكور دون الإناث، وأن أغلبهم من الفئة

العامة دون الخاصة، وأما الحمامات العامة فقد تبيّن أنها لم تكن مكاناً عاماً يقدّم خدماته للزبائن فقط، بل كانت مكاناً للقاء الأصدقاء والأقرباء والمناسبات الاجتماعية وللتسلية، وخاصة عند النساء.

ومن الواضح أن اللباس في حلب عبّر عن دلالات اجتماعية شتى، فقد تعددت الألبسة لتتلاءم مع المحيط الطبيعي والتركيب الطبقي، وظهرت الفوارق الاجتماعية عند الفئات الثرية والفقيرة وبين المسلمين وغير المسلمين وذلك في نوعية ولون الألبسة ، فقد أرضت غرور الفئة العليا من خلال المبالغة في الثياب المصنوعة من الأقمشة الذهبية واستخدام الفراء ،والاسراف في فخامة غطاء الرأس رجالاً ونساءً، وتجلت الفروق والتمايز أيضاً ضمن الفئة نفسها ، خاصة كانت أم عامة . وفي جوانب أخرى فقد شكلت الألبسة وظائف اجتماعية هامة لإرضاء رغبات المجتمع، فاختار بعضهم الألبسة المريحة لتتناسب مع الطبيعة، ومراعاة الحجاب والحشمة وطريقة الجلوس ، وتبعاً لأفكار وفلسفات معينة في الحياة. ومن الجدير بالذكر أن أثر الجاليات الغربية في ميدان اللباس كان محدوداً في فترة البحث، واقتصر هذا الأثر على بعض أهل الذمة الذين ربطتهم معهم علاقات تجارية .

لاشك أن حلب في فترة البحث تأثّرت بضعف السلطنة العثمانية وكثرة حروبها فاتسمت بعدم الاستقرار، إلى جانب التوترات والاحداث الامنية الداخلية ، مما أدّى بشكل أو بآخر إلى ظهور حالات الانحراف الاجتماعي، والرشوة وخاصة في أجهزة الإدارة والتعاملات اليومية، فانعكس الخلل الاداري، وتردي الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية على الواقع الصحي والرعاية الطبية في حلب، فلم تقم الحكومة بواجباتها تجاه الأوبئة والأمراض والصحة العامة. ولم توفّر أماكن علاج مناسبة تغطّي أرجاء المدينة.



الحياة الثقافية في حلب في النصف الثاني من القرن الثامن عشر

عانت الولايات العربية من الانحطاط والجمود الثقافي في العهد العثماني، وطبعاً لم يكن وضع حلب مختلفاً عن غيرها من الولايات، فقد مالت فيها الحياة الفكرية إلى الجمود، بسبب عوامل عدة مثل: الاضطرابات السياسية، وتبدّل الحكام والولاة وزيادة الضرائب والغلاء والفقر وعدم تشجيع التأليف والإنتاج الفكري والأدبي والعلمي، إضافة إلى التقليد والمحافظة الذي جعل الابداع متقلصاً ومنكمشاً[١]، ولكن رغم ذلك فقد كان هناك بعض المظاهر الثقافية والمدونات التاريخية مثل: كتب الأخبار والتراجم، وكتب الفتاوى الشرعية الإسلامية، والأوامر السلطانية التي كتبت باللغة العثمانية والعربية، وسجلات المحاكم الشرعية التي كتبت بالعربية، واحتوت مجمل قضايا السكان كالتركات والأحوال الشخصية والاجتماعية واعتبرت هذه المصادر نتاجاً فكرياً مهماً استطاع أن يؤطر المظاهر الاجتماعية داخل الدولة العثمانية، ولا يعني جمود الحياة الفكرية الثقافية أنّ عدد المدارس والمدرسين والمؤسسات التعليمية في العهد العثماني كان قليلاً، بل كان يكمن في ركود الحياة العقلية والعلمية وفقدان روح الابتكار، خاصة وأنّ العثمانيون لم يخضعوا المؤسسات التعليمية العربية لنظامهم ، بل أبقوا لها تقاليدها دون إدخال أي تحديث، فلم يميزوا في أنواع اللغات وإنما خصصوها، فكانت اللغة العثمانية لغة الحكومة والجيش واللغة العربية لغة الدراسة والشريعة، واللغة الفارسة لغة الآداب[٢].

كان في مركز كل ولاية ومدينة عربية مسجداً وجامعاً، وأحياناً كان في ولاية حلب أكثر من مسجد واحد، لاستقطاب كبار العلماء والمدرسين والطلبة، من داخل الولاية وخارجها، من الولايات

١- ليلى الصباغ، **المجتمع العربي السوري مطلع العهد العثماني**، ط١، وزارة الثقافة، دمشق١٩٧٣م، ص١٦٩،ص١٦٧-١٦٨.

٢- البرت حوراني ، **الفكر العربي في عصر النهضة ١٧٩٨-١٩٣٩**، دار النهار ، بيروت ،١٩٦٨، ص٥٠.

العربية والعثمانية ومن أنحاء العالم الإسلامي، ولم تكتفِ السلطنة العثمانية بالسعي للحفاظ على المؤسسات التعليمية المختلفة التي كانت في الولايات قبل السيطرة عليها، بل عملت عبر حكامها على بناء بعض المُؤسسات الدينية التعليمية الجديدة، وترميم المتهدم منها.

أولاً-الحركة التعليمية:

حافظ العثمانيون على نظام المؤسسات التعليمية الدينية كما كانت أيام المماليك، ولم تختلف في سماتها العامة عما كان سائداً قبل ذلك، واقتصرت الحركة التعليمية بحفاظها على تراث المجتمع ولغته وفنه وأدبه، وأما الحركة التعليمية في حلب في فترة البحث، فقد شكلت حالة شبيهة بباقي ولايات السلطنة، رغم بعض الخصوصية التي اتسمت بها .

١-الهيئة التدريسية:

كانت وظيفة التدريس من الوظائف المهمة في المجتمع، لما تمتّع به المُدرّسون من مكانةٍ عالية في المجتمع، فقد كانوا المحور الأساس الذي تدور في فلكه العمليّةُ التعليميّةُ، سواء في تقديم المادة العلمية لطلابهم، أو في بناء العلاقات الإنسانية، وكان الدافع لكلِّ هذا التقدير والتبجيل هو القدسيّةُ الخاصة التي منحها الإسلام للعلم و العلماء و طلاب العلم، وأطلق اسم هيئة تدريسية على كلٌّ من مارس مهنة التعليم، بدءاً من معلّم الكُتّاب إلى المعُيد ونائب المُدرِّس و المُدرِّس .

أ-مُعلم الكُتّاب : لُقّب معلم الكتّاب باسم المؤدَّب أو الشيخ ، وفي كتاتيب الإناث لُقّبت معلمة الكتاب باسم(خجا)[١]، وكان معلّم الكُتّاب يقوم بتعليم الأطفال تلاوة وتحفيظ القرآن الكريم بالإضافة إلى القراءة والكتابة وبعض الحساب، والقليل من المعارف الدينية واللغوية العربية، إما في بيوتهِم أو فيما يُسمى الكتاتيب وفي دور القرآن [٢]، ومن أهمّ معلّمي الكتّاب في فترة البحث في حلب السيد محمد خليفة الذي علّم الأطفال في المدرسة العائدة للجامع الكبير، وأخذ راتبه من حاصلات الأوقاف، وبعد وفاته شغل الوظيفة ابنه السيد عبد الرحمن أفندي،[٣] وأيضاً معلم الكتاب عبد القادر أفندي حسبي زاده في المدرسة الملاصقة لخان وقف أحمد باشا قويتاب في محلة الجلوم[٤].

١- عبد العزيز عوض ، **الإدارة العثمانية في ولاية سورية (١٨٦٤-١٩١٤)** تقديم أحمد عزت عبد الكريم ، دار المعارف بمصر،١٩٦٩.ص٢٥٣.

٢- أحمد سامح الخالدي، **أنظمة التعليم** ، جزءان، الطبعة الأولى، القدس ، ١٩٣٣م ، ج ١ ، ص ٨٢ .

٣- سجل حلب أوامر سلطانية رقم ٦، صورة ٢٦، ص ٤٣، وثيقة ٩٠، تاريخ ١١٧٥هـ/١٧٦١م

٤- سجل حلب أوامر سلطانية رقم ٢٥، صورة ٨٤، ص٦٠، وثيقة ١١٥، تاريخ ١٢١٠هـ/١٧٩٥م.

ب-المُدرّس :

عُرف القرن الثامن عشر الميلادي في حلب، بالعديد من المدرسين المتخصصين في مختلف العلوم الدراسية، كالحديث والتفسير والفقه واللغة العربية والطب وعلومٍ أخرى[١] ، وكان المُدرِّسون لا يمارسون مهنتهم، إلا بعد حصولهم على الإجازة بالتدريس، وامتلك المدرسون ميزات ومكانة اجتماعية كبيرة ، فالعديد منهم جاؤوا من فئات دنيا ووسطى، وبعد حصولهم على درجة علمية انضمّوا إلى صفوف العلماء على اعتبار أنهم المتعلّمون في مجتمع كان يعاني من انتشار الأمية وفي فترة كان القليل من السكان قادرين على القراءة والكتابة، ونادراً أن ترى شخصاً يمتلك درجة علمية رفيعة[٢] .

كانت هناك فوراق كبيرة بين المدرسين أنفسهم، بسبب تفاوت مستواهم المعرفي، ومكانتهم الاجتماعية وحتى في بعض الأحيان سلالتهم، فبعض مدرسيّ حلب تلقّوا تعليماً عالياً على يد أكبر الأساتذة في ذلك الوقت، وقاموا بتأليف الكتب المتميزة، واكتسبوا شهرة واسعة على مستوى الولايات بسبب خبراتهم ومعارفهم[٣] ، فمؤسسو المدارس والمتولون على نظارة أوقافها، سعوا لاختيار أشهر العلماء للتدريس في مدارسهم التي أسسوها، وتمتّع المدرسون الذين شغلوا مناصب في الإفتاء والمحاكم والجوامع بلقب أفندي[٤]، وامتلكوا ثروات كبيرة، ومن جهة أخرى فإن بعض المدرسين لم يمتلكوا إلا كمية ضحلة من العلوم والخبرة، وعاش بعضهم حياة متواضعة وبسيطة ولم يكن بمقدورهم أن يعيلوا أنفسهم، فكانت أجورهم في التدريس زهيدة، وأوضحت إحدى الوثائق في العام ١٧٩٤ أن قاضي حلب رفع كتاباً إلى والي حلب حول استيفاء أجور العقارات المؤجرة للمدرّسين: محمد عباس ومحمد أسعد في منطقة القصابية، ونظراً لعدم تمكنهما من دفع الإيجار، طلب منهما إخلاء العقارات لتأجيرها لغيرهما [٥].

ج- المُعيد : ارتبطت وظيفة المعيد بالمدارس، وأتت في المرتبة الثانية في المدرسة بعد وظيفة المدرس[٦]، وكانت المدرسة تجمع طلاباً تتفاوت مقدراتهم العلميّةُ، فكانت وظيفة المُعيد

١-سترد أسماء أبرز المدرسين واختصاصهم في بحث المدارس .

٢-ماركوس، الشرق الأوسط ، ص٧٤.

٣- سترد أسماء أبرزهم في بحث المفكرين والأدباء

٤- سجل حلب محاكم شرعية رقم ٨٧، صورة ٣٧ ، ص ٦٨، تاريخ ١٥ ربيع الأول سنة ١١٦٩هـ/١٧٥٥م.

٥- سجل حلب أوامر سلطانية رقم ٢٤ ، صورة ٢٣ ، ص ٣٠ ، وثيقة ٤٠، تاريخ ١٢٠٩هـ/١٧٩٤م.

٦- القلقشندي :صبح الأعشى ، ج ١ ، ص ٢٨٨ ، ٢٨٩ ، ٢٩٢ ، ٣٠٩ .

مساعدة المتخلفين علمياً حتى يتمكّنوا من اللّحاق بالآخرين، وإذا أحسّ بعض الطلاب بتراجعهم العلمي عن طلاب حلقة ما، رغبوا بالابتعاد عنها إلى سواها من الحلقات التي تتناسب ومستواهم العقلي، وبرز طلابٌ متفوقون في الحلقات، وزاد ارتباطهم بُمدرِّسيهم، ففضّلوا أن يعملوا مساعدين لهم أو معيدين لدروسهم على أن يستقلّوا عنهم، ويكوّنوا لأنفِسهم حلقاتٍ خاصةً[١]، وارتبط عدد المعيدينَ في المدارس بأعدادِ الشيوخِ والطلابِ في المدرسة، ومن أهمّ المعيدين في حلب في فترة البحث، المعيد إبراهيم بن مصطفى بن إبراهيم الحنفي الحلبي الذي توفي عام ١٧٧٥[٢].

د- نائب المُدرّس :

أعطت السلطنة أولوية التعيينات في وظيفة التدريس، كغيرها من الوظائف الحكومية لأقرباء المدرس بعد وفاته، أو تقاعده نيابة عنه، فالاستنابة قرار يحق للمدرِّس أن يتّخذه بإسناد وظيفة التدريس التي يشغلها، إلى من يراهُ أهلاً للقيام بهذه المهمة، سواء كان من ذريته، أم من أقاربه أم من معارفه، وقد سمحت لكثير من نواب المدرسين فرصة الحصولِ على وظيفة تدرّيسية دون الدخول في خلافات أو منازعات ، وعدم الحاجة للوقت الطويل، لرفع الكتب إلى شيخ الإسلام في استانبول من أجل منحهم براءات التعيين في شغل الوظائف التدريسية [٣]. وأوردت العديد من الوثائق رغبة المدرس بالتنازل عن وظيفته لغيره، ومثالاً على ذلك، ما ورد في أحد الكتب من استانبول إلى قاضي حلب جاء فيه: " تنازل المدرس سليمان العالم على وقف الصلاحية، إلى ولده محمد سعيد العالم ليقوم بدلاً عن والده، والتدريس بوقف الصلاحية بحسن رضائه واختياره، وأن يأخذ من مال الوقف أجور تدريسه"[٤].

هـ -شروط تعيين المُدرّسين :

أوضحت وثائق محاكم حلب الشرعية الطريقة التي يتمّ فيها تعيين معلمي الكتاب، من قبل الواقف على دور الكتاتيب، إضافة إلى طريقة تعيين المدرسين في المدارس التعليمية العالية ، ولم تكن الحكومة تتدخّل في التعيين، إنما تكتفي بالإشراف عليها من بعيد عن طريق القاضي، وقد اقتصر اشرافها هذا على الأمور المالية المتعلقة بالأوقاف، وليس على العملية التعليمية، وعلى إثر عزل أو وفاة أحد المدرسين كان القاضي الحنفي في حلب يرشّح أسماء المدرسين من العلماء

١- أحمد شبلي :تاريخ التربية الإسلامية، الطبعة الرابعة، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٧٣م ، ص ٢٥٥.

٢ المرادي، سلك الدرر،ج١،ص٣٩.

٣- محمد قمبر وآخرون، **دراسات في التربية الإسلامية**، الطبعة الأولى، دار الثقافة ، الدوحة، ١٩٨٩،ص٢١-٢٧

٤- سجل حلب أوامر سلطانية رقم ١٥ ، صورة ٦٦، ص ١٠٢، وثيقة ١٠٢، تاريخ ١١٩٣هـ/١٧٧٩م

ويضع اعتبارات معينة ليتمّ تسليمهم المناصب التدرّيسية الشاغرة ، وأهمّ هذه الاعتبارت ممن عُرف واشتهر في بلده بالعلم الواسع والأخلاق الفاضلة، إلى جانب تنفيذ ما جاء في شروط واقف المدرسة المراد تعيينه فيها قدر المستطاع، ريثما تأتي البراءة السلطانية التي تثّبت هذا المدرّس في الوظيفة أو تعيين أخر بدلاً عنه، كما في المثال التالي في العام ١٨٠٠ " تم ترشيح السيد محمد طالب أفندي طه المعروف بكفاءته وعلمه، من قبل قاضي حلب حافظ حسن شيخ زاده، ليقوم بالتدريس في مدرسة السليمانية في حلب، وتمت الموافقة على ذلك، من قبل فضيلة شيخ الإسلام عمر خلوصي أفندي زاده"[١]. وشملت البراءة السلطانية الخاصة بالمدرسين قرار تعيين المدرّسيين، وقيمة مرتباتهم من الأوقاف المخصصة لتلك المؤسسات، وكان يتمُّ الحصول على البراءة، إما بسفر الشخص الطامح بوظيفة ما إلى العاصمة استانبول، أو حصول معارفه عليها من العاصمة وإرسالها له، ومن بعد ذلك يقوم صاحب البراءة، بإبرازها للقاضي ليقوم بتنفيذ الأمر الذي تحتويه ومن الأمثلة على ذلك: " إلى القائمقام المتولى لوقف مدرسة الشعبانية في حلب نعلمكم أن باعث الرسالة السيد اسماعيل الذي يتقاضى شهرياً قرشاً أسدياً واحداً لقاء قيامه بالآذان وقرشاً بشأن حرم المسجد وثلاثة قروش لتعليم الصبية من الأولاد بناء على البراءة العالية والكتاب المعطي ولزوم استيفاء المخصصات الشهرية بعد قيامه بالخدمات المذكورة " [٢].

و- رواتب المدرّسين :

كان العديد من العلماء الذين شغلوا وظائف التدريس في حلب يتقاضون أجورهم وفق فئات عدة، فمنهم من تقاضى أجوراً نقدية كالخميسية، عن كل ولد علموه القرآن، إلى جانب الخط والحساب، وتعني أن الطالب كان يقدم لمعلمه الأجرة يوم الخميس[٣]،أو كان يقدّم أجوراً عينية وتمثّلت في العادة في التمر أو القمح أو الزيت، وكان بعض المدرسين لا يتقاضون معلوماً أو أجراً من الطلاب، بل كانوا يأخذون رواتبهم الشهرية من مخصصات وقف المدرسة بانتظامٍ، ولا يأخذ المدرس الفرد أي أجرة سوى الحلوان (الهدية)، وكانت الرواتب تتباين بين مُدرّسٍ وآخرَ وبين مدرسةٍ وأخرى بسبب تأثرها بمقدار الوقف الذي أوقف على خدمة المدرسة، فمن المعروف

١- سجل حلب أوامر سلطانية رقم ٢٨ ، صورة ١٤٦، ص ١٢٢، وثيقة ٢٠١، تاريخ ١٢١٥هـ/١٨٠٠م.
٢- سجل حلب أوامر سلطانية رقم ١٦ ، صورة ٢٣، ص ٣٠، وثيقة ٤٥، تاريخ ١١٩٥هـ/١٧٨٠م.
٣-الغزي ، نهر الذهب ،ج١،ص١٦٤.

أنَّ لكل مدرسةٍ وقفها الخاص، ويتكفّل هذا الوقف بدفع رواتب المتولين عليه والمدرسين والطلاب كما يتكفّل بدفع النفقات المختلفة للمدرسة من (طعام وقرطاسية و إنارة و غير ذلك من خدمات) [١]

وكان للمدرّسين مخصصاتٍ أخرى تأتي من موارد عدة كالهبات من الحكومة، وممن ورثوا عن أسرهم أموالاً وفيرة، ورغم تمتّع بعض المدرسين بالثروة إلا أن هذا الأمر، لم يمنعهم من أداء رسالتهم العلمية السامية، وخصصت السلطنة لبعض المدرسين الصوفيين راتباً لهم، وأيضاً اضطُّر بعض المدرّسين للعمل بأعمال إضافية، إلى جانب عملهم في التدريس لكسب رزقهم، لأنّ رواتبهم في بعض المعاهد العلمية، لم تكن كافيةً لإعانتهم[٢].

٢-الإجازات العلمية:

عدّت الإجازات العلمية مظهراً من مظاهر الحركة الثقافية والفكرية، وجزءاً مهماً من نظام التعليم، وهي تتصل بالحديث عن الكتب التي كانت مجالاً للدراسة، وأساليب التدريس وطرقه ومناهجه وما يتصل بذلك من معالم الحياة العلمية، والإجازة هي الترخيص للمهنة العلمية أو الوظيفة كالافتاء والتدريس والقضاء والتطبب والعلوم المختلفة، مثل: الفقه، والحديث والقراءات والعربية، وغيرها[٣]. وقسمت الإجازة إلى عدة أنواع منها:

أ-**الإجازة بكتاب** : وهي أن يحفظ الطالب كتاباً، ويُقدم نفسه طواعية لشيخه أو لأي شيخ أخر ويطلب منه إجراء امتحان له في هذا الكتاب، كأن يكون كتاباً في الفقه، أو النحو، أو غير ذلك من الفنون، فيقطع الشيخ المعروض عليه من ذلك الكتاب، ويفتح منه أبوابا ومواضيع يستقرئه إياها، من أي مكان يراه، وكان يجب أن يمضى فيها من غير توقّف أو تلقين، ويستدلّ الشيخ من الطالب بحفظه جميع الكتاب، وثم يكتب له بذلك كل ما عرض عليه[٤]، ففي العام ١٧٦٥م قرأ عبد الرحمن الحنبلي، أمام استاذه الشيخ محمد البصيري "ختمة كاملة برواية حفص عن عاصم بقصد التجويد والضبط مع حفظ الشاطبية[٥]، ثم شرع في الإفراد والجمع فجمع عليه

١-الغزي، نهر الذهب، ج٢،ص١٨٦.

٢- سترد أمثلة حول ذلك في بحث العلاقة بين الطرق الصوفية والتنظيمات الحرفية

٣- محمد عبد الرحيم غنيمة،**مقدمة لتاريخ التعليم الجامعي في الإسلام**،مكتبة الانجلو المصرية،القاهرة ١٩٥٣، ص١٤٣

٤- القلقشندي :صبح الأعشى ، ج ١٤ ، ص ٣٢٧ .

٥-الشاطبية نسبة إلى العالم الشاطبي١١٤٤-١١٩٤م ويبتدأ فيها ببيان كيفية لفظ الأحرف الهوائية ثم ينتقل إلى بيان القراءات السبع . حاجي خليفة ، مصطفى بن عبد الله الشهير بحاجي خليفة وكاتب جلبي، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، عني بتصحيحه وطبعه وتليق حواشيه محمد شرف الدين يالتقايا، دار إحياء التراث العربي بيروت ، (د.ت) ج١ ، ص ٦٤٦

القرآن العظيم من أوله إلى آخره، للأئمة السبعة قراءة تحقيق وإتقان، وأجازه بالقراءة والإقراء وأمر له بكتابة إجازة "[١].

ب- الإجازة بأكثر من كتاب : حصل بعض الطلاب على إجازات بأكثر من كتاب، ومثال على ذلك، حصول عبد الله بن شهاب التدمري الحلبي المولد (ت ١٧٧٢) على عدة إجازات، فقد ارتحل من حلب إلى دمشق، واستجاز علماءها مثل الأستاذ الشيخ عبد الغني النابلسي والذي أجازه إجازة عامة بالكتب العقلية والنقلية والتواريخ والدواوين والأدب وكتب الصوفية [٢]، وأيضاً أجاز محمد بن أحمد المكتبي (ت ١٧٧٧) إجازة عامة في الفقه والعربية والحديث على يد الأستاذ مصطفى الخفسرجاوي[٣].

ج- الإجازة بموضوع : كانت هذه الإجازة محددّه بموضوعٍ محددٍ دون تحديد كتبه ، مثل إجازة في موضوع معين في الفقه، أو الحديث أو القراءات أو غير ذلك، ومن الإجازات العامة بالحديث، الإجازة التي حصل عليها عبد الرحمن البعلي (ت ١٧٧٨) فقد أخذ الحديث عن الشيخ حسن بن علي العجمي، وقد أجازنه بسائر مروياته عن مشايخه، بإجازة حافلة وأرسلها إلى حلب.."[٤]

د-الإجازة بالتدريس والإفتاء: كان طالب العلم يرحل في سبيل الحصول على الإجازات بالتدريس للقاء أشهر العلماء والمدرسين والأخذ عنهم، فبعد أن يتلقى العلم في مدينته، يتوجّه إلى مدن بلاد الشام، أو مصر، أو الحجاز، وأيضاً كان يحصل الطالب في استانبول على مراحل في اثنتي عشرة درجة[٥]،وبعد انتهاء هذه المراحل بنجاح تؤهله لرتبة المولوية ، وكان الحصول على هذه الرتبة يحتاج للقيام بجهد كبير ووقت طويل، ولا شك أن النفوذ كان يلعب إلى جانب الكفاءة

١-الطباخ ، إعلام النبلاء ، ج٧، ص٤١

٢- الطباخ ، إعلام النبلاء ، ج٧، ص ٦٢.

٣- إعلام النبلاء،ج٦،ص٥٤٤.

٤- المرادي، سلك الدرر،ج٢، ص٣٠٤.

٥- بنى السلاطين العثمانيون الجوامع الكبيرة في استانبول، وألحقوا بها مدارس وبلغ عددها في القرن الثامن عشر (٢٧٥) مدرسة ، وأنشأها محمد الثاني وبايزيد الثاني ومحمد الفاتح وسليمان الأول، وبعد انشاء المدارس السليمانية أوجد السلطان سليمان التنظيم التعليمي الذي سارت عليه السلطنة العثمانية في جميع المؤسسات حتى فترة متأخرة وقد نظم في اثنتي عشرة درجة :١-ابتدائي خارجي٢-حركتي خارجي(النقل الخارجية)٣- ابتدائي داخلي٤- حركتي داخلي٥-موصلي صحن(المقدمة إلى الصحن-القاعة) ٦-صحني ثماني(قاعة الثمانية)٧- ابتدائي التيمشلي(الخمسون يتقاضى طلابها من(٥٠حتى٦٠أقجة)٨-حركتي التيمشلي ٩- موصلي سليمانية (الموصل أو التمهيد إلى السليمانية)١٠-خوامسي سليمانية١١-سليمانية ١٢-دار الحديث وينال الطالب إجازة عن كل مرحلة من هذه المراحل .انظر : جيب وبوين، المجتمع الاسلامي ، ج٢ص١٦٨.

العلمية دوراً في الحصول عليها، فالطالب الذي كان يطمح للوصول إلى التدريس والمناصب العليا كالقضاء والافتاء عليه اجتياز مراحل معينة لكل وظيفة من هذه الوظائف[١]. وكان يتم اختيار أشهر مدرسي الإفتاء لشغل وظيفة تدريس الإفتاء في المدارس التابعة للجوامع الكبرى، ومثالاً في العام ١٧٩٨ وجّه أحد الأوامر السلطانية، بتكليف مفتي اللاذقية أحمد أفندي، بتدريس الإفتاء في جامع زكريا الكبير بحلب[٢].

ساهمت السلطنة العثمانية في تدهور الحياة العلمية في فترة القرن الثامن عشر، وتساهلت في منح الإجازات؛ فكانت تعطيها جزافاً، إذ كان يكفي أن يقرأ الطالب أوائل كتاب أو كتابين مما يدرّسه الأستاذ حتى ينال إجازة بجميع مروياته، وكثيراً ما أعطيت لمن طلبوها من أهل البلاد البعيدة عن طريق المراسلة، وكان ذلك التساهل من الأمور التي شغلت المسلمين، عن تحصيل العلوم كما كان ينبغي، وهكذا كان التساهل في منح الإجازات، عاملاً مهماً من عوامل انحدار المستوى التعليمي وضعف العلوم الشرعية، وأضحى الهدف عند كثير من المنتسبين الى العلم حيازة أكبر عدد من هذه الإجازات الصورية التي لم يكن لها في كثير من الأحيان، أي رصيد علمي في الواقع[٣]،وكان هدفهم الحصول على أعلى الدرجات العلمية، لقبض الأموال والرواتب التي تدرّها هذه الوظائف، فأصبحت المناصب العلمية بالوراثة في الأمور العلمية المهمة، كالتدريس والفتوى والإمامة وحتى القضاء، والتي كان شيخ الإسلام يشرعها ويباركها، وصارت تلك المناصب تورث بموت من كانوا يتولونها، وإن كانوا جهلة كما تورث الدور والدكاكين والأموال، ولم يقتصر هذا الشيء على حلب فقط وإنما كان عامّاً في باقي الولايات العربية[٤].

٣-المدارس :

أ- المدارس الدينية الابتدائية : الكتاتيب ودور القرآن الموقوفة :

كانت مدارس تعليم القرآن (الكتاتيب) الأساس العام الذي قامت عليه كل أنواع الدراسات الأخرى، من عسكرية وإدارية وفنية، إضافة للدراسات الفقهية والصوفية[٥]، وانتشرت الكتاتيب في

١- جيب وبوين،ج٢، ص١٦٩.

٢- سجل حلب أوامر سلطانية رقم ٢٨ ، صورة ٥٢، ص ٣٤، وثيقة ٧٠، تاريخ ١٢١٣هـ/١٧٩٨م

٣-علي محمد محمد الصلابي ، **الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط** ،ط١، دار التوزيع والنشر الإسلامية ، بورسعيد – مصر ،٢٠٠١. ص٥٢٦-٥٢٧.

٤-جيب وبوين ، المجتمع الاسلامي ج٢، ص١٧٢.

٥- جيب وبوين ،المجتمع الاسلامي، ج٢،ص١٦١.

جميع المدن والقرى، وعلى وجه العموم كانت بالقرب من المساجد ، أو في المساجد نفسها، أو في المدارس[١]، وغالباً ما تكون في الطابق الذي يعلو مكان السبيل الملحق للجامع ، وفي بعض القرى استخدم الجامع نفسه كمدرسة للأولاد .

ولم تكن السلطنة العثمانية تتدخّل في الكتاتيب أو تدعمها، وإنما كان الشيخ ينشئها بنفسه مقابل المال أو ما يتقاضاه من الطلاب اسبوعياً، أو من المدارس الخاصة التي أنشأها الأغنياء وكانوا يوقفون على هذه المدارس الأوقاف التي تنفق وارداتها على راتب الشيخ، والاعتناء بالطلاب ولباسهم[٢]. وتؤكد إحدى الوثائق ذلك، فقد منح السيد إسماعيل براءة للقيام بخدمات وقف مدرسة الشعبانية(شعبان آغا) ، ومنها تعليم الصبية من الأولاد، براتب شهري مقداره قرشاً أسدياً واحداً[٣]. وكان يقع على عاتق مُعلّم الكُتّاب، تعليم الأطفال الذين تتراوح أعمارهم ما بين (الخامسة والسادسة) تلاوة و تحفيظ القرآن الكريم ، بالإضافة إلى القراءة والكتابة[٤]، وكان الطالب في الكتاتيب يتعلّم القرآن وأصول الدين، بطريقة الاستذكار والحفظ وفق طرق عديدة كالأجرومية[٥]، والشاطبية والألفية[٦]، والجزرية[٧]، وعدت الأسس العلمية الرئيسية للطالب الراغب في متابعة دراسته.

كان الأثاث الذي تجهز به غرفة الكتّاب، لا يتعدّى الحصير يُطرح على الأرض، حيث يجلس المعلم وحوله الصبيان منذ الصباح الباكر في يومهم الدراسي، وتستمرّ الدروس إلى الظهيرة ووصفهم (راسل) بأنهم كانوا يقرؤون معاً بصوت عال، ويحرّكون اجسامهم إلى الوراء والأمام بشكل متواصل، ولا يسمح للتلاميذ بالتسكّع في الشوارع وحدهم، بل يؤخذون إلى الكتّاب بواسطة خدم، أو المعلم نفسه الذي يجوب البيوت، لكي يطلع على سلوك التلاميذ في البيت، وكانت النساء يوجّهن أولادهن ليحافظوا على الهدوء بإبلاغ الشيخ. " ويغادر الصبيان الكتّاب، لتناول وجبة

---

١ – ذكرت الوثائق سابقاً بعضاً من دور الكتاتيب في حلب في فقرة (معلّم الكتاب).

٢– الصباغ :المجتمع العربي السوري ، ص١٦٩ .

٣ – سجل حلب أوامر سلطانية رقم ١٦ ، صورة ٢٣، ص ٣٠، وثيقة ٤٥، تاريخ ١١٩٥هـ/١٧٨٠م.

٤– الخالدي :أنظمة التعليم ، ج ١ ، ص ٨٢ .

٥– الأجرومية نسبة إلى ابي عبد الله محمد المعروف بابن اجروم ١٢٧٤–١٣٢٣م وتسمية المقدمة الأجرومية في اللغة العربية وهي مختصر لكتاب الجمل .

٦–الألفية : نسبة لمؤلفها ابن مالك وهي قصيدة في النحو من ألف بيت وتبحث في مختلف قواعد النحو

٧– الجزرية: نسبة إلى محمد بن يوسف الجزري ت(٨١٤هـ) وهي فن تجويد القرآن ، عبد القادر محمد النعيمي الدارس في تاريخ المدارس، اعداد إبراهيم شمس الدين، ط١، جزءان دار الكتب العلمية بيروت ١٩٩٠، ج١ ص٨

الغداء، وتكون بعدها فترة قصيرة للراحة، ثم يعودون لمواصلة الدروس حتى موعد آذان العصر[١]، وبالنسبة لكتاتيب القرى فكان أبناؤها، يرسلون للدراسة في سن متأخرة، وكان التدريس عادة في فصل الشتاء، أي الوقت الذي لا يتعارض مع أعمال الفلاحة ، وفي فصل الربيع والصيف، يترك التلميذ الكتاب ليعمل مع والده في الحقل، وبعد ثلاث أو أربع سنين، يعلن شيخ أو معلم الكتاب عن(ختمة)التلميذ[٢].



صورة توضيحية عن معلم الكتاب (الشيخ) وتلاميذه

ب-المدارس الدينية الإسلامية العالية :

كانت المعاهد والمدارس التدريسية العالية الخاصة بالكبار، ملحقة بالمساجد أو مستقلة عنها وكان تأسيس البعض منها من قبل الحكومة، وأغلبها خاصة بواسطة أشخاص محسنين، هدفهم وقفها لغايات تعليمية أو غير تعليمية بالضرورة ، "وذلك بدافع تخليد اسم الواقف، أو كسب مكانة اجتماعية عالية وإرضاء لله، أو توفير مصدر دخل لذرية مؤسسها وواقفها"[٣] .

كانت المدارس العالية تهدف إلى تعليم العلوم الدينية والشرعية المختلفة بشكل رئيسي، فلم يكن فيها برنامج ثابت للتعليم، فأغلب الطلاب دخلوا هذه المدارس، ولا يحفظون من العلم سوى القرآن الكريم، وفي السنوات الأولى كانوا يدرّسون دراسات تكميلية وعلوم اللغة والحديث، وبعد تمكنهم منها كانوا يحضرون محاضرات الشيوخ الكبار في أصول الدين، وكانت المواد الدراسية خاصة بالعلوم اللغوية والفقه مبادئ الحساب، وكانت الوجهة الأساسية لهذه المدارس، تدريب

١-راسل ، تاريخ حلب، ج٢، ص٢٩٤.

٢-عوض ، الادارة العثمانية ، ص٢٥٤.

٣-ماركوس، الشرق الأوسط ، ص٢٨١.

وتعليم طلاب ورجال محترفين، ليشغلوا مناصب أئمة مساجد وخطباء وقضاة المحكمة الشرعية، ومن كان يريد من الطلاب، أن يصبح ناسخاً يضيف إلى دراسته علم الخط[١]، ومنهم من قام بإضافة مجالات دراسية دينية متخصصة، إلى المنهاج العام كعلم الفرائض وعلم الميقات، وهي طرق التحديد لأوقات الصلاة أما العلوم العقلية، كالرياضيات والفلك والتاريخ الطبيعي والهندسة والكيمياء، فتتمّ دراستها من قبل العلماء والمدرسين، بصفة شخصية ولأنفسهم لا لمصلحة مهنية[٢]

اختلفت المدارس في حجمها وأساتذتها وأهميتها، فمعظم المدارس عبارة عن منشآت متواضعة ضمّت مدرّساً أو مدرّسَين، ومجموعة قليلة من الطلاب ،البعض منها أحياناً توقّف عن العمل، بسبب نقص الموارد المالية ، وضعف الإدارة نتيجة تلاعب المشرفين على أوقافها والبعض منها كان يتحوّل إلى أماكن عبادة عوضاً عن التعليم، وارتبط ازدهار المدارس، بحسب الأوقاف التي كانت تنفق عليها[٣]، فكلما زادت هذه الأوقاف، زوّدت بميزانيات مالية أفضل وسمعة أعلى، وتمكّنت من ضمّ عدداً أكبر من الطلاب إلى المدرسة، وتأمين إقامة لهم، وأجرة شهرية للعناية بأنفسهم، وشراء ما يلزمهم للكتابة والدروس، إضافة إلى جذب مدرّسين وفقهاء جيدين برواتب مالية عالية، فأهمية المدرّسين تفوق أهمية المدرسة ، وإن كبار الأدباء والمدرسين دوّنوا خبراتهم التعليمية، ووضعوا أسماء أساتذتهم الذين تعلّموا منهم بجانب أسمائهم[٤]، وأمثلة على ذلك: السيد علي بن إبراهيم العبسي (ت١٧٥٧) الذي تعلّم النحو من الشيخ سليمان النحوي، والفقه والحديث من السيد محمد طرابلسي والشيخ قاسم النجار، وقرأ التصوّف من الشيخ محمود الكردي وقرأ علم الفلك من الشيخ عبد القادر المغربي[٥].

إن أهمّ ما استحدث من المدارس الدينية الاسلامية العالية في حلب في النصف الثاني من القرن الثامن عشر :المدرسة الأحمدية والمنصورية والكواكبية، إلى جانب العديد من المدارس القائمة في تلك الفترة :

١-الصباغ ،المجتمع السوري ،ص١٧٥

٢-ماركوس، الشرق الأوسط ، ص٢٨٠-٢٨٢.

٣-عائشة الدباغ، **الحركة الفكرية في حلب في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين**، ط٢، مديرية الكتب المطبوعات الجامعية ،جامعة حلب ،٢٠٠٧.ص٩٧.

٤-ماركوس، الشرق الأوسط ، ص٢٨١.

٥-المرادي، سلك الدرر، ج٣، ص٢٠١.

١-**المدرسة الأحمدية** :تقع في محلة الجلوم الكبرى في زقاق بني الجلبي وكان هذا الزقاق يعرف بدرب السبيعي[١]، وأنشأها وتولّى أوقافها أحمد أفندي بن طه أفندي ابن مصطفى أفندي في العام ١٧٥١[٢] ، ومن شروط وقف المدرسة، أن يكون المدرس فيها عالم متمم لجميع مواد العلوم العقلية والنقلية، وأن يكون من وجوه أكراد ماوراء الموصل، من سنجق كوي وصوران وإذا لم يوجد في المدرسة من الأكراد المذكورين، يوجّه التدريس من أكراد محلة الجلوم[٣]، ومن اشهر مدرسيها أحمد ابن إبراهيم الكردي الشافعي [٤].

٢- **المدرسة الكواكبية** : تقع في الجلوم الصغرى شرق مسجد الكواكبي[٥]، أنشأها أحمد بن أبي السعود الكواكبي في العام ١٧٥٣[٦]، وقد كان أبو السعود في الوقت ذاته مفتياً ونقيب الأشراف في حلب، وتخصصت المدرسة بتعليم اللغة العربية بمحلة باب قنسرين وكافة العلوم التي لا تتعارض مع الحظر الرسمي لتعليم العربية، ومن أشهر مدرّسيها عبد القادر الحبال ومحمد علي الكحيل والأديب العثماني خورشيد أفندي، والمدرّس عبد الرحمن القسطنطيني الذي درّس فيها عام ١٧٥٧ العلوم العربية والدينية والعصرية [٧]، والمدرّس محمود عماد زاده[٨].

٣- **المدرسة المنصورية** :تقع في محلة الفرافرة شمال مدرسة العصرونية ،أنشأها منصور بن مصطفى السرميني الحلبي الحنفي (١٧٢١-١٧٩٢)، ووضع نصّ وقفيتها في العام ١٧٨٨[٩] ومن شروطها " أن يصرف في كل شهر (٣٠) قرشا لثلاثين قارئا يختمون في كل صباح ختماً في مدرسته، وخمسة قروش لرئيس القراء بمحلة باب قنسرين ليقرأ في كل يوم درساً، في فن تجويد القرآن الكريم، وخمسة عشر قرشا ليدرس سائر الفنون وخمسة قروش لأمين كتب وعشرة قروش

---

١ -سجل حلب محاكم شرعية رقم ٨٥، صورة ٣٧ ، ص ٧٠ ، تاريخ ١١٦٧هـ/١٧٥٣م.

٢ -سجل حلب محاكم شرعية رقم ٩٦، صورة ١٣٦ ، ص ٢٦٣، تاريخ ٢٨ محرم سنة ١١٧٨هـ/١٧٦٤م.

٣-الطباخ ، إعلام النبلاء، ج٧،ص٧١-٧٣.

٤-الطباخ ، إعلام النبلاء،ج٧، ص٢٣١

٥-الغزي ، نهر الذهب، ج٢،ص٤٠.

٦- تقصي خطى الدولة العثمانية ، ص٣١٣.

٧- عمر رضا كحالة، معجم المؤلفين،١٣جزء، دار احياء التراث العربي، بيروت، تاريخ الطبع مفقود ،ج٥، ص١١٥

٨- سجل حلب أوامر سلطانية رقم ٢٨ ، صورة ١٠٦، ص ٧٧، وثيقة ١٣٧، تاريخ ١٢١٤هـ/١٧٩٩م.

٩- محمد أسعد طلس، الآثار الاسلامية في حلب، مطبوعات مديرية الآثار العامة السورية، مطبعة الترقي، دمشق، ١٩٥٦، ص٢١٧. الطباخ ، ج ٧،ص١٤١.

لمن يكون شيخا وخليفة في مدرسته على الطريقة القادرية وخمسة قروش لناشد في الخلوة الأربعينية"[١].

٤- **المدرسة الشعبانية** : تقع في محلة الفرافرة[٢]، وأنشأها شعبان آغا بن أحمد آغا محصل الأموال الأميرية في العام ١٦٧٤ ، وكان من شروط وقفية المدرسة أن يكون المدرس عالماً بالمعقول والمنقول وأن لا يكون مسقط رأسه وتربيته في حلب ولا في إيالتها، وأن يكون عدد طلابها ثلاثين شخصاً من غير سكان ولاية حلب .[٣] وذكرت إحدى الوثائق بأن المرأة (عزت قادرين) وقفت وحبست دارها الكائن بزقاق شاهين ورطل واحد من الزيت بمحلة باب قنسرين لجهة مدرسة الشعبانية ومن يكون مدرّساً بها[٤].. ، وايضاً في العام ١٧٦٣ قام بالتدريس بالمدرسة وتولى نظارتها المدرس سلمان[٥]، والمدرس عبد الله أفندي في العام ١٧٧٧[٦]، ووكل مفتي حلب: محمد زكي أفندي في العام ١٧٩٣ بالأشراف عليها والتصرف بأعمالها[٧]. وتبع مكتب لتعليم الأطفال قراءة القرآن في ملحقات المدرسة الجنوبي[٨] .

٥- **المدرسة العثمانية أو الرضائية** : تقع داخل باب النصر في محلة الفرافرة، وأنشأها والي حلب عثمان باشا الدوركي في العام ١٧٢٨، وكان من شروط الوقف عليها أن يكون فيها خطيب صالح وإجرته ٣٠ عثمانياً يومياً ،وإمام للصلوات الجهرية لكل يوم ٢٤عثمانياً، ومدرس جامع قادر على الإفادة الفروع والأصول لكل يوم٢٠ عثمانياً، وواعظ ومعلم تقي، وتأمين ثلاثون غرفة فيها كل واحدة ثلاثون طالباً ،وفيها معلم للقرآن [٩] ومن أشهر مدرسيها: المدرس محمود أفندي بن محمد أفندي (ت ١٧٥٢)[١٠] .

١-الغزي ، نهر الذهب، ج٢،ص١٤٣-١٤٤.

٢- سجل حلب محاكم شرعية رقم ٨٧، صورة ١١١، ص ٢١٠، تاريخ ١١٧٠هـ/١٧٥٦م

٣-الغزي ، نهر الذهب، نهر الذهب ،ج٢،ص١٤٩.

٤- سجل حلب محاكم شرعية رقم ١٠٥ ، صورة ٦٧ ، ص ١٢٨، تاريخ ١٣ جمادى سنة ١١٨٦هـ/ ١٧٧٢م.

٥- سجل حلب أوامر سلطانية رقم ٧ ، صورة ٤٩ ، ص ١٢٥ ، وثيقة ١٧٧، تاريخ ١١٧٨هـ/١٧٦٤م.

٦- سجل حلب أوامر سلطانية رقم ١٤صورة ٩٩، ص ١٤، وثيقة ١٥٣، تاريخ ١٩ جمادى ١١٩١هـ/١٧٧٧م

٧- سجل حلب أوامر سلطانية رقم ٢٤ ، صورة ٤ ، ص ٢ ، وثيقة ٣، تاريخ ١٢٠٨هـ/١٧٩٣م.

٨-طلس ، ص ٢١٩.

٩-الطباخ، إعلام النبلاء، ج٣،ص٢٥٨.-٢٦١ الغزي، نهر الذهب ج٢،ص١٢٢.

١٠- سجل حلب محاكم شرعية رقم ٨٠، صورة ٨٠، ص ١٥٣، تاريخ صفر سنة ١١٦٦هـ/١٧٥٢.

٦- **المدرسة الرحيمية** : تقع في محلة البياضة، ووقفت هذه المدرسة رحمة قاذرين بنت عبد القادر بك بنت أحمد من سكان محلة الجبيلة بمحلة باب قنسرين وهي كانت دار تسكنها ،وكان تاريخ شروط وقفها في العام ١٧٤٣[١].

٧-**المدرسة الأسدية**[٢]: تقعُ تجاه القلعة المعروفة بالطواشية الكائنة بمحلة باب قنسرين وهي مشتركةٌ بين الشافعية والحنفية. وفي العام ١٧٧١عُيّن ابو السعود أفندي ابن محمد أمين أفندي خطيب الجامع الأموي بوظيفة التدريس فيها، وقبض معلوم الوظيفتين الخطابة والتدريس من غلة الوقف في كل يوم عشرون عثمانياً [٣].

٨- **المدرسة السفاحية** : تقع في محلَّة ساحة بزه ، وقد أنشأها أحمد بن صالح بن أحمد السفاح في العام ١٤٢٥م ، وهي عبارةٌ عن جامعٍ ومدرسةٍ الكائنة بمحلة باب قنسرين وكانَ من شروطها الكائنة بمحلة باب قنسرين أن يكون الإمامُ والخطيبُ شافعياً ، وكانت لها أوقافُ وفيرةٌ الكائنة بمحلة باب قنسرين من الطواحين والقيسارات والحمامات والأراضي وغير ذلك[٤]. ومن مدرّسيها في القرن الثامن عشر سليمان العالم وابنه من بعده محمد [٥].

٩- **المدرسة الشدادية الصاحبية**[٦]: تقع قرب سوق الصباغين بمحلة سويقة ، من أوقافها كفر سلوان من عمل عزاز[٧] . ومن مدرّسيها : السيد محمد طالب أفندي في العام ١٧٨٥[٨] .

١٠- **المدرسة الظاهرية (السلطانية)** [٩]: تقع في ساحة بزه ، تجاه باب القلعة من الجهة الجنوبية، وهي مشتركةٌ بين الشافعية والحنفية ، وتُعرف بالمدرسة السلطانية، ومن مدرسيها:

١- محمد كرد علي، **خطط الشام**،٦أجزاء، ط٣، دار العلم للملايين، بيروت ،١٩٨٣،ج٦ ، ص١١٦.
٢ - أنشأها بدر الدين الخادم عتيق أسد الدين شيركوه ، وقد كُتِبَ على بابها جدِّدت سنة ٦٣٢هـ ١٢٣٥ م (٢) . وكانت هذه المدرسةُ قائمةً في القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي إلا أنها أصبحت ضمن التكية الخسروية، ابن الحنبلي، **در الحبب في تاريخ أعيان حلب** ، تحقيق محمود حمد الفاخوري ويحيى زكريا عبارة ، جزءان، منشورات وزارة الثقافة ، دمشق ، ١٩٧٢، ج ٢ ، ص ١٠ .
٣ سجل حلب محاكم شرعية رقم ١٠٥ ، صورة ٢٥ ، ص ١١٠، تاريخ ١١ شوال سنة ١١٨٥هـ/١٧٧١م.
٤- الغزي، نهر الذهب، ج ٢، ص ١١٠ - ١١١. طلس، الآثار الاسلامية ، ص ١١٧ .
٥- سجل حلب أوامر سلطانية رقم ١٥ ، صورة ٦٦، ص ١٠٢، وثيقة ١٠٢، تاريخ ١١٩٣هـ/١٧٧٩م
٦- أنشأها القاضي بهاء الدين أبو المحاسن بن رافع المعروف بابن شداد في سنة ١٢٠٥م ابن الشحنة :الدر المنتخب، ص١١١.ابن شداد :الأعلاق الخطيرة (قسم حلب)،ج١،ق١ ص٢٥١. الغزي، نهر الذهب،ج ٢ ص ٢٧٤
٧- الطباخ ، إعلام النبلاء ، ج ٤ ، ص ٣٦٦ .
٨- سجل حلب رقم ١٨- أوامر سلطانية، صورة ٦٧،ص ٧٤، وثيقة ١٢٢، تاريخ ١٢٠٠هـ/١٧٨٥م.
٩-أنشأها الملك الظاهر سنة ١٢١٧م ، وتوفي ولم تتم حتى شرع بإكمالها شهاب الدين طغريل بك اتابك الملك العزيز بن الملك الظاهر، فعمّرها وكمّلها سنة ٦٢٠ه/ ١٢٢٣م ابن الشحنة :الدر المنتخب ، ص ١١١ - ١١٢. كرد علي، خطط الشام، ج ٦ ، ص ١٠٥. الغزي، نهر الذهب، ج ٢، ص ١٢٤ . طلس : الآثار الاسلامية، ص ٧٤ .

المدرس سليمان عمر ومن بعده ولده المدرس سليمان الآخر عام ١٧٧٨[١]، والمدرس حسين أفندي كليسي في العام ١٧٩٢ [٢].

١١- **المدرسة العصرونية**[٣] : تقع هذه المدرسة بمحلَّة الفرافرة ، وأشارت إحدى الوثائق بتوجيه نصف حصة وقف مدرسة العصرونية، للعالم السيد عبد القادر[٤]، ومن أشهر مدرّسيها فترة البحث: المدرس حامد عبد الغفور أفندي وكان يتقاضى عشر أقجات يومياً، وبعد وفاته منحت براءة للسيد عبد اللطيف أفندي بالتدريس بالمدرسة المذكورة [٥].

١٢-**مدرسة الفردوس:** وهي جزءٌ من عمارة صفية خاتون التي كانت تشملُ تكيةً وتربةً ورباطاً، ومدرسةً، وهي معدودةٌ في تاريخ ابن شداد من مدارس الشافعية،وتقع خارج باب المقام[٦] ومن مدرسيها: في العام ١٧٨٥ محمد عزيز أفندي[٧]، كما عين شيخ الإسلام مصطفى أفندي في العام ١٧٩٩ السيد كمال الدين أفندي مدرساً في المدرسة المذكورة لنشر العلوم المفيدة[٨].

١٣- **المدرسة الأتابكية**[٩]: تقع داخل حلب في باب بانقوسا، ومن مدرسيها في العام ١٧٨١م الشيخ الحاج عبد الرحمن، وقد تلقى سبع أقجات يومية في المدرسة، وبعد وفاته أسند

١- سجل حلب أوامر سلطانية رقم ١٥ ، صورة ٦٥، ص ١٠٠، وثيقة ٩٩، تاريخ ١١٩٢هـ/١٧٧٨م

٢- سجل حلب أوامر سلطانية رقم ٢٣ ، صورة ٤٩، ص ٤٠، وثيقة ٥٩، تاريخ ١٥ صفر ١٢٠٧هـ/١٧٩٢

٣- كانت العصرونية داراً لأبي حسن علي بن أبي الثريا وزير دمر داش، فحوّلها الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي الى مدرسةٍ، وجعل فيها مساكن للفقهاء، وذلك في سنة ٥٥٠ه/ ١١٥٦م ، سمّيت بالعصرونية نسبة لابي عصرون ،لأنّه أوّلُ من دعي للتدريس فيها، وكان نور الدين قد بنى لابن عصرون مدرسة في كل من منبج ، وحماة وحمص وبعلبك ودمشق، وفوّض إليه أن يولّي التدريس فيها من يشاء، وتسمى هذه المدارس بالمدارس العصرونية . ابن الشحنة، الدر المنتخب، ص ١١١ . الطباخ :إعلام النبلاء، ج ٢، ص ٦٦ . طلس، الآثار الاسلامية ، ص٢٢٦

٤- سجل حلب أوامر سلطانية رقم ٢٤ ، صورة ٦١، ص ٧٤، وثيقة ١١٠، تاريخ ١٢٠٩هـ/١٧٩٤م.

٥ - سجل حلب أوامر سلطانية رقم ١٦ ، صورة ٣٤، ص ٤٩، وثيقة ٦٨، تاريخ ١١٩٥هـ/١٧٨٠م.

٦- أنشأتها ضفية خاتون بنت الملك العادل سيف الدين ابي بكر محمد بن ايوب سنة ٦٣٣ه/ ١٢٣٦م ، ووقفت عليها أوقافاً عظيمة. ابن الشحنة، الدر المنتخب، ص١١٣ . ابن شداد :الأعلاق الخطيرة(قسم حلب) ، ج ١، ق١،ص ٢٦١. الغزي: نهر الذهب ، ج ٢ ، ص ٢٨٩ .

٧- سجل حلب أوامر سلطانية رقم ١٨ ، صورة ٦٧،ص ٧٤، وثيقة ١٢٢، تاريخ ١٢٠٠هـ/١٧٨٥م..

٨ سجل حلب أوامر سلطانية رقم ٢٧ ، صورة ١٠٤، ص ١٤١، وثيقة ١٨٦، تاريخ ١٢١٤هـ/١٧٩٩م.

٩- أنشأها شهاب الدين طغرلبك عتيق الملك الظاهر غياث الدين غازي (ت٦٣١ه/ ١٢٣م) وذلك في سنة ٦١٨ه/ ١٢٢١م ابن الشحنة: الدر المنتخب ، ص ١١٦. ابن شداد :الأعلاق الخطيرة (قسم حلب)، ، ج ١،ق١، ص ٢٧٣

التدريس للسيد عبد القادر، وذلك بعد موافقة قاضي حلب وشيخ الإسلام [١]، وفي العام ١٧٩٦م تولّى وقف المدرسة، ودرّس فيها أحمد خليفة بن محمد، لقاء راتب يأخذه من إيراد الوقف[٢].

١٤- **المدرسة الجردكية:** تقع هذه المدرسة بسوق البلاط ملاصقةً للمدرسة الصاحبية، وقد أنشأها الأمير عز الدين جرديك النوري في العام ١١٩٤م [٣]، ومن أوقافها نصف قرية كفر نوران من بلاد سرمين [٤]، وفي العام ١٧٧٦عيّن السيد محمد أمين مدرساً في المدرسة المذكورة [٥].

١٥- **المدرسة الحلاوية** [٦] : تقع بالقرب من الجامع الأموي في محلة جب أسد الله، ومن أهم مدرّسيها مفتي حلب السيد محمد أفندي، الذي تولى نظارة أوقافها أيضاً، وقد فرغ برضائه وحسن اختياره، عن وظيفتي التدريس والتوليه، لأبنه السيد مصطفى أفندي[٧].

١٦- **المدرسة الخسروية**[٨]: أوَّلُ مدرسةٍ عثمانيةٍ بُنيت في حلب، تقع هذه المدرسة في المحلة المعروفة بالسفاحية ، شرقي المدرسة السلطانية الواقعة باتجاه باب القلعة بينهما طريقٌ واسعةٌ[٩] . ومن الشروط التي تضمنّها وقف المدرسة، أن يكون الإمام والمدرس حنفيان [١٠]، ومن مدرسيها في العام ١٧٨١ السيد المفتي مصطفى أفندي [١١].

---

١ سجل حلب أوامر سلطانية رقم ١٦ ، صورة ١٠٧، ص ١٦٤، وثيقة ٢١٢، تاريخ ١١٩٦هـ/١٧٨١م

٢ سجل حلب أوامر سلطانية رقم ٢٥ ، صورة ١٨، ص١٣ ، وثيقة ٢٤، تاريخ ١٢١١هـ/١٧٩٦م.

٣- ابن الشحنة :الدر المنتخب ، ص ١١٧ . الطباخ :إعلام النبلاء ، ج ٣ ، ص ٣٧٦ .

٤- الغزي، نهر الذهب ، ج ٢ ، ص ١٩١ .

٥- سجل حلب أوامر سلطانية رقم ١٣ ، صورة ٣٥، ص ٦١، وثيقة ٦٦، تاريخ ١١٩٠هـ/١٧٧٦م.

٦- كانت كنيسة من بناء هيلانة أم الامبرطور قسطنطين، حولها القاضي أبو الحسن بن الخشاب الى مسجدٍ، وعُرف بعد ذلك بمسجد السراجين ، ولما أصبح نور الدين محمود زنكي ملكاً جعلها مدرسة ، وجدد بها مساكن يأوي إليها الفقهاء ، وكان الانتهاء من عمارتها ٥٤٤ه/ ١١٥٠م ، ويُعتقد أٌ سبب تسميتها بالحلاوية لكون العادل نور الدين كان يملأُ جرناً فيها ليلة ٢٧ رمضان بقطائف محشوةً ، ويجمع إليه الفقهاء فيها ، وهناك من يقول أنَّ الحلاوية ربمَّا كانت محرفة عن كلمة (هيلانة) .ابن الشحنة : الدر المنتخب ، ص ١١٥ وكرد علي : خطط الشام ج ٦ ، ص ١٠٩الطباخ ، إعلام النبلاء،ج ٢، ص٦٣ . طلس: الآثار الاسلامية: ٥٩ . الحنبلي :در الحبب ، ج ٢ ، ص ٣٦

٧- سجل حلب محاكم شرعية رقم ٩٨، صورة ٨٠ ، ص ١٤٥، تاريخ ١٥ صفر سنة ١١٧٩هـ/١٧٦٥م.

٨ - أنشأها خسرو باشا ام ١٥٤٤م ، وهو أحد رجال الإدارة المشهورين في السلطنة العثمانية ، تولّى ولاية حلب ، ومصر ، كما تولى منصب وزير رابعاً للسلطان سليمان القانوني . ابن الحنبلي، در الحبب ، ج١ ، ص ٥٨٤-٥٨٥

٩- الطباخ ، إعلام النبلاء ، ج٣ ، ص ١٥٧ .

١٠- الغزي، نهر الذهب ، ج ٢ ، ص ١٢٠ - ١٢١ - ١٢٢ - ١٢٣ .

١١ سجل حلب أوامر سلطانية رقم ١٦ ، صورة ٢٤، ص ٣١، وثيقة ٤٧، تاريخ ١١٩٦هـ/١٧٨١م

١٧- **المدرسة الشاذبختية:** تقع في محلَّة الجلوم، في وسط السوق المعروف بسوق الزرب أنشأها الأمير جمال الدين شاذبخت، نائب نور الدين بحلب في العام ١١٩٣ [١]، وكان موظف النظارة على وقف المدرسة : محمد أفندي ابن عطا الله في العام ١٧٥٥ [٢] .

١٨- **المدرسة الطرنطائية**[٣]: وهو بناءٌ يشتملُ على جامعٍ ومدرسةٍ ، تقع في آخر محلَّة باب النيرب بك[٤] . ومن مدرسيها في فترة البحث، محمد عباس أفندي[٥] .

١٩- **المدرسة الكلتاوية**[٦]: تقع هذه المدرسة داخل بانقوسا، بالقرب من المدرسة الأتابكية ومن الذين تولّوا نظارتها ودّرس فيها في فترة البحث الشيخ السيد إسماعيل بن محمد [٧].

٢٠- **المدرسة القرناصية**[٨]: تقع في باب الأربعين في محلة الفرافرة ، وتولّى أوقافها في العام ١٧٧٧ محمد خليفة [٩]،ومن مدرّسيها في العام ١٧٧٥م عبد الوهاب أفندي طه زاده[١٠] والمدرس آدم في العام ١٧٨٩ وقد أوردت إحدى الوثائق، طلبه تأمين إيرادات اوقاف المدرسة من مناطق تابعة لولاية حلب[١١].

١- الطباخ، إعلام النبلاء ، ج ٢ ، ص ٧٤ .

٢- سجل حلب محاكم شرعية رقم ٨٧، صورة ٣٧ ، ص ٦٨، تاريخ ١٥ ربيع الأول سنة ١١٦٩هـ/١٧٥٥م.

٣- أنشأها السيد عفيف الدين بن محمد شمس الدين سنة ٧٨٥ه/ ١٣٨٤م ، ثم قام من بعده طرنطاي بن عبد الله الأمير سيف الدين نائب دمشق (ت٧٩٢ه/ ١٣٩٠م) بتجديد المدرسة الطباخ، إعلام النبلاء ، ج ٥ ، ص ١٠٨ .

٤- الغزي ، نهر الذهب ، ج ٢ ، ص ٣٥٠ . .

٥- سجل حلب أوامر سلطانية رقم ١٦ ، صورة ١٥٧، ص ٢٢٦، وثيقة ٣٠٧، تاريخ ١١٩٧ه/١٧٨٢م.

٦- أنشأها الأمير طقتمر الكلتاوي (ت٧٨٧ه/ ١٣٨٥م)، وبنى الى جانبها داراً كبيرةً مرخمةً وجعل تحتها اصطبلاتٍ واسعةٍ ، وظاهر الاصطبلات وحوانيت ، والكُلُّ وقفٌ على المدرسة ووقف عليها أوقافاً كثيرة ، وشرط أن يكون مدرّسها حنيفاً والطلبة كذلك الغزي ، نهر الذهب ، ج٢ ،ص٢٩٠. ابن الشحنة: الدر المنتخب ، ص١١٨. كرد علي: خطط الشام ، ج٦، ص ١١٠ .

٧- سجل حلب أوامر سلطانية رقم ٦ ، صورة ٢٣، ص ٣٧ ، وثيقة ٧٦، تاريخ ١١٧٥هـ/١٧٦١م.

٨-أنشأها الأمير بكتمر القرناصي الحلبي في سنة ١٢٦٠م، وفيها خطباء وفقهاء من الشافعية ،الطباخ، اعلام النبلاء،ج٥،ص٥٧.

٩- سجل حلب أوامر سلطانية رقم ١٤ ، صورة ٩٠، ص ١٢٦، وثيقة١٣٢، تاريخ ١١٩١هـ/١٧٧٧م

١٠- سجل حلب رقم ١٢ ، صورة ١٦٦، ص ٢١٤، وثيقة ٢٧٨، تاريخ أوائل شوال١١٨٩ه/١٧٧٥م

١١- سجل حلب أوامر سلطانية رقم ٢٠ ، صورة ٥٩، ص٤٩، وثيقة ٤٧، تاريخ ١ رجب ١٢٠٤هـ/١٧٨٩م.

٢١-دار الحديث : تقع في سويقة حاتم، وأوصى السيد محمد بن السيد حمزة الجعفري أن تجعل قاعته الملاصقة للخانقاه الزينية دار حديث، ولما مات قام بعمارتها والده السيد حمزة في العام ١٣٨٣م، وأسند إلى المدرس حسن أفندي في العام ١٧٩٣ بالإشراف والتدريس فيها[١].

٢٢-المدرسة الزخرية : تقع قرب جامع وترية حبيب النجار في انطاكية، وشغل وظيفة التدريس فيها العام ١٧٩٠ الشيخ الحاج عمر المدرس، لقاء عشرين أقجة يومياً، وكانت تؤخذ من أموال مقاطعة جمرك حلب [٢].

٢٣-المدرسة الحسامية: تقع غربي قلعة حلب ،أنشأها الأمير حسام الدين (محمود بن الختلو) جد المؤرخ ابن الشحنة[٣]، وأوردت إحدى الوثائق في العام ١٧٦٩ خبر تعيين السيد محمد مدرساً في المدرسة الحسامية بدلاً من والده المتوفي عمر [٤].

٢٤-المدرسة العمرية : تقع في باب الجنان، ومن أهمّ مدرّسيها في فترة البحث عبد القادر الجابري[٥]، والمدرس طه محمد أسعد [٦].

٢٥-المدرسة المجزية : تقع قرب ضريح نبي الله بلوقيا في ساحة بزة ، وشغل وظيفة التدريس فيها العام١٧٨٢ السيد علي أفندي[٧].

٢٦-المدرسة الأرغونية[٨]: تقع بالقرب من باب الحديد، وفي العام ١٧٨٨ أعطيت براءة شريفة من شيخ الإسلام، بالتدريس في المدرسة إلى السيد محمد مصطفى، بدلاً من السيد عبد الوهاب خليفة بحسن رضائه واختياره[٩].

---

١ -سجل حلب أوامر سلطانية رقم ٢٤ ، صورة ٢١١ ، ص ٢٨ ، وثيقة ٣٦، تاريخ ١٢٠٨هـ/١٧٩٣م.

٢- سجل حلب أوامر سلطانية رقم ٢٤ ، صورة ٨٨ ، ص ١٢٨ ، وثيقة ١٥٩، تاريخ ١٢٠٥هـ/١٧٩٠م.

٣-الغزي ، نهر الذهب ، ج٢،ص١٠٩.

٤ -سجل حلب أوامر سلطانية رقم ١٠، صورة ١٨١، ص ٢٧٧، وثيقة ٣٣٥، تاريخ ١١٨٣هـ/١٧٦٩م.

٥- سجل حلب أوامر سلطانية رقم ١٣، صورة ٥٩، ص ١٠١، وثيقة ١١٣، تاريخ٢٨ رمضان١١٩٠هـ/١٧٧٦م

٦ -سجل حلب أوامر سلطانية رقم ١٦، صورة ١٥٩، ص ٢٢٩، وثيقة ٣١٥، تاريخ ١١٩٧هـ/١٧٨٢م.

٧- سجل حلب أوامر سلطانية رقم ١٦، صورة ١٥٦، ص ٢٢٦، وثيقة ٣٠٥، تاريخ ١١٩٧هـ/١٧٨٢م.

٨-شرع في إنشائها الأمير أرغون الكاملي سنة ٧٥٨هـ/١٣٥٧م.وأكملها الأمير ركن الدين بيبرس سنة ٧٥٩هـ ـ ١٣٥٨م

٩- سجل حلب أوامر سلطانية رقم ٢٠ ، صورة ١٠٣، ص٩٤، وثيقة ١٣٦، تاريخ ١٢٠٣هـ/١٧٨٨م.

٢٧-المدرسة الجمالية: تقع جنوب حلب، خارج باب المقام قبلي الفردوس، أنشأها جمال الدولة إقبال الظاهري[١]، وتولى نظارتها السيد حسن بن أحمد في العام١٧٧٠ ولها وقفية يومية بثلاث أقجات للتدريس، وأقجتين لوظيفة التولية[٢].

٢٨-المدرسة الأشرفية[٣]:تقع في حلب القديمة (سويقة حاتم)، وشغل وظيفة التدريس فيها في العام١٧٧٠ السيد عبد الله، وبعد وفاته شغلها ابنه عبد الرحمن [٤].

٢٩-المدرسة الغربية : تقع في حي الجعفرية بحلب، وفي العام ١٧٩٥ شغل وظيفة التدريس فيها: عبد القادر أفندي [٥].

٣٠- المدرسة النارنجية :تقع في سويقة علي، وتولّى إدارة الوقف عليها وقام بالتدريس فيها عام ١٧٩٩ السيد أسعد أفندي جابري زاده[٦].

٣١-المدرسة المحيرية الجوانية : تقع في محلة التركمان في ساحة بزة، وعرفت بالديملكة ومن مدرسيها : السيد طه زاده والسيد محمد عباس[٧].

٣٢-مدرسة السليمانية: تقع قرب سوق الصباعين بمحلة السويقة، ومن مدرسيها في العام ١٧٨٨ حافظ حسن كورك زاده[٨] .

٣٣-المدرسة القرطاسية : تولّى نظارتها وأشرف عليها، السيد عبد الوهاب، وبعد وفاته عيّن السيد أحمد أفندي بدلاً عنه [٩]، ودرّس فيها عام ١٧٨٥ السيد محمد طالب أفندي[١٠].

١- أبو ذر سبط ابن العجمي ،أحمد بن إبراهيم بن محمد بن خليل موفق الدين ، **كنوز الذهب في تاريخ حلب**، ط١ جزأين ، دار القلم، حلب،١٩٩٦م ،ج١،ص٣٦٦.

٢- سجل حلب أوامر سلطانية رقم ٩ ، صورة ١٠، ص ١٤، وثيقة ١٥، تاريخ ١٠ رمضان ١١٨٤هـ/١٧٧٠م.

٣-تنسب لبانيها شرف الدين إلى طالب عبد الرحمن الحلبي (٤٨٠-٥٦١هـ) وكان عالماً جليلاً ، رحل الى بغداد ودرّس في المدرسة الأيوبية النظامية، ثم عاد إلى حلب وشيّد المدرسة الأشرفية وصرف على عمارتها أربعمائة ألف دينار، كما ينسب إليه بناء المدرسة الزجاجية في حي الجلوم، وهي أول مدرسة تشيد في بلاد الشام على طريقة عمارة المدارس النظامية العباسية، ويعود تاريخ بنائها لعام/٥١٧هـ -١٢٤٢م./

٤- سجل حلب أوامر سلطانية رقم ٩ ، صورة ١٣، ص ١٨، وثيقة ٢٠، تاريخ ٥ شوال ١١٨٤هـ/١٧٧٠م.

٥- سجل حلب أوامر سلطانية رقم ٢٥، صورة ٦٠، ص٤٢، وثيقة ٧٩، تاريخ ١ جمادى١٢١٠هـ/١٧٩٥م

٦- سجل حلب أوامر سلطانية رقم ٢٨ ، صورة ٨٩، ص ٦٢، وثيقة ١١٧، تاريخ ١٢١٤هـ/١٧٩٩م.

٧- سجل حلب أوامر سلطانية رقم ١٨ ، صورة ٦٦،ص ٧٣، وثيقة ١١٦، تاريخ شعبان١٢٠٠هـ/١٧٨٥م.

٨- سجل حلب أوامر سلطانية رقم ٢٠ ، صورة ٥، ص١ ، وثيقة ١، تاريخ أواسط رجب ١٢٠٣هـ/١٧٨٨م.

٩- سجل حلب أوامر سلطانية رقم ١٦ ، صورة ١٦٠، ص ٢٣٠، وثيقة ٣١٧، تاريخ ١١٩٧هـ/١٧٨٢م.

١٠- سجل حلب أوامر سلطانية رقم ١٨ ، صورة ٨٣،ص ٩٠، وثيقة ١٥٤، تاريخ شعبان١٢٠٠هـ/١٧٨٥م

٣٤- المدرسة البكفالونية : تقع في محلة سويقة حاتم، وتتبع لأوقاف مسجد بكفالون[١] وفي العام ١٧٩٣ رفع كتاب من قاضي حلب إلى شيخ الإسلام، بترشيح السيد محمد طالب أفندي كمدرس للمدرسة المذكورة[٢].

٣٥-المدرسة الجعفرية : تقع في محلة سويقة حاتم[٣] ، وقد منحت براءة في العام ١٧٨٠ للسيد محمد خير الله للقيام بوظيفة التدريس في المدرسة، بدلاً من المدرس المتوفي السيد أحمد بن محمد القادري[٤].

٣٦-مدرسة أبي ذر الغفاري: تقع في محلة الجبيلة وتولى نظارتها الشيخ محمد أفندي في العام ١٧٨٣[٥].

٣٧-مدرسة الإسكندرية : تقع في محلة العينين ظاهر باب الفرج ،وشغل وظيفة التدريس في المدرسة في العام ١٧٥٣ المدرس يوسف أفندي الجابري[٦] الحاصل على مرتبة موصلة الصحن[٧] والمدرس عبد الله أفندي زاده في العام ١٧٩٢م [٨].

٣٨-المدرسة القضماوية: تقع في سويقة علي قرب المحكمة الكبرى وهي عائدة حسب الوثيقة لقدوة العلماء المحققين :السيد عبد القادر أفندي، وتولى رئاستها في العام ١٧٧٥م نقيب الأشراف المدرس مصطفى أفندي بن أحمد الجابري[٩].

٣٩-مدرسة حسن حلنبك حموي زاده :أنشأها حسن زاده بموافقة شيخ الإسلام محمد عارف أفندي، وكان من مدرسيها في العام ١٧٩٦م السيد غوري زاده[١٠] .

٤٠-المدرسة السعدية : بناها سعد الله الملطي سنة ١٤٤٧م ، وتولّى نظارتها وقام بإعطاء الدروس في المدرسة، الشيخ عبد الغني أفندي، ومن بعده تولاها ابن أخيه الشيخ محمد أفندي الشراباتي[١١].

١-الغزي، نهر الذهب ، ج٢،ص١٥٣

٢- سجل أوامر سلطانية حلب رقم ٢٣ ، صورة ١٠٨، ص ٨٩، وثيقة ١١٦، تاريخ ١٢٠٧هـ/١٧٩٢م

٣- الطباخ، إعلام النبلاء، ج٧، ص٣٥.

٤- سجل حلب أوامر سلطانية رقم ١٦ ، صورة ٨، ص ٨، وثيقة ١٣، تاريخ ١ رجب ١١٩٥هـ/١٧٨٠م.

٥- سجل حلب رقم ١٠٣، صورة ١١٦، ص ٢٢٧، تاريخ ١٥ ربيع الأول سنة ١١٨٣هـ/١٧٦٩م.

٦- سجل حلب أوامر سلطانية رقم ٦، صورة ٧٦، ص ١٣٢، وثيقة ٢٥٨، تاريخ ١١٧٦ه/١٧٥٣مـ

٧-أشرنا إلى درجة موصلة الصحن سابقاً، في هامش الإجازة بالتدريس والافتاء. المرادي، سلك الدرر،ج٤ ص٢٤٩.

٨- سجل حلب أوامر سلطانية رقم ٢٣ ، صورة ٤٨، ص ٤٠، وثيقة ٥٢، تاريخ ١٢٠٧هـ/١٧٩٢م

٩ -سجل حلب أوامر سلطانية رقم ١٢ ، صورة ١٦٧، ص ٢١٤، وثيقة ٢٨٠، تاريخ ١١٨٩ه/١٧٧٥م.

١٠- سجل حلب أوامر سلطانية رقم ٢٥ ، صورة ٢٠، ص١٤ ، وثيقة ٩٧، تاريخ ١٢١١هـ/١٧٩٦م

١١- سجل حلب أوامر سلطانية رقم ٢١ ، صورة ٤٣، ص ٣٠ ،وثيقة ٥١، تاريخ ١٢٠٣هـ/١٧٨٨م.

٤١-مدرسة الحاج حسين بابي : أشارت إحدى الوثائق، حول تكليف يوسف أفندي جابر زاده بالتدريس في المدرسة المذكورة في العام ١٧٩٣ [١].

ج- المدارس الصوفية: لم تتدخّل الدولة في إدارة المؤسسات التربوية الصوفية، ولم يكن لها أي مورد ثابت للإنفاق على التعليم، فالمعلمون لهم أعمالهم الأخرى التي تساعدهم على اكتساب ما يحتاجون من المال، والطالب ينفق على دراسته الصوفية من خلال عمله، وهو مصدر رزقه، وكانت بعض العقارات الموقوفة، تنفق على المؤسسات الصوفية، وساهمت المؤسسات التربوية الصوفية، من مدارس وزوايا ودور العلماء بنشر العلوم الصوفية [٢]. وكانت التكايا[٣] إلى جانب المدارس الدينية الإسلامية الفقهية العالية من أهم المؤسسات التعليمية الصوفية القائمة في فترة البحث قد قامت بدورها بشكل ايجابي وهي :

زاوية الطواشية: ملحقة بجامع الطواشي في باب النيرب ، ومن مدرسيها في العام ١٧٥١الشيخ عبد اللطيف جلبي، بأجرة يومية وقدرها عشرون عثمانياً فضياً[٤] .

الزاوية الهلالية : تقع في محلة جلوم الكبرى[٥]، ومن القائمين على التدريس فيها في العام ١٧٧١ بكر بن أبي بكر[٦].

زاوية حضرة سيدي غوث : تقع بجانب قلعة حلب ، وكانت خاصة بطائفة المغاربة الذين سكنوا حلب واستقروا فيها، واولو الاهتمام بالتدريس فيها، ففي العام ١٧٥٣"تولى الشيخ أحمد بن علي الأندلسي من طائفة المغاربة على وقف زاوية سيدي غوث.."[٧]

١- سجل حلب أوامر سلطانية رقم ٢٣ ، صورة ٨٢، ص ٦٩، وثيقة ٩٨، تاريخ ١٢٠٨هـ/١٧٩٣م

٢-الزوايا : مفردها زاوية، عُرفت الزوايا بمعنى انزوى واتخذ ركناً من أركان المسجد للاعتكاف والتعبد، ومع مرور الوقت اتخذت شكلاً جديداً على هيئة د بناء أو عدة أبنية ذات طابع ديني ، يقيم فيها عادة أُناس اعتكفوا لعبادة الله ، والتأمل به . وقد ظهر هذا المصطلح (زاوية) منذ حوالي الثالث عشر الميلادي ، مرادفاً للرابطة أو الصوفية والتي يعتزل فيها الولي المتصوف ، وتحوّلت بعض الزوايا إلى مركز للحياة الدينية والصوفية ، وبعضها ضمّ مدارس دينية، وتتألف الزاوية عادة من غرفة للصلاة، وفيها محراب وضريح لأحد المرابطين ، ثم غرفة لتلاوة القرآن، وغرفة مخصصة لضيوف الزاوية (الحجاج والمسافرين والطلبة). عبد الرحيم غالب : **موسوعة العمارة الإسلامية** ، جروس برس ، بيروت ، ١٩٨٨،ص٢١١.

٣-التكايا: مفردها تكية وأصل تسميتها الخانقاه : وهي كلمة فارسية تطلق على المباني التي تقام لإيواء الصوفية ويسكن فيها الرجال المتجردون والدراويش لطلب العلم، وقد انتشرت هذه المباني منذ القرن الحادي عشر الميلادي، في العهد العثماني، وسمّيت هذه المباني (تكايا)، للمزيد انظر ليفي بروفستال، دائرة المعارف الإسلامية ، في مادة الزاوية ص ٣٣١ -٣٣٤.

٤- سجل حلب محاكم شرعية ، رقم ٨٧، صورة ٢٩ ، ص ٥١، تاريخ ٢٣ ربيع الآخر سنة ١١٧٠هـ/١٧٥٦م.

٥- سجل حلب أوامر سلطانية رقم ٩ ، صورة ٤١، ص ٧٠، وثيقة ٨٤، تاريخ ١١٨٥هـ/١٧٧١م.

٦- سجل حلب أوامر سلطانية رقم ٩ ، صورة ٤١، ص٧٠ ، وثيقة ٨٤، تاريخ ١١٨٥هـ/١٧٧١م

٧ - سجل حلب محاكم شرعية ٨٥، صورة ١١، وثيقة ص١٨ تاريخ ٢٣ رجب ١١٦٧ هـ/ ١٧٥٣م .

زاوية الشيخ بيرم : خارج محلّة أغير، وهذه الزاوية مشروطةٌ لأتباع الطريقة القلندرية[١] أنشأها بابا بيرم أحد مشاهير هذه الطريقة ١٣٦٣ [٢] .

زاوية البعاج : تقع خارج باب النصر فوق جامع الزكي في حارة الطلبة، أنشأها عمر بن أحمد الوفائي (ت١٥٣٩) ، وكانت هذه الزاوية مخصصة للفقراء الصوفية السعدية الجباوية[٣].

زاوية الشيخ تراب : تقع في محلة الجلوم، جنوب المدرسة الخسروية ،وكانت داراً أوقفها الوزير عبد باشا زاوية للشيخ تراب العينتابي النقشبندي ، والذي قدم حلب في العام ١٧٧٩ [٤]

زاوية القرقلر: تقع في محلة الفرافرة، ودرس فيها مشايخ الطريقة النور بخشية وهي أحد فرق النقشبندية[٥].

الزاوية الاخلاصية : تقع في البيّاضة، عمّرها الوزير محمد باشا ارناؤوط لنزيل حلب الشيخ اخلاص الخلوتي، ومن أشهر مدرسيها: حسن بن عبد الله بن محمد البخشي[٦].

زاوية الصحابي شرحبيل: ومن مدرسيها في العام ١٧٧٩ الشيخ عيسى أفندي [٧].

كما وجدت زوايا أخرى[٨] في حلب مثل : الزاوية الكمالية في محلة العقبة، والزاوية العقيلية في ساحة التنانير، الزاوية المعظمة خارج باب النصر[٩] زاوية الشيخ جاكير[١٠]خارج باب النيرب[١١].

---

١ – سترد بالتفصيل في بحث التصوف(الطريقة القلندرية)

٢– الغزي : **نهر الذهب** ، ج٢ ، ص٤٠٨ .

٣– كرد علي : **خطط الشام** ، ج٦ ، ص١٥١ . الغزي، نهر الذهب ، ص٤٥٨.

٤– الطباخ ، إعلام النبلاء ، ج٣ ، ص ١٥٧ . الغزي، ج٢،ص١٠٤.

٥ – المرادي، سلك الدرر،ج٣، ص١٥١.

٦ – المرادي، سلك الدرر، ج١،ص٢٦

٧– سجل حلب أوامر سلطانية رقم ٢١ ، صورة ٦٠، ص ٤٩ ،وثيقة ٨٠، تاريخ ١١٩٤هـ/١٧٧٩م.

٨– سترد الزوايا التي تتناول قضايا أخرى في بحث التصوف ، وأيضاً في الفصل الرابع الأوضاع العمرانية.

٩– سجل حلب أوامر سلطانية رقم ١٦ ، صورة ١٤٩، ص ٢١٧، وثيقة ٢٩٠، تاريخ ١١٩٧هـ/١٧٨٢م.

١٠– الشيخ جاكير: " الزاهد الصوفي أحد شيوخ العراق وأسمه محمد بن دشم الكردي الحنبلي، له أصحاب واتباع وأحوال وكرامات، وبعث إليه تاج العارفين أبو الوفاء طاقيته، من الشيخ على الهيتي ولم يكلفه الحضور، فقال الشيخ على الهيتي:" سألت الله أن يكون جاكير من مريدي، فوهبه لي، وكان يفتخر به وينوه بذكره، وربما عرف ما في بطون البهائم المنذورة له ومن يذبحها ومن يأكلها"، عرف عنه النبل والزهد والاعتدال في المأخذ الصوفي لطريقته، لما له من دراسة شرعية، على مذهب أحمد بن حنبل، والتفرغ للتدريس حتى نهاية عمره بقريته التي دفن بها، والشيخ جاكير أسس طريقته في قريته (راذان) بصحراء سامراء من صحاري العراق، رغبة منه في الإصلاح، وذلك في العمل بين أهل البادية، لتكوين نواة من أهلها لخدمة السلاطين والأمراء الزنكيين، ومن بعدهم الايوبيين، في الحروب ضد الفرنجة، والقيام بالواجب الديني، وسكن سامراء٣٠٦ يوم مات بها سنة ٥٩٠هـ فبنى إلى جانبه قرية بنيت للتبرّك به". عبد الحي بن أحمد عبد الحي ابن العماد العكري الحنبلي (١٠٣٢ - ١٠٨٩ هـ /١٦٢٣-١٦٧٩م) ،**شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا ٩ أجزاء، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٨م ج٤ ، ص٣٠٥.

١١– سجل حلب محاكم شرعية رقم ١٠٢، صورة ٩٧ ، ص ١٨٤، تاريخ ٢٤ رجب ١١٨٠هـ/١٧٦٦م.

٤- التعليم عند المسيحيين :

لم تقف السلطنة العثمانية في وجه تأسيس الطوائف المسيحية مدارس لها ، وبذلك حافظت هذه الطوائف على معاهدها العلمية الخاصة بها[١]، وكان التعليم بين هذه الطوائف يتمّ في المدارس الملحقة بالكنائس[٢] بالإضافة إلى المدارس التبشيرية الأجنبية، كما كان يتم في بعض الكتاتيب التي يؤسسها بعض الأفراد[٣].

أ- الكتاتيب والمدارس العالية: كان نظام كتاتيب المسيحية شبيه بالنظام التعليمي لدى المسلمين ففي الكُتّاب يبدأ الطالب دراسته وفيها يتعلم اللغة السريانية، التي كانت لغة الطقوس الدينية، لدى العديد من الطوائف المسيحية، ويتعلم الطالب الخط والحساب ومبادئ الدين المسيحي والصلاة[٤] وإضافة إلى اللغة العربية التي أصبحت لغة الطقوس الدينية، لتلك الطوائف [٥]. وهناك بعض الكتاتيب، درّست إلى جانب اللغة السريانية والعربية، اللغتين التركية واللاتينية [٦].وكانت السنة الدراسية في الكتاتيب، تبدأ في عيد الفصح، ولم يختلف تجهيزها عن الكتاتيب المسلمين ، فالطالب يجلس على الحصيرة في قاعة الدرس، ليتلقى درسه من الصباح حتى العصر[٧].

كان الطالب المسيحي يلتحق في التعليم العالي بإحدى الكنائس أو الأديرة التي كانت تقابل المدارس الإسلامية، وهناك يتابع تحصيله العلمي، حيث يدرس اللاهوت والفلسفة والرياضيات والمنطق والأدب والطب، وغير ذلك من العلوم التي يميل إليها الطالب[٨]، وكانت جميع كتب الدراسة والصلوات على اختلافها مخطوطة، ولذلك كان يتوجّب على طالب العلم نسخ الكتب التي يقرر دراستها وهذا يدل على الصعوبات التي واجهت الطلاب[٩].

١- أوغلي ، الدولة العثمانية تاريخ وحضارة، م٢، ص ٣٣١.

٢-حبيب بدر وسعاد سليم وجوزيف أبو نهر، **المسيحية عبر تاريخها في المشرق** ، الطبعة الأولى ، مجلس كنائس الشرق الأوسط ،بيروت ، ٢٠٠١م ، ص ٦٠٥ .

٣-نعوم بخاش ، **أخبار حلب**، تحقيق وتعليق الأب يوسف قوشاقجي، مطبعة الإحسان ،حلب، ١٩٨٧م .ص٨

٤- أوغلي، الدولة العثمانية ، مج٢ ، ص ٣١٠ .

٥- راجع اللغات التي درسها المسيحيين في فقرة الذميين في الفصل الثاني .

٦- الأب أغناطيوس طنوس، **جبرائيل الصهيوني** ، مجلة المشرق ، السنة ٣٨ ، عدد ٢ ، أيلول ١٩٤٠ ، ص٢٥٦

٧- بخاش، أخبار حلب، ج٢ص ٦.

٨- الخوري نبيل الحاج، **الخوري بطرس التولاري وأثره في النهضة** ، مجلة المنار ، عدد خاص بالمدرسة المارونية ١٩٨٤م ، ص ٢٩١-٣٠٠ .

٩- الأب متري هاجي أثناسيو ، **كنائس حي الميدان** ، دمشق ، ٢٠٠٤م ،ص ٣٠١ .

ب-**المدارس الأجنبية التبشيرية** : ساهمت الإرساليّات الغربيّة، ومنذ القرن السابع عشر في تطوّر أساليب التعليم ومناهجه في حلب، بعد أن كانت المدارس مقتصرة على كتاتيب جاورت الكنائس، فاهتمّت الجاليات الدينية التبشيرية المسيحية، بتدريس أصول الدين المسيحي، ومبادئ القراءة والكتابة الفرنسية والإيطالية واللاتينية[١] ، ثم علموا اللغة العربية وآدابها والعلوم العصرية وكل جالية منها، كانت تعتمد على حماية دولة أجنبية، تسعى إلى نشر لغتها وتبثّ روحها بين الشباب، واستمرّ عمل المبشرين في حلب، في فترة النصف الثاني من القرن الثامن عشر وانحصر بإدخال المسيحيين المحليين، في ظل السلطة الروحية للكنسية في روما.

وفي جوانب أخرى، تركت هذه الارساليات آثاراً سلبية، فقد ساهمت جهود الآباء في إحياء الجدالات اللاهوتية، منذ قرون مضت[٢]، وارسال الرسائل إلى المطارنة الأرثوذكس، للتدخّل في أمور تخالف معتقداتهم حول تعميد الأطفال، وصلاة القداس، وتقصير اللحى، ونشر روح ضيقة لا تعرف التسامح، إذ أخذ المعلمون المبشرون، يسعون جهد طاقاتهم إلى استمالة الأهالي والطلاب إليهم ونشر توجهات بلادهم الدينية، واستغلت بذلك انخفاض المستوى التعليمي في الكتاتيب نتيجة لضعف أساتذتها وغياب الإشراف الإداري المطلوب. وشعر (راسل) بروح التفرقة التي نشرها المبشرون بقوله: " كيف يمكن أن تقوم مجموعة تعتبر متعلّمة، وتبعث بغرض نشر العلم في المشرق غير المتنور، بإثارة اختلافات تافهة، بهذا القدر من الحماسة والتعصب، كما لو انها تنطوي على نتائج في غاية الأهمية" [٣] .

تنبهت السلطنة العثمانية لخطر التبشير عليها، لكنها لم تستطع أن تقف في وجه المبشرين علناً، بل لجأت إلى إقامة العراقيل أمامهم، وفرضت عليهم رقابة شديدة في جميع ولاياتها[٤]. فلم يكن الإقبال على المدارس التبشيرية كبيراً، فالموارنة رحّبوا بالسياسة التعليمية للرهبنات الأوروبية في حلب لكن بقية الطوائف المسيحية، شعرت بخطورتها على جماعاتها وأخذت بمحاربتها، لكون الارساليات التبشيرية، كانت تنشر أدب لغتها وتاريخ بلادها، فيخرج الطالب ملماً بلغته، ولكنه جاهل بتاريخ بلاده الاجتماعي والثقافي والعمراني، وكانت مدارسها " تهزأ بالعرب وتحرّف

١- جورج انطونيوس ، **يقظة العرب**، ترجمة ناصر الدين الأسد واحسان عباس،ط٨، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٨٧، ص٦٠

٢- تونل، وثائق تاريخية ، اخبار الموارنة وما يليهم ، ج١ ص١٨-١٩.

٣- راسل، تاريخ حلب،ج٢،ص٢٦٨-٢٦٩.

٤- جوشقون ، يافور ، **تقصي خطى الدولة العثمانية في حلب** ، BASKI-GAZIANTEP,2010، ص٣٧٩.

التاريخ الصحيح"، ولا تعلّم منه إلا ما ينطبق على رغباتها، والتي أثرت على تكوين الوطنية والقومية[١].

لم تستحدث مدارس تبشيرية جديدة في حلب، في فترة النصف الثاني من القرن الثامن عشر، بل تواجدت مدارس تبشيرية قائمة من عهود مضت ، مثل مدرسة الرهبان الفرنسيسكان التي افتتحت في العام ١٦٣١ ، وأيضاً مدرسة الرهبان الكرمليون التي افتتحت في العام ١٦٤٠ ومدرسة الأرمن الأرثوذكس افتتحت في العام ١٦٤١ [٢]، إلى جانب أشهر المدارس التبشيرية وهي المدرسة المارونية[٣]والتي أسسها الخوري اسطفان الدويهي في العام ١٦٦٦[٤] ، ومن أشهر تلامذته المطران جرمانوس فرحات ١٧٢٥-١٧٣٢ [٥]، قد درّست هذه المدرسة أصول اللغات اللاتينية والإيطالية، فضلاً عن الآداب والعلوم والفلسفة واللاهوت، وتراوحت مدة الدراسة بين ١٠و١٢ سنة [٦].

٥-التعليم عند اليهود:

تلقى اليهود في ولايات الدولة العثمانية تعليمهم وبحدود ضيقة في المدارس الدينية المحافظة والمجاورة للمعابد[٧]، والتي كانت تعرف باسم تلمود توراة وهي المدرسة التي يتلقى فيها الطفل اليهودي المعارف الأولية للقراءة والكتابة ويدرس فيها أجزاء من التلمود، وكانت العادة أن يدرس الطفل في البداية في بيت سفر (مدرس) ثم يتدرج إلى المرحلة الأعلى وتسمى بيت همدراش (المدارس) ، ويطلق على المدرسة التي يدرّس فيها معلم واحد بيت رف(بيت سيدنا) ، ويطلق على

١- كردعلي، خطط الشام،ج٤،ص٨٤.

٢- الأب متري هاجي أثناسيو، **موسوعة بطريركية أنطاكية التاريخية والأثرية**، دمشق، ٢٠٠١ ، مج ٩ ق١، ص١١٩٨

٣- يعود تاريخ نشأة المدارس المارونية، بعد ايعاز البابا غريغورس الثالث عشر، بتأسيس المدرسة المارونية في روما، عام ١٥٨٤م ليخرج منها الطلاب الموارنة المشرقيون في كل الآداب والعلوم الدينية والمدينة، ثم يعودوا إلى وطنهم، لينشروا فيه ما تعلموه من المعارف والعلوم . جوزيف أبو نهرا :الظروف التاريخية لنشأة المدرسة المارونية الحديثة ، مجلة المنارة ، عدد خاص بالمدرسة المارونية سنة ١٩٨٤م ، ص ٣٣٥.

٤- الأرشمندريت أغناطيوس ديك، **الحضور المسيحي في حلب خلال الألفين المنصرمين من نشأة المسيحية إلى الفتح العثماني** ،ج١، حلب ٢٠٠٢، ص٥١.

٥-الدباغ ،الحياة الفكرية ، ص٩٩، ١٠٢. الغزي ، نهر الذهب ،ج٢،ص٤٨١.

٦- الأب سركيس الطبر الأنطوني، **تأسيس المدرسة المارونية في روما** ، مجلة المنارة ، عدد خاص بالمدرسة المارونية سنة ١٩٨٤م، ص ٣٨-٣٩. .

٧ - نعيسة ، يهود دمشق، ص٣٣.

الأطفال الدارسون (أطفال بيت سيدنا) [١]، وكان الطالب يتعلم في المدرسة على نفقة أسرته الخاصة، وكانت تجهيزات المدرسة الملحقة بالكنيس بسيطة، ويجلس الطلاب على الأرض، وكل طالب معه قطعة خشبية ليضع كتابه عليها، كما كان يحضر معه عصا بحجم القلم للإشارة إلى الكلمات والسطر للمحافظة على كتابه من التلف، ويعتمد الطلاب على السمع أكثر مما يعتمدون على النظر، وكانت الدراسة تقتصر على تعليم الأولاد اللفظ الصحيح ، وتدريس كتاب الصلوات وبعض آيات العهد القديم، ولم تتطور باتجاه العلوم الأخرى[٢]. أما الفتيات اليهوديات فكان نصيبهن من التعليم محدوداً، فالبنت اليهودية يمنع عليها التعلم في الكنيس، وبالتالي يصبح محكوماً عليها بالأمية، إلا في حالات نادرة يتلقين تعليمهن بشكل غير منتظم ،

ثانياً- الحياة الفكرية في ولاية حلب في النصف الثاني من القرن الثامن عشر :

١-الحركة العلمية والأدبية:

انشغلت السلطنة العثمانية ومنذ نشأتها، بالحروب المستمرّة والتوسع في إمبراطوريتها، ولم يكن لها أي دور في تشجيع الأدب والعلم والمعرفة، كما لم تبذل جهداً في جمع المخطوطات العربية، من البلاد التي سيطرت عليها، ومن ضمنها حلب، بل تركتها تتلف أو تنقل إلى أوروبا بسبب إهمالها لها، واتصفت الحياة الفكرية بالجمود[٣]، واقتصرت الإنجازات الثقافية التي قام بها العلماء والأدباء في حلب، على اللغة العربية والدين والشعر، فالمؤلفات المتعددة حول المواضيع الدينية، كانت مسيطرة على جميع كتّاب المسلمين والمسيحيين واليهود، بينما لم تلقَ مجالات العلوم الطبيعية والاجتماعية اهتماماً هامشياً.

شكّل علم الكلام وعلم الفقه المواضيع الرئيسية الإسلامية ، فانصرف طلاب العلم إلى جمع آراء وأفكار السلف، دون أن يجرؤوا على تصويب الأخطاء، أو حذف أي شيء من الكتب[٤]، فقام أغلب المؤلفين المسلمين، بإنتاج كتابات تعليقيه حول التعليقات التقليدية الموجودة سابقاً، وأكثر ما كتب في هذه الفترة الشروح والحواشي وشرح الشروح، وكثر التأليف بلا نظام، وانحطّ أسلوب الانشاء حتى أوشك أن يكون عامّياً أحياناً [٥]، ومثال على القضايا التي تم مناقشتها قضية

---

١ - صموئيل، اليهود في البلدان الاسلامية، ص٢٣٩-٢٤٠.

٢ - أبو جبل، يهود اليمن، ص ١٤٤

٣-فيليب حتي، **تاريخ سورية ولبنان وفلسطين** ، ترجمة كمال اليازجي، دار الثقافة ،١٩٨٣م ، ج٢، ص٣٢١.

٤- راسل، تاريخ حلب، ج٢،ص٢٩٦.

٥-جرجي زيدان ، **تاريخ آداب اللغة العربية**، دار الهلال ، ١٩٥٧، ج٣، ص٢٩٢.

"الإساغة للتسريح بالمشط المصنوع من الباغة (عظم ظهر السلحفاة)"، وهي القضية التي ناقشها عبد الجواد الكيالي(ت١٧٧٨م)[١]، وبالنسبة لكتابات المسيحيين، فكان أغلبها ترجمات نصوص توراتية وأوروبية إلى العربية، قام بها القساوسة الكاثوليك ، وظهور كتابات جدلية حول اللاهوت [٢]، فقد وردت مجادلات بين طائفتي الروم والموارنة، حول قداسة البطريرك يوحنا مارون، أول بطاركة الموارنة وشرعيّته الكنسيّة والتي تركت لها أثراً في حلب، وقد ألّف القس يوحنا باذنجانه الماروني تلميذ روما في العام ١٧٦٨ كتابه في حلب "مرآة الحق الوضيّة في شرف الملّة المارونية" وردّ عليه الكاهن الرومي الملكي الكاثوليكي انطون صباغ فكتب "الأجوبة الجلّية على الرسالة المارونية"[٣].

جاءت اللغة والآداب، في المرتبة الثانية بعد الدين والتي جذبت المؤلفين للكتابة حولها وقضى المتعلمون وقتاً كبيراً في دراسة اللغة العربية، فلفظ اللغة العربية الفصحى اختلف كثيراً عن اللغة العامية ، ووجد العديد من الكتب التي تتناول علم اللغة والمعاجم، كالصحاح والقاموس وساعد الشعر في حفظ اللغة العربية لمحكوميته بقواعد العروض والقافية، فكان الوسيط الأدبي الأفضل للتعبير عن المشاعر الشخصية والأهواء الدينية الصوفية وغيرها، فآلاف الأبيات الشعرية غطّت مدح التعليم والتقوى ورجالات الدولة، والطرق الصوفية وشيوخها.

أمّا علم الفلك وأحكام النجوم فقد حظي بأهمية كبيرة عند الحلبيين، واستغلّ المدّعون بمعرفة هذا العلم سرعة التصديق الشعبية ، فوقع الناس فريسة لخداع الدجالين، وادعاء علماء الفلك بالتنبؤ عن الحروب والأوبئة[٤]، وأما علم السحر والرمل واستخدام الغيبيات كالتنجيم والبخت، فقد لاقت اعتقاداً نسبياً بين السكان في حلب ، ومن السكان من قاومها وفضحها " وقد ادّعى نصري بن

---

١ – عبد الجواد بن السيد أحمد بن عبد الكريم بن أحمد ،المتصل نسبه إلى الشيخ الكيالي الشافعي الرفاعي النقشبندي، عالم في الفقه والحديث ، والنحو والمنطق والبيان ،" وبرع في العلوم الشرعية والعقلية وفرغ له شيخه الشيخ عبد القادر المخملجي عن وظيفة الحديث في الجامع الأموي بحلب وجامع بشير باشا ، وكانت له معرفة تامة في الفنون الغريبة"، وألّف مؤلفات أحرقت جميعها ولم يبق منها سوى رسالتين: وهما " المصنوع من الباغه سماها الاساغه للتسريح بالمشط المعروف بالباغه "والثانية في الحديثين اللذين أخرجهما في مسند الفردوس ما روي عنه (ص) من قوله "من قال أنا مؤمن فهو كافر وقوله عليه الصلاة والسلام من قال أنا مؤمن حقاً فهو كافر أو منافق " المرادي سلك الدرر،ج٢،ص٤٢٥.

٢– ماركوس، الشرق الأوسط ، ص٢٨٤.

٣– جوزيف نصر الله ، **تاريخ الحركة الأدبية في الكنيسة الملكية** ، ٤ أجزاء ، ج٢، ١٩٨٨. ص٢٤٦–٢٤٨.

٤– راسل، تاريخ حلب، ج٢، ص٢٩٦

مصطفى الوكيل عن الحرمة (رحمه بنت كرزون) على إبراهيم ابن إسماعيل، وقال إن المدّعى عليه يتعاطى علم الرمل، وقد وقع بين الموكلة وزوجها الغائب عن المجلس تنافر، فتعهّد المدعى عليه استعطاف الزوج إليها بنوع من العلوم التي يعرفها، واخذ منها دراهم واشياء وخاتماً من الذهب واستوثق ذلك منها لأجل إجرته ، وطالب المدعى بإعادة الأغراض ،فأمر القاضي باسترداد ما أخذه المدعى عليه" [١].

كانت دراسة الرياضيات مهملة بشكل عام ، وكان الحلبيون يتعلّمون الحساب العملي لأداء أعمالهم الاعتيادية، وقد وصف راسل دهشة التجار الأوروبيين، للمهارة التي يظهرها التجار الحلبيون عندما تشمل عملية الحساب من بضائع وسلع من مختلف الأسعار، وانهم لم يستخدموا القلم والحبر أثناء إجراء حساباتهم، مهما بلغت من التعقيد .اما دراسة التاريخ، فلم تحظ بقدر كاف من الاهتمام وقد انتقلت الأخطاء التي وردت في كتب التاريخ، عبر الأجيال من مؤلف لآخر، ولم يتم تصحيحها أبداً ، واعتقدوا بأن الأخبار والحوادث في الكتب صحيحة تماماً، ولا يمكن تصحيحها، وعدّوا التاريخ سلسلة من الحكايات، والأحداث غير المترابطة، تُسجّل دون دقة. وأهملت الجغرافيا بقدر إهمالهم للتاريخ، فليس لديهم خرائط جيدة باستثناء التي تمّ استيرادها من أوروبا، وتمتع بعض الموظفين والأعيان باطلاع واسع على جغرافية البلاد الأوروبية التي لها علاقة بالسلطنة العثمانية [٢]، وبالنسبة للعلوم الفيزيائية والكيميائية والطبيعية، فكانت مهملة بشكل شبه كامل، وبقي المجتمع مقيداً بفهم محدود للطبيعة ، فلم يكن يوجد علماء قاموا باكتشاف نظريات، أو إجراء بحوث علمية، فحافظت الاهتمامات والمقاربات التقليدية على مكانتها وأفضليتها على التعليم العالي[٣].

أ-أبرز المفكرين والأدباء:

برز في حلب في فترة البحث العديد من العلماء والمفكرين والأدباء المؤرخين والذين أجازوا في علوم شتى كالأدب واللغة والدين والفقه والفلك وغير ذلك، ومن أشهرهم حسب تسلسلهم الأبجدي:

---

١ سجل حلب محاكم شرعية رقم ٨٧، صورة ٥٤ ، ص ٩٤، تاريخ ٢٥ ذي القعدة سنة ١١٧٠هـ/١٧٥٦م .

٢- راسل، تاريخ حلب، ج٢،ص ٣٠١.

٣-ماركوس، الشرق الأوسط ، ص٢٨٦

أحمد الوراق(ت١٧٧٥م): أديب وشاعر وعالم بالفقه والعقائد واللغة والمعاني والبيان والشعر[١].

حسن البخشي(ت ١٧٧٦م) درس الفقه والنحو والحديث والتصوف والأدب والعلوم العربية الفرائض والحساب ومن مؤلفاته (بهجة الخيار في شرح حلية المختار)،(النور الحلبي في النسب الشريف النبوي)،(الرد على من اقتحم القدح في الأبوين المكرمين)، (رسالة في رجال الشمائل وشرح على الشمائل)، وله شرح على أسماء البدريين، وله تأليف في العقائد سماه (تحرير المقال في خلق الأفعال)، وله ديوان حافل وشرح مفيد على قصيدته المسماة بعقود الآداب سماه (تنقيح الألباب في حل عقود الآداب)[٢].

حسين الداديخي(ت١٧٦١م) : أديب وله باع طويل في الشعر العربي والانشاء أيضاً وكذلك الانشاء التركي، وله تأليف سماه (قرة العين في ايمان الوالدين)، وكتاب في السياسة (الفيض المنبوع في المسموع)، وله حاشية على الدرر نحو ثلاثين كراسة[٣].

شعيب الكيالي(ت ١٧٥٨م) :أديب وبرع في عدد من الفنون، وله رسالة في التصوّف سماها (الدر المنضود في السير إلى الملك المعبود)، وشرح على صلوات بن مشيش، وله مختصر في فقه ابن ادريس سماه (تدريب الواثق إلى معاملة الخالق)، وله شرح لطيف على دالية ابن حجازي وغير ذلك له شعر أكثره في الجناب الرفيع للرسول صلى الله عليه وسلم[٤] .

صالح بن مصطفى الشريف الحلبي (ت ١٧٦٤م): وله معرفة بالموسيقى والأشعار، وأجاز عليها ونظم في اللغات الثلاث اللغة الكردية والعبرانية والرومية[٥].

عبد الوهاب العداس (ت ١٧٥٢م):عالم بالفقه والنحو والعروض والحساب وآداب البحث والمنطق[٦] .

عبد الله بن محمود الانطاكي الحلبي أديب درس اللغة الفارسية والتركية (ت١٧٩٩م)[٧].

١-الطباخ ،إعلام النبلاء، ج٧، ص٨٣. المرادي، سلك الدرر، ج١، ص١١٣.

٢-الطباخ ، إعلام النبلاء، ج٧، ص٨٥. المرادي، سلك الدرر، ج٢، ص٢٦.

٣-الطباخ ، إعلام النبلاء، خ حلب ،ج٧، ص٢٣. المرادي، سلك الدرر، ج٢، ص٤٩.

٤-الطباخ ، إعلام النبلاء، ج٦، ص٥٤٧. المرادي، سلك الدرر، ج٢، ص١٩٠.

٥-المرادي، سلك الدرر، ج٢،ص٢١٧.

٦- المرادي، سلك الدرر ، ج٣ص١٤٦.

٧- المرادي، سلك الدرر، ج٣، ص١٠٨.

عبد الله اليوسيفي الحلبي (ت١٧٨٠): شاعر بارع وله مؤلفات في النظم والتاريخ ، وقصائد في مدح الشيخ علي المرادي[١] .

عثمان العرياني(ت١٧٥٤): أديب وله مؤلفات كشرح الهمزية وشرح النونية في العقائد[٢].

عمر الإدلبي الشاعر (ت١٧٦٢م): من الشعراء النابغين في فن الشعر، وله بديعية سماها (الحرز المنيع في مدح الشفيع صلى الله عليه وسلم) ومطلعها :

براعتي وبديع المدح من كلمي ... مستفتحاً بمديح الزاكي الشيم
وآله خير آل حيث ما نسبوا ... إليه في كل شأن من شؤونهم
يا صاح صح بي فصحبي بان ركبهم ... وأطلقوني طليق المدمع السجيم[٣].

قاسم البكرجي (ت ١٧٥٥م) :أديب وعالم بالفقه والفرائض وفي العربية والبلاغة ومن مؤلفاته:(شرح على الخزرجية)، (شرح على الهمزية)[٤].

محمد بن يوسف النهالي (ت ١٧٧١م): أديبا وأتقن اللغة الفارسية والتركية، ومن مؤلفاته (الجواري المنشآت)[٥].

محمد الأسبيري (ت١٧٧٩م): قرأ القرآن العظيم والصرف والنحو والمنطق ومن مؤلفاته (الفوائد الأسبيرية على الرسالة الأثير) ، (شرح على مغنى الأصول المسمى بالمستغنى)، ورسالة في بيان معنى كلمة التوحيد، ورسالة في نجاة الوالدين، ولخّص الفتاوي الخيرية وحاشية على شرح المنظومة المحبية للشيخ عبد الغني النابلسي[٦].

محمد أبو الصفا الخوجكي(ت١٧٩٠) : عالم بالموسيقا (ت١٧٧٨م).

محمد مكي بن موسى وهو عالم فقه[٧].

محمد بن حجازي (ت١٧٩٠): قرا المنطق والمختصر في المعاني والبيان، وشرح المنهج للقاضي[٨].

---

١ – المطران يوسف الدبس ، **تاريخ سورية الدنيوي والديني** (سورية في أيام السلاطين العثمانيين)، مراجعة وتدقيق، مارون رعد، اشراف نظير عبود، دار نظير عبود، ج٨، ص ٣٩٤.

٢–الطباخ ، إعلام النبلاء،ج٦، ص٥٣٤، المرادي، سلك الدرر، ج٣، ص١٦٠.

٣–الطباخ ، إعلام النبلاء، ج٧، ص٢٨.

٤– الطباخ ، إعلام النبلاء ،ص٥٣٣. المرادي، سلك الدرر، ج٤، ص١١.

٥–الطباخ ، إعلام النبلاء، ج٧، ص٥٩. المرادي، سلك الدرر، ج٤، ص١١٨.

٦–المرادي، سلك الدرر،ج٤، ص١٢٠.

٧–الطباخ ، إعلام النبلاء، ج٧، ص٩٤.

٨– الطباخ ، إعلام النبلاء، ج٧، ص١٢٩.

يوسف الحلبي (ت١٨٠٥): أرّخ الأحداث المحلية في حلب خلال السنوات ١٧٧١-١٨٠٥ ودوّن تعليقاته حول التاريخ السياسي، ووضع هوامش وملاحظات، حول أحوال الطقس والولادات والزواج والوفيات، وأسعار المواد وتطور وباء الطاعون[١].

٢ - التصوّف:

أ-مفهوم التصوّف :اختلف العلماء في أصل كلمة تصوّف، وإلى أي شيء تضاف فقيل : هي نسبة إلى الصفوة، وقيل: نسبة إلى الصفّ المقــدّم، وكانوا يجلسون فيه للصلاة في المسجد ، وقيل: نسبة إلى (صوفة بن بشر) رجل عُرف بالزهد في الجاهلية، وقيل: إنها مشتقة من الصفاء الذي يعمر قلوب الزهاد، وحاول بعض الباحثين، أن يربط بين كلمتي (صوفي العربية) إلى كلمة (صوفيا اليونانية)، ومعناها الحكمة، ومقارنة بين الكلمتين وما تضفيان على أهلهما، من حكمة وأقوال مأثورة وأغلبهم رأى أن الصوفية، مستمدّة من لباسهم الصوفي الذي يدل على الزهد ويميّزهم عن الآخرين[٢] فكلمة تصوف، من الكلمات الغامضة التي تعددت مفاهيمها، ويعود ذلك إلى تداولها، بين الديانات المختلفة والحضارات الإنسانية، على مر العصور[٣].

ولم يقتصر التصوف على مذهب إسلامي واحد بعينه، إنما يمكن أن يكون المتصوّف: شيعياً وصوفياً، أو سنيّاً وصوفياً، بل أنه يوجد أيضاً في الديانات اليهودية والمسيحية[٤](فالرهبان والنساك المسيحيون، زهدوا بالدنيا ومتاعها، واتخذوا الأديرة كعالم روحي ومأوى لهم، من ترف الدنيا) فأينما وجد الجنس البشري، توجد دائماً فئة منه، تعتزل الناس وتزهد بالدنيا، فالتصوّف ظاهرة إنسانية ذات طابع روحي، لا تحدده حدود مادية زمانية أو مكانية، فالتصوّف يكون وليداً للدّين الذي اعتمد على النص الديني بالدرجة الأولى، وقد يكون وليداً للعقل البشري، أو يمتزج أحدهما بالآخر[٥].

وبالنسبة لمراحل التصوف الإسلامي، فقد ظهرت بذوره في بداية القرن الثامن الميلادي على شكل تيارات شديدة من الزهد، في متاع وزخارف الدنيا، نتيجة لما أصاب العالم الإسلامي

١- الحلبي، المرتاد، ،ص١ .

٢- عبد القادر أحمد عطا، **التصوّف الاسلامي بين الأصالة والاقتباس في عصر عبد الغني النابلسي**، ط١، بيروت، ص١٨٤-١٨٦.

٣- عبد الحكيم عبد الغني قاسم، **المذاهب الصوفية ومدارسها**(البغدادية، البصرية، الرفاعية، القنائية، الشاذلية،) ط١، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٩٩، ص٢٧.

٤- محمود عامر، **تاريخ الدولة العثمانية** ، منشورات جامعة دمشق، ٢٠٠٤،ص ١٤٨-١٤٩

٥-فيصل بدير عون، **التصوّف الإسلامي الطريق والرجال**، مكتبة سعيد رأفت، جامعة عين شمس،١٩٨٣، ص ٣٢

من حروب خارجية وداخلية، تركت أثراً كبيراً في جميع جوانب الحياة، فأرجع المؤرخون ظهور التصوّف إلى عدّة عوامل: منها المعاصي التي اقترفها المسلم ومحاولته محوها بطلب المغفرة ومنها من يتمثّل بالخوف الشديد من اليوم الأخر، وما أعدّ فيه من عذاب شديد، فجعلهم يطلبون التوبة من خالقهم والزهد في حياة الدنيا ، وتأثّر بعضهم بالأفكار اليونانية والافلاطونية، نتيجة عمليات الترجمة لكتب الفلسفة والمنطق، وفي مرحلة دخول الإسلام إلى بعض الأمم، وإقبال الناس على الحياة والملذات واجه علماء التصوّف المسلمين هذه الظواهر، وأضافوا تعبيرات جديدة مستمدة من الكتاب والسنة كالفقر والزهد. وتطور التصوف بعد امتزاج الثقافات الوافدة إلى الإسلام، وتعزيز الثقافة الإسلامية فأدخل الصوفيون بعض التغييرات وبعض الظواهر، لتلائم السلوك والآداب ، وما لبث أن أصبح التصوّف مذهباً خاصاً ، وظهر كثير من المتصوفين بعضهم معتدل ، وبعضهم مغال، حتى خرج بعضهم عن المألوف عند عامة المسلمين [١]، وقام شيوخ وحركات مناهضة للصوفية ، ودعوا إلى انكار أعمالها، وبخاصة في صفوف المذهب الحنبلي وأبرزهم ابن تيمية[٢].

اعتمد مؤسسوا المذاهب الصوفية، على الآيات والأحاديث النبوية التي كانت تدعو إلى القناعة والرضى، والشكر لله في كل ملمّة، والصبر على كل مصيبة والالتجاء إلى الله في كل حال. وفي العصور المتأخرة شابت الصوفية، عقائد دخلتها من ديانات وعقائد، أخرى شوّهت صورتها الحقيقية فاعتمدت أقوال المشايخ بدلاً من الآيات والأحاديث النبوية، وسيطرت الخرافات والجهل على العامة من المريدين للطرق الصوفية، وتولّى المشيخة رجال صوفيون مغرقون في الجهل، بعيداً عن العلماء والمحدثين، وتولّى الأمر من لا يستحقه[٣].

ب- **أنواع التصوّف :**

ضمّت حلب في فترة البحث كل أنواع التصوف حيث نجد أتباع الطرق الصوفية والمتصوفين العلماء العارفين، والزهاد، وأصحاب الكرامات، والفقراء، والمجاذيب. ومن اشتهر منهم بالخوارق ومن يكتب الحجب ومن يشفي المرضى ..إلخ.

العارفون : كانوا علماء دين إلى جانب علوم أخرى ، وتمثل نشاطهم الاجتماعي الديني من خلال جمع الأتباع والمريدين، ولهم مؤلفات ورسائل في التصوف ، وعدّوا من المتصوفين الأولياء

١- قاسم ، المذاهب الصوفية ، ص٢٧ ، عامر ، الدولة العثمانية ، ص١٤٩.

٢-عامر النجار ، **الطرق الصوفية في مصر** ، نشأتها ونظمها وروادها ، القاهرة، دار المعارف ، ص١١.

٣- توفيق الطويل، **التصوف إبان العصر العثماني**، ط١،مكتبة الآداب بالجماميز، مطبعة الاعتماد،١٩٤٦. ص٥٣.

وتُزار قبورهم عند وفاتهم والدعاء عند قبورهم مستجاب[١]. ومن العلماء المتصوفة في فترة البحث السيد شعيب الكيالي(ت ١٧٥٨) وكان أديباً وشاعراً، وله رسالة في التصوف سماها(الدر المنضود في السير إلى الملك المعبود)، و(شرح على صلوات بن مشيش) وله مختصر في فقه ابن ادريس سماه (تدريب الواثق إلى معاملة الخالق)، وله شرح على دالية ابن حجازي وغير ذلك. وقد ذكر المرادي أنّ له كرامات ظاهره ، وقبره معروف بقرية من أعمال حلب تدعى طربنا[٢] .

الزهّاد: الزهد هو من يبيع الدنيا بالآخرة ،وحب الله، وانصراف الرغبة عن الشي إلى ما هو خير منه، والزهد شرط رئيسي للتصوف ، وهو في حد ذاته ليس موضع خلاف بين الصوفية ، لكن الاختلاف فيما بينهم حول الموضوعات التي ينبغي أن يزهد فيها[٣]،ورغم اختلاف مصطلح الزهد فقد شهد التاريخ في كل فتراته وجود زهاد زهدوا في الدنيا ، ومثالاً الزاهد حسين الدركزنلي(ت ١٧٦٣) الذي قدم إلى حلب مع عائلته ، وكان يعظ الناس بالجامع الأموي " وكان من الورع على جانب عظيم لا يماري كبيراً ولا يمتهن صغيراً ولا يقيم للدنيا وزناً "[٤]. ولم يلتزم زهاد حلب في مدرسة صوفية معينة ، بل كانوا خليطاً، وأخذوا عن مدارس عدة، غايتهم التقرب إلى الله، مثل الشيخ الزاهد عثمان العقيلي (ت ١٧٧٩) وقد قرأ كتب الصوفية والحديث والفقه وكان ملازماً على الاعتكاف في كل سنة أربعين يوماً ، ويقضيها في الصوم والقيام والذكر[٥].

ومن الزهاد من تولّوا التدريس إلى جانب الورع والزهد، مثل عبد القادر بن بشر الشافعي الحلبي (ت١٧٥٦) "وكان فاضلاً ناسكاً ليناً فقيراً صابراً له ذكاء، وشغل وظيفة التدريس في الجامع الأموي بحلب" [٦]. وأيضاً من الزهاد من تولى الافتاء مثل مفتي حلب الزاهد محمد بن علي الانطاكي[٧]

١- عبد الله حنا، **حركات العامة الدمشقية في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر**، ط١، دار ابن خلدون ، ١٩٨٥،ص٧١-٧٢

٢ المرادي، سلك الدرر، ج٤، ص٣٨٨.

٣-عون، التصوف الإسلامي ،ص١١٠. عبد الحميد الجوهري، **التصوف مشكاة الحيران**، مطبعة افريقيا الشرق، الدار البيضاء،١٩٩٦،، ص١٥١.

٤- الطباخ، إعلام النبلاء، ج٧،ص٣٥.

٥ - الطباخ، إعلام النبلاء،ج٧،ص١٠١.

٦- الطباخ، إعلام النبلاء، ج٧،ص٥٧.

٧- المرادي، سلك الدرر، ج٤، ص٦٩.

الأولياء : وهم أولياء الله الذين فازوا بالقرب من الله و طاعته، واجتناب معصيته وهم فئة قليلة من المؤمنين، اعتماداً على الآية الكريمة((ألا إنّ أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون))[١] وأولياء الله يتفاوتون في الولاية حسب قوة الايمان بالله وقربهم إليه ، والولاية قسمان: عامّة تشمل جميع المؤمنين بقوله تعالى ((الله ولي الذين آمنو يخرجهم من الظلمات إلى النور)) ..والولاية الخاصة تشمل جميع المقربين إلى الله بالمواظبة والطاعة[٢] ، والولاية ركن من أركان الصوفيين الطرقيين وغير الطرقيين ، وقد تطور معنى الولي تبعاً لتطور التصوف نفسه، وأصبح الولي من يكون آتياً بالأعمال الصالحة، على ما آتت به الشريعة اعتماداً على قوله تعالى ((الذين آمنوا وكانوا يتقون))[٣]. والأيمان مبني على الاعتقاد والعمل ومقام التقوى هو أن يتقي العبد كل ما نهى الله عنه والأولياء وهم الواصلون إلى درجة العرفان تنكشف لهم الحجب ، وتظهر على أيديهم الكرامات وهي أمر خارق للعادة[٤]، ومن أولياء حلب مثالاً محمد الزمار الشافعي الحلبي (ت١٧٥٣)" التقي الناسك الزاهد الصابر الوقور المهاب جمع بين الولاية والعلم، عليه آثار العبادة والصدق والتقوى، وانتفع به كثير من أهل حلب وغيرها ..وكان من أولياء الله تعالى" [٥].

الفقراء: من يطلب الزهد فإنما في الحقيقة يطلب الفقر ، استند الصوفية على قول الرسول: " يدخل الفقراء الجنة قبل الأغنياء، فالفقراء ثلاث فئات ،منهم من لا يملك شيئاً ولا يطلب شيئاً وإن أعطى لم يأخذ، ومقامه من المقربين، ومنهم خلافاً على ذلك إن أعطى شيئاً من غير مسألة أخذ ومقامه من الصديقين ،ومنهم من احتاج ، انبسط إلى أخوانه ، ممن يعلم أن يفرح بانبساطه إليه فكفارة مسألة صدقة ومقامه الصديقين في الفقراء" . ولم يقتصر الصوفيون الفقر على الناحية المادية فحسب، بل تجاوزوها إلى المعنى الروحي، وهو الافتقار إلى الله[٦]، وانقطع الفقراء عن الناس في الزوايا والتكايا واعتكفوا على العبادة، ومارسوا طقوسهم الصوفية المختلفة، وكانوا محبوبين من الناس بسبب مسلكهم هذا، كطائفة المغاربة الذين سكنوا حلب ونظموا أنفسهم كطريقة

---

١ –القرآن الكريم ، سورة يونس ، الآية ٦٢.

٢– قاسم، المذاهب الصوفية ، ص١٠١.

٣ القرآن الكريم ، سورة يونس ، الآية٦٣.

٤ – ماسينون ومصطفى عبد الرزاق، **التصوف**، لجنة ترجمة دائرة المعارف الاسلامية، ابراهيم خورشيد، عبد الحميد يونس، حسن عثمان، ط١، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٨٤، ص٨٣–٨٦.

٥ – المرادي، سلك الدرر، ج٤، ص١٢٣.

٦– عون، التصوف الإسلامي، ص١١٢–١١٥.

صوفية دينية، وأوقفوا زاوية خاصة بهم وهي زاوية حضرة سيدي غوث[١]. ومن الفقراء من اتبع الدروشة، وهي أساليب خاصة في الذكر والعبادة[٢]. ومنهم من وضع آداباً ألزموا بها مريديهم فبعضها يقضي بمحبة الجهل، وعدم التعلم على يد مدرس، وتجنب التفكير فيما يراودهم من خواطر، وقضوا بذلك على حيوية التفكير وعلى الحياة العلمية عند اهل الطريق، وادعوا بأن الزهد والانقطاع للعبادة تكفل بأن يسلم صاحبه إلى حضرة الله ويستمد منه القوة التي ترفعه عن كافة البشر، وتجعل في مقدوره الاتيان بالخوارق والكرامات[٣].

المجاذيب : وهم خلفاء الأولياء ينالون إكرام الناس، ومنهم من تظاهر بالجذب، لتغطية أهداف اجتماعية أو سياسية، وبعضهم كان يخلع ثيابه ويدور في الأسواق[٤]، ومثال على ذلك : مصطفى بن عمر أفندي طه زاده (ت١٧٧٢) واشتهر بالتأليف والقراءة في حلب وكان ذو حشمة ومال وخدم،" ثم اعتراه الجذب، وخلع ثيابه الفاخرة والعمامة ، وصار يدور في الأسواق ويصيح بكلمات لا فائدة لها عند السامع" [٥] ، واعتقد بعض الناس بكشوفات المجاذيب العجيبة وأسقطوا عنهم التكليف، وأحاطوهم بهالة كبيرة من الأوصاف الغيبية والقدرات الخارقة، وعندما كانوا يتكلمون كلاماً غير مفهوم تعتبره العامة أنه كلام ملهم، فضربوا بعرض الحائط أعراف البلاد وتقاليدها وحتى دينها، واتخذ كل منهم طريقة في جذبه وسلوكه' وقسم منهم كان مقصوداً في طلب الدعوات لتيسير الحاجات[٦].

وهناك فئة من المتصوفين الذين اشتهروا بالخوارق، وكان يراجعهم العامة والخاصة للاستخارة ومعرفة الغيب، وللاستشفاء في عصر تخلّفت فيها العلوم الطبية، فبالنسبة للمجانين والمرضى العقليين ساد الاعتقاد بأن تصرفاتهم غير الطبيعية، هو دخول أرواح شريرة غير مرئية، وكان يتم التعامل مع هذه الأرواح بمساعدة خبراء وشيوخ في مجال الأمور الروحية لطرد هذه الأرواح بالشفاعة والرقيّة، وقد شجعت الحكومة نوعاً ما هذه الخرافات وقدمت المساعدة لشيوخ الزوايا وخصت قسماً للعناية بهؤلاء المرضى، وكما في المثال التالي: " فقد عينت السلطنة

---

١ –سجل حلب محاكم شرعية ٨٥، صورة ١١، وثيقة ص١٨ تاريخ ٢٣ رجب ١١٦٧ هـ/ ١٧٥٣م .

٢–الطويل، التصوف، ص٥٤

٣ جيب وبوين ،ج٢،ص٢٣٥–٢٣٦.

٤– المرادي، سلك الدرر، ج٢، ص٨٢.

٥– الطباخ، إعلام النبلاء، ج٧، ص٦٢.

٦– حنا ، حركات العامة ،ص٧٣.

السيد الشيخ محمد ابن السيد أحمد بدلاً من السيد أبوبكر بوظيفة المشرف على رعاية وشفاء المرضى في المشفى العقلي لوقفية زاوية الملك الظاهر في مدينة حلب"[١]. وقُصد هؤلاء الشيوخ للتنبؤ بالسفر والتجارة والحمل والشفاء، وأجوبتهم كانت واضحة أحياناً ، وغير مفهومة أحياناً لحفظ خط الرجعة في حال عدم تحقق ما تنبؤوا به للزبون ، ومقابل ذلك تأتي عليهم الأموال من الفئات العامة والخاصة ، فسمة العصر آنذاك كفلت لمدعى هذا النوع من التصوف، الاحترام والتقدير وقبول كل مظاهر الدجل والشعوذة، فقد تغلغل نفوذهم في كل فئات المجتمع، وساعدهم ايمان الحكام الأثرياء بهم وبدجلهم، بل ومدّوا بالمال الذي أوصلهم للترف، فسذاجة الناس أغنت هؤلاء المتصوفين عن التزود بدراسة علوم الدين وتحمل المشاق في ميادين العمل ، وأغنتهم أيضاً عن التزام الصدق في عبادة الله والزهد [٢]. ووجد العديد من المتواكلين والدجالين والمشعوذين الذين يتكسبون الأموال والأرزاق من وراء لبس الخرق والانتساب للطريق [٣].

وهناك فئة من المتصوفين، لا هي من علماء المتصوفة ولا هي من عامتهم ، وهؤلاء لم يعتكفوا للانقطاع للعبادة ، بل شاركوا في المجالات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، وكان منهم من يعمل في صفوف طوائف الحرف أو الصناعات المختلفة[٤].

ج-ملامح الطرق الصوفية :

اتسمت الملامح الصوفية بعلاقة تكاملية، جمعت بين الشيخ والمريد والعهد القائم بينهما:

١-**الشيخ** : هو الأستاذ للمريد، فالمريد لا يستطيع في نظر الصوفية، أن يسلك هذا الطريق بمفرده، فالشيخ هو الذي يحدد لمريده طريق الوصول إلى الله، ويساعده على السير، والشيخ المسلك هو الذي سلك الطريق على يد شيخ واصل، فترقّى في المقامات من مقام التوبة إلى مقام المشاهدة ثم عاد بعد اعتلاء تلك المقامات، ليقوم بالشريعة ، ويسلك الناس في مراحل الطريقة[٥].

ويشترط على الشيخ، التحلّي بصفات عدة منها :الورع عن جميع المحارم، والزهد في الدنيا وألا يشرع في مداواة غيره إلا بعد فراغه من مداواة نفسه، وحتى يكون على علم يهدي به العباد، فإذا مرض مريده بسبب شبهة في علم التوحيد داواه، وإذا تحيّر في مسألة من مسائل الفقه

---

١ -سجل حلب أوامر سلطانية رقم ٢١ ، صورة ٦٧، ص ٥٧ ،وثيقة ٩٣، ١٣ جمادى الأولى١٢٠٣هـ/١٧٨٨م.

٢-جيب وبوين ،المجتمع الاسلامي، ج٢،ص٢٣٥-.

٣-النجار ، الطرق، ص٩

٤-نعيسة ،مجتمع مدينة دمشق،ج٢،ص٤٠٥

٥- الجوهري، التصوف مشكاة الحيران، ص٤٤.

أفتاه، وواجب الشيخ أن يتعرّف على أحوال مريديه، ويتفقدهم ويتابع ظروفهم، ومن ناحية أخرى، ينبغي عليه ألا يتفاخر بالمشيخة أو لقب شيخ، ولقد ترك الشيخ للمريد حرية اختيار الشيخ، والطريقة التي يرغبها فإذا ما تمّ له اختيار الطريقة وشيخها، ينبغي الالتزام به والسير على نهجه وخطاه.

٢-**المريد:**هو سالك الطريق الذي يسير في الطريقة، حسب إرشادات شيخه، فيسلك طريقه كما يرسمه له شيخه، حتى يصل إلى غايته، وتبدأ خطوات المريد نحو الطريق في خطوات ثلاثة تبدأ بالتوبة ، والعهد من الشيخ بطاعة الله ورسوله، والسير في الطريق، والتلقين وهو تعليم الشيخ للمريد كيفية الذكر(١)، ومن أهمّ واجبات المريد نحو شيخه طاعة أوامره، وعدم كتم أي سرّ عن شيخه، بل ينبغي أن يذكر له كل ما يجول بخاطره، من أسرار وخطرات وهموم ومشكلات، فهو طبيبه ومداويه أمّا آداب المريد مع إخوانه، فهي أن يحبّهم، فيحبّ لهم ما يحبّ لنفسه، ولا ينظر إلى عوراتهم، وعلى المريد لشيخه حق التوقير والاحترام، والإنصات لكل ما يقوله وحسن الظن بشيخه، وأن يكون مستعداً دائماً وفي كل الأحوال لخدمة شيخه(٢).

٣-**العهد:** وهو الرابط بين الشيخ والمريد، والعهد هو أوثق رباط بين رجلين تحابّا في الله، وتعاهدا على طاعته، " إنها بيعة لله وفي الله وبالله، والعهد والمبايعة للشيخ معناه الأخذ والمصافحة"، ومبايعة الشيخ مبايعة لرسول الله، فكل بيعة حصلت بعد بيعة الرسول(ص)هي في الحقيقة تجديد لبيعته(٣). ولم تكن هناك أيّ فروق جوهرية بين الطرق الصوفية، إلا أنّ الفروق تأتي من المدلولات الخاصة، لكل شيخ من مشايخ الطرق، وتعني هذه المدلولات الخاصة عند البعض، جملة من الآداب والأخلاق التي يجب على الصوفي التمسّك بها، في حين يرى البعض أنها تمثّل منهج الإرشاد النفسي والخلقي الذي يتبعه المريد، في طريق الوصول إلى الله، وقد يختلف هذا المنهج من شيخ إلى شيخ، في طريقة واحدة، لذلك نجد اختلاف الأوراد والأحزاب والشارات والعمائم والزي بين أتباع الطرق، واختلاف قراءة الورد أو الحزب وشكل القراءة أيضاً، وكذلك اختلاف شكل التعبّد، حيث يفضّل البعض العزلة والخلوة، في حين يرفض البعض الآخر هذه العزلة، ويواصل الاتصال بالناس كما هو عند الشاذلية(٤).

١- عون، التصوف الإسلامي ،ص ٢٧٥، ٢٨٢.

٢-الجوهري،مشكاة الحيران، ١٩٩٦،ص٤٤-٤٧.

٣-النجار ، الطرق الصوفية ، ص ٣٢-٣٩.

٤- عون ، التصوف الإسلامي ،ص٣٣-٣٦.

د-الطرق الصوفية في حلب:

نظمّت الصوفية نفسها في مجموعات خاصة بها ، فالطرق مفردها طريقة، والطريقة الصوفية هي مجموعة من القواعد والأفكار التي تنتسب إليها جماعة ما، ويخضعون لنظام من السلوك اليومي، ويؤدون وظيفة يومية خاصة بطريقتهم، وكان يرأس هذه الطرق شيخ مشايخ، مهمته التحدّث إلى جميع الخوانق والفقراء، ولدى هذا الشيخ سجلات تحمل أسماء النازلين بالتكايا، وسجلٌ بمبالغ الأموال التي كانت تُصرف على كل خانقاه[١].

وقامت الدولة العثمانية بتأييد هذه الطرق وحمايتها، ولا سيما طريقتي البكتاشية والمولوية فالعثمانيون أحبّوا التصوّف، ومالوا إلى تقديس أهله، والإيمان بصدق ولايتهم، ومن ذلك إعفاء العثمانيين، لأتباع بعض الطرق الصوفية من الخدمة العسكرية، وجعل الناس يبادرون للانمتاء إلى تلك الطرق، فراراً من مشاق تلك الخدمة المضنية، وسعت لإحلال الوفاق بين العلماء والمتصوفين وبالفعل فقد حصل إبان الحكم العثماني، وحتى القرن الثامن عشر اتساع الساحة التي اكتسبها التصوف[٢].

وبالنسبة للمؤسسات الصوفية، فلم يتخذ أهل الصوفية مكاناً مخصصاً واحداً، لإقامة حلقات الذكر والمناقشة، بل اتّخذوا معظم المؤسسات التربوية الدينية، وذلك لنشر التربية الصوفية، كدُور العلماء والمساجد والزوايا والتكايا والمكتبات والمدارس والمجالس الأدبية، فكان لكل جماعة صوفية شيخها وزاويتها وتكيتها وطريقتها[٣]، وأما الطرق الصوفية التي كانت منتشرة في حلب في فترة البحث، فهي :

---

١ -نعيسة ، مجتمع مدينة دمشق، ج٢، ص٤٠٧.

٢-الصباغ ،المجتمع السوري،ص١٨٨. عامر، تاريخ الدولة العثمانية،ص١٤٩.

٣-قاسم، المذاهب الصوفية ، ص١٣٢.

١-**الطريقة القادرية أو الجيلانية**[١]: اتّسمت هذه الطريقة بشكل عام، بالطابع الخلقي في تربية التلاميذ، بغية إيصالهم إلى تجريد التوحيد، والحضور في موقف العبودية، وكان أصحابها يلبسون الزي الأخضر، وبيارقها وعمائم أتباعها بيضاء، وأقام اتباعها الذكر في جامع الطرنطائية في باب النيرب، وفي جامع قرلق، وفي جامع قسطل الحرامي[٢]،وذكرت وثائق المحكمة الشرعية أماكن إقامة شعائر الذكر في الزاوية الهلالية[٣]، إضافة أنه في العام ١٧٩٢ صدرت تعليمات من الباب العالي، من أجل تأمين نفقات المشايخ، وطلبة العلم الذين يتبعون الطريقة القادرية، في مدرسة المنصورية في حي الفرافرة بحلب، وشراء بعض العقارات من (خان ونزل ودكاكين) ووقف ريعها لتأمين حاجات المدرسة، واعفاء المشايخ والطلاب من الضرائب[٤].

ومن أهمّ أعلام وشيوخ هذه الطريقة في حلب، في فترة البحث: سعد اليماني (ت١٧٦٠) الذي سكن في حلب مدة أربعين سنة، وقام بتربية الأطفال، بالمكتب الكائن بمسجد البهرمية، مع الشيخ محمد هلال شيخ القادرية، ثم أذن له في افتتاح الذكر، وجعله خليفة له بحياته، ومحمد بن شيخة صغيرة (ت١٧٦١)، وكان منشداً في حلقة القادرية، وأخذ الطريقة عن الشيوخ عبد اللطيف والسيد محمد بن الأصفر والشيخ صالح المواهبي، وايضاً القاضي أحمد أفندي طه زاده خليفة (ت ١٧٦٣) وابو بكر بن أحمد الهلالي (ت ١٧٦٩) والذي أخذ الطريقة القادرية عن الشيخ محمد هلال، وأحمد بن محمد الحلوي (ت١٧٨٠) ومؤلفاته (مطالب السعادات في الصلاة والسلام على

١-الجيلانية : نسبة لعبد القادر الجيلاني ٤٧١ ــ ٥٦١ هـ / ١٠٧٧ ــ ١١٦٥ م . ولد في قرية جيلان وراء طبرستان يعود نسبة إلى الإمام الحسن بن علي رضي الله عنهما، انتقل إلى بغداد شاباً، فاتصل بشيوخ العلم والتصوف، وبرع في أساليب الوعظ، وتفقّه وسمعَ الحديث، وقرأ الأدب وتفرّغ للتدريس والإفتاء في بغداد، وتوفي سنة ٥٦١هـ ونشر تلامذته مذهبه في العالم الإسلامي ، نسب أتباع القادرية لشيوخهم، وعلى الأخصّ للجيلاني عدداً لا يحصى من الكرامات، منها، قولهم أنه صلّى الصبح أربعين سنة بوضوء العشاء، وأنه كان يسير في الهواء، وعلى رؤوس الناس ويخاطب الجن ويهديهم، وأنه صام رمضان وهو في المهد فلم يرضع من الفجر إلى الغروب طوال الشهر، وأن الناس صاموا لصومه وأفطروا في عيد الفطر لفطره، وللجيلاني مؤلفات أهمها – الغنية لطالبي طريق الحق عز وجل، فتوح الغيب، الفيوضات الربانية، جلاء الخاطر في الباطن والظاهر،كحالة معجم المؤلفين، ج٢ ،ص٢٥، الجندي، تاريخ معرة النعمان،. ص ٢٥٩.عبد القادر الجيلاني، **الفتح الرباني والفيض الرحماني**، (٤٧٠-٥٦٠هـ) دار الريان للتراث ص٩.

٢-الاسدي، موسوعة ص١١٦.

٣- سجل حلب أوامر سلطانية رقم ٩ ، صورة ٤١، ص ٧٠، وثيقة ٨٤، تاريخ ١١٨٥هـ/١٧٧١م.

٤- سجل حلب أوامر سلطانية رقم ٢٣ ، صورة ٧٥، ص ٦٤، وثيقة ٨٧، تاريخ ١٢٠٧ه/١٧٩٢م.

سيد السادات) و(التوضيح والتبيان). والشيخ محمد هلالي (ت١٧٨٩)[١].وذكرت إحدى الوثائق عن دور شيوخ الطريقة بالأشراف على التكايا " ففي العام ١٧٩٧ عُيّن الشيخ عبد الكريم القادري مشرفاً على تكية الطائفة الهندية وإطعام فقراء الهنود لقاء إجرة يومية قدرها عشر أقجات.."[٢].

٢-**الطريقة المولوية**[٣]: حافظت الطريقة على تقاليدها الخاصة، بتسليك المريدين، وكانت تتزين باللون الأبيض، وأطلق على أتباعها اسم "الدراويش الراقصين" وسموا بذلك للرياضة الخاصة التي يقومون بها، كجزء من نظامهم، وهي دوران الواحد منهم على نفسه، وعلى قدمه اليمنى فقط، أثناء قيامهم بشعائر الذكر، وعلى أنغام الموسيقى حتى يتحول الدوار الذي يحس به إلى نشوة [٤] وجرت العادة بعقد مجالسها في يوم الاثنين والجمعة من كل أسبوع وفي ليلة ٢٧ رجب والنصف من شعبان والمولد النبوي الشريف وليلة القدر، وكانت تشارك بقية الطرق الصوفية، بتوديع شهر رمضان بتلاوة الأوراد والأذكار والتهليل والمدائح النبوية [٥]،وقد اجتمع اتباعها في جامع المشط [٦]، كما ذكرت وثائق المحاكم الشرعية في حلب، مشايخ هذه الطريقة مثل : حسن داده شيخ تكية المولوية في العام ١٧٥٤م[٧]، ومن بعده تولى ابنه محمد أفندي في العام ١٧٥٦م[٨]، وأيضاً الشيخ مصطفى داده وقد وجه له كتاباً في العام ١٧٦٠ " للدعاء بعد الصلوات الخمس للدولة بالعزة والمتعة، وذلك مؤيد من حضرة مولانا جلال الدين الرومي قدس الله سره

١- الطباخ، أعلام النبلاء ج١، ١٩٨٨م. ص ١٩، ٤٤،ص١٢٦،١٠٦،١٠٥،٧٣.

٢- سجل حلب أوامر سلطانية رقم ٢٥ ، صورة ١١٦، ص ٨٦، وثيقة ١٦٢، تاريخ ٢٦ ذي القعدة ١٢١٢هـ/١٧٩٧م.

٣-المولوية :طريقة دراويش، مؤسسها في قونية الصوفي والشاعر المشهور جلال الدين الرومي الملقب بـ (مولانا) ، وأول ظهور لهذه الجماعة كان في الأناضول، في القرن الثالث عشر، وكانت طوع أمر مشايخها لا تتأخر إذا صدر الأمر عن خوض الحرب ومعها النساء والأطفال، ولا تؤمن بأن الموت المادي يدرك مشايخها . ولكنها أبطلت اليوم وأهلها متمسكون بدينهم وكان أتباعها يقيمون (حلقات الذكر) بالأناشيد والرقص على إيقاع آلات الطرب، ولهم أهمية سياسية واجتماعية ودينية، وانتشرت تكاياهم في أنحاء الدولة العثمانية، ولا يزال قبر مؤسسها في قونيه حتى الآن. محمد فؤاد كوبريلي، **قيام الدولة العثمانية**، ترجمة أحمد سليمان ،ط١،القاهرة،دار الكتاب العربي،١٩٦٧م، ص١٥٦.

٤-الصباغ ، المجتمع السوري، ص١٨٦.

٥-عامر ، الدولة العثمانية ، ص١٦٧.

٦-الأسدي، موسوعة ،ص١١٦.

٧- سجل حلب محاكم شرعية رقم ٨٥، صورة ١١٤ ، ص ٢٢٣ ، تاريخ ١٥ رجب سنة ١١٦٨هـ/١٧٥٤م.

٨ - سجل حلب محاكم شرعية رقم ٨٧، صورة ٦٣، ص ١١٤، تاريخ ١ ذي الحجة ١١٧٠ سنة ١١٧٠هـ/١٧٥٦م.

وكذلك الدعاء للفقراء والعطف عليهم حسب التعليم الإسلامي واخبارهم عن أهل السعادة في الدارين.."[١]، وأيضاً في العام ١٧٧٣ وجّه أمر إداري بتكليف محمد علي، لمشيخة مولوبخانة(التكية المولوية)[٢]، وكما منح شيخ الإسلام في العام ١٧٩٨براءة سلطانية، إلى الشيخ محمد علي، بتوليته أوقاف المولوية خان بجوار قلعة حلب، لما يتمتّع من التقوى، ويتعاطى أجور وظيفتها من ريع حاصلات الوقف[٣].

٣-**الطريقة النقشبندية**[٤]: تميّزت النقشبندية بنوعين من الذكر الجهري والخفي، فذكر الله قد يكون باللسان أو بالقلب، أو بالجمع بينهما، وشاه نقشبند قصر ذكر الطريقة على الخفي أي الذكر القلبي، لأنه أعلى مراتب الذكر ، وإن كافة الطرق الصوفية يبدأ المريد فيها الذكر باللسان، ثم يترقى إلى الذكر بالجنان، أما النقشبندية فإن بدايتها ذكر القلب ونهايتها الحضور الدائم مع الله، وفي ذلك ما قال شاه نقشبند " نحن أدرجنا النهاية في البداية". واشترط في شيخ الطريقة، أن يكون من أهل العلم والذكر وملماً بالضرورات حتى لا يضلّ أحد يسأله، وقد يستعين بالفقهاء في بعض الأمور الدقيقة الشائكة، وسمّيت طريقة العلماء، لأنها بعيدة عن الضبابيات، بعيدة عن أن يتصدر للإرشاد فيها رجل لم يطلب العلم الشرعي، واشتهر النقشبندية بمحبتهم لمشايخهم وتفضيلهم عن آبائهم الحقيقيين [٥]. وأقام اتباعها شعائرهم في جامع الكلتاوية وجامع العدلية[٦] . ومن أشهر أعلام طريقتهم في فترة البحث غياث الدين البلخي الشافعي المتوفي سنة ١٧٦١[٧] ،وعبد الجواد الكيالي

١- سجل حلب أوامر سلطانية رقم ٦ ، صورة٩ ص ١٢، وثيقة ٣٢، تاريخ ١ ذي القعدة ١١٧٤هـ/١٧٦٠م.

٢- سجل حلب أوامر سلطانية رقم ١١ ، صورة ١٤، ص ١٥، وثيقة ١٩، تاريخ ١جمادى ١١٨٧ه/١٧٧٣م

٣- سجل حلب أوامر سلطانية رقم ٢٧ ، صورة ٥٦، ص ٧٢، وثيقة ٩٩، تاريخ ١١ شعبان ١٢١٣هـ/١٧٩٨م.

٤-النقشبندية : وهي الأصل لجميع الطرق الصوفية في بلاد الشام، طريق دراويش، أسسها محمد ابن محمد ابن بهاء الدين المعروف البخاري ١٣١٧ - ١٣٨٩ في فارس، المعروف بشاه نقشبند ، صوفي، من كبار أهل بخارى، وتمتاز بطريقة خاصة في الذكر، ولها فروع في الصين وتركستان وتركيا. قبره في بخارى، من كتبة(الأوراد البهائية سلك الأنوار وهدية السالكين). المنجد في اللغة ، ص ٥٧٦. محمد أحمد درنيقة ، **الطريقة النقشبندية وأعلامها**، جروس برس،١٩٨٧،ص ١٨-٢١.

٥-درنيقة ، الطريقة النقشبندية ،ص ١٨-٢١.

٦-الاسدي ، موسوعة ص١١٦.

٧-اعلام النبلاء، ج٧،ص٢٣

الرفاعي النقشبندي[١]وأحمد بن أبو السعود الكواكبي المتوفي سنة ١٧٨٢، ومصطفى بن إسماعيل الشهير بروحي الكلزي المتوفي سنة ١٧٨٥[٢].

٤-**الطريقة الرفاعية**[٣]: انتسب أتباعها إلى الطريقة على وجهين، إما انتساب بركة: أي أنّ يلتمس المريد من الشيخ، دون أن يلزم نفسه بالرياضات والشعائر، أو انتساب إرادة، وهو أن يسلك أصول الطريق وممارسة الشعائر والارتقاء في درجات الطريقة [٤]، واشتهر اتباعها "بكرامات وخوارق" كالتعامل مع الثعابين وإخضاع الحيوان والتأثير عليه، وإدخال الاسلاك والادوات الحادة في أجسادهم بعد تلاوة بعض الآيات القرآنية، دون أن يصابوا بأذى[٥]، وعللوا مقدرتهم بأن الروح تغادر الجسد في حال الغيبوبة وتتصل بالخالق وهذا يجعل الجسد غير حي. وكان من عادة هذه الطريقة المصافحة لزعمهم أن الشيخ الرفاعي صافح النبي (ص)، وتأكيدهم على رابطتهم الحسية والمعنوية مع النبي[٦]. واشتهرت الرفاعية بالعلم الأخضر، والزي الأسمر، وكان يقام الذكر على طريقتهم في زاوية الرفاعي في البيّاضة، وفي زاوية سلطان تحت القلعة ، وفي جامع سلطان في قاضي عسكر، وفي زاوية الأربعين في المعادي، وفي جامع البق في ساحة بزة، وفي زاوية الطيبي في سراية[٧].ومن أهمّ شيوخهم في حلب في فترة البحث الشيخ عمر بن شاهين الرفاعي (ت١٧٦٩)، ومحمد ابن إبراهيم العاري الرفاعية (ت ١٧٨٥) ،وبعده محمد بن عمر بن شاهين الرفاعي[٨].

١- المرادي، سلك الدرر،ج٢، ص٢٣٩.

٢-اعلام النبلاء،ج٧، ص ٣٣-٣٤

٣-الرفاعية : نسبة إلى أحمد بن علي الرفاعي وقد ولد سنة ٥١٢هـ/١١١٨م في ثرية حسن بالبطائح(بين واسط والبصرة) وهو من قبيلة رفاعة، وقد درس الفقه والأدب في واسط في العراق، وتصوّف وانضمّ إليه كثير من الفقراء كان لهم به اعتقاد ، وتوفي بأم عبيدة بالبطائح. صلاح عزام، **أقطاب التصوف الثلاثة (البدوي،الرفاعي،القناوي)**، تقديم عبد الحليم محمود، دار الشعب، القاهرة ، ١٩٦٨، ص ١٩،

٤-النجار، ص٦٩.

٥-عزام ، اقطاب التصوف، ص٣٦

٦- عامر، الدولة العثمانية ، ص١٥٨.

٧-الاسدي ، موسوعة ص ١١٦

٨- الطباخ ، اعلام النبلاء، ج٧، ص ١٥٩،١٢٧،٤٧ .

٥ـ **الطريقة السعدية أو الجباوية**[١]:تنسب إلى مؤسسها سعد الدين بن مزيد بن يونس الشيباني وقد لبس الخرقة عن والده ، وانتشرت الطريقة في البلاد الشامية واستانبول، وهي من فروع الرفاعية لكن اختلفت عنها في التسليك في البيعة وإقامة الذكر، وما يميز أتباع هذه الطريقة إكثارهم من ذكر الله، حتى إذا طاب لهم الذكر تواجدوا واضطربوا وتساقطوا على الأرض وأوردت إحدى الوثائق في العام ١٧٦٦ خبر إقامتهم لحلقات الذكر في زاوية الشيخ جاكير خارج باب النيرب[٢]. واتخذوا اللون الأخضر زياً لهم، واستخدم اتباعهم موشحات ألفها عبد الغني النابلسي، وبخصوص أعلام وشيوخ هذه الطريقة، فقد دلت إحدى الوثائق في العام ١٧٦٣ عن مساعدة مادية قدّمها " شيخ الطريقة الصوفية السعدية خالد بن وليد الدمشقي للشيخ عبد القادر شيخ البحر نظراً لفقر حاله، وكثرة عياله واقترح اعطاءه عملاً في خان الجمرك بحلب لقاء بعض أقجات .. وقد أمر قاضي حلب بتلبية طلبه[٣]. ومن أعلام الطريقة أيضاً الشيخ حسين السعدي (ت ١٧٩٠)[٤].

٦-**الشاذلية**[٥]: هي من فروع الرفاعية، والانتساب للطريقة عن طريق أخذ العهد، أي بالمصافحة ثم التلقّي والمتابعة ، ودعت أتباعها إلى تأويل آيات القرآن تأويلاً باطنياً، وبصرف الآيات عن مرادها، وذكر في أحد المخطوطات لمؤلف مجهول بأن: "الطريقة الشاذلية جاءت بالأسلوب العجيب والمنهج الغريب جمع في ذلك بين العلم والحال والهمة والمقال واشتملت طريقته على السلوك والجذب والمجاهدة واحتوت على الأدب والقرب والتسليم والرعاية تشيدت بالعلمين

١-السعدية أو الجباوية :.المنجد في اللغة، ص ٦٢٧. عامر، الدولة العثمانية ص١٦٤.جيب وبوين، المجتمع الاسلامي ،ج٢،ص٢٢٦.

٢- سجل حلب محاكم شرعية رقم ١٠٢، صورة ٩٧ ، ص ١٨٤، تاريخ ٢٤ رجب ١١٨٠هـ/١٧٦٦م.

٣ -سجل حلب أوامر سلطانية رقم ٧ ، صورة ٧، ص ١٦، وثيقة ٢٠، تاريخ أواخر ذي الحجة ١١٧٧هـ/١٧٦٣م.

٤- الطباخ ،اعلام النبلاء ،ج٧،ص١٥٥.

٥-الشاذلية : أسسها عبد السلام بن بشيش. وسميت بالشاذلية نسبة إلى أبي الحسن الشاذلي «من شاذلة بتونس» أو تابع لعبد السلام بن بشيش . كان مركزها في الجنوب المغربي، موطن الجزولي، وقد استوطن الشاذلي في الإسكندرية عام ٦٤٢ هـ/١٢٤٥م مع تلاميذه ومريديه، وتتلخص تعاليمها في أصولها التالية :تقوى الله سراً وعلناً - اتباع السنة قولاً وفعلاً - الإعراض عن الخلق إقبالاً وإدباراً - الرضى عن الله . المنجد في اللغة ، ص ٦٢٨

الظاهر والباطن من سائر أطرافها ....."[١]. وهم يجتمعون بعد صلاة الصبح، في المسجد ويذكرون الله قعوداً، ثم قياماً [٢]، ومن بعض كراماتهم التي ادّعوها أن الذين يتبعون هذه الطريقة لا يدخلون النار، مستندين إلى قول الشاذلي: "أعطيت سجلاً مدّ البصر، فيه أصحابي وأصحاب أصحابي إلى يوم القيامة عتقاء من النار"، كما زعموا أنهم مختارون في اللوح المحفوظ، إن المجذوب منهم يرجع إلى الصحو، وإن القطب منهم إلى يوم القيامة[٣].واجتمع أتباعها في جامع دكاكين حجيج[٤]،وكان من شيوخها في حلب، عبد الغني بن صلاح (ت ١٧٩٠)[٥].

٧-**الطريقة الوفائية**[٦]: وهي من فروع الشاذلية، واجتمع اتباعها في التكية الوفائية شمال حلب وذكرتها الوثائق الشرعية في قضايا عدة، ففي العام ١٧٧٣ "وجه أمر سلطاني بتخصيص مبلغ من إيرادات أوقاف ساقز-واولوقشلا-قلعة قوش أطه سي للعاملين في الطريقة الدرويشية، في زاوية أبو بكر الوفائي في حلب.."[٧]. وأيضاً كان لهذه الطريقة أوقاف كوقف حضرة الشيخ أبي بكر الوفائي في قرية باب الله التابعة لناحية جبل سمعان[٨]، ومن أهم أعلامها وشيوخها في فترة البحث مصطفى بن حسين الوفائي المتوفي سنة ١٧٩٨[٩].

١- مجهول المؤلف، **التصوّف على الطريقة الشاذلية**، مخطوط كتب في القرن السابع عشر الميلادي، يحتوي الشعائر والأخلاق والتقاليد الإسلامية ،منشورات جامعة الملك سعود. راجع صورة عن المخطوط في الملحق رقم٨

٢-الجندي، تاريخ المعرة ، ص٢٦٥

٣-النجار ، ص١٣٨-١٣٩.

٤-الاسدي،موسوعة ص١١٧.

٥- اعلام النبلاء،ج٧،ص١٣٦.

٦- نسبة إلى الشيخ "أبو بكر بن أبي الوفا"، ولد في محلة سويقة علي ٩٠٩هـ/١٥٠٣م ، توفي في العام ١٥٨٣ أما من قام ببناء حُجرة الضريح والاعتناء ببناء المسجد والإنفاق على التكية الوفائية، فهو "أحمد القاري" المتوفي في العام ١٠٤١ هجرية ١٦٣٢ ميلادية وقبره قائم بجوار المسجد، ولقد كان ولاة "حلب" من الدولة العثمانية، يقيمون في هذه التكية منذ نشأتها الأولى إلى أواسط القرن الثالث عشر الهجري وكان كثير منهم يعتنون بشأن التكية ويحرص كل واحد منهم على أن يترك له فيها أثراً ومن ذلك أنّ ثمة قاعة كبيرة مزدانة بالقاشاني كانت قائمة فيها. الطباخ، اعلام النبلاء،ج٦ ، ص١٠٨ . الاسدي، احياء حلب،ص٤٩.

٧- سجل حلب أوامر سلطانية رقم ١١، صورة ٢٥، ص ٣٢، وثيقة ٣٩، تاريخ ١١٨٧ه/١٧٧٣م . سلك الدرر ،ج٤ ، ص٣٨.

٨- سجل حلب محاكم شرعية رقم ٨٥، صورة ٩٢ ، ص ١٨٠ ، تاريخ ٨ ذي القعدة سنة ١١٦٧هـ/١٧٥٣م. سالنامة حلب ١٣٠٦ ، ص٨٣

٩- اعلام النبلاء،ج٧،ص١٤٨.

٨-**الطريقة القلندرية**[١] :اجتمع مشايخ ودراويش القلندرية، في تكية بابا بيرم، وكان عددهم قليلاً قياساً بالطرق الصوفية الموجودة[٢]، وأشارت إليهم الوثائق من خلال تعيين مشايخ لطريقتهم ففي وثيقة تعود للعام ١٧٥٦"ورد تعيين الشيخ حسن ابن الشيخ إسماعيل شيخ تكية وزاوية بابا بيرم بعد مطالبة دراويش التكية بذلك لأنه أمين ونظيف قادر على رعاية آداب الطريقة.. فأذن المفتي له القيام بذلك على شرط الواقف ومقتضى الطريقة السنية بوجه الديانة والأمانة والاستقامة.."[٣]. وفي العام١٧٧٣ تم تجديد براءة سلطانية للشيخ أحمد لوظيفة شيخ ومتولي هذه التكية[٤]،وبعده الشيخ عمر داده بن بيرام توفي ١٨٠٠م[٥].

٩- **البكتاشية** : سمّيت بهذا الاسم نسبة إلى الحاج بكتاش ولمن اتبع طريقته، وكان حاجي بكتاش من كبار شيوخ خراسان، وقد ولد في نيسابور، ويقال بأن له كرامات كثيرة، وكان معلمه هو الشيخ(لقمان رنده) والخوجة (أحمد ياسوي)، ومن المعروف أن الحاجي بكتاش، بارك في عهد السلطان أورخان ١٣٢٤-١٣٦٠م تأسيس الجيش الانكشاري، لكن في روايات أخرى تفيد بأن الحاجي بكتاش، توفي قبل أن يُفكر بالانكشارية، واتخذ الانكشارية بكتاش ولياً لهم[٦]، فأصبحت البكتاشية الطريقة الصوفية الروحية لهم[٧]، وهذه الطريقة تقول بالمساواة الأصلية بين المذاهب وهم شيعة يعترفون بالأئمة الاثني عشرية، ويقدّسون علي بن أبي طالب .

انتشرت البكتاشية بين السكان في حلب، عن طريق القوات الانكشارية، وذلك بعد تغلغلهم في الفئات المتوسطة والدنيا عن طريق المصاهرة ، وانخراطهم في الصناعات الحرفية، وقد أدت

٨-القلندرية : وهي تنسب إلى قلندر بن يوسف، عربي أندلسي، وقال الغزي بأن طائفة القلندرية تنسب إلى الشيخ جمال الدين محمد الساوجي الزاهد، قدم دمشق وقرأ القرآن والعلم، وظهرت هذه الطريقة لأول مرة في دمشق ١٢١٣م وكان أصحابها يحلقون لحاهم وشعر حواجبهم، وأزالوا رموشهم، ويزعمون أن ذلك من الطقوس والعبادة، المنجد في اللغة ، ص ٦٢٥. الغزي، نهر الذهب، ج٢،ص٤١٠.

٢- الغزي، نهر الذهب، ج٢، ص ٤٠٩.

٣- سجل حلب محاكم شرعية رقم ٨٧، صورة ٦٣، ص ١٠٨، تاريخ ١٥ رمضان ١١٧٠ سنة ١١٧٠هـ/١٧٥٦م.

٤- سجل حلب أوامر سلطانية رقم ١٤ ، صورة ١٢٩ ، ص ١٩١ ، وثيقة ٢١٦ تاريخ ١١٩١هـ/١٧٧٧م

٥- إعلام النبلاء،ج٧،ص١٤٩.

٦- الصباغ، المجتمع السوري،ص ١٨٥.

٧- المنجد في اللغة ، ص ١٣٢، عامر ، تاريخ الدولة العثمانية،ص١٦٧.

البكتاشية دوراً سياسياً كبيراً لاتحادها مع الانكشارية ، وربما يكون السبب لمنع السلطات السنّية من ملاحقتهم[١]، بالرغم من وجود الاختلاف فيما بينهم في المسائل الفقهية.

ه_ **مراسِم الطرق الصوفية**[٢]: خضع أتباع الصوفية لتنظيم إداري متدرج، مكوّن من أربع مراتب(مريد، جاويش، نقيب، خليفة)، وكان المريد يبدأ حياته الصوفية، بأن يكون (جاويش) للخدم ثم جاويش للقهوة، ويتدرّج ليكون (نقيباً) لمجلس الذكر، ثم نقيباً للسجادة التي يحملها، فنقيباً للشيخ ثم يحصل منه بعدئذ، على الإذن بالتسليك، وتلك هي مرتبة الخلافة عند الصوفية[٣]، ولا يضع السالك قدمه في المرحلة الثانية، حتى يجتاز المرحلة التي قبلها، وتمثّلت أحوال المقامات في الصوفية والتي هي طريق العبادات والمجاهدات، والانقطاع إلى الله عز وجل في التوبة[٤]،والزهد، والفقر، والولاية والتوكل، والذوق، والصبر، والحب الإلهي[٥].**ومن خصائص ومميزات الطرق الصوفية :**

لباس الخرقة : يتمّ لبس الخرقة الصوفية أو المرقعة، عبر مراسم بين الشيخ والمريد، وجماعةٍ من الحضور، من أتباع الطريق ومشايخه، ويرى الصوفية أن في لبسِها معنى المبايعة، وأنها تمثّل عتبة دخول المريد في صحبة الشيخ الذي يتولى تربيته وتهذيب أخلاقه وتقويم

١- الصباغ، المجتمع السوري، ص ١٨٦.

٢-الطريقة الصوفية: وجمعها في اللغة طرائق، وهي سيرة الرجل أو حالته أو مذهبه، أما الطرق في اللغة جمع طريق، وجمع الجمع طرقات، وهو السبيل الذي يطرق بالأرجل أي يضرب، وأطلقت الطريقة على مجموعة الآداب والأخلاق التي تتمسك بها طائفة صوفية ما وأصبحت لفظة طريقة صوفية. تشمل مجموعة أفراد من المتصوفين الذين ينسبون إلى شيخ معين، ويخضعون لنظام في السلوك اليومي، أو يحيون حياة اجتماعية في إحدى الزوايا أو الخانقاه، أو في بعض المدارس أو الجوامع، ويلتقون بشكل دوري أو في مناسبات دينية أو رسمية، أو عندما تمس الحاجة، فيعقدون مجالس العلم والذكر بانتظام، ويتباحثون في المشاكل المختلفة، وبهذا يمكن اعتبارهم تنظيماً اجتماعياً له تأثيره الواضح في المدينة. الطويل، التصوف إبان العصر العثماني، ص ٧٢.

٣- نجار ،الطرق الصوفية، ص١٨.

٤-التوبة : فهي أول المقامات، وبمثابة الأرض للبناء، فمن لا توبة له لا حال ولا مقام له. قاسم ، المذاهب الصوفية،ص٨٨.

٥-الحب الإلهي : محبة لله هي الغاية القصوى من المقامات، والذروة العليا من الدرجات، فما بعد إدراك المحبة مقام إلا وهو ثمرة من ثمارها، وتابع من توابعها، كالشوق والأنس والرضا.والمحب يبتعد عن الناس ويخلو لله عز وجل، فمحبة الله ترفعهم إلى درجة المقربين. قاسم، المذاهب، ص١٠٩

سلوكه[١]، ويعتمد الصوفية في لبس الخرقة على حديث نبوي"((عليكم بلباس الصوف تجدون حلاوة الايمان في قلوبكم))[٢].

الذكر: استحضار ذكر الله سبحانه، وممارسة العبادات بالقلب واللسان والأفعال، وللذكر طريقته وأنواعه وأحكامه وآدابه.وكانت تقام الأذكار في حلب نهاراً وليلاً على نور خافت، ويغلب أن تكون بعد صلاة الجمعة، ويسودها الاعتقاد والجلال، وترمى وسط حلقة الذكر، قارورات الماء ليشرب المرضى، ويغلب أن يتخللها مع الذكر، النشيد وأنغام النشيد مما يلي: الرصد والبياتي والحجاز والصبا والزنجران والنوا والكرد والعجم. ويصحبها المزهر والطبل الصغير والطبلات والصنج، وهي ضرورية لأن الذكر يشترك فيه مع اللسان، هزات الجسم كله على إيقاع منظم لذا كانت أدوات موسيقاه آلات الإيقاع، حتى إذا بطل عمل اللسان وصارت الحنجرة وحدها تذكر الله بصوت))[٣]. إلى جانب مميزات صوفية أخرى مثل :الخلوة[٤]. السماع[٥] . الموالد[٦]. الكرامات[٧].

١-أبو حفص عمر السهروردي، عوارف المعارف ، مؤسسة الحلبى ، القاهرة، ١٩٦٨، ج ٥، ص١١٠ -١١٤.

٢-النجار ، الطرق الصوفية ، ص٣٠.

٣- الاسدي موسوعة ص١١٦ ،الطويل،ص٦٣، النجار، ص ٣٥-٣٧،

٤-الخلوة: نوع من الاعتكاف، والانقطاع عن البشر لفترة محدودة، وترك للأعمال الدنيوية لمدة يسيرة، كي يرتاح أو يفرغ القلب من هموم الحياة التي لا تنتهي، ويستريح الفكر من المشاغل اليومية التي لا تنقطع، ثم ذكرٌ لله تعالى بقلب حاضر خاشع، وتفكرٌ في آلائه تعالى، آناء الليل وأطراف النهار، وذلك بإرشاد شيخ عارف بالله، يُعلِّمه إذا جهل، ويذكِّره إذا غفل، وينشطه إذا فتر، ويساعده على دفع الوساوس وهواجس النفس، وثبتت مشروعيتها بأنها تأتي اقتداء برسول الله(ص)؛ فقد كان يخلو بغار حراء يتعبد الليالي ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله، حتى جاءه الحق،. والقصد من الخلوة السلامة من آفات اللسان والنظر، وحفظ القلب وصونه عن الرياء والمداهنة وغيرهما من الأمراض وحصول الزهد في الدنيا والقناعة منها، والسلامة من صحبة الأشرار و التفرغ للعبادة والذكر، والعزم على التقوى والبر. ومن ثمرات الخلوة يكشف المريد عالم الغيب ويعطى القدرة على فعل الكرامات. الطويل، التصوف، ص ٦٩.

٥-السماع: الغناء والموسيقى ، وإنشاد الشعر والمنظومات ،وإذا كان السماع بهدف اللعب بالغرائز والشهوات فهو منهى عنه ، وقد لاقى هذا النوع الصوفي معارضة من بعض المذاهب . النجار ، الطرق الصوفية، ص٤٠.

٦-الموالد: الاحتفال بذكرى شيوخ الطرق الصوفية وأولياء الله الصالحين ، وساعد تعدد الموالد وانتشارها أضرحة ومقامات مشايخهم الكبار والاحتفال بموالدهم ، النجار ،ص٤٧

٧-الكرامة : الأمر الخارق لقوانين ونظم الطبيعة والحياة لما تعود عليه البشر، وهذا الأمر يخص أولياء الله العارفين به ، وهو القادر الفعال لما يريد ،. النجار ، الطرق الصوفية ، ص٤٨.

و-العلاقة بين الطرق الصوفية والتنظيمات الحرفية:

وجدت من خلال التركيب البنيوي، والهيكلية الاجتماعية للتنظيمات الحرفية، علاقات فكرية واقتصادية وسياسية ودينية تربطها بتنظيمات الطرق الصوفية، فيما يتعلّق بتوافر الشروط في أهل التنظيمين كالصدق، والوفاء، والكرم، والمروءة وغير ذلك من الصفات التي جاهد أصحاب الحرف في التمسك بها، فكان لكل حرفه شيخ مرشد يمتد نسبه لأحد الأولياء، وإذا تحققت قاعدتا النسب النبوي والمرشد الصوفي لشيخ الحرفة فإن ذلك يعزز سلطته على الحرف والصنائع فتختلط المصلحة الحرفية ببركة الشيخ ، كما استمدت التنظيمات الحرفية من الطرق الصوفية شعائرها وتقاليدها وأفكارها الروحية، مثل المواكب الخاصة بأعضائها، ومواسمها في زيادة مؤسسيها وأوليائها[١].

وكان للتنظيم الحرفي شكلاً متدرجاً أشبه ما يكون بتنظيم المراحل الصوفية، فهناك الشيخ الذي يتّصف بالصدق وأداء الأمانة واجتناب المحارم واحتمال الأذى، والسخاء، والوفاء بالعهد ثم النقيب، وهو الذي نصبّه الشيخ وهو الواسطة بينه وبين المرشح ، والذي كان يقوم بعملية الشد فكان يجري احتفال الشدّ (التكريس) في أحد البيوت أو البساتين، بدعوة من شيخ الكار. ويحضره شيخ الكار والنقيب والشاويش والمعلمون، والصناع، ومن يحتفل بشدّهم من الصناع، ويجلس شيخ الكار في منتصف هلال، وعن يمينه ويساره يجلس أعضاء اللجنة الفاحصة والمعلمون، وبعد ترك مسافة، تتشكل بمقابل هذا الهلال صفوف من المرشحين والصناع الآخرين والمدعوين، فيأخذ النقيب والشاويش المرشح إلى خارج مكان الاحتفال، ثم يعودون يتقدمهم النقيب فالشاويش حاملاً صينية عليها هدايا الشدّ المقدمة من المرشح فيضعها الشاويش أمام الشيخ، أما المرشح، فيكون في المؤخرة، وهو مكتوف اليدين إلى صدره مطرق الرأس بكل أدب وحشمة، وقد شدَّ المحزم على خصره. فيوقفه الشاويش على بساط أخضر، ويجعل إبهام رجله اليمنى يعلو إبهام رجله اليسرى، ويعقب ذلك الابتهالات الدينية والمدائح النبوية وقراءة سورة الفاتحة أكثر من مرة، وبعدها يلفّ النقيب المرشح بالمحزم من وسطه إلى قرب قدميه، ويعقد طرفي المحزم من الخلف إلى الأمام بثلاث عقد: الأولى احتراماً لشيخ الكار، والثانية لمعلم المرشح، والثالثة للشاويش[٢]. وهنا يعين للمشدود "أباً" في الكار، وهذا الأب غالباً ما يكون معلمه، وهو بمنزلة الكفيل، ثم يسأل الشيخ الحضور عن رأيهم في المشدود، إن كان مستحقاً، فيجيبون بأنه مستحق. فيركع المشدود وأبوه في

١-النجار ،الطرق الصوفية ، ص١٨.

٢- جيب وبوين ، المجتمع الإسلامي والغرب، ص ٣١٧،٣٢٦

الكار الواحد إزاء الآخر نصف ركعة وتتشابك أيديهما ويأخذ الأب على المشدود العهد الآتي: «أعاهدك عهد الله ورسوله، بأني لا أخون الكار ولا أغش الصنعة في شيء». وبذلك تحل عقد المحزن، وتوزع الهدايا على الشيخ والنقيب والشاويش والمعلم، ويصبح الصانع معلماً ، ثم يجري إنشاء بعض الأغاني والمدائح النبوية، ويختتم الحفل بتلاوة عشر من القرآن الكريم، ويقدم شيخ الحرفة نصائح أخلاقية للمشدود يرتبط فيها المفهوم الديني بالحرفي أيضاً[١]، كما هو الحال في التنظيمات الحرفية، وحفلة الشد وترفيع الأجير إلى صانع ومن ثم إلى معلم، قد لخّص علاقة تتداخل على المستوى الحرفي والديني والعائلي، فتتقاطع الحِرف والطرق الصوفية من حيث تراتبية المعرفة عند المريد (الصوفي)والأجير (الحرفي)، فالملازمة والمرافقة والطاعة شروط مشتركة، وهكذا فإن مراسيم الانتماء تشابهت لكلا التنظيمين تقريبا[٢].

تداخلت المصطلحات الحِرَفية، مع المصطلحات الصوفية، بسبب ما كان من علاقة وطيدة بين التنظيمين، فمثلاً كلمة الدرويش (والمقصود بها الفقير لله) في احدى الوثائق كما يلي: "حضر الدرويش رجب وقال انه كان شيخاً على الطائفتين التكجية والخفافين وقد قصرت يدي عن المشيخة واختار أهالي الطائفتين الحاج علي شيخا عليهم وتعهد بعدم التعرض بأذى للشيخ والطائفتين وتصدق لذلك على مائتين غرش نذراً لوجه الله يقبضها حاكم الشرع ويصرفها في جهة البر.."[٣].

إن اتقان حرفة أو مهنة ما، كان ضرورياً عند المتصوفة ، لأن ذلك شيئاً مقدّساً بالنسبة لهم وأن الانسان يجب أن يتكسّب من عرق جبينه ، ولا يجوز أن يعتاش من التدريس أو غيره، لأن العمل بالعلم، يجب أن يكون دون مقابل، وإذا علّم الانسان انساناً آخر، فالمعلم يكسب الحسنات حسب الشريعة الاسلامية، لذلك نجد أن العديد من العلماء كانوا يتكسّبون من عمل أيديهم، فمن العلماء الصوفية في حلب الذين اشتغلوا بالحرف مثل: طه بن مهنا الجبريني الزاهد الناسك المتوفي سنة ١٧٦٤ والذي مارس حرفة الألاجة ، ولم يكن له وجه معيشة ولا وظيفة غير ذلك وأيضاً الشيخ إبراهيم بن مصطفى بن إبراهيم الحنفي المداري المتوفي سنة ١٧٧٦ وهو من كبار علماء التصوف الذي أخذ علمه عن الشيخ عبد الغني النابلسي ولقب بالمداري(الطحانين بالدابّة)

١- عبد الغني، السلطة في بلاد الشام، ص ٢٥٢.

٢-نيكلسون، **في التصوف الاسلامي وتاريخه**، ترجمة ابو العلا غفيفي ، القاهرة، ١٩٥٦ ، ص٤٧-٥٠.

٣- سجل حلب محاكم شرعية رقم ٧٨، صورة ٧١، ص ١٣٤، تاريخ ١٥ محرم سنة ١١٦٤ه/١٧٥٠م .

نسبة إلى آلة التذرية التي اشتغل بها في حلب الشهباء [1]. ورغم ذلك ليس من الضروري، أن تنسب كل حرفة إلى طريقة صوفية ، فالأمر بعيداً عن الإلزام، ويتمّ بإرادة ذاتية وبفعل التأثير والبيئة الاجتماعية.

ثالثاً- الطباعة :

اخترع الألماني (غونتبرغ) المطبعة في العام ١٤٥٤، وأثار اختراعها ثورة في النهضة الثقافية الأوروبية، ونظرت السلطنة العثمانية للطباعة نظرة خشية وقلق، فاعتبرتها مدخلاً لوعي فكري قادم من الغرب، وأرادوا أن يغلقوا الأبواب عن تيارات الفكر والثقافة في أوروبا وليسهلوا التحكم بالشعوب المحكومة والسيطرة عليهم .

وبعد مرور ما يقارب القرنين على اختراعها قبلت السلطنة العثمانية مرغمة فيما بعد بدخول الطباعة إلى ولاياتها بواسطة رجال الدين المسيحيين [2]، بسبب مصالح الدول الأوروبية الدينية والسياسية في البلاد العربية، وارتباط طوائف حلب الدينية المسيحية كغيرها من الطوائف الدينية في هذه البلاد بالكنائس الدينية الغربية، إضافة لعدم قدرة السلطة منع عمل المطابع المسيحية في حلب لكون نظام الملة العثماني كان يعطي رؤساء الملل صلاحيات دينية وتعليمية وثقافية، على

١-الطباخ، اعلام النبلاء ،ج٧،ص٣٦-٣٧، ٩٢. المرادي، سلك الدرر،ج١،ص٣٩.

٢- ظهرت الطباعة في ولاية طرابلس الشام في العام ١٦١٠ بواسطة بعض رهبان الطائفة المارونية، الذين جلبوها معهم من روما، ودخلت إلى حلب أواخر القرن السابع عشر حين ارتحل البطريرك اثناسيوس الرابع الانطاكي الحلبي ابن الدباس (بطريك الروم الملكيين الأرثوذكس في انطاكيا والمشرق) إلى استانبول، ليحل الخلاف الذي دبّ في الكرسي الانطاكي، ومن هناك سافر عام ١٦٨٩ إلى بلاد الأفلاق (رومانيا)، واتصل بحاكمها الأمير يوحنا قسطنطين وسعى لديه بإنشاء مطبعة عربية تخدم الدين المسيحي، وذلك لطبع كتب كنسية بالعربية واليونانية ، وقد لبّى له الأمير ما أراد، وساعده في إنشاء مطبعة في بخارست بمساعدة الأب انتيموس الكرجي ، الذي قام بحفر الحروف العربية للمطبعة، وطبع فيها أول كتاب اسمه القنداق (خدم القداس الشريف) باليونانية والعربية عام ١٧٠١م ، وكتاب السواعي عام ١٧٠٢م ، وحين عودة البطريرك الدباس إلى حلب قام بتوزيع هذين الكتابين على كهنة الروم الأرثوذكس، فأنشأ فيها مطبعته المعروفة ، وطبعت المطبعة حتى عام ١٧١١م عشرة كتب فقط ، وأهملت مطبعة الدباس بسبب وجود الكتب المجانية المطبوعة في مطبعة روما وإغناء لها عن بذل المجهود والكلفة، ثم أنشئت المطبعة الحلبية في محلة التدريبة الجديدة خلفاً لمطبعة الدباس وذلك في عهد الشماس عبد الله زاخر والأب نقولا الصايغ الحلبيين ، ومن مطبوعاتها في العام ١٧٢١ صخرة الشك. سهيل الملاذري، **الطباعة والصحافة في حلب** مديرية الكتب والمطبوعات في جامعة حلب ،٢٠٠٧، ص ١٧-١٩، ٥٩ -٦٠.

أبناء مللهم، مع حقهم بالتعليم بلغتهم الوطنية[١] وبذلك نشأت الطباعة بمنأى عن رعاية واهتمام السلطنة وهكذا اضطرت السلطنة للرضوخ لهذا الاختراع الجديد، لكي لا تتهم بالتعصب والتخلف، وظلت تنظر إلى الطباعة بحذر وشك، وحاولت إبعادها عن متناول المسلمين، وعدم تأثيرها على حياتهم الدينية ، فكان عيون المسلمين بحكم تبعيتهم للمرجعية الإسلامية في استانبول معلّقة على ما يصدر من أوامر تحدد وضع الطباعة، وترشدهم إلى الصالح من الاختراعات الحديثة الافرنجية[٢]، فابتعدوا عنها بدافع تعصّبهم لفكرة النسخ وإتقان الحروف المكتوبة بالخط اليدوي، وإن الطباعة بزعمهم رجس من عمل الشيطان، لأن جلد الطباعة يصنع من الحيوانات النجسة فلا يجب أن تطبع به الكتب الدينية وخاصة القرآن الكريم [٣].

ظهرت الطباعة سنة ١٧٢٨ في استانبول بصورة رسمية، تدعمها فتوى من شيخ الإسلام عبد الله أفندي، ولاقت اعتراضات من آلاف الناسخين الذين كسبوا قوتهم عن طريق النسخ وعلماء الدين الذين رأوا في الاختراع الجديد، انتهاكاً للشريعة لخضوعها لقلة الرقابة عليها وأقل في دقة النقل فأوضحت الفتوى بأن الطباعة تتفق مع القانون الوضعي، ولا تعارض المبادئ الدينية، وسار النسخ جنباً إلى جنب مع الطباعة، وحتى الرهبان في الأديرة أيضاً اشتغلوا في نسخ الكتب الدينية، وكان ثمن الكتاب المطبوع أقل تكلفة من نسخ المخطوطة الواحدة، إذ أن الورق المستخدم مستورد من فرنسا وإيطاليا وكان يصقل في حلب، والحبر المستخدم كثيف كحبر الطباعة [٤]، ونتيجة لعدم إتقان طلاب فن النسخ نظراً للحروب المستمرة فافتقد المسلمون الكثير من الكتب الدينية وقلّ عددها، فأمر السلطان العثماني عبد الحميد الأول عام ١٧٨٤ بمزاولة فن الطباعة وعدم طبع الكتب الاسلامية المقدسة[٥]. وإن كانت حلب تدين لرجال الدين المسيحيين، في

١- وحيد قدورة، **أوائل المطبوعات العربية في تركيا وبلاد الشام**، ندوة تاريخ الطباعة العربية حتى انتهاء القرن التاسع عشر، ط١، مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث في دبي، نشر المجمع الثقافي، أبو ظبي ١٩٩٦،ص١٢٠-١٢١.

٢- سامي كيالي، **محاضرات عن الحركة الأدبية في حلب ١٨٠٠-١٩٥٠**، القاهرة، مطبعة نهضة مصر، ص٢٠٥.

٣- شمس الدين الرفاعي، **تاريخ الصحافة السورية** ، ج١ الصحافة السورية في العهد العثماني ١٨٠٠-١٩١٨، دار المعرف بمصر، ١٩٦٩، ص١٨، ٢١.

٤-راسل، تاريخ حلب، ج٢،ص٢٩٦.

٥- خليل، صابان ، **تاريخ فن الطباعة في الشرق العربي**، دار المعارف بمصر، ح١، ١٩٩٩م، ص٤٠-٤١.

نشأة الطباعة في القرن الثامن عشر لكنها تدين لرجال الفكر المتنورين من كل الطوائف، في نهضة الطباعة في القرن التاسع عشر[١].

رابعاً-المكتبات:

كان انتشار الكتب المحدود في القرن الثامن عشر من العوامل التي ساعدت على تأخر التطور الثقافي، وكانت آلات الطباعة العربية في حكم النادرة، ولو أن بعض الأديرة كانت تستعمل المطابع اليدوية في تلك الفترة ، وأنتجت كتب قليلة اقتصرت معظمها على الكتب الدينية[٢] فالكتب كانت غالية الثمن، لأن نصوصها كانت تنسخ يدوياً، واقتصر امتلاكها على العائلات الغنية وحصولها على مجموعة كبيرة منها، إما عن طريق الشراء، أو عن طريق نسخ مخطوطات موجودة أصلاً، وحافظوا عليها بحرص زائد ، وسعى الحلبيون لاقتناء الكتب لأسباب عديدة للاستفادة من مواضيعها، ومنهم لجعل مكتبته زينة لبيته، ومنهم للاعتقاد السائد أن اقتناء الكتب يورث الغنى، وأيضاً منهم من جعلها وسيلة احترام ووجاهة عند أهل العلم [٣]، واستطاع بعض الأشخاص من الفئات العليا، بناء مكتبة خاصة بهم ، ومنهم من تبرّع بكتبهم وأوقفوها للمكتبات الإسلامية والمسيحية[٤].

١-المكتبات الإسلامية :

أ- مكتبة المدرسة الأحمدية :كانت تحوي في خزانتها، نحو ثلاثة آلاف مجلد مخطوط في علوم شتى، وورد في كتاب وقف المدرسة الاحمدية "بأن يكون للمكتبة أمين فاضل وأن الكتب الموقوفة لا تخرج من حجرة الكتب، لا إعارة بقصد القراءة والنسخ ولا غير ذلك[٥]، وكل من أراد المراجعة من الكتب الموجودة فيها فليأت في يوم الأحد والاثنين والأربعاء والخميس، ليراجع ويطالع ما يشاء من طلاب العلم، وتعطى الكتب للطلاب الساكنين في الحجر بمعرفة المدرس وكفالته"[٦].وأشارت إحدى الوثائق إلى وجود أكثر من مئة مجلد ومخطوطة نادرة، أوقفها مؤسس المدرسة القاضي أحمد أفندي ومنها: كتب النحو كشرح ألفية ابن مالك للأشموني /مجلدين/ وشرح

١-الملاذري، ص ١٩، ٥٩ -٦٠.

٢- الرفاعي، ص٢٢.

٣-الغزي ،نهر الذهب، ج١،ص١٧١.

٤-ماركوس ، الشرق الأوسط ، ص٢٧٨.

٥-محمود فاخوري ،المكتبات في حلب ، مجلة عاديات حلب ،الكتاب الثاني ، جامعة حلب ،١٩٧٥م، ص٣٦٥.

٦-الطباخ ،إعلام النبلاء، ج٢٨،ص٧١-٧٣.

الشواهد للرضي/ أربع مجلدات/، ومن كتب المعاني: شرح تجريد المعادن والبيان /مجلد واحد/ ومن كتب التاريخ : مثير الغرام لزيارة القدس والشام لابن تميم المقدسي /مجلد واحد/، تاريخ الذهبي في /خمسة مجلدات/، ومن كتب الحكمة الطبيعية: المباحث الشرفية للإمام الرازي ،الحكمة الطبيعية للفخر الرازي، وضمت المكتبة أيضاً كتب في التواريخ والعروض والأدب والدواوين وكتب أحكام النجوم، والأسماء والحروف ، وكتب فارسية وتركية والنحو والصرف[١].

ب-مكتبة المدرسة الرضائية: المعروفة بالعثمانية، وشملت على نحو (١٢٤٢) مجلداً مخطوطاً في فنون شتى[٢]، ومن مخطوطاتها: كتاب عمدة الحفّاظ في تفسير أشرف الألفاظ للحلبي السمين والمقدمة السنية للصفدي، والدر الثمين في أسماء البنات والبنين، والحدائق الأنسية في الحقائق الأندلسية[٣]، وغير ذلك، وكانت المكتبة تفتح كل اثنين وخميس ويدخل الطالب ويطالع ما يريد فيها ولا يخرج كتاباً منها [٤].

وأيضاً من المكتبات الإسلامية التي ألحقت بالمدارس والتكايا، كمكتبة المدرسة الخسروية التي ضمت كتباً عديدة في الفقه والتصوف والتفسير والصرف والنحو والبيان والطب الحديث والفرائض[٥] ومكتبة التكية الاخلاصية التي كانت حافلة بالكتب المتنوعة [٦].

٢- المكتبات المسيحية :

أ-المكتبة المارونية: أنشأها مطران حلب جرمانوس فرحات، في أوائل القرن الثامن عشر وجمع من الكتب التي خلفها أسلافه الأساقفة ، وأضاف إليها كتباً خاصة، وعدّت في المرتبة الاولى من مكتبات المسيحيين في حلب، في تلك الفترة ، وبلغ عدد كتبها نحو/٧٣٥/ في لغات مختلفة منها

---

١ -سجل حلب رقم ٩٨، صورة ٧٢ ، ص ١٣٣-١٣٤، تاريخ ١٧ ذي الحجة سنة ١١٧٨هـ/١٧٦٤م. انظر الملحق رقم ٦ والذي ضم قائمة بأسماء الكتب ، وأيضاً انظر: الغزي ، نهر الذهب ،ج١،ص١٧٤.

2- Hakan Anameric And Fatih Rukanci, **Libraries in the Middle East During the Ottoman Empire (1517-1918)**,university of Ankara, Turkey,2009.p 147.

3 -Elibron classics.**Modren Syria or native society in Damascus,Aleppo** and the mountains of thw Druses from notes made in those parts during the yars 1841-2-3, paternostat ,London,1844,p238

٤-الطباخ، إعلام النبلاء، ج٣،ص٢٥٨.-٢٦١ الغزي، نهر الذهب ج٢،ص١٢٢.

٥-الدباغ ، الحياة الفكرية ، ص ٩٢.

٦-الغزي ، نهر الذهب، ج١، ص٣٤٥

السريانية والعربية، وفيها كتب في التاريخ واللغة والآداب مثل: دمية القصر للباخرزي، مباهج الفكر لجمال الدين الوطواط ، المفصل للزمخشري ، وكتب أخرى[١] .

ب-مكتبة كنيسة الروم الأرثوذكس: تقع في حارة الصليبة ، وضمّت هذه المكتبة نحو(٥٠٠) كتاباً ما بين مطبوع ومخطوط في علوم شتى ، وأغلب المطبوع باللغة اليونانية والباقي بالفرنسية أو العربية، ومن كتبها المطبوعة نسخة إنجيل طبعت في مطبعة الطائفة سنة ١٧٠٦[٢] .

ج-مكتبة كنيسة الأرمن :تقع في حارة الصليبة ، وضمّت كتباً تاريخية ودينية باللغة الأرمنية وفيها صور مرسومة باليد بمداد ذهبي السريانية والعربية يعود تاريخها إلى سنة ١٢٨١ مما يدلّ على رقي صنعة التصوير في حلب آنذاك[٣].

خامساً-الموسيقى والطرب :

تعد الموسيقى وما فيها من إيقاع ونغم، تراثاً أزلياً قديماَ، فهي تجمع الحواس وتنشط النفوس وتخاطب الروح والمشاعر والأحاسيس مباشرة، وتمتع الحلبيون بآذان موسيقية مرهفة، وهم مغرمون بالموسيقى[٤]، فملأت القصور والدور وانتشرت في المدن والقرى والبوادي، وظهر العديد من المقطوعات الموسيقية، في حلب خلال القرن الثامن عشر، وتم اقتباس بعضها من الولايات المجاورة، وتأليف البعض منها محلياً ، ولم يكن يوجد لدى الحلبيين موسيقى مدونة أو كتب حول الأعمال الموسيقية، فأغلبهم تعلّموا الألحان والأغاني بالسماع، وحفظوها في الذاكرة ونقلوها إلى الآخرين بنفس الطريقة، وقد اختلف السلم الموسيقي العربي عن السلم الأوروبي، في تقسيمات الفواصل، حتى الألحان المستخدمة في الصلاة والاناشيد الدينية، عند المسلمين والمسيحيين واليهود كانت تستخدم النظام الموسيقي العربي[٥] .

تأثّرت الموسيقى الحلبية بالموسيقى العثمانية المحلية والصوفية، فنغمات الرست والعجم وهي من المقامات الموسيقية، ماهي إلا مصطلحات تركية وعثمانية الأصل والمنشأ، فكانت

١-زيدان ، تاريخ آداب اللغة العربية، ج٤،ص١٢٣.

٢-الغزي،نهر الذهب، ج٢،ص٤٧٢.

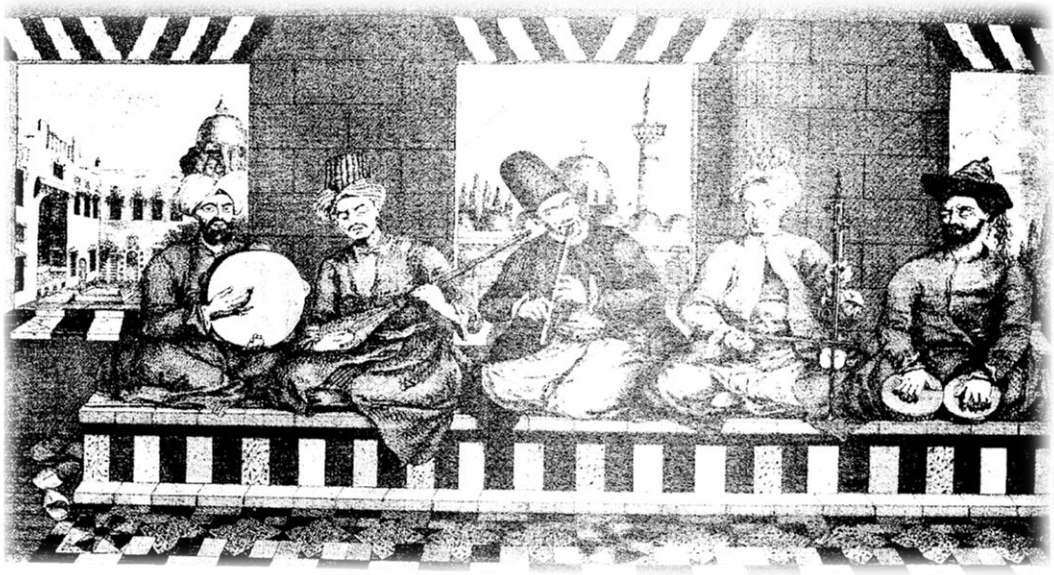
٣-الغزي، نهر الذهب، ج٢،ص٤٧٦. فاخوري ، ص٣٦٩.

٤-كرد علي ، خطط الشام ،ج٤،ص١١٠-١١٢.

٥-ماركوس ، الشرق الأوسط ، ص ٢٤٧.

الموسيقى الحلبية بعيدة عن التأثير الغربي، والقليل من السكان توفّرت لديهم الفرصة لسماع الموسيقى الغربية[١]

١- **الآلات الموسيقية:** انقسمت الآلات الموسيقية إلى عسكرية صاخبة، كالتي استخدمتها الفرقة الموسيقية التابعة للوالي، كآلات النفخ المعدنية والخشبية وآلات القرع والنقر، والمؤلفة من المزمار القصير والصوت الحاد، والبوق والصنج وأنواع عديدة من الطبول، وكان عدد الفرقة لا يقل عن تسعة لكل آلة عزف، وكانت تعزف يومياً بعد العصر والعشاء[٢]. وكما وجدت آلات أقلّ ضجيجاً، استخدمت في البيوت والمقاهي، وتألفت من أصوات رافقها القانون والسنطير والطنبور والكمنجة وطبلات صغيرة والدف، وأيضاً وجدت آلات موسيقية أخرى بأنواع عديدة من الطبول والمزامير الشائعة الأقل جودة، وعزف عليها في الأعراس. وفي القرى والبوادي استخدم الرعاة القصبات الطويلة وهي كالناي تصدر أصواتاً جميلة[٣].



فرقة موسيقية في حلب في القرن الثامن عشر[٤]

١- راسل، تاريخ حلب، ج١ ، ص١٢٨،

٢- جميل ولاية ، **حلب بيت النغم** ، دار طلاس ـــ دمشق ٢٠٠٨، ص١٥٨.

٣-راسل، تاريخ حلب، ج١،ص١٣٤.

٤-ارتدى كل عازف لباساً خاصاً به، فالعازف الأول مسلم ينقر على الدف ويغني في الوقت نفسه، والثاني مسيحي يعزف على الطنبور، والثالث درويش يعزف على الناي ، والثالث مسيحي يعزف على الكمنجة، والرابع مسلم ينقر على النقارة بأصابعه راسل ، ج١،ص١٢٩.

٢- **الغناء والطرب:** رغم أن الموسيقى حظيت بإعجاب كبير، لكن لم يعمل فيها أبناء الفئات الراقية، على اعتبارها عمل غير مرموق، علماً أنهم كانوا يتمتعون بسماع الفرق الموسيقية في بيوتهم، ومشاهدة المهرجين والراقصات، الذين كانوا من فئات المجتمع المتدنية[١]، فعرف عن الحلبيين من يأخذ على غنائه باسم ابن الفن [٢]، وخصصت طوائف حرفية كالمغنيين والمطربين والطبالين[٣] فأشارت إحدى الوثائق في العام ١٧٥٣ حول وجود طائفة الطبالين بحلب وفحواها:"ادعت عائشة بنت جعفر من أكراد طائفة الطبالين من سكان محلة خارج باب النيرب بحلب على مجموعة من طائفة الطبالين بأن أخوها حسن عربو كان رفيقهم ويضرب معهم الطبل وينفخ الزمر وأن من مدة ثلاث سنوات ماضية ترك عندهم طبل وزمر قيمتهما ستة غروش وبعد غيابه عن البلاد وانقطاع الخبر عنه ..طالبت المجموعة بأن يدفعوا ثمن الطبل والزمر ...."[٤] وأشارت وثيقة أخرى إلى وجود دكاكين للغناء واللهو في محلة الحوارنة قرب باب المقام [٥] .

لم تقتصر الموسيقى على أهل الفن والمهن الغنائية ، بل استخدمت في مجالات طبية منذ العهود الماضية، فذكرت إحدى رسائل اخوان الصفا، في منتصف القرن العاشر للميلاد: "من الموسيقى لحناً وكانوا يستعملونه في المارستان وقت الأسحار، يخفف ألم الأسقام والأمراض عن المريض، ويشفي كثير من الأمراض والأعلال"[٦] ، إلى جانب نصائح ابن سينا بالغناء والموسيقى على المصابين بآفات عقلية ونفسية، وأوصي بهما أيضاً في تسكين الأوجاع والمساعدة على النوم[٧]، ويبدو أن هذا النمط في المعالجة ظل جزءاً من العلاج في البيمارستانات الإسلامية حتى العهود المتأخرة، ففي العهد العثماني استخدم المعالجون والأطباء الحلبيون في بيمارستان الكاملي

١-ماركوس ، الشرق الأوسط ، ص٢٧٦.

٢- كرد علي، ج٤،ص١١٣.

٣- الطبال : يضرب على الطبل بطريقة ماهرة ويتوارثها عن الأهل ، وتفرّد بإتقان هذه المهنة القرباط ، ورافق الطبال الزمّار الذي ينفخ في الزمر، وأهل المدينة والقرى يدعونهم في الأعراس والختان لأجل الدقّ على الطبل. محمد سعيد القاسمي، **قاموس الصناعات الشامية** ، حققه وقدم له ظافر القاسمي، ط١، دمشق، دار طلاس ١٩٨٨ج٢،ص٢٨٩

٤- سجل حلب رقم ٨٥، صورة ٢٥، ص ٤٥، تاريخ ١ رمضان سنة ١١٦٧هـ/١٧٥٣م

٥- سجل حلب رقم ٨٥، صورة ٧٥، ص ١٤٦، تاريخ ١١٦٨هـ/١٧٥٤م

٦ -إخوان الصفا ، "**رسائل إخوان الصفا**" ،أربع أقسام ، دار بيروت، دار صادر ١٩٥٧ ، القسم الأول الرياضي، الرسالة الخامسة، ص ١٨٧.

٧- أبو علي الحسين بن عبدالله ابن سينا (ت١٠٣٧م)، **القانون في الطب** ، ثلاث أجزاء، دار الطباعة المصرية، ١٢٩٤ه، ج٢ ص٧٠-٧١.

آلات الطرب، والمغنيين لتصدح الموسيقى الناعمة، والألحان التي كانت تحمل الطمأنينة إلى قلوب وعقول المرضى، فأصبحت الموسيقى جزءاً من علاج المعتلين عصبياً وعقلياً [١].

٣-فنون الغناء الحلبي :اقترن الشعر بالغناء منذ أقدم العصور، إذ أنهما يرجعان إلى جنس واحد، أساسه التأليف والوزن ، ورغبة الإنسان في إخراج الكلام على أشكال من الإيقاع، تحنّ لها الأسماع، وترتاح إليها النفوس، فتميّزت حلب عن غيرها من الولايات العربية بخصوصية أكثر في ثقافتها وفنون غنائها، وتكاد تكون الوحيدة التي تميزت بألوان خاصة في الغناء ، ومن هذه الفنون :القدود والموشحات وفصل "اسق العطاش" والموال، وغطت هذه الفنون جميع احتفالات التسلية والمناسبات والأعياد[٢].

أ- القدود الحلبية: كانت القدود الحلبية، تمثّل اللون الشعبي الأساسي لحلب، فردّدها السكان في سهراتهم وحفلاتهم ورحلاتهم، وأصل القدود من الأغنيات الدينية التي كانت تغنى في الحلقات والأذكار، أو من أغنيات شعبية قديمة متدنية، ثم جاء من بدّل كلماتها الدينية بكلمات غزلية، مع الحفاظ على اللحن كما هو[٣]، وشاعت الأغنيات الجديدة في الأفراح والأعراس. وسميت هذه الأغنيات بالقدّ. لأن لها لحناً على قد «قياس» اللحن القديم، والكلمات التي على وزن الكلمات القديمة [٤].

ب-الموشحات الحلبية[٥] : بدأت ولادة الموشحات في الأندلس، في القرن العاشر الميلادي واعترض انتشار الموشح الاندلسي في ذلك الوقت ، عقبات عديدة كالغزو السلجوقي وبعده الصليبي والتتار لبلاد الشام[٦]، ثم انتقلت الموشحات الاندلسية بعد نهاية الدولة العربية في الاندلس إلى المغرب العربي، ومنه إلى المشرق العربي، بعد هجرة نصف مليون مسلم حاملين معهم

١- جميل ولاية ، بيت النغم ، ص١٥٨.

٢- مقداد رحيم ، **الموشحات في بلاد الشام منذ نشأتها حتى القرن الثاني عشر الهجري** ،ط١، مكتبة النهضة العربية، بيروت ، ١٩٨٧م،ص١٧٣.

٣- أحمد بوبس ، **فنون الغناء في حلب** ، أبحاث وقائع الندوة العلمية الدولية ، التراث الثقافي غير المادي لمدينة حلب في العصور الإسلامية ، ط١، وزارة الثقافة ، دمشق، ٢٠١٠ ص٢٨٢.

٤-الأسدي ، موسوعة ،ص١٥٩.

٥- نمط من النظم يتألف من عدة مقاطع ، على وزن مخصوص على تقاطيع وقواف معلومة ، لا يتقيد فيه الناظم بقافية واحدة يخالف أوزان الشعر تارة وهو المستحسن، ويوافقها تارة أخرى، وهو من اختراع الأندلسيين، سمي بالموشح لأنه يشبه الوِشاح، أي القلادة من النسيج العريض يرصّع بالجواهر، تستخدمه المرأة. الأسدي، موسوعة،ص ٢٢٩.

٦-رحيم ، الموشحات، ص١٢٢ . الأسدي، موسوعة ، ص١٧٦.

مؤلفات وآلات موسيقية[١]، واختلف الموشح الحلبي عن الموشح الاندلسي، في ناحية فنية هامة، ففي الموشح الاندلسي كان له أوزانه الخاصة، والكلمات هي التي تحدد الموشح وليس اللحن، أما الموشح الحلبي فقد أصبح اللحن هو الذي يحدد قالب الموشح[٢]، فوجدت موشحات بالزجل العامّي ، وأخرى من الشعر العربي الفصيح.

بدأ تاريخ الموشحات في حلب في القرن الثامن عشر، وكان من أبرز أسماء المنشدين في تلك الفترة محمد بن كوجك (ت١٧٧٣)، ومصطفى الحريري الشهير بالبشنك (١٧٦٥-١٨٥٣) والذي عدّ سيد عصره في الموشحات، وقد أضاف إلى الإيقاعات، أحد عشر إيقاعاً جديداً ، ولحّن أكثر من مئتي موشح [٣]، وأيضاً علي بن مصطفى الدباغ الميقاتي (ت١٧٦٠م) ومن موشحاته رغم عدم وزنها الصحيح :

لطلعة وجه المصطفى النور كله　　على حساب استعداد رائيه نورها

هي الشمس تعطي الشيء ظله بمثله　　وإن قلت الجدوى فمنه قصورها

وموشحة أخرى :

أحب النساء وحب النساء　　فرض على كل نفس كريمه

وإن شعيباً لأجل ابنتيه　　أخدمه الله موسى كليمه [٤]

ج-فصل اسق العطاش: لوحة موسيقية غنائية مدتها نحو ساعة من الزمن أو أكثر واعتبرت من أكثر الفنون الغنائية، تعبيراً عن أحاسيس الناس ومشاعرهم [٥]، ويعود تاريخ الفصل إلى النصف الثاني من القرن الثامن عشر، وتحديداً في العام ١٧٧٦ عندما انحبس المطر عن مدينة حلب واشتد العطش فيها، وحدث جفاف وقحط شديدين ، وضاق الناس والزرع والأرض، حتى انقطع الأمل والرجاء في النفوس ، فخرج الأهالي يتضرعون إلى المولى عز وجل أن يجود عليهم بالغيث [٦]، وكان بين الأهالي موسيقي معروف في ذلك العصر يدعى الشيخ

١-محمود المصري، **الموشحات الحلبية عمر البطش نموذجاً**، أبحاث وقائع الندوة العلمية الدولية ، التراث الثقافي غير المادي لمدينة حلب في العصور الإسلامية ، ط١، وزارة الثقافة ، دمشق، ٢٠١٠ ، ص٢٤٧.

٢- بوبس ، فنون الغناء في حلب ، ص٢٨٢.

٣- أدهم الجندي، أعلام الأدب والفن، جزءان، مطبعة مجلة صوت سورية ، دمشق ١٩٥٤م ج١،ص٣١٧.

٤-الطباخ ، إعلام النبلاء، ج٧ ، ص١٤.

٥-بوبس ، فنون الغناء،ص٢٨٧.

٦-أدهم الجندي، أعلام الأدب ،ج٢،ص٩٢.

محمد المنبجي فلحّن فصلاً موسيقياً دعائياً اسمه "اسق العطاش " استهله بالدعاء والتضرع وأنشده مع تلاميذه وأوله :

يـاذا العطـــــــــا يـــــاذاالسخـــــــــا
اســـــق العطـــــاش تكـــــــرمـــــــا
فالعقـــــــل طـــــــــاش مـــن الظمـــا

وقالت الرواية أن الله استجاب لتضرعات المحتشدين ودعواتهم، وانهمرت الأمطار، وروت ظمأ الناس، ففرحوا وأقاموا الاحتفالات وأنشدوا الموشحات والقدود الحلبية ، وأصبح فصل (اسق العطاش) مصدر طرب الحلبيين وغير الحلبيين، ومصدر بهجتهم في مناسباتهم وأفراحهم [١].

د- الموال: انتقلت الموالات العراقية إلى حلب منذ القرن التاسع الميلادي ، وتوصّل الشعراء الحلبيين للإبداع في نظمها، وترجم المطربون والمغنون الموال غناء تعبيرياً مبدعاً أيضاً[٢] ، ووصف راسل "بأن الموال " يؤديه صوت واحد دون صحبة آلات ، ويمدد المطرب صوته بعد أن يضع يده خلف أذنه ، وكأنه يريد إنقاذ طبلة أذنه من التلف"، وقد يكون موضوع الأغنية حزيناً كشخص متعثر الحظ يندب غياب محبوبته، ويتذكر الأوقات السعيدة، ويتوقف المطرب لفترات طويلة متكررة لاستعادة نفسه ليبدأ من جديد مضخماً ألحانه لالتقاط أنفاسه[٣] وكان المطربون يغنون وبدافع من الجمهور وصلة غنائية جديدة، تتشكل من موال يليه أغنية أو قد حلبي، وغالباً ما يتكامل موضوع الموال مع مقولة الأغنية والقدّ [٤].

٤- الإنشاد الديني والصوفية : كان السماع والنغم سمة لبعض الطرق الصوفية، فكان بعض شيوخ الصوفية، يؤلفون الموسيقى ويعزفون على الآلات لغاية الاستماع الشخصي والالهام الروحاني، وقد شكّل الانشاد الصوفي انسجاماً تاماً في صفوف المريدين والسالكين، فالطريقة المولوية من أكثر الطرق المؤيدة للسماع والرقص في الأذكار الموسيقية ، وسماع الايقاعات بالنسبة للمولوية تحبّب النفوس، وحركات الرقص في حلقات الذكر والزوايا الصوفية، فيها تصعيد للرغبات، وترويض للنفس ، وهي حركات دورية رمزت بالأفلاك والكواكب والروح الثملة

١- مقداد رحيم ، الموشحات في بلاد الشام ،ص ١٨٥.

٢-ولاية ، بيت النغم، ص٤٦٧.

٣- راسل، تاريخ حلب، ج١،ص١٣١.

٤- ولاية ، بين النغم، ص٤٦٨.

بالعشق الإلهي[١]، أو ما يعرف بالرقص السماح [٢] الذي ارتبط بفن الموشحات ، ورافق هذا الرقص آلات الطبول والنايات، وارتدى أصحابها ملابس خاصة في رقصهم، فكانوا يدورون لمدة ساعات حول مركز الدائرة التي يقف فيها المرشد الروحي[٣]، وباعتقادهم أنهم يندمجون في مشاعر روحية سامية ترقي بنفوسهم إلي مرتبة الصفاء الروحي فيتخلصون من المشاعر النفسانية ويستغرقون في وجد كامل يبعدهم عن العالم المادي، ويأخذهم إلي الوجود الإلهي، حيث يكون المريد قادراً علي سماع النداء المرسل منذ زمن بعيد من خارج الزمن مذكراً بعالم الألحان الأزلية، وبالنسبة للطريقة الرفاعية فاستخدمت بعض الآلات الموسيقية والايقاعية، ولكن الطريقة القادرية لم تستخدم الآلات الموسيقية بشتى أنواعها وإنما اعتمدت على الإيقاعات والأوزان والنغمات[٤] .

استنتاجات الفصل الثالث:

يتضح مما سبق إن العثمانيين لم يتركوا أثراً واضحاً على نظام المؤسسات التعليمية في حلب ولم يحدثوا شيئاً ملحوظاً عما كان عليه من العهود السابقة، وعلى الرغم من ذلك حافظت الحركة التعليمية على التراث الفكري والأدبي للمجتمع، فتمتعت الوظيفة التدريسية كالمدرس ومعلم الكتاب بمكانة هامة وعلو المرتبة بين المجتمع، وتبين ذلك من خلال تنافس المدرسين في المدارس العالية وخاصة وأن عملية تعيينهم كانت حكراً على القاضي الحنفي، إلى جانب ما كان يأتي من تعيينات عن طريق البراءة السلطانية من استانبول.

ورغم أن التقاليد العلمية الموروثة، هي التي كانت سائدة في حلب في مرحلة البحث إلا أن الاهتمام بهذا الجانب كان واضحاً من خلال المحافظة على بعض الشروط والضوابط، من أجل تنظيم العملية التعليمية والتربوية ولا سيما منح الإجازات العلمية ، ولكن تساهل الحكومة في منحها

١- محمد قجة ، **التصوف والموسيقى** ، أبحاث وقائع الندوة العلمية الدولية، التراث الثقافي غير المادي لمدينة حلب في العصور الإسلامية ، ط١، وزارة الثقافة ، دمشق، ٢٠١٠ ،ص١٧.

٢-سمي بالسماح لأن الرقص كان مسموحاً في الأوساط الدينية فقط، أو يعني السماح بمعنى الاستئذان من رئيس الطرق الصوفية لتقديم الرقص الذي كان يتصف بالحشمة والأدب، وابتعاده عن المجون والخلاعة وابتكر رقص السماح الشيخ عقيل المنبجي الذي ولد في منبج وتوفي ١٧٣١، فحول نغمات التوشيح الدينية إلى حركات موزونة يتم تأديبها بالأرجل. رحيم ، الموشحات ،ص١٨٧.

٣-الجندي، أعلام الأدب،ج١،ص٩٥

٤-قجة ، التصوف، ص٢٦-٢٧.

أحياناً، وإعطاء الدرجات جزافاً للمدرسين الذين هدفهم الجاه والمال من الوظائف التدريسية شكل عاملاً من عوامل انحطاط المستوى التعليمي .

وبالنسبة للمدارس الإسلامية في حلب في فترة البحث، فقد تم انشاء أغلبها في الفترة المملوكية والأيوبية، وركزت المناهج التدريسية فيها في ذلك العهد على العلوم الدينية علوم اللغة العربية بشكل عام أكثر بكثير من الاهتمام بتدريس العلوم العقلية والرياضية، إلى جانب تدريس أصول الطرق الصوفية، ومن الجدير بالذكر أن المدارس لاقت اهتمام العديد من الوزراء والولاة والقضاة والمحسنين من أجل المحافظة على استمرار سير الحركة العلمية، ولتخليد أسمائهم إضافة لكونها مصدر دخل لذرية واقفها.

أما المدارس المسيحية فقد لحقت بالكنائس إضافة إلى المدارس التبشيرية الأجنبية التي اعتمدت على حماية دولة أجنبية الساعية لنشر ثقافتها وتوجهاتها الدينية، مستغلة انخفاض المستوى التعليمي في المدارس الوطنية واقتصار اهتمامها على علوم الدين بالدرجة الأولى .

عدت الطباعة مظهراً من مظاهر النشاط الحضاري العربي ووسيلة من وسائل اتساع نطاق الوعي والفكر، ومن اللافت للانتباه أن حلب في القرن الثامن عشر دخلت إليها أول مطبعة فيها على أيدي رجال الدين المسيحيين، وإن اقتصر نشاطها على طبع بعض الكتب الدينية، رغم محاولة السلطة العثمانية في بادئ الأمر إبعادها عن متناول المسلمين، وعدم تأثيرها على حياتهم الدينية بدافع تعصبهم لفكرة النسخ وإتقان الحروف المكتوبة بالخط اليدوي، حتى نهاية القرن الثامن عشر وأمر بمزاولة فن الطباعة رسمياً.

حظيت المكتبات العامة في حلب، بخصوصية مهمة في انتشار المعارف والعلوم لكن كلفة انتاجها وغلاء ثمنها، واقتصارها على الفئات الخاصة، فقد شكل عاملاً في تأخير التطور الثقافي في القرن الثامن عشر، وعلى الرغم من تأسيس أفراد هذه الفئات لمكتبات خاصة، كالمكتبة الأحمدية والتي ضمت المئات من الكتب التي كان ينتفع الناس بها، مما كان له الأثر المطلوب في نهضة حلب في تلك الفترة.

بالنسبة للموسيقى في حلب، فقد تميز أهلها بأذان موسيقية وخصوصية في فنون الغناء والوحيدة ضمن محيطها العربي في ألوان خاصة: كالقدود والموشحات الحلبية والتي يعود تاريخها إلى منتصف القرن الثامن عشر، ولا شك أن بعض الطرق الصوفية، ساعد على انشاءها وانتشارها لما فيها مشاعر روحية وهي إحدى شعائر الذكر عندهم .



الحياة العمرانية في ولاية حلب في النصف الثاني من القرن الثامن عشر

أولاً- الحركة المعمارية :

١-المظهر العمراني العام لحلب:

أدّى موقع حلب الاستراتيجي دوراً أساسياً في تشكيل ملامح عمارتها وفنونها عبر التاريخ ووفّر لها منذ أقدم العصور فرصاً مختلفة للاتصال بالحضارات المجاورة ، وتبادل التأثير مع فنون تلك الحضارات وعمارتها، إضافة إلى أن حلب منطقة استقطاب سكاني استطاعت أن تقوم بدور مهم في نشر الحضارة العربية، فبعد حركة التوسع الاسلامي أوليت حلب أهمية خاصة من خلال إنشاء تحصينات دفاعية في أسوارها وقلعتها وأبوابها، لأنها كانت تمثّل إحدى قواعد العمليات العسكرية ضد الفرنجة[١]، وخلال العهد العثماني احتفظت حلب كغيرها من الولايات العربية بطراز عمارتها المحلية، وبما أن العمارة العربية اكتسبت شخصية وطابعاً مميزاً؛ فقد كان من الصعب على الطراز العثماني الوافد أن يتغلّب ويتفوّق على طراز العمارة المحلية، لا سيما وأن طبيعة الطراز العثماني لا تتناسب مع البيئات العربية، ولكن ذلك لم يمنع من اتخاذ الطراز العثماني كنموذج لبناء بعض الجوامع، والتي بدت وكأنها نسخة مطابقة تمامًا لمساجد السلاطين العثمانية في استانبول[٢].

شهدت حلب في النصف الثاني من القرن الثامن عشر إنشاء العديد من المنشأت العمرانية : من مساجد وخانات وحمامات وقصور وأسواق وغيره من المباني الأخرى، إلى جانب عمليات الترميم التي طالت منشأت عمرانية، وكان مخطط حلب وأشكاله المعمارية في تلك الفترة، متوافق مع الأنماط التقليدية للمراكز العربية بشكل عام، فمحيط المدينة محاط بسور قديم على غرار أسوار

١- الرفاعي، حلب بين التاريخ والهندسة ، ص٤٧-٤٩.

٢- ماركوس، الشرق الأوسط، ص٣٢٣.

المدن المحصّنة في الولايات الأخرى وبسبب الغزوات والحروب كان السور يتهدّم، ويتمّ ترميمه في معظم الأماكن[١]. وخلف أسوار حلب توزّعت أحياء وأزقة ضيقة وبيوت قليلة النوافذ، ووجدت أيضاً قصور واسعة بباحات كبيرة احتوت على حدائق وأحواض ماء، وبالإضافة للسور فقد كانت المدينة محصّنة بخندق واسع وعميق، وضمّ الخندق بساتين أقيمت عليها بيوت ارتفعت على أطلال أسوار المدينة، وكان للمدينة تسعة أبواب يقع اثنان منها جنوب المدينة وهما باب قنسرين[٢] أو (باب السجن) وباب المقام(باب دمشق)[٣] واثنان في شرقها وهما باب النيرب وباب الأحمر، وإثنان في شمالها باب الحديد (باب بانقوسا) وباب النصر، وثلاثة في غربها :باب الفرج (باب الجنان) و باب العتمة (باب الجنين) وباب انطاكية[٤] .

وأما التلة التي بنيت فوقها القلعة فكانت أكثر التلال ارتفاعاً، وتبدو كأنها وسط المدينة إلا أنها قريبة من الزاوية الشمالية الشرقية ، وأحاط بها خندق عميق مزروع بالأشجار والخضار. وأخذت الضواحي خارج باب المقام تمتد بشكل عشوائي باتجاه الجنوب الشرقي، وكذلك الضواحي الأخرى التي امتدت من باب النيرب إلى بانقوسا، وبدأت ضاحية بانقوسا بين شمال وشرق المدينة ، وضمّت بيوتاً عديدة وجوامع وكنائس وأسواقاً. وقد امتدّت من بانقوسا عدة ضواحي أخرى إلى الشمال الغربي كالهزارة والجديدة ، وضاحية المشارقة والوراقة، ورسم الرحالة الدنماركي (كارستن نيبور) الذي زار الشرق الأوسط وما بين النهرين، مخططاً عامّاً لمدينة حلب في العام ١٧٦٦م[٥] .وأضاف (راسل) على مخطط (نيبور) علامات على الضواحي المرتفعة داخل المدينة وأضاف عدة أبنية رئيسية[٦] أما بالنسبة لريف حلب فكان على شكل تجمعات سكنية كبيرة خارج أسوار المدينة في الشمال والشرق كما وجدت أحياء معزولة متفرقة في الريف المفتوح، وبسبب إهمال الحكومة العثمانية له فقدت الكثير من إمكانيتها الدفاعية[٧].

١- راسل ، تاريخ حلب، ج١، ص٣٨.

٢- باب قنسرين ، شيده سيف الدولة الحمداني ، ورمّم في العهد المملوكي .

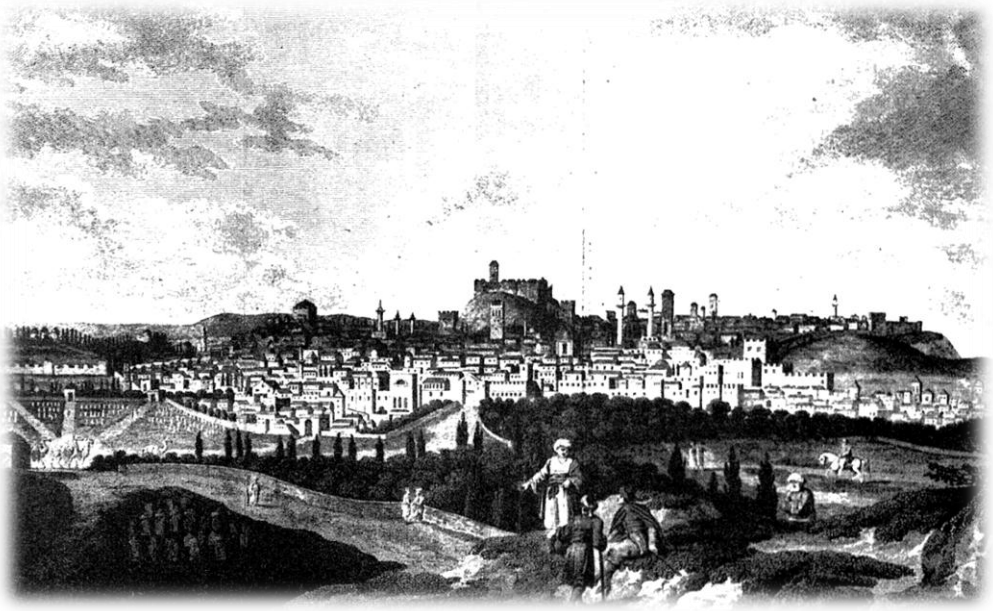
٣-باب المقام : أمر بعمارته الملك الأشرف برسباي، وجدده السلطان المملوكي قاتيباي عام ٨٧٠هـ

٤- باب الفرج: جدده قانصوه الغوري عام ١٥٠٢م .

٥- غاوبه، فيرت، حلب، ص٨٩. انظر الملحق رقم ١٢

٦- راسل، تاريخ حلب،ج١، ص٤٢.

7-Browne, Travels,p386.



منظر عام لمدينة حلب في منتصف القرن الثامن عشر[١]

٢-الطوائف المعمارية :

أدّت الطوائف المعمارية في حلب دوراً مهماً لتمييزهم عن غيرهم من الحرفيين في بناء القناطر والجسور والمنشآت الحضارية، وقد شهدت هذه الطوائف نوعاً ما اهتماماً ورعاية من الحكومة لأهداف تتعلّق بحاجة الحكومة إليها، لضمان العوائد والضرائب المالية من المنشآت العمرانية، وكان التركيب الهرمي للطائفة الحرفية المعمارية، كغيرها من الطوائف المهنية يشمل **شيخ الحرفة**، وهو مسؤول أمام الحكومة عن أفراد طائفته ، وعن الأفراد الذين يرسلون للعمل خارج حلب، ومن مهام شيخ الطائفة التأكّد من مطابقة المباني طبقاً للمقاييس المتفق عليها، مع المقاول المكلّف بإنجاز البناء[٢]، وأيضاً رتبة **معلم معمار** أو الأستاذ[٣]، ووجود رتبة تدعى نصف حرفة المعمارية(مساعد المعمار)[٤].

كانت الطوائف المعمارية تتشكّل من عدد من الحرف الأساسية والحرف المعاونة، وكانت الطوائف الأساسية تشمل البنّائين. المبلّطين. المرخّمين. المليسين. الطيّانين. الرصاصين. المبيضين النقاشين. والفعلة والعتالين، بينما كانت الطوائف المعاونة: الخشابة. القزامة. النحاتين. الحجارين. ونشاري الرخم والسباكين. الجباسين. والحدادين. الترابة. وضاربي الطوب. ركاكين.

١- راسل، تاريخ حلب، مج١، ص٧.

٢-سجل حلب محاكم شرعية ، رقم ٨٥، ص٨٠، تاريخ سنة ١١٦٧هـ/١٧٥٣م

٣-سجل حلب محاكم شرعية ، رقم ١٠٥ ، ص ١٤٦، تاريخ ٣ شعبان سنة ١١٨٦هـ/ ١٧٧٢م

٤-سجل حلب أوامر سلطانية ، رقم ٢٢ص ١٢، وثيقة ٢٢، تاريخ ١٢٠٥ه/١٧٩١م.

مجارفية. مكحلين. حمالة الاخشاب (السقايل) [١]وطائفة القنوية (أعمال قنوات المياه وتعمير القساطل) [٢].

لم يكن المعماريون يملكون أي تدريب أو دراسة مهنية أو قواعد نظرية في مجال العمارة إلا أنهم كانوا قادرين على تطبيق خبراتهم العملية التي تعود أصولها إلى العصور الوسطى[٣] وكانوا يتقنون مهنتهم من خلال التجربة العملية، واشتهروا بأعمالهم وذاع صيتهم داخل حلب وخارجها ولاسيما أن السلطنة العثمانية استفادت من المعماريين الحلبيين الماهرين ونقلتهم للعمل في استانبول[٤].

قامت السلطات بالإشراف على بعض التطورات العمرانية التي كان أهمّ أهدافها ضمان التقيد بالمعايير، فكان يوجد مفتش بناء يسمى المعمار السلطاني[٥] ، أو المعمار باش وهو بمنزلة كبير المهندسين، وفي أغلب الأحيان كُلف اثنان منهم للتفتيش، وهذان المعماريان السلطانيان هما عادة من معلمي البناء المحليين، اللذين حصلا على مناصبهما من خلال دفع الأموال، وأوضحت الوثائق مهمتهما في إصدار رخص البناء، وتخمين الأبنية والدكاكين التي تحتاج إلى ترميم وتعمير وتقسيم[٦]، مقابل أتعاب يقوم أصحاب البناء بدفعها. إلى جانب تكليفهما بحل الخلافات المتعلقة بالأبنية بين السكان، وخاصة في البيوت الملاصقة لبعضها، والتوسّط لحلّ هذه الخلافات أحياناً بالتراضي بين الأطراف المتنازعة، كما في إحدى الوثائق التالية " ادعاء المدعو مصطفى المالك لدار كائنة في محلة قارلق على الحاج علي المالك لدار ملاصقة لداره وكان الفاصل بينهما حائطاً وأن الحاج علي قد هدم الحائط وعمّر حائط آخر ومدّه عن موضعه القديم نصف ذراع نجاري[٧] من غير أذن جاره ..وأرسل القاضي الأستاذ عبد القادر والأستاذ عمر المعمارين السلطانيين بحلب للتحقق والمعاينة ودخلوا مع المصلحين بينهما ودفع الحاج علي خمسة وعشرون قرشاً مقابل

١-سجل حلب محاكم شرعية ، رقم ٨٥، صورة ٣١، ص ٥٨، تاريخ ٢٥ شعبان سنة ١١٦٧هـ/١٧٥٣م

٢-سجل حلب أوامر سلطانية ، رقم ٦ ، ص ١٢ ، وثيقة ٢٣٤، تاريخ ١١٧٦هـ/١٧٦٢م

٣ - ماركوس، الشرق الأوسط، ص٣٤٣.

٤-سجل حلب أوامر سلطانية ، رقم ٨ ، ص ٢٤ ، وثيقة ٤١، تاريخ ١١ شوال ١١٨١هـ/١٧٦٧م.

٥- سجل حلب محاكم شرعية ، رقم ٨٧، صورة ٩٧ ، ص ١٨١، تاريخ ٢٠ ذي الحجة سنة ١١٦٩هـ/١٧٥٥م

٦- سجل حلب محاكم شرعية ، رقم ١٠٥ ، صورة ٢٤ ، ص ٤١، تاريخ ٣ شعبان سنة ١١٨٥هـ/ ١٧٧١م.

٧- الذراع: وحدة لقياس الأطوال، ومقداره ٧٦.٥ سم ، وذراع المعمار أو النجار وهو خاص بالبنائين والنجارين، والنجارين، يستعينون به في فرش الأرض بالبلاط وتعمير الجدران ومجاري المياه وغير ذلك. وكانوا يستعملونه من الخشب ويجعلونه ذا أربعة أضلاع. عرض كل ضلع ٣٢مم .الغزي، نهر الذهب،ج١، ص ٩٤-٩٦.

القطعة التي عمّر فيها"[١]. ومن أشهر المعماريين السلطانيين في فترة البحث: المعماري حافظ عمر خليفة[٢]. الأستاذ عمر بن المعمار السلطاني الحاج طه. الحاج حجازي بن جابر. محمد بن حسن[٣]. خليل أفندي [٤].

٣-مواد البناء :

تعدّ مواد البناء العمود الأساس في المباني والصروح العمرانية، وكان يتمّ اختيار المواد إما بسبب توفّرها أو بسبب شكلها الخارجي، ومن المواد التي استخدمت في حلب في فترة البحث: الكلس. الأحجار البيض والسود[٥]. الحجر الأملس الناعم (التوفا)[٦]. الملح. الحوارة. تراب بندق(طين مجفف على شكل كرات تشبه ثمر البندق)[٧]. بلاط . وقنب ومسامير. رمل[٨]. قرميد[٩]. قرميد[٩]. خشب [١٠]. مادة الشبّة[١١].

ساهمت الأحجار بشكل كبير في تشييد المباني في حلب وتزيينها، وكانت الأحجار المتوافرة محلياً غالباً ما تشكل مادة البناء الأساسية للجدران والأساسات، وقد استخدمت أحجار الرخام العالية الجودة كغطاء أو كمادة إكساء خارجية، لتغطية الجدران الحجرية العارية، ووجد بالقرب من المدينة مناجم كانت عبارة عن أحجار كلسية ناصعة البياض وسهلة التقطيع، والتي تقسو تحت تأثير الهواء مع الوقت، واعتمدت جميع الأبنية وضواحيها البعيدة على هذه الأحجار باستثناء القسم الشمالي من المدينة الذي لم يتحمّل عوامل الطبيعة، والذي بني من حجر الحوار القاسي[١٢] ، فقد كانت مناجم الأحجار الحوارية الكلسية غنية، وكانت تستخدم بعد حرقها، فيصبح سعرها مرتفعاً،

١-سجل حلب أوامر سلطانية ، رقم ٢٣ ، ص ٥٣، وثيقة ٧٠، تاريخ ١٩ ربيع الأول ١٢٠٧هـ/١٧٩٢م

٢-سجل حلب أوامر سلطانية ، رقم ٢٧ ، ص ١٢٣، وثيقة ١٦٧، تاريخ ١٢١٣هـ/١٧٩٨م.

٣-سجل حلب أوامر سلطانية ، رقم ٢٢ ، ص ٨، وثيقة ١٥، تاريخ ١٢٠٥ه/١٧٩١م.

٤-سجل حلب أوامر سلطانية ، رقم ٦ ، ص ٤٣ ، وثيقة ٩١، تاريخ ١١٧٦هـ/١٧٦٢م .

٥- راسل، تاريخ حلب،ج١ ، ص٦٩.

6 - Browne, Travels,p387

٧-سجل حلب محاكم شرعية ، رقم ٨٥، ص ٨٠، تاريخ ١٥ شوال سنة ١١٦٧هـ/١٧٥٣م

٨-سجل حلب محاكم شرعية ، رقم ١٠٥ ،صورة ٦٦ ص ١٤٦، تاريخ ٣ شعبان سنة ١١٨٦هـ/ ١٧٧٢م.

٩-سجل حلب محاكم شرعية ، ٩٨ صورة ٨٠، وثيقة ص ١٤٦تاريخ ١ صفر ١١٧٩هـ/١٧٦٥م.

١٠-سجل حلب محاكم شرعية ، رقم ٨٥، ص ١٦١، تاريخ ١٥ شوال سنة ١١٦٨هـ/١٧٥٤م

١١-كان ينتجها معمل عائد للحكومة في مدينة قره حصار في آسيا الصغرى ، وكانت تباع في محلات حلب انظر:سجل حلب محاكم شرعية ، رقم ٨٥، صورة ٨٣، ص ١٦١، تاريخ ١٥ محرم سنة ١١٦٨هـ/١٧٥٤م

١٢ - الرفاعي ، حلب بين التاريخ والهندسة ،ص١٩٠.

ومن ثم تستخدم في أساس البيوت، وبناء الجدران التي تفصل الغرف عن بعضها البعض في البيوت، لأنها بيضاء وأكثر طراوة وقابلة للنحت والصقل ، وأيضاً كان يخلط بكميات كبيرة مع مواد أخرى على شكل جص (روبة) لتغطية سطح الأبنية واستخدامه كطلاء للحيطان ، كما استخدم كإسمنت في وصل أنابيب الينابيع الفخارية، وصناعة القساطل والقرميد، وكان يخلط مع حجر صلصال الغضاري المستورد تجنباً للتفتت[١].

هذا وقد استخدم الحجر البازلتي الأسود القاسي المستخرج من مناجم جنوب حلب، لتبليط الشوارع، كما استخدم حجر يميل لونه إلى الأصفر، وهو قريب من المرمر في صفاته، لكنه أقلّ جودة منه، واستخدم في تزيين الأبنية وتبليط الساحات الداخلية للبيوت الخاصة والأبنية العامة وكان يستخرج من منجم قريب من حلب، أمّا المرمر الأحمر فكان يحصل عليه المهندسون المعماريون من دمشق، والمرمر الأسود من كلّس، وقد استخدموا المرمر الأبيض الثمين المستورد من ايطاليا في البيوت الغالية وذات الذوق العالي، ونظراً لزيادة الحاجة للمرمر الأحمر والأسود وارتفاع أسعارهما لجأ المهنيون الحلبيون إلى تعريض مرمرهم العادي لدرجات حرارة متوسطة، وبعد تجفيفه وفركه بالزيت، يصبح مشابهاً لمرمر دمشق الأحمر .أمّا المعادن فلم تُكتشف في حلب في تلك الفترة، فكان الرصاص والقصدير والحديد يستورد من إنكلترا وهولندا[٢].
وهولندا[٢].

٤-العناصر الانشائية :

أ-الأساسات: سعى معلمو البناء في المرحلة الأولى من انشاء المباني بتحديد عمق الطبقة للتأسيس عليها ، واهتمّوا بتركيزها على الصخر في حال وجوده قريباً من سطح الأرض، وذلك لعدم معرفتهم الكافية بتوزّع الحمولات، فاستخدمت غالباً الأساسات تحت الجدران لتوزيع الحمولات، أما في حالات تكون طبقة الأساس ترابية أو بعيدة عن الصخر، فقد جرت العادة أن تُحفر حفر مربعة طول ضلعها متر واحد، وتبنى الركائز بالأحجار، وتملأ الفراغات بأحجار الكلس، مع ربط الركائز مع بعضها لزيادة المتانة، وأيضاً كانت تستخدم في الأساسات الأوتاد

١ -سورمايان، تاريخ حلب ،ج١، ص٥٢.

٢ -راسل، تاريخ حلب،ج١، ص٦٧.

الخشبية المقاومة للرطوبة في حالات عمق الوصول إلى الطبقة الصخرية، وتملأ الفراغات بين الأوتاد بالحجر الخامي[١].

ب-التسقيف : استخدمت في العمارة الإسلامية أنواع عديدة من التسقيف ، وهي إما نصف كروية أو مدببة أو منخفضة أو مضلعة رباعية أو مثمنة، كما استخدمت الأسقف المستوية والمائلة لكن الأكثر شيوعاً كانت الأقبية المتطاولة والمتقاطعة، وهي مقببات ثلاثية الأبعاد أطلق عليها في حلب اسم (الغمس) ، ويدعى الشكل البسيط منها: العقد الاسطواني والذي يستعمل كسقف ثنائي عند الاستناد على الجدران، كما هو الحال في أسقف الأسواق القديمة في حلب[٢].وسقفت الأروقة بقباب تستند إلى الأقواس المجاورة ، وتستند إلى أعمدة دائرية، ويتمّ الانتقال بمثلثات كروية كما هو الحال في مساجد العادلية والعثمانية[٣].

واستعملت الأقبية المتقاطعة في حال الاستناد على ركائز، وكانت تملأ الفراغات فوق الأقبية بالحجر والمونة الكلسية ، وقد استخدم معلمو البناء أساليب تعتمد على الخبرة لتحديد أبعاد القبة وارتفاعاتها وأنواعها وسماكتها، وفي حال القباب في الجوامع والكنائس والحمامات، فقد اعتبرت القبة مجموعة من الأقواس القطرية على كامل محيط البناء، وتنقل حمولتها إلى الرقبة، وبنيت القباب بإنشاء مداميك (جدار حجري أفقي) متتالية الارتفاع يبرز كل واحد منها عن الآخر بالمقدار اللازم لتحقيق التقعّر الخاص بالقبة[٤] .

أمّا البيوت السكنية في حلب، فكانت تسقف بأسقف خشبية بشكل عام، وخاصة عندما يكون البناء من طابق واحد، وتوضع الأخشاب المبرومة بجانب بعضها البعض، على شكل صفوف وتدعى بالدعامات وتستند على الجدران، واستعمل خشب الحور والسرو الذي تميّز بجودته ومتانته وتثبت الدعامات بمسامير، ثم تردم بالكلس العازل[٥].

ج-الأقواس: القوس عبارة عن صف حجري له شكل وتدي ويكون طرفه العلوي أعرض من السفلي، وتكون الأقواس مرتبة بشكل معين، تتوج بها الفتحات المعمارية من أبواب ونوافذ

---

١ – الرفاعي ، حلب ،ص١٩٨. سورمايان ، تاريخ حلب، ج١،ص٢١٦.

٢– الرفاعي ، حلب ، ص٢٠٣

٣ – عثمان، الهندسة الانشائية ، ص٢٨٨.

٤– الرفاعي ، حلب ، ص–٢٠٤.

٥ – سجل حلب محاكم شرعية ، رقم ١٠٨، صورة ٤٠،ص ٧٣، تاريخ ٧ ذي القعدة سنة ١١٩٢هـ/١٧٧٨م.

ومداخل وتقسم تبعاً لشكل الفقرات فيها إلى أقواس ذات فقرات بسيطة[١]، وذات فقرات مزررة من الحجارة والرخام، والقوس الأبلق (الذي يتناوب في فقراته ألوان عدة) ، وكما تقسم الأقواس حسب شكل الفتحة وأهمها القوس المستقيم والنصف الدائري والقوس المدبب والقوس نعل الفرس والقوس المعقود (المفصص) والقوس المثلثي[٢].

د- المآذن : تكونت مآذن الجوامع في العهد العثماني من ستة عشر ضلعاً شبه دائرية تزينها المزررات والبلاطات الخزفية، ولها شرفة من ستة عشر ضلع تستند على مقرنصات وتنتهي بسقف مغطى بصفائح رصاصية، كما هو الحال في الجوامع والمساجد الكبيرة كالخسروية وجامع موسى والمساجد الملحقة بالمدارس[٣].

هـ-النقوش والزخارف الحجرية :

اتّبع الفن الإسلامي في النقوش والزخرفة والرسم والتزيين، أسلوباً متميزاً في طابعه وخصائصه ومن هذه الزخارف: المقرنصات التي ظهرت في حلب منذ القرن الحادي عشر الميلادي، وهي عبارة عن تجويف أو تجاويف متتابعة تشبه خلايا النحل، استعملت في مجالات عديدة منها التدرج من سطح إلى آخر، وبشكل خاص من السطح المربع إلى الشكل الدائري[٤].

ومن خواص الزخارف والنقوش في المنشآت العمرانية، استخدام التزيينات النباتية من وريقات وزهور وأغصان، واستخدام التشكيلات الهندسية: كالتقاطعات والتشابكات المتسلسلة وأيضاً نماذج الخطوط العربية، لتشكيل زخارف كتابية، فاستعمل الخط الكوفي، وأصبح فنّاً زخرفياً تنوّعت أشكاله من البسيط إلى المورق فالمضفر، واستخدام تكوينات ملونة بالاعتماد على أحجار ملونة، منها الأبيض والأسود والزهري والأخضر، وانتشر هذا النوع من التكوينات في المداخل وفوق الأقواس واستخدمت الرنوك[٥] .

---

١ – نجوى عثمان ، **الهندسة الانشائية في مساجد حلب**، منشورات جامعة حلب، حلب ، ١٩٩٢ ، ص٢٨٣.

٢ –لمياء الجاسر، **مدارس حلب الأثرية (تاريخها وعمارتها)**،ط١، دار الرضوان ، حلب، ٢٠٠٠. ص٨٣

٣ –الجاسر، مدارس حلب، ص٥٧١. عثمان ، الهندسة الانشائية، ص٢٨٨.

٤– أنيت طعمة،**الخانات العثمانية في سوريا والمحافظة على الهوية العمرانية** (دراسة تحليلية مقارنة لخانات دمشق–حلب–اللاذقية)، رسالة ماجستير في الهندسة المعمارية، اشراف د.عبير عرقاوي،جامعة دمشق. دمشق.٢٠٠٩، ص١٥٧

٥– الرنك: كلمة تركية ، أصلها فارسي، تعني اللون، الطراز، الشكل، الشعار، والرنوك عبارة عن نوعين: كتابية ورمزية، ورمزية، الرنوك الكتابية: .والمقصود بها الشارات التي تستعمل كختم أو علامة ترمز إلى وظيفة السلطان أو الأمير وتوضع على جميع ممتلكاته، وهي في الغالب ذات ألوان متعددة، ولذلك استخدمت كلمة لون لترمز إليها، وتوضع الرنوك داخل دائرة، وتدل على عصر السلطان. أما الرنوك الرمزية: وهي رسومات تدل على الألقاب التي تطلق على من يقوموا بالخدمة في قصر السلطان، ومن عهد إليه بالبناء في عهد السلطان.الرفاعي،حلب،ص٢٢١.

التي تحمل صوراً لحيوانات أو تشكيلات نباتية، خلافاً للرنوك المملوكية التي كانت تمثّل رموزاً، فيها شعارات أو إشارة إلى مشرف المنشأة[١].

٦-أبرز الأعمال العمرانية المستحدثة في فترة البحث :

أخذت مدينة حلب تعجّ بالأحياء، وبدأت تتوسّع خارج المدينة والأسوار، ومنذ العام ١٧٦٢ حددت السلطات معظم الأزقة والأحياء على أنها مجموعات ضريبية تمتلك استقلالاً مادياً، والبقية منها تمّ جمعها مع بعضها لتشكيل أحياء جديدة، أو إلحاقها بأحياء موجودة سابقاً، فنشوء مخطط للأحياء كان يعكس العديد من الخيارات: كالرغبة في السكن بالقرب من أعضاء نفس الطائفة الدينية أو القرب من مكان العمل، أو توفر البيوت التي يمكن تحمل أسعارها[٢]، وبناء على ذلك نشأت أحياء مسيحية جديدة في الضاحية الشمالية للمدينة، وأصبح عدد هذه الأحياء في نهاية القرن الثامن عشر (١٧٧١-١٧٨١) اثني عشر حياً ، وظهرت أحياء الماوردي[٣]، تراب الغرباء الطويل، أقيول[٤].

برز دور الأعيان المحليين في التاريخ العمراني لمدينة حلب في فترة البحث مقارنة مع النشاط العمراني للباشوات في الفترة السابقة[٥].وأدّى الأعيان وأفراد العائلات الدينية الكبرى فعاليات اقتصادية ملحوظة، وخاصة إدارة المنشآت الوقفية، فشهدت المنطقة الجنوبية من المدينة بين باب المقام وساحة بزا نشاطاً عمرانياً، وسكنتها عائلات ثرية مثل: طه زاده، الكواكبي، حيث أقاموا منشآت عمرانية عديدة، ففي منطقة الجلوم: بنى أحمد طه زاده المدرسة عام ١٧٥١[٦] وأيضاً بنى أحمد الكواكبي مدرسة سنة ١٧٥٣، وسبيلاً عام ١٧٧٣م، ولكن منطقة شمال المدينة بين الجامع الكبير وباب النصر، وفي سويقة علي عرفت نشاطاً ملحوظاً بفضل عائلة من كبار تجار حلب، وهي عائلة الأميري وعميدها موسى الأميري الذي أنشأ سبيلاً (عين ماء)، وجامعاً

١- الرفاعي، حلب، ٢٢٠.

٢- ماركوس ، الشرق الأوسط ص٣٦٧-٣٦٨.

٣ -الماوردي : كان هذا الحي بستاناً فيه تفاح ماوردي ، الأسدي ، أسواق حلب، ص٣٣٦.

٤- ريمون ، حلب ، ص٣٠٦.

٥- أشرنا سابقاً إلى النشاط العمراني للباشوات في التمهيد التاريخي.

٦ - سجل حلب محاكم شرعية رقم ٩٦، صورة ١٣٦ ،ص ٢٦٣، تاريخ ٢٨ محرم سنة ١١٧٨هـ/١٧٦٤م.

(جامع الخير) في العام ١٧٦٣[١] ، وفي العام ١٧٦٣ أنشأ موسى وقفاً، تضمن (٩٥) دكاناً و(٨) قيساريات و(٦) مصابغ و(٣) خانات وحمامين وكانت كلها في محلة السويقة [٢].

أ-الدور السكنية :

اتّسمت الدور السكنية في حلب بخصائص عديدة من حيث شكلها ومكان توزعها واختلاف تصميمها العمراني، ففي القرى والمزارع انتشرت الدور بشكل غير متلاصق على مسافات واسعة، وغلب عليها ظاهرة التسقيف بالقباب المصنوعة من اللبن والطين، والمستندة على أعمدة خشبية وعدد من الغرف[٣] ، وأما في المدينة فقد احتوت الدُور على: مساكن وحوش سماوي وملحقات كجباب الماء، وبايكة (اصطبل) للحيوانات، ولم تتجاوز معظم الدور فيها الطابق الواحد فوق الطابق الأرضي، ولم يكن هناك أي فراغ يفصل بين الأبنية، وكان كل بناء يلتصق بالبناء المجاور له تماماً ليشكّلوا كتلة صلبة من دور السكن ذات النمط الفسيفسائي ، فتتجمع بعض الدور الحلبية في حارات مغلقة، لكل منها باب واحد للدخول والخروج معاً، لا يدخلها إلا قاصدها لتكون أكثر أمنا، وأيضاً ساعدت جدران البناء الملتصقة[٤] على تخفيض تكاليف البناء، فضلاً عن بعض الآثار السلبية للالتصاق السكني وقد اتضح ذلك من خلال العديد من الوثائق حول حضور المعمار السلطاني لتقسم الدور المجاورة وحلّ الخلافات [٥].

ارتبط تطوّر الدور وتصميمها المعماري تبعاً للأوضاع المادية لمالكيها ، فكانت الدور الكبيرة والفاخرة، مركزة بشكل كبير في بعض الأحياء التي تحيط بالسوق المركزي والقلعة[٦] ومثال ذلك ما أشارت إليه إحدى الوثائق: " اشترى التاجر أبو بكر آغا من التاجر محمد صالح في العام ١٧٥٢ دارين بزقاق الحلاوة بمحلة جلوم الكبرى يحوي كل منهما على إيوان فيه قبتان ويعلوهما أربع مربعات يصعد إليهما بدرج من الحجر وعلى بركة ماء ..وعلى مطبخ وحوش

---

١ – ريمون، حلب ، ص ٣٠٩.

٢– حريتاني ، حلب والسلطنة العثمانية ، ص٤٥.

٣ انظر الملحق رقم ١٧

٤– ماركوس ، ص٣٢٩

٥ –تم ذكر عدد من الوثائق في الطوائف المعمارية .

٦ –تم ذكر الأحياء الفقيرة والثرية في الفصل الثاني (بحث الأسرة)

وصهريج وحديقة ومرافق بثمن قدره ألف غرش بموجب تمسك شرعي وشهادة شهود وطالب المحكمة بتبرير حجة شرعية تتضمن هذا الإقرار.."[١]. أما الدُور التي غلب عليها طابع الفقر فكان معظمها خارج أسوار المدينة مشكلة قوساً من الفقر من الغرب والجنوب والشرق، وغلب عليها الوضع العمراني المتواضع، فقد ذكرت إحدى الوثائق أنه في العام ١٧٥١ " باعت امرأه منزلها المسقوف على ثمانية عشر عوداً من الخشب في خان باب النصر في ظاهر حلب بثمن قدره خمسون غرشاً.."[٢]

وحول التصميم المعماري للدور، فقد لوحظ من الوثائق استخدام كلمة المسكن، وهو جزء من الدار (غرفة واحدة للسكن)، و كلمة "بيت" كجزء من الدار، أو مسكن. وفيما يتعلق بالبيت المقنطر(قنطرة وهي عبارة عن شكل هندسي يمثل نصف دائرة) فقد أوردت إحدى الوثائق "وجود المسكن المقنطر المسقوف على اثنين وأربعين عوداً من الخشب الموجود بدار الزغبي الكائنة بمحلة قارلق.." [٣].

تميّز الدار الحلبي بأنه منفتح على الداخل ومنغلق على الخارج، وشكّل الحوش السماوي(كما أوردته الوثائق)أو الصحن نواة الدار الحلبية، ففي الدور الصغيرة طلّ الصحن على غرف قليلة على طرف واحد أو طرفين، بينما في الدور الكبيرة يصطفّ حول الصحن الغرف من ثلاث أو أربع جهات، وكانت مبلطة بالرخام ، ومثال ذلك : " كان دار الخواجه بيك بمحلة الجلوم الكبرى ويتألف من ست أوض (غرف) ومطبخ ومصعد مبلط بالرخام الأصفر ، ومنافع وباكية .." [٤] وكانت معظم غرف الدور الكبيرة مشيدة على طابقين، وجزء منها تحت الأرض، على شكل أقبية ويسمى الطابق السفلي كما ذكرته الوثائق البرّاني ، وأما في الطابق العلوي ومنه يتم الانتقال إلى الغرف الداخلية فأشارت الوثائق إليه باسم جواني وكان يعرف بالحرم[٥].

لا يوجد في الدار الحلبي وظائف محددة لكل غرفة، باستثناء المطبخ والحمام أو بيت الطهارة ، فغرفة المعيشة كان بالإمكان استخدامها للنوم ، فقد أشارت إحدى الوثائق إلى دار بمحلة الفرارة " ضمّ طابق سفلي وعلوي السفلي يتألف من أوضة مسقوفة بالأخشاب و مطبخ وبيت

١-سجل حلب محاكم شرعية رقم ٨٧ صورة ١٠، وثيقة ص ١٤ تاريخ ١٤ صفر١١٧٠هـ/١٧٥٦م.
٢- سجل حلب محاكم شرعية رقم ٨٣ ، صورة ٢٤، وثيقة ص ٤٢ تاريخ ١٦ رجب ١١٦٥هـ/١٧٥١م.
٣ -سجل حلب محاكم شرعية ، رقم ٩٧، صورة ١٣، وثيقة ص ١٨، تاريخ ٨ رجب سنة ١١٧٤ه/١٧٦٠ـ
٤- سجل حلب محاكم شرعية ، رقم ١٠٠ ، صورة ٤٨ ، ص ٨٩، تاريخ ١١ صفر سنة ١١٨٠هـ/١٧٦٦م.
٥- سجل حلب محاكم شرعية، رقم ١٠٥، صورة ٥١، ص ٩٦، تاريخ ٢٠ ربيع الأول سنة ١١٨٦هـ/ ١٧٧٢م.
١٧٧٢م.

للطهارة وفسحة سماوية وجب ماء واصطبل مسقوف بالأخشاب ويُصعد إلى الطابق العلوي الحرم بدرج من حجر وينتهي إلى أوضة كبيرة راكية على الأوضة السفلية ويُدخل منها إلى الحرم السفلي ومن ثم يدخل إلى اوضة كبيرة مسقوفة بالأخشاب راكية على قبو تحتها.."[١].

بالنسبة للأشكال الفنية والزخرفية للدور الكبيرة، فقد صمّمت وفقاً للتقاليد الحلبية التي كانت سائدة، في فترة بنائها من حيث الخصوصية الإسلامية، وتأثرت بالنقوش والزخارف الأوروبية وخاصة بعهدي الباروك[٢] .

والروكوكو[٣] من أوروبا مع المحافظة على الأحكام التي تضبط النقوش والزخارف من حيث عدم تمثيل الأجسام البشرية[٤]. ومنها كان أشبه بالقصور، فكان لها ثلاثة صحون أو أكثر أحدها للرجال ولاستقبال الضيوف، والثاني لسكن العائلة، والثالث للخدم ، فغرفة الاستقبال كانت تتألف من عتبة كبيرة مبلطة بالرخام الملون، واستخدمت فيها الزخارف والنقوش والأشكال النباتية الزخرفية، ومن أكثر الدور التي ذاع صيتها في حلب في فترة البحث كان :

دار بليط : يعود بناؤه إلى منتصف القرن الثامن عشر ، وكان يتملك هذه الدار عائلة بليط وهناك نص في جدار الايوان يؤرخ للبناء بعام ١٧٥٦م ، فكان الطابق الأرضي يتكون: من مدخل موجه شرقاً يؤدي إلى موزع ويضم درجاً يصعد إلى الطابق الأول ، ويوزع إلى مطبخ على اليسار ويؤدي إلى الأمام، إلى باحة تضم بركة ماء في الوسط خلفها مسطبة ، وفي الجنوب ايوان على طرفيه غرفتان يقابله درج مزدوج يؤدي إلى الطابق الأول ، وعلى طرفي الباحة ثلاث غرف . أما الطابق الأول فتألف من سطح وثلاث غرف تقع فوق الايوان، وبالنسبة للزخارف

١- سجل حلب محاكم شرعية ، رقم ٨٤، صورة ١٤٤ ، ص ٢٨٠ ، تاريخ سنة ١١٦٨هـ/١٧٥٤م.

٢- الباروك: Baroque : مصطلح مشتق من كلمة برتغالية يعبر عن شكل منتظم، أو لؤلؤة مستديرة الشكل ،أخذ هذا المصطلح في القرن الثامن عشر للتعبير عن عصر بدأ في القرن السابع عشر في أوروبا أسرف فيه الفنانون في استعمال الزخارف بكثرة والمنحنيات في الخطوط ، واستعمال مكونات للتزيين على شكل باقات زهور وأكاليل وأشكال آدمية . الرفاعي ، حلب ، ص٢٤٤. زينات بيطار، **الاستشراق في الفن الرومانسي الفرنسي**، مجلة عالم المعرفة ، العدد ١٥٧ــ المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٩٩٨. ص٣٠-٣٦.

٣- الروكوكو : Rococo: مصطلح من كلمة بمعنى شكل صدفي، استعمل للدلالة على عهد من الزخارف والتزيينات في أواخر عهد الباروك في مباني القرن الثامن عشر ، حيث زادت العناية بالزخارف وكثرة الانحناءات والتشابك ووفرة العناصر الزخرفية . الرفاعي ، حلب ، ص٢٤٤.

٤- سجل حلب محاكم شرعية ، رقم ١٠٠ ، صورة ٤٨، ص ٨٩، تاريخ صفر سنة ١١٨٠هـ/١٧٦٦م.

فتمتاز الدار بإيوانها ذي السقف الخشبي الملون ، وزخرفة جدران غرفها المطلة على صحن الدار، وعلت النوافذ والأبواب الزخارف النباتية والهندسية [١].

دار أجقباش: يقع في حي الصليبة، ويعود بناؤه إلى منتصف القرن الثامن عشر، تملّكه شخص يدعى قره علي ، ثم تملّكه شخص آخر يدعى أجقباش وهو تركي الأصل ، وأطلق عليه هذا الاسم، لكونه أول شخص يرفع العمة عن رأسه، ومعنى كلمة أجقباش : الرأس المكشوف. وتكوّن الدار من طابق أرضي وقبو ومغارة، ومن مدخل يليه درج يؤدي شرقاً إلى باحة في وسطها بركة مزخرفة من الرخام ، وشمال الباحة توجد القاعة التي تتميز بعتبتها المزخرفة بالرخام المشقف وزخرفت جدرانها الداخلية وقد صنعت بأشكال هندسية نافرة. وتميزت واجهات الدار بوجود زخارف حجرية على طراز الروكوكو ، ويتقدّم الايوان قوس كبير مدبب بُني بنظام الأبلق تحيط به زخارف وتألف الايوان سقف خشبي مزخرف عجمي[٢].

دار باسيل: يقع في حارة الراهب ، ويعود بناؤه إلى العام ١٧٧٢، سكنته الراهبات الحلبيات الباسليات، وامتاز الدار بالزخارف الجصية التي زيّنت إيوانه[٣]، كما تميزت جدران الغرف المطلة على الصحن بالزخارف الجصية الحاوية على الأشكال والخطوط الانسيابية [٤]، وتألف الدار من ثلاثة غرف نوم متصلة مع بعضها البعض ، ولها شرفة تطل على الباحة ويوصل إليها عبر درج وامتازت غرف النوم بمدخل جميل تعلوه مظلة خشبية ، أما الواجهات فكانت مزينة بالزخارف الحجرية الحاوية على الاشكال النباتية[٥].

ب-المدارس :

أدّت المساجد في العصور الإسلامية دور المدارس لتدريس العلوم الدينية، وبعد أن تعددت فروع المعرفة وظهر التخصص، فقد أُنشأت المباني المستقلة عن المسجد من قبل السلاطين والأمراء، وكانت المدارس تحمل صفات معمارية تناسب الهدف الذي أنشأت من أجله، وكان التخطيط العمراني للمدارس الحلبية، في فترة البحث متقارباً مع الفترات السابقة، فتألفت من:

١- جوشقون ، تقصي خطى الدولة ، ص٦٢٩.

٢ -عبد الله حجار ، **معالم حلب الأثرية** ، منشورات جامعة حلب وجمعية العاديات بحلب ،١٩٩٠ ، ص٥٠ . جوشقون، تقصي خطى الدولة ، ص٦٢٥

٣- جوشقون، تقصي خطى الدولة ، ص٦٢٧.

٤ -حجار، معالم ، ص٤٥. طلس ، الآثار الاسلامية ، ص٢٩٤.

٥- جوشقون، تقصي خطى الدولة ، ص٦٢٧.

قاعات للتدريس، وغرف للأساتذة والطلاب، ومصلى، وصحن تتوسطه بركة، وايوان للتدريس صيفاً، وتضمّن مدفناً لمؤسس وواقف المدرسة. ومن هذه المدارس :

المدرسة الأحمدية: عدّت من أجمل أبنية القرن الثامن عشر، عمرها أحمد باشا في العام ١٧٥١م [١] في محلة الجلوم الكبرى، وبنى مدفناً وتربة وجامعاً ومدرسة وسبيلاً، ومن أوقاف المدرسة: خانان وثماني قيساريات ، وثلاثة وسبعين دكاناً وأربع بيوت قهوة وحمام[٢]. ويتكوّن المسقط الأفقي للمدرسة من مدخل يؤدي إلى صحن أو باحة خارجية أولى ، وتنقسم إلى قسمين قسم أول: يشكل ممراً إلى درج يؤدي إلى مدخل المدرسة ، والقسم الثاني: يضم ممراً يتجه شمالاً وجنوباً يؤدي إلى المدفن، وتضمّ المسطبة غربي التربة ثلاثة قبور آخرها قبر الواقف، وهو من المرمر المزخرف ، ويعلو المسطبة الغربية من الداخل، ثلاثة أقواس: نعل الفرس المدبب ترتكز على جدار وثلاثة أعمدة مقرنصة تقع فوق المسطبة، وتضمّ المسطبة الشرقية تسعة قبور أحدها مزخرف بزخارف نباتية، أما الباحة الثانية فهي ترتفع عن الباحة الأولى بسبع درجات ، وشكلها مربعة تحيط بها أروقة من جميع الجهات، وقد قسّم هذا الرواق بواسطة قوسين مدببن ثلاثة أقسام سقف كل منها بقبة منخفضة دون رقبة، تتوضّع الوسطى منها فوق صفّ من المقرنصات والانتقال بالمثلثات الكروية[٣]أما قبلية المدرسة فهي صغيرة مربعة تتصل غرباً مع المكتبة بباب وسقفها قبة منخفضة تضم(١٢) نافذة صغيرة، وترتكز في الأسفل على صفّ من المقرنصات على شكل لسينات تدور حول محيطها ، وفيها محراب مجوف سقف حنيته بمقرنصات تنتهي بنصف قبة صغيرة ، وللمحراب ناصيتان مجوفتان، تضمّ كل منهما عموداً له تاج مزخرف بزخارف نباتية تشبه أوراق النخيل، وقاعدة مقرنصة والوحيدة في مدارس حلب ، وفوق المحراب تاج مزخرف بنقوش نباتية، ويحيط بالجميع إطار على طرفيه ظفران مزخرفان ، ولا يوجد في هذه القبلية منبر لأنها كانت مخصصة للطلاب والأساتذة

وضمّت المدرسة القاعة والتي يوجد فيها غرفتان أكبر حجماً من باقي الغرف، ولكل منهما نافذة وباب ، وأما غرف المجاورين فهي تختلف في حجمها من غرفة إلى أخرى ، وهي صغيرة تطلّ على الأروقة بنافذة وباب، وبالنسبة لمكتبة المدرسة فيدخل إليها عبر باب في الجدار

١-الطباخ، إعلام النبلاء-ج٧، ص٧٠.

٢-الغزي، نهر الذهب،ج٢،ص٥٢.

٣- الجاسر، مدارس حلب، ص٣٩٥.

الغربي وهي غرفة مؤلفة من قسمين، يفصل بينهما حاجز من البرامق الخشبية، وفي جدارها نافذتان تطلان على الرواق، ونافذتان تطلّان على التربة [١].

واجهة المدخل : بوابة قليلة العمق بمكسلتين صغيرتين مرتفعتن(محرسين) يتقدمها قوس كبير مدبب، فوقه شريط من المثلثات الكروية، وتعلوها شطبة مائلة ، وتضم البوابة باباً يحدّه من الأعلى قوس مجزوء مزرر، فوقه لوحة يحيط بها إطار كتب فيها :



أنشأ هذه العمارة المباركة مسجداً ومدرسة وتربة عمدة الموالي العظام جناب السيد أحمد أفندي العارف بالله تعالى الشيخ السيد طه أفندي الشهير بطه زاده في سنة خمس وستين ومائة وألف[٢]

واجهة المدفن : تضم نافذة وباباً يحد كل منهما من الأعلى قوس مجزوء ، واستخدم فيها نظام الأبلق (بالألوان : الأبيض الرخامي والأصفر والأسود)، وفوق النافذة شريط زخرفي يرتفع ليحيط باللوحة الرخامية فوق الباب، وعليها كتابة جاء فيها:



"مدرسة للمذهب النعماني ومسجداً لطاعة الرحمن يقرأ به التفسير والحديث والآلات مع عقايد الايمان أنشأها صدر الموالي أحمد هو ابن طه عارف الزمان وفي جوارها أشاد تربة يسري صلاح الجار للجيران فالله يجزيه على أعماله منازل الرضوان في الجنان أوقفها للاشتغال أرخ بالفقه والحديث والقرآن ١١٦٥[٣]"

واجهة القبلية : باب على كل من طرفيه نافذه ، يحدّ كل منها قوس مجزوء، وهناك شريط زخرفي لأشكال نباتية على طول الواجهة ، وفوق الباب نص من الشعر جاء فيه :



قد بني أحمد بن طه محلاً لدروس المنطوق والمفهوم وبنور التوفيق قد تم أرخ مسجد شاد للتقي

---

١ –جوشقون ، تقصي خطى الدولة ، ص٣٠٥.

٢–الغزي ، نهر الذهب، ص٦٣.

٣ –نجوى عثمان ، **دراسة نقائش العهد العثماني في محافظة حلب** (المباني وشواهد القبور)تحقيق محمد كمال ، عباس صباغ ، مديرية أوقاف حلب – المكتبة الوقفية ، حلب ، ٢٠١٠، ص ٩٤–٩٦.

والعلوم سنة ١١٦٥

مميزات عمارة المدرسة الأحمدية : يمكن تصنيفها من ناحية التصميم ضمن مدارس الطراز العثماني، والبناء بشكل عام صغير، ولم تحتوِ المباني الملحقة التي ضمّتها كل من مدارس الخسروية والعثمانية، ولم يكن فيها ايوان ولا مئذنة ، ولكن امتازت بأروقتها الأربعة حول باحتها ووراءها غرف المجاورين، وألحق المدفن في بناء مستقل .

ومن ناحية الانشاء: فقد استخدمت قبة منخفضة على رقبة اسطوانية تظهر من الخارج كالقبلية. كما استخدمت قبة دون رقبة كالرواق أمام القبلية، وسقف مستوٍ حجري كالأروقة واستخدم القوس المدبب في الأروقة والمدخل، والمجزوء المزرر كباب المدخل والنوافذ والمجزوء الأبلق كباب للمدفن، ونعل الفرس المدبب العثماني كعقد المسطبة .

وأما من ناحية الزخرفة : فضمت أنواعاً كبيرة منها مقرنصات: الأعمدة. الأظفار.حنية المحراب أول قاعدة عمود مقرنصة . وضمت كذلك أشكالاً نباتية : واجهة القبلية . عمودي المحراب والمدفن. ونصوص كتابية : كالمداخل القبلية والمدفن . ونظام الأبلق : في المدفن[١].

المدرسة الكواكبية :أنشأها أحمد بن أبي السعود الكواكبي عام ١٧٥٣م، احتوت على قبلتين وحجرتين وحوضاً يقع في الجهة الغربية للصحن، [٢] ويتكون المسقط الأفقي للمدرسة من مدخل يؤدي إلى صحن، ويليه بضع درجات تصعد إلى باحة مربعة، في وسطها بركة مثمنة صغيرة ويحيط بالباحة جنوباً قبلية صغيرة، وفي شرقها غرفة صغيرة ، وعلى طرفي الباحة الشرقي والغربي مسطبتان، وتحت المسطبة الغربية قبو ينزل إليه بدرجات يضم حوض الماء، وبني فوق المسطبة الشرقية غرفة خشبية لها سقف خشبي وجدران خشبية .

القبلية: مستطيلة الشكل مكوّنة من ثلاث بلاطات، ويرتفع القسم الشرقي عن أرضية القبلية وينفصل عنها بحاجز خشبي ، وسُقف كل من القسم الأوسط والغربي بقبو متقاطع ناتج عن تقاطع قبوين مختلفي الارتفاع، بينما سُقف القسم الشرقي بقبو متقاطع ، والقسم الأوسط أكثر ارتفاعاً من سقف القسمين الجانبين، مما سمح بانشاء نوافذ علوية تقع بين فرق الارتفاعين، وفي القسم الأوسط المحراب ويتقدمه قوس مدبب استعمل فيه نظام الأبلق (الأسود والأصفر والأبيض) وهو يقع ضمن

١-الجاسر ، مدارس حلب ،ص٤٠٤.

٢- كرد علي ، خطط الشام ، ج٦، ص١١٦.

واجهة تبرز قليلاً عما حولها، يتوجها من الأعلى مقرنصات تضم زخارف نباتية وعلى طرفيها ظفران مزخرفان بخطوط متشابكة[١] .

الواجهة الخارجية الشمالية: باب خشبي أمامه درجة، يعلوه قوس مجزوء كتب على المفتاح مدرسة الكواكبية[٢]، ويحيط بالباب إطار يبرز قليلاً عن الواجهة يتوجه إفريز :



واجهة القبلية: في الوسط باب يحدّه من الأعلى قوس مجزوء أبلق، فوقه طاقة مستديرة يحيط بها إطار، من المكعبات المنحوتة بشكل متناوب، ويحيط بالكل إطار يبرز قليلاً عن الواجهة ، يتوجّه في الأعلى إفريز يضم مقرنصات ذات زخارف نباتية، وعلى كل من الطرفين نافذة يحد كل منها قوس مجزوء ، وفوق كل نافذه طاقة يحدّها من الأعلى قوس نعل الفرس المدبب العثماني [٣].

مميزات عمارة المدرسة : كان التصميم متناظراً بالنسبة لمحور يمر بالباب فالباحة فالقبلية والمحراب ، ومن حيث الإنشاء : فقد استخدم فيها قبو متقاطع ناتج عن تقاطع قبوين متساوي الارتفاع أو مختلفي الارتفاع: مثال على ذلك القبيلة، والقوس المجزوء (أبواب ونوافذ). والمجزوء الأبلق (القبيلة) . والمدبب الأبلق (المحراب) . ونعل الفرس المدبب العثماني(الطوق). والمفصص (المسطبة الغربية) .

الزخرفة: استخدم نظام الأبلق والمقرنصات المزخرفة بزخارف نباتية في واجهة القبلية والمحراب والمكعبات المنحوتة بشكل متناوب في الطاقة فوق باب القبيلة، والأقواس المفصصة بأشكال زخرفية في جدار المسطبة الغربية . وإن هذه المدرسة رغم صغرها ضمت أنواع عديدة من الزخارف لم توجد في غيرها من المدارس الصغرى [٤].

---

١ –جوشقون، تقصي خطى الدولة ، ص٣١٣.

٢ –عثمان ، نقائش العهد العثماني ، ص١٥٠.

٣ –جوشقون ، تقصي خطى الدولة ، ص١٥١.

٤–الجاسر ، ص٤٠٤.

المدرسة المنصورية: أنشأها منصور بن مصطفى السرميني الحلبي الحنفي (١٧٢١-١٧٩٢)

وتميزت عمارة المدرسة بأن لها صحن واسع في وسطه حوض مربع ، وفي شماليه قبران، وفي شرقه وغربه حديقتان ، ويضم البناء غرباً قبلية فيها ضريح الشيخ منصور، وجنوبه ايوان عال من تحته ثلاث غرف ضخمة[١]، وشمالاً دار يدخل إليه من الصحن . أما واجهة المدخل فهي عبارة عن باب كبير مصفح بالبرونز، يحده من الأعلى قوس كبير نصف دائري وله ثلاث نوافذ استخدم فيها نظام الأبلق [٢]. وكتب نص على الجدار الداخلي للمدرسة :



"بسم الله الرحمن الرحيم هذه دار الحديث المسماه بالمنصورية
حبذا روضة العبادة والذكر وتوحيد رب الناس في السر والجهر
ومجلس فيض عم نوراً وبهجة من العلم والتدريس حقا بلا نكر
بفضل همام حاز توفيق ربه بإنشاء خير ظاهر أمد الدهر
بمنصورية الأفضال مدرسة زهت برونقها فاغنم ثناغاية البر
رشاد عباد الله فيها وهديه بيمن وتفريج لعاقبة الأمر
وشاد بناها بالبهاء فأرخوا بأنفاس أهل الله سامية القدر١٢٠٨"[٣]

ج-السُبُل:

السبيل هو مشرب ماء يقام في الأماكن العامة والأحياء وأركان المساجد والمدارس والزوايا والقريبة من المقابر، وأنشأه أهل الخير لوازع ديني وأخلاقي مجاناً ، وزود بماء القناية أو المطر أو بماء الآبار، وتألف السبيل غالباً من غرفة مربعة الشكل، وهناك أنبوباً كان يقع وسط أحد

١- الطباخ ، ج٧، ص١٤١ . طلس ، ص٢١٧.
٢- جوشقون ، تقصي خطى الدولة ، ص٣٢١.
٣- عثمان ، نقائش العهد العثماني، ص٢٢

الجدران الداخلية يمكن أن ينهل منه الشارب بسهولة ثم يجري الماء إلى جرن حجري مستطيل تسقى منه الحيوانات ، ومن هذه السبلان التي أنشئت في النصف الثاني من القرن الثامن عشر:

سبيل سماقية : يقع في ساحة بزا ، وهو بئر عليه شبه قبة مكتوب على قنطرته أن الذي أنشأه السيد محمد بشير سنة ١٧٥١م . وكان له دار موقوفة في الساحة المذكورة[١].

سبيل الأحمدية : يقع في محلة الجلوم الكبرى وسط السوق ولصيق المدرسة الأحمدية من طرف الشمال ، أنشأه مؤسس مدرسة الأحمدية سنة ١٧٥٢م ، له باب ونافذة كبيرة وله صهريج نافذ مجراه إلى سبيل المدرسة، وفي النافذة جرنان من الرخام الأصفر يوضع فيهما الماء من الصهريج[٢].



وجاء نص مكتوب على قنطرته :

سبيل في رضاءالله جار لظمآن يمر علي طريقه
بناه أحمد تاج الموالي بإخلاص توفق في حقيقه
ونادى هاتف الخيرات أرخ ببسم الله فاشرب من رحيقه ١١٦٦هـ " [٣]

سبيل المولوية : يقع قرب باب الفرج في واجهة مدخل التكية المولوية ، وتخزن مياهه ضمن غرفة تدعى المبرد ، وهي غرفة مربعة يعود بناؤها حسب النقش الموجود على جدارها لعام ١٧٦٢م، وسقفت الغرفة قبة مدببة دون رقبة ، وفي الواجهة عبارة عن باب كبير وفي غربه واجهة السبيل عبارة عن نافذة [٤]، وفي الأعلى كورنيش بارز ، وأسفل النافذة مسطبة محمولة على ظفرين . وعلى يمين المدخل نقش جاء فيه :



" قصدي رضاء الباري والصفح عن أوزاري
نادي التهانيَ أرخ فالماء خير جاري ١١٦٦هـ [٥]"

سبيل عكام باش : يقع في محلة بندرة الإسلام ، وكان يؤخذ الماء منه بواسطة أنبوب ، وأنشأ في العالم ١٧٧٩، وكتب على جداره ثلاث سطور وهي

١- جوشقون ، تقصي خطى الدولة ، ص٥٨١.

٢-الغزي ، نهر الذهب، ج٢ ، ص٥٥.

٣- عثمان ، نقائش، ص١٠٣.

٤ - جوشقون، تقصي خطى الدولة ، ص٥٩٣.

٥-عثمان ، نقائش ، ص٢٦٥.. انظر ايضاً : جوشقون ،تقصي خطى الدولة ، ص٦٠٩.



جزا الله أحسن الجزا لمن كان سبباً في هذا الخير
انشاه الناظر الحاج محمد بن عيشة عكام باشي
وأجرة القنواتي(القنواتي) من أجرة دار
التي بها كل شهر نصف غرش١١٩٣هـ[١]
كانت واجهة السبيل تشبه مداخل البيوت ، وتبرز قليلاً عن الكورنيش ولها كورنيش في الأعلى محمول على ظفرين صغيرين في الجانبين، وفي الأعلى سطح مائل يصل سطح واجهة السبيل البارز مع مستوي الجدار[٢] .

الجصية الفريدة، وسقفها الخشبي المزخرف، وأما جدران الغرف المطلة على الصحن فهي مزخرفة بالأشكال النباتية والزخارف الجصية[٣] .

د- الجوامع :عدّت حلب من أغنى الولايات العربية بالمساجد والجوامع الأثرية، ففي أغلبها صحن تغطيه في الوسط قبة كبيرة ،ولا يعلوها أكثر من مئذنة واحدة ، وحسب وصف (راسل) للجوامع في القرن الثامن عشر في حلب، فقد كان يوجد في المقدمة أروقة جميلة ذات أعمدة تغطيها قباب صغيرة ، ويدخل إلى الجامع عبر باب كبير، وكان يبنى من الحجر الكلسي، وتكسى قباب بعض الجوامع بالرصاص، وأمام الجامع ساحة مرصوفة واسعة ومستديرة ، وفي الوسط بركة مغطاة ، وعلى جوانبها صنابير مياه للوضوء[٤] .

جامع الخير (حاج موسى): يقع في محلة سويقة علي، عمرّه الحاج موسى آغا بن حسن الأمير في سنة ١٧٦٢م[٥]، يتألف الجامع من طابقين وهو عبارة عن صحن وقبلية ورواق وغرف وغرف علوية، يفتح المدخل على جهة الشاهدة الغربية وقوسه موتور ، ويعلو الباب نقش كتابي :



"بناء على تقوى وأحكم تأسيس الذكر
وتدريس تقدست قديسا
به طافت الأملاك من كل جانب
تبوء منشيه الجنان وفردوسا
أميري بعون الفرد ذا مسجد بنا
أرِخ جامعا أوتيت سؤلك ياموسى[٦]"

١- عثمان، نقائش ص٢٢٦. الغزي ، ج٢، ص١٥٦.
٢- جوشقون ، تقصي خطى الدولة ، ص٥٨٥.
٣- حجار،معالم حلب ، ص٤٥.
٤- راسل، تاريخ حلب،ج١، ص٤٦.
٥-الغزي ، ج٢، ص١٧٨.
٦- عثمان ، نقائش ،٣٧.

الصحن: مربع الشكل ويحيط به رواق له أربع فتحات أقواسها مدببة، تستند على ثلاث دعامات، وفي الجهة الشرقية للصحن غرف [١]، وفي شماليه رواق فيه غرف أيضاً باتجاه حوض مربع ومسطبة[٢]، ويتقدّم القبلية الرواق المستند على أربع أعمدة مقرنصة ، وتفتح على الصحن بخمس فتحات أقواسها نعل الفرس المدبب ، ويقع مدخل القبلية تحت القوس الأوسط ، وفي الجهة الغربية من الرواق تفتح نافذة على الشارع، ويكون على شكل قوس عثماني.

القبلية : مستطيلة الشكل ، ويقع في جدار القبلية أربع ايوانات ، وفي الايوان الواقع في نهاية الجدار الشمالي مدخل يؤدي إلى السدة والتي ترتفع فوق مدخل القبلية، أما في الجدار الغربي للقبلية فتوجد ثلاث نوافذ سفلية مستطيلة الشكل ونافذة علوية قوسها مدبب، ويوجد في الجدار الجنوبي ايوانان في الزاويتين الجنوبية والغربية . وأما المئذنة فتتألف من (١٦ ضلعاً) تستند على مقرنصات، ثم يكمل الجزء الأخير من المئذنة على شكل مخروطي [٣].

وفي الجهة الجنوبية الشرقية يوجد المحراب، وهو مصنوع من حجر البعادیني الأصفر الخالي من الزخارف وقوسه مدبب ، وأما المنبر فيقع على يمين المحراب ويتألّف من واجهة أمامية مزخرفة بزخارف هندسية يعلوه زخرف كتابي ثم تاج مقرنص :



" أيا خطيبا رقى مقاما إليه كل الفخار ينهى
فأمر بعدل وعظ وذكّر وقل أقيموا الصلاة أبهى
وبالكلام القديم أرخ قد جاء ان الصلاة تنهى" [٤]

مسجد النبي كالب : وهو النبي كال بن يوفنا (صهر النبي موسى) يقع في محلة ساحة بزة،أنشأ سنة ١٧٨٠م وكتب على صمدية فوق المحراب في قبلية المسجد :" أنشأ هذا الأثر الحميد ووضع هذا المشبك الحديد الوزير ابن الوزير ذو الرأي والفكر السديد المحفوف بعون الله الملك الحميد والمشمول بالنصر والتأييد حضرة الوزير المحترم والدستور المعظم عبدي باشا بن المرحوم علي باشا والي حلب حالاً زاد الله شرفاً وجلالاً سنة ١١٩٥هـ "[٥].

١- الطباخ، اعلام النبلاء ، ص٢٣ ، طلس ، الآثار ،ص٢٠٦

٢- عثمان ، الهندسة الانشائية في مساجد حلب، ص٢٦١.

٣- جوشقون ، تقصي خطى الدولة ، ص٦٥.

٤-عثمان ، نقائش ، ص٣٨

٥- الغزي ، ج٢ص١٠٢.

القبلية تتألف من مجازين ، المجاز الأول ثلاث فتحات ، وسقف الفتحة الأولى قبة مدببة والفتحتان الجانبيتان سقف بقبو مستو[١].

هـ- الزوايا :

الزاوية الكمالية: أوقفها شريف بن مصطفى السمان عام ١٧٧٣م [٢]، وتتألف من مستويين المستوى الأول: يضم مدخلاً يؤدي إلى فسحة صغيرة يحدها جنوباً قوس كبير، أما المستوى الثاني: فيتكون من باحة علوية مستطيلة في جنوبها مسطبة تضم في جدارها الجنوبي محراباً، وفي غربها شرفة تؤدي على المئذنة، وبالنسبة للقبلية فهي مربعة كبيرة يتمّ الوصول إليها عبر باب يؤدي إلى دهليز، وسقفت القبة بقية واحدة كبيرة على النمط العثماني ، وتضم في جهاتها أربع طوق صغيرة مستديرة وتستند إلى رقبة اسطوانية من الداخل، ومضلعة من الخارج محمولة على ثمانية عقود مدببة

المحراب : مضلع له حنية مقرنصة تنتهي بقبة مفصصة، وزخرف بالمقرنصات وبأشكال مروحية، وبني المحراب ضمن إطار بارز ينتهي بإفريز يضم صفاً من اللسينات(البروزات الحجرية على شكل لسان) ، ويتقدّم المحراب قوس مزدوج شكله الداخلي مفصص وخارجي مدبب أما غرف المتصوفة (الخلوات): تتألف من خمس غرف تقع شرقي القبلية ، ولها جدران سميكة. واجهة المدخل بوابة تعلوها مقرنصات ويتقدمها قوس كبير مدبب وتضم باب يعلوه قوس مزرر[٣].

الزاوية العقيلية: تقع في حارة بيت محب، ساحة التنانير، وذُكر لها وقف يعود إلى الأعوام ١٧٥٧، ١٧٧٧ ، ١٧٩٦،[٤]، ويقع مدخلها في الغرب ، ويضم في الجهة الجنوبية باباً يقابل المدخل ويؤدي إلى درج يصعد إلى المئذنة ، ويتقدم القبلية صحن مربع في وسطها بركة ، وكتب على الجدار الشمالي للصحن نص جاء فيه :

١-جوشقون ، تقصي خطى الدولة ، ص١٠٥.

٢-الغزي ، ج٢ ،ص ٧٣.

٣- جوشقون ، تقصي خطى الدولة ، ص٢٣٣.

٤-الغزي ، ج٢ ، ص٤٢٨.



"بسم الله بابنا تبارك حيطاننا يسين سقفنا كهيعص كفايتنا

حمعسق حمايتنا رسم في غرة شوال ١٢١١"[١]

القبلية : مقسمة إلى ثلاثة أقسام ، وسُقف كل من القسم الأول والثاني بقبة ترتكز على رقبة (١٢ ضلعاً)، والانتقال بالمثلثين المقلوبين ، وسقف القسم الثالث على شكل قبو متطاول..

المحراب قليل التجويف ، يتقدمه قوس مدبب له إطار على طرفيه ظفران بسيطان وينتهي في أعلاه بصفّ من اللسينات [٢].

٥- أبرز أعمال الترميم:

تضاءل التوسع العمراني في حلب في فترة البحث قياساً بالفترات السابقة، فقد كانت معظم عمليات البناء فعلياً أعمال صيانة وترميم لأبنية موجودة من دور وجوامع وخانات وشوارع وغيرها فأخذت بالتقادم والتهاوي، بمعدل سريع وذلك بسبب مواد البناء المستخدمة، وعدم صمودها أمام الطبيعة، فالجدران تصدعت والدهان الداخلي تقشّر، وقساطل المياه المصنوعة من الفخار كانت تسرب وتهدد أساسات البناء.

بالنسبة للدور فكان أصحابها يسعون إلى توصيفها في المحاكم الشرعية، لكي يصبح بالإمكان إجراء أعمال جديدة عليها، مثل تحويل بعض الدور إلى محلات، أو إجراء توسيع على بعضها بسبب امتلاك أصحابها دوراً مجاورة، أو بناء غرف إضافية ، أو تقسيم بعضها إلى مسكنين منفصلين لغاية التأجير والبيع، وأشارت إحدى الوثائق عن قيام المعماريان السلطانيان بشكل منتظم لإجراء عمليات تقسيم الدور وتوصيفها بين أصحابها المشتركين حيث:" أُرسل معماريان لتقسيم دار مشتركة لامرأتين بينهم بمحلة سويقة بحلب، وقسمهما بالطريق الشرعي تقسيماً مقبولاً من كل من الطرفين قبولاً تاماً"[٣].

ترك الاهمال الحكومي آثاره السلبية على المنشآت العامة، والذي ظهرت نتيجته في العام ١٧٧٥ عندما تعرّضت قساطل مياه محلتي الأكراد والتدريبة خارج باب النصر، العائدة لأوقاف

١- عثمان، نقائش، ص٢٢٧.

٢ - جوشقون، تقصي خطى الدولة ، ص٢٣٧.

٣- سجل حلب محاكم شرعية رقم ٩٨ صورة ٨٥، وثيقة ص ١٥٥تاريخ ١١ محرم ١١٧٩هـ/١٧٦٥م.

مدينة حلب للتصدع، وكانت بعض المياه الزائدة تذهب هدراً، وقد تذمّرت جماعة من الأهالي المتضررين، من إهمال الأوقاف المسؤولة عن الاصلاحات والتعمير والترميم، وكان أحد الأفراد القاطنين المدعو حسن بن ياسين الذي يمر من داره قسطل المياه، قد رممّ هذا القسطل على نفقته ثم رفع متولي الأوقاف بشأن تعمير القساطل كلها، وخصص من أجور أحد الدور الوقفية أحدى وعشرين قرشاً سنوياً[١].

كانت عمليات ترميم وتطور الأبنية تموّل عادة من قبل العديد من ملّاك العقارات الخاصة والميزانيات الناجمة عن ملكية الأوقاف، والتي شملت غالبيتها الأراضي والأبنية والأماكن الدينية وأفادت الوثائق عن عمليات ترميم لجوامع عديدة، دفعت مصاريفها من غلة الوقف : ففي العام ١٧٥٤ تمّ ترميم ثلاثة جوامع وتعميرها، ووجهت الأوامر" لترميم جامع قافان بمحلة العقبة في حلب بحضور أرباب الخبرة والحاج عمر بن المعلم رجب المعمار والكشف والوقوف على ما عمّر متولي الجامع عبد اللطيف الخياط من غلة الوقف فوجدوا أن عمّر سقفاً لقبلية الجامع بالحجارة ..ولبّس داخل القبو المرقوم بالكلس والقصرمل[٢] والقنب، ورمّم جدران الجامع ونجّر المغارة ، وخمّن المعمار الترميمات من قيمة أحجار سلب وغمس كلس وأجور عمال بمبلغ مئة وثمانون قرشاً.." [٣].

كما وجّهت الأوامر السلطانية " لتلبيس وتبييض وترميم جامع السروي بمحلة البياضة وبعد معاينة المعمارين السلطانين للجامع، فقد لُبّس كل من الحائط القبلي والحائط الشرقي وسقف الايوان الشرقي قطعتين ، وبيّض جدرانه الأربع ورمّم المصطبة الموجودة في الجامع ، ودفع الأجور من غلة الوقف.. [٤].وأيضاً مسجد الخواجه سعد الله المالطي في محلة البياضة، فقد رفع متولي الجامع عريضة حول تعميره وترميمه، فإذن له القاضي بالاستدانة من غلة الوقف بمبلغ وقدره ثلاثمائة

١-سجل حلب أوامر سلطانية ، رقم ١٣ ، صورة ١٥، ص ٢٧، وثيقة ٢٥، تاريخ أواسط رجب ١١٨٩هـ/١٧٧٥م.

٢- **القِصْرْمِل** : ما يبقى في الغربال من نفاية رماد الزبل، ,كان يجمع مع الرماد الحار وسمي: الجِمْش. الأسدي، موسوعة ، ص٢٦.

٣-سجل حلب محاكم شرعية ، رقم ٨٥، صورة ٨٨، ص ١٧٢، تاريخ ٦ محرم سنة ١١٦٨هـ/١٧٥٤م

٤-سجل حلب محاكم شرعية ، رقم ٨٥، صورة ١٢٤، ص ٢٤٣، تاريخ ١١ محرم سنة ١١٦٨هـ/١٧٥٤م

قرشاً لتعمير المسجد وتلبيسه وتبليطه وتجيره وتبليط سطح دار الوقف وتلبيس سطح القبلية داخلاً وخارجاً وفي بناء جدران ودرج .." [١] .

وفي العام ١٧٥٥وجّهت الأوامر لترميم جامع الخسروية وتعميره، ودفعت مصاريفه الضرورية من غلة الوقف بمبلغ ألف وخمسمائة قرشاً [٢].وأيضاً في العام ١٧٦٧ رفعت عريضة من آغا دار السعادة وناظر أوقاف الحرمين، حول اشراف والدة والي حلب السابق اسماعيل باشا العفيفة خانم المتولية على وقف جامع الزيتونة بحلب بساحة بزا والعمل على ترميمه وتعميره..." [٣] .وفي العام ١٧٧١ كان جامع البختي خارج الخدمة وليس له من يتولّاه وأشرف على الانهدام .. فعين القاضي السيد محمد جلبي متولياً على الجامع، والإذن بقبض غلة وقف الجامع وصرفها على إصلاحه وترميمه[٤].

وبالنسبة لترميم الأماكن الدينية لغير المسلمين، فقد صدرت في العام ١٧٦٣ أوامر بالسماح لأعيان طائفة الروم بحلب، بترميم وإصلاح السطح وبعض الأماكن الداخلية لكنيسة طائفة الروم في محلة الصليبة دون زيادة أو نقصان على معالم الكنيسة [٥]. وفي العام ١٧٧٤ ورد أمر إداري بترميم الكنائس والابنية التابعة لليهود في حلب، وذلك بعد طلب الأهالي اليهود قبل بدء الشتاء خشية انهدامها على أصحابها [٦].

كان أهالي حلب يموّلون ذاتياً الكثير من الخدمات الاجتماعية العامة، كالشوارع والبوابات والأبنية والأماكن الدينية ضمن محيطهم، في حالات عدم تغطية الأوقاف أو عدم تواجدها، ودون ميزانية مخصصة مسبقاً، لكن مع وجود إطار عمل توجيهي معروف من قبل الدولة لتوزيع العمل ففي العام ١٧٥٣م "حضر مجموعة من أهالي محلة البياضة بحلب وقالوا أن السيد حسن جلبي عمر قد رمّم من ماله الأبنية المهدمة في مسجد الشيخ محمد نوري الواقع في المحلة واقتضى الحال بناء صومعة (مأذنة) في المسجد واننا نطلب الإذن منه بأن يبني صومعة للآذان الشريف

---

١ –سجل حلب محاكم شرعية، رقم ٨٥، صورة ١١٢، ص ٢٢٠، تاريخ ١ رجب سنة ١١٦٨هـ/١٧٥٤م.
سجل حلب محاكم شرعية، رقم ١٠٥ ، صورة ٧٢ ، ص ١٣٨، تاريخ ١٢ رجب سنة ١١٨٦هـ/١٧٧٢م.
٢–سجل حلب محاكم شرعية، رقم ٨٥، صورة ١٧١، ص ٣٣٧، تاريخ ٧ محرم سنة ١١٦٩هـ/١٧٥٥م
٣–سجل حلب أوامر سلطانية، رقم ٧ ، صورة ٧٩ ، ص ٢٠٦ ، وثيقة ٢٨٢، تاريخ ١١٨١هـ/١٧٦٧م.
٤–سجل حلب محاكم شرعية، رقم ١٠٥ ، صورة ١٧ ، ص ٢٧، تاريخ ١٠ شعبان سنة ١١٨٥هـ/١٧٧١م.
٥–سجل حلب أوامر سلطانية، رقم ٧ ، صورة ١٢، ص ٣٠، وثيقة ٤١، تاريخ شوال ١١٧٧هـ/١٧٦٣م.
٦–سجل حلب أوامر سلطانية، رقم ١٢ ، صورة ٢٤، ص ٣١، وثيقة ٣٨، تاريخ ١١٨٨ه/١٧٧٤م.

من ماله ..ورضي السيد حسن على ذلك ابتغاء لمرضاة خالق السموات والأرض .." [١]. وأيضاً في العام ١٧٧٤م صدر كتاب من قاضي حلب إلى إمام جامع العينية بحلب، حول طلب أهالي محلة العينية، الإذن للمباشرة بتعمير ثلاث بوابات خشب للجامع المذكور، في رأس الزقاق المعروف باسم (زقاق القرن) والثاني في جدار باب الرحمن الخربة ،والثالث في زقاق (قميم الحمام) [٢].

لم تكن الدولة تستثمر إلا القليل في عمليات البناء والتجديد والترميم ، ولا سيما الأشراف على نظام التزوّد العام من مجرى ماء قناة حلب الذي يزود الأحياء والمرافق العامة، والعمل على ترميمها، وتخصيص مبالغ سنوية لدعم عمليات التنظيف السنوية والاصلاحات للأنابيب، ففي العام ١٧٧٩ تهدّم قسم كبير من مجرى ماء قناة حلب، وتعطل وصار الماء يجري ضياعاً، وتأثرت الجوامع والمساجد والحمامات بذلك، فأصدرت الدولة أمراً بالعمل على تعمير وإصلاح القسم المهدم [٣]، لكن الغالبية العظمى من نفقات ترميم القناة كان يتمّ تمويلها مباشرة من السكان.

وأيضاً بالنسبة للخانات، ففي العام ١٧٩٠ صدرت الأوامر لإجراء ترميم وتعمير وتطيين في خان الوزير، بمبلغ ستة آلاف وست ثلاثين قرشاً[٤]، وبتاريخ ١٧٩١م صدرت أوامر لتعمير وإصلاح العقار العائد لأوقاف عمر أفندي في خان الصابون لأنه مهدد بالانهيار[٥].

ركّزت الدولة اهتمامها على إصلاح المنشآت الحكومية الخاصة بها، كالقلاع والحصون العسكرية والقصور الحكومية، ففي وثيقة مؤرخة بتاريخ ١٧٨١ جرى الكشف على جدران قلعة حلب لترميمها بحضور المعمار باش وبعض أهل الخبرة ، وبلغت المساحة الواجب ترميمها بعد المسح ألفا وتسعمائة وخمسة وعشرين ذراعاً، وأعطي خمسة وعشرين قرشاً أجرة الترميم لكل ذراع ، وبلغت أجور الترميم كاملة تسعة آلاف وتسعمائة وخمسة وعشرين قرشاً .. [٦]. وفي العام العام ١٧٩٥ جرى تنفيذ عدد من الإنشاءات والأعمال في القلعة بتوجيه من الباب العالي وهي: " سقف مبطن بقماش أطلس إفرنجي مصور عليها طاووس فارد الجناح مع بعض الكتابات، مع

١-سجل حلب محاكم شرعية ، رقم ٨٠، صورة ٢٦ ، ص ٤٥، تاريخ ١٥ شعبان سنة ١١٦٥هـ /١٧٥٣.

٢-سجل حلب أوامر سلطانية، رقم ١٢، صورة ١٤١، ص ١٧٨، وثيقة ٢٤٠، تاريخ ذي القعدة ١١٨٨ه/١٧٧٤م.

٣-سجل حلب أوامر سلطانية ، رقم ١٥ ، صورة ٣٩، ص ٦٦، وثيقة ٦٤، تاريخ ١١٩٣هـ/١٧٧٩م.

٤-سجل حلب أوامر سلطانية، رقم ٢٠ ، صورة ٤٠، ص٥٤، وثيقة ٧٤، تاريخ ١ ذي الحجة١٢٠٥هـ/١٧٩٠م.

الحجة١٢٠٥هـ/١٧٩٠م.

٥-سجل حلب أوامر سلطانية ، رقم ٢٢ ، صورة ٥٦، ص٧٦، وثيقة ١٠٤، تاريخ ١٢٠٦هـ/١٧٩١م.

٦-سجل حلب أوامر سلطانية ، رقم ١٧ ، صورة ١٥، ص ٢٣، وثيقة ٢٠، ١٥ محرم ١١٩٨ه/١٧٨١م.

١٢٠ طاقة نور على السقف و٧١ طاقة لم تفتح بعد، وأيضاً سقف مبطن بأطلس عليها صورة طاووس مع نقوش فيها ١٩ طاقة نور محاط ببراوظ(إطار الصور)من مادة الكلس ، وسقف مبطن بأطلس أبيض عليها طاووس منقش وفيها تور محاط بكتابة وبراوظ عدد ١٩ ..." [١].

وبالنسبة للترميمات في سرايا (القصر الحكومي) كانت تتمّ غالباً عند تعيين والٍ جديد، ففي العام ١٧٧٧ وجه الأمر من والي حلب عزت باشا إلى القاضي الشرعي " لإجراء ما يلزم حين مجيئنا إلى حلب لتعمير وترميم داخل وخارج السراي وتنسيق غرفها وتصليح مفروشاتها.."[٢]. وأيضاً أرسل الباب العالي كتاباً إلى القاضي في العام ١٧٩٣ لتعمير وفرش الأثاث في السرايا بمناسبة تعيين الوالي فيضي باشا[٣].

قامت الدولة بإجراء أعمال ترميم وصيانة في حالات خاصة، وذلك عندما أتى كردّات فعل حكومية في فترة أحداث ١٧٧٥م [٤]، وللتخفيف من حدة الاحتجاجات الداخلية،"فقد أرسل والي حلب إلى قاضيها كتاباً بإحصاء عدد الدكاكين التي تهدمت وعددها ٣٧ وحضور أصحابها من المستأجرين أو الشاريين واخباره من أجل الشروع بتعميرها وترميمها[٥].

ثانياً – أهم المنشآت العمرانية القائمة:

١-قلعة حلب : تتوسّط مدينة حلب وتشرف عليها ، وهي ذات أهمية معمارية كبيرة وتاريخ القلعة جزء لا يتجزأ من تاريخ حلب، وتعدّ إحدى أقدم وأكبر القلاع في العالم، حيث عاصرت العديد من الحضارات القديمة[٦] ، وكانت القلعة إحدى التحصينات التي حمت المدينة، بفضل أسوارها المنيعة وأبوابها الضخمة وأبراجها العالية[٧]، وخلال الفترة العثمانية تراجع دور القلعة بشكل تدريجي كحصن دفاعي أو عسكري، إثر التوسع خارج أسوار المدينة، باعتبارها مدينة تجارية، ولكن القلعة بقيت تستخدم كثكنة للجنود العثمانيين[٨].

١-سجل حلب أوامر سلطانية ، رقم ٢٥ ، صورة ١٠، ص٧ ، وثيقة ١٢، تاريخ ١٢١٠هـ/١٧٩٥م.

٢-سجل حلب أوامر سلطانية ، رقم ١٣ ، صورة ١١، ص ٢٠، وثيقة ١٥، تاريخ ١٧صفر١١٩١هـ/١٧٧٧م.

٣-سجل حلب أوامر سلطانية ، رقم ٢٤ ، صورة ١٢ ، ص ١٠ ، وثيقة ١٩، تاريخ ١٢٠٨هـ/١٧٩٣م.

٤-حدثت حركة أطلقها الانكشاريون ضد الوالي علي باشا عام ،وطرد الأهالي الحلبيون لواليهم الذي أظهر الجور الجور والتعدي وما نتج من اشتباكات وخراب وهدم للدكاكين، ريمون، المدينة العربية حلب، ص٣١٣

٥-سجل حلب أوامر سلطانية ، رقم ١٣ ، صورة ١٤، ص ٢٦، وثيقة ٢٣، ١١٨٩هـ/١٧٧٥م.

6 - E libron classics .Modren Syria,p233

٧- صبحي الصواف ، **الكتابات العربية في قلعة حلب**، مجلة عاديات حلب ،الكتاب الثاني ، ص٢٨٠.

٨-الغزي ، ج٢، ص ٣١-٣٧.

وصف القلعة: ترتفع عن سطح مستوى أرض المدينة ٣٨م وتبلغ أبعادها من الأعلى (٢٧٥-٣٧٥م) بينما في أسفلها (٣٥٠-٥٥٠ م) ويحيط بها خندق يبلغ عمقه ٢٢م وعرضه حوالي ٣٠م ورصف سطحه بحجارة ملساء لمنع التسلّق، وكان الخندق يملأ بالمياه التي ترد عبر قناة من نبع حيلان، وأما مدخل القلعة الأول فيدخل إليها من الطرف الجنوبي ، من بوابة ضخمة من خلال برج دفاعي مستطيل الشكل ارتفاعه ٢٠م ، ينتهي بالمدخل الكبير للقلعة، ويتكوّن من دهليز ينتهي بباب ضخم من الحديد المطرّق، تعلوه فتحات للمرامي والمحارق، وتعلو الباب قنطرة حجرية عليها نحت ممتد على طولها يمثل ثعبانين برأس تنين مصنوع من الحديد المطرق[١].

وبعد اجتياز المدخل، نصل إلى دهليز آخر في جدرانه ثلاثة إيوانات مرتفعة، وفي إيوانه الشمالي باب يتصل بدرج يؤدي إلى قاعة الدفاع[٢]، وللقلعة باب رابع خشبي يعلوه تجويف يحمل نحت أسدين متقابلين. وبعد اجتياز الباب توجد مصاطب مرتفعة تتخللها غرف ومستودعات. ثم نصل إلى ممر القلعة الداخلي، تتخلله مجموعة من المباني والحوانيت، وأما الباب الأخير في المجموعة الدفاعية فهو باب الأسدين: الضاحك والباكي، وهو من الحديد المطرق ومن صنع الملك الظاهر غازي عام ١٢٠٩ .

وبالنسبة لسور القلعة فهو إهليجي الشكل، تتخلله أبراج بعضها مربع الشكل وبعضها دائري، ويرتفع السور اثني عشر متراً وهو من الحجر الضخم، أما الأبراج فإن أبرزها هما برجا المدخل المرتفع وبرج المدخل السابق للجسر، وفي الجهة المقابلة إلى الجنوب برج ضخم ينهض على سفح جدار الخندق المكسو بالحجر، جدده السلطان قانصوه الغوري سنة ١٥٠٨، كما هو منقوش عليه. والسور والأبراج كلها تعود إلى العصور الإسلامية، بدءاً من القرن الثاني عشر الميلادي بناء على كتابات منقوشة دلّت على ذلك، ومن أشهر مباني القلعة الجامع الصغير،وقاعة العرش المملوكي[٣].

٢-الجوامع والمساجد:

أ-الجامع الكبير : يقع في سويقة حاتم ، بناه الأمويون عام ٧١٥م ، وهو معلم تاريخي مهمّ وبنيت المئذنة في عهد السلطان ألب رسلان سنة ١٠٩٥م ، وتتميز بمقطعها المربع ، والأقواس

١- فايز الحمصي ، **حلب القديمة** ، منشورات المديرية العامة للآثار والمتاحف ، دمشق ، ١٩٨٣م . ص٢٢.

٢-راسل ، تاريخ حلب،ج١، ص٥٦.

٣- حجار ، معالم حلب الأثرية ، ص١٣.

كثيرة الفصوص تزين واجهاتها، وبالمقرنصات والأشرطة الكتابية بالخط الكوفي وتعد من روائع الفن الزخرفي، وفي العام ١٦٣٢ فرش صحن الجامع بالرخام الأبيض والأسود والأصفر والذي مازال موجوداً حتى نهاية القرن الثامن عشر[١].

ب-جامع العادلية : يقع في محلة السفاحية في بزا ، وهو أول جامع بني في حلب على الطراز العثماني، بناه محمد باشا دوفاكين في العام ١٥٥٥، واشتهر الجامع باسم العادلية لوجوده إلى جوار دار العدل[٢]، ويتألف الجامع من قبلية تتميز بزخرفة مدخلها الخارجي، وقبتها المستندة على رقبة ذات مساند خارجية، أما صحن الجامع فله مدخلان شرقي وغربي، وفي وسطه حوض ماء[٣] . والحرم قاعة مربعة مسقوفة بقبة واحدة وله مئذنة اسطوانية عالية[٤].



جامع العادلية : الرواق[٥]

١-الحمصي ، حلب القديمة ، ص ٣٤ .سجل حلب محاكم شرعية ، رقم ٨٥، صورة ١٦١، ص ٣١٨، تاريخ ٤ ذي الحجة سنة ١١٦٨هـ/١٧٥٤م. وأيضاً: سجل حلب أوامر سلطانية ، رقم ١٦ ، صورة ٢٥، ص ٣٤، وثيقة ٥٠، تاريخ ١١٩٥هـ/١٧٨٠م.

2 -Elibron classics. Modren Syria,p235

٣ -طلس، الآثار الاسلامية ، ص١٠٠. عثمان، مساجد حلب، ص٢٦٨.

٤-الحمصي، ص٤٢.

٥-حريتاني ، حلب والسلطنة العثمانية ، ص١٩.

ج-مسجد الحموي : أنشأه محمد بن داوود النوري في العام ١٥٦٠ ، جدده ووسّعه وبنى المئذنة الحاج حسن بن عبد الرحمن الحموي في العام ١٧٩٦ [١].

د-جامع المهمندار : يقع في محلة السويقة ويعرف بجامع القاضي، أنشأه حسن بن بالبان المعروف بالمهمندار في العصر المملوكي، واشتهر بمنارته الجميلة[٢].

ه_-جامع الطنبغا : بناه الأمير طنبغا في العام ١٣١٨م، وتميز بواجهته الجميلة ورواق بعقد تعلوه عدة قباب متدلية ، وفي أعلى محرابه قبة بمتدليات، وله منبر حجري ومنارة جميلة [٣].

و-جامع الأطروش : القبلية تتألف من بهوين يفصل بينهما صفّ من الأعمدة الصفر (رخام وبعادين) وتتألف من قطعة من الحجر والتيجان المزخرفة، وتتصل الأورقة الثلاثة حول الباحة مع القبلية، أما المئذنة المثمن فهي الوحيدة ذات الشرفتين بين مآذن حلب القديمة، وتوجد في شمال المئذنة غرفة مستطيلة تحوي ضريح مؤسس الجامع [٤].

ز-جامع الطواشي : بناه صفي الدين الطواشي في الفترة المملوكية، ويمتاز بزخرفة أعمدته المضفرة، ويمتاز بمنارته القصيرة وغطائها الحجري الحزز وبابه ذي المقرنصات البديعة،وكان هناك سبيل بجانب المدخل الرئيسي المزخرف بُني في العام ١٧٠٣م .

ح-جامع البهرمية : يقع في محلة الجلوم[٥] بناه بهرام باشا والي حلب عام ١٥٨٣م ويمتاز ويمتاز بمحرابه المتميّز بتداخل خطوطه ورخامه المجزع وألوانه المطيفة[٦]، وللجامع ثلاثة أبواب أبواب شمالي وشرقي وغربي، تؤدي إلى صحن توسطه حوض ماء مربع، في جنوب الصحن تتوضع القبلية وفي وسطها محراب، وسقفت القبلية بقبة واحدة، وجددت المئذنة ذات الشكل المضلع سنة ١٦٩٩م[٧] .

١- جوشقون ، تقصي خطى الدولة ، ص٧٣. عثمان، مساجد حلب، ص٢٦٣.

٢-الحمصي ، حلب القديمة ، ص ٣٧. سجل حلب أوامر سلطانية ، رقم ٢٥ ، صورة ٦٢، ص ٤٢، وثيقة ٨٢، تاريخ جمادى الآخر ١٢١٠هـ/١٧٩٥م.

٣- طلس، الآثار الاسلامية ، ص٩٤.

٤-جوشقون، تقصي خطى الدولة ، ص٧٤.

٥-سجل حلب محاكم شرعية ، رقم ٨٧، صورة ١٦ ، ص ٢٥، تاريخ ١ صفر سنة ١١٧٠هـ/١٧٥٦م .

٦- عثمان ، مساجد حلب ، ص٢٦٠.

٧- عثمان ، نقائش، ص٦٢.

ط-جامع بانقوسا : يقع في حي بانقوسا شرقي باب الحديد، بني في الفترة المملوكية ، أنشأه محمد خاص بيك وله وقفية في العام ١٣٦٦ ، وأهمّ ما في الجامع من الناحية المعمارية مئذنة ذات المقطع المثمن ، تعلوها شرفة تستند إلى مقرنصات ،بمظلة خشبية مثمنة[١].

وذكرت الوثائق العديد من الجوامع والمساجد التي كانت موجودة في حلب، وهي : جامع الرضائية[٢]، جامع مستدام بك[٣]، جامع البكرجي في محلة الحجاج[٤]، مسجد باغجي بكر[٥] مسجد مسجد اسكندر خارج باب الجنان في ظاهر حلب [٦]، جامع التيموجي في باب انطاكية[٧]، جامع الزينبية بمدينة حلب [٨]، والجوامع في انطاكية: جامع قره مورط بين بيلان وانطاكية[٩].

جامع حبيب النجار في انطاكية[١٠]، مسجد اللين ومسجد المنارة[١١]، جامع في أريحا[١٢] جامع البيك المسجد العربي[١٣]، جامع ارمناز[١٤].

٣-الكنائس:

أ-كاتدرائية الأربعين شهيداً للأرمن الأرثوذكس:

تقع في حي الجديدة، عند بوابة الياسمين ، ويعود تاريخ انشاءها إلى القرن الخامس عشر الميلادي، ويتم الدخول إلى الكنسية عبر بابين في الجهة الجنوبية ومنهما إلى الساحة الخارجية

١- عثمان ، نقائش، ص١٤١.

٢-سجل حلب محاكم شرعية ، رقم ٨٤، صورة ١٥ ، ص ٢٧ ، تاريخ ٣ رمضان سنة ١١٦٦هـ/١٧٥٢م.
سجل حلب أوامر سلطانية ، رقم ٢٥ ، صورة ٦٤، ص٤٤ ، وثيقة ٨٧، تاريخ ٩ جمادى الأولى ١٢١٠هـ/١٧٩٥م.

٣-سجل حلب محاكم شرعية ، رقم ٨٥، صورة ١٨٥، ص ٣٦٦، تاريخ ١٠ربيع الأول سنة ١١٦٩هـ/١٧٥٥م
١١٦٩هـ/١٧٥٥م

٤-سجل حلب محاكم شرعية ، رقم ٨٧، صورة ٨٨ ، ص ١٦٤، تاريخ ١ محرم سنة ١١٧٠هـ/١٧٥٦م .

٥-سجل حلب محاكم شرعية ، رقم ١٠٥ ، صورة ٢٢ ، ص ٣٦، تاريخ ١٤ شوال سنة ١١٨٥هـ/١٧٧١م.

٦- سجل حلب محاكم شرعية ، رقم ٩٥، صورة ٤٠ ، ص ٧٠، تاريخ ٢٣ ذي القعدة سنة ١١٧٦هـ/١٧٦٢م.

٧-سجل حلب أوامر سلطانية ، رقم ١٢ ، صورة ١٦، ص ١٩، وثيقة ٢٣، تاريخ ٢٥ جمادى ١١٨٨ه/١٧٧٤م.

٨-سجل حلب محاكم شرعية ، رقم ٨٥، صورة ١٧٢، ص ٣٤٠، تاريخ ٤ صفر سنة ١١٦٩هـ/١٧٥٥م

٩-سجل حلب أوامر سلطانية، رقم ٢٤ ، صورة ٨ ، ص ٤ ، وثيقة ١٠، تاريخ ١٢٠٨هـ/١٧٩٣م

١٠-سجل حلب أوامر سلطانية، رقم ٢٤ ، صورة ٨٨ ، ص ١٢٥ ، وثيقة ١٥٩، تاريخ ١٢٠٥هـ/١٧٩٠م

١١-سجل حلب أوامر سلطانية، رقم ٢٢،صورة ٩١-٩٣،ص١٢٨،١٢٦،وثيقة١٢٨،١٢٦، تاريخ ١٢٠٦ه/١٧٩١م

١٢-سجل حلب أوامر سلطانية، رقم ٦ ، صورة ٧٤، ص ١٣٠، وثيقة ٢٥٢، تاريخ ١١٧٦ه/١٧٦٢م.

١٣-سجل حلب أوامر سلطانية، رقم ٦ ، صورة ٨١، ص ١٤٠، وثيقة ٢٧٠، تاريخ ١١٧٦ه/١٧٦٢م.

١٤-سجل حلب أوامر سلطانية، رقم ٢٥ ، صورة ٤٥، ص٥٧ ، وثيقة ١٢، تاريخ ٦ شعبان ١٢١٠هـ/١٧٩٥م.

التي ترتفع حولها الأبنية، ومتحفها في الجهة الشرقية وبجانب باب المتحف تمثال للقديس ميسروب ماشتوش، وأما الصحن فهو عبارة عن خمس مجازات تضم كل منها خمس فتحات، أما جرن المعمودية فهو حوض مزخرف تتألف واجهته من عمودين مزخرفين بأوراق وأغصان من الكرمة، ويعلو العمودين تيجان مقرنصة يرتفع فوقها قوس مدبب على نظام الأبلق[١]، وتمتاز الكنيسة باحتوائها على ايقونات رائعة وصور جميلة ومنها :ايقونة دينونة العالم وهي من رسم الخوري الحلبي نعمة الله وابنه حنايا في العام ١٧٠٨م ، وهناك ايقونات أخرى مثل ايقونة القديس مارجرجس وتم رسمها من قبل مدرسة حنايا في العام ١٧١٧. وصورة الأربعين شهيداً وهي تمثل القادة الأربعين الذي اضهدهم قيصر روما ليبانتوس سنة ٣١٦م ، وتعود هذه الصورة للقرن السابع عشر[٢].

ب-كنيسة السيدة العذراء للروم الأرثوذكس: تقع في حي الجديدة، عند بوبة الياسمين، بناها الملكيون الحلبيون، وهي كنيسة صغيرة تفتح على باب كنيسة الأربعين شهيداً ، ورسمها المطران الحلبي خشادور في العام ١٥٣٥، وقد حولت إلى متحف يعرض الأواني والكؤوس والمباخر وعصا المطرانية[٣].

٤ -الأسواق والقيساريات :

احتلّت الأسواق والقيساريات مركز مدينة حلب ، ويعود تاريخ عمارة الأسواق إلى الفترة المملوكية وبداية الفترة العثمانية، وامتدت بأشكال متعارضة ومتداخلة ومتصالبة في تجمعات تجارية[٤]. وامتازت الأسواق بسقوفها الاسطوانية، والعقود الضخمة، والوجهة المعقودة بشكل نصف قوس، توافرت فيها نوافذ النور والهواء، لتؤمن جواً معتدلاً يحمي من حرّ الصيف وبرد الشتاء وتبلغ طولها ٧ كلم، ويتم الدخول إليها من أبواب حلب، ويمكن تقسيم أسواق المدينة إلى مجموعتين الأولى على شكل أزقة متوازية مع جدار الجامع الكبير مثل: سوق الحبال وسوق العتقية وتعود للقرنين الخامس عشر والسادس عشر الميلادي، والثانية: أسواق محاذية لمنطقة خان الجمرك، وألحق بكل مجموعة خاناً وقيسارية يسكن فيها رجال الدولة من حراس وموظفين

١- جوشقون، تقصي خطى الدولة، ص٤٣٣..

٢- عثمان، الآثار التاريخية، ص٢٩٦

٣ - عثمان، الآثار التاريخية، ص٢٩٧.

٤ -حجار، معالم، ص٣٦.

وجباة[١]، وسقفت الأزقة بأقبية ذات مقطع نصف دائري أو أقبية متقاطعة، واستخدم الحجر المنحوت في واجهة الجدران الفاصلة بين الدكاكين، وفي المسطحات المنتهية بأقواس تعلو أبواب الدكاكين[٢].

كانت أسواق حلب مفتوحة للتجار من أنحاء العالم، من الولايات العربية والجاليات الأجنبية،وكانت لهم خانات مخصصة، وتركّزت هذه الأسواق في المدينة بشكل كبير، إضافة إلى الأسواق المتفرقة خارج المدينة، لأنه لابد من سوق أو أكثر بكل حيّ، كبيراً كان أو صغيراً. وأهمّ ما كان يميّز أسواق حلب القديمة التخصّص، فكل سوق منها يختصّ بنوع خاص من البضاعة والمصنوعات المحلية، فمن أشهر الأسواق والقيساريات القائمة في حلب والتي أشارت إليها الوثائق: سوق الصابون[٣]،سوق الجراكسية في سويقة حاتم [٤]، سوق البرادعية، سوق الصغير، وسوق النحاسين سوق القصلية[٥]،وسوق النجارين ،قيسارية المكاكين في سوق المسكجية [٦]، قيسارية باقي جاويش[٧]، قيسارية الدقاقين[٨]، قيسارية القواس، قيسارية الباشا، قيسارية السيد السيد عطا الله في محلة الأكراد خارج باب النصر[٩] قيسارية بني الإمام خارج باب المقام بحلب[١٠]. إلى جانب أسواق أخرى مثل : سوق الزجاجين، سوق الإبرية غربي جامع الكبير، سوق أصلان دده بجانب المدرسة الجردكية، سوق باب الجنان لبيع اللحم والزيتون والجبن، سوق باب قنسرين سوق باب النيرب، سوق بانقوسا، سوق بالستان(الألبسة المستعملة)، سوق البلاط،

---

١ -فؤاد هلال ، **حلب القديمة والحديثة** ، دراسات تاريخية وأثرية واجتماعية واقتصادية وإدارية عن حلب، احتفالية حلب عاصمة للثقافة ٢٠٠٦، ص٧١-٧٢

٢ - غاوبه وفيرت ، حلب،ج١،ص٤٥٦-٤٥٧.

٣-سجل حلب محاكم شرعية، رقم ٨٧، صورة ٢١ ، ص ٣٥، تاريخ ١٠ ربيع الأول سنة ١١٧٠هـ/١٧٥٦م .

٤-سجل حلب محاكم شرعية، رقم ٨٧، صورة ١٢٠ ، ص ٢٢٧، تاريخ ١٦ شوال سنة ١١٧٠هـ/١٧٥٦م .

٥-سجل حلب محاكم شرعية، رقم ٨٠، صورة ٨٢ ، ص ٤٥، تاريخ سنة ١١٦٦هـ /١٧٥٤.

٦-سجل حلب محاكم شرعية، رقم ٨٧، صورة ٩ ، ص ١١، تاريخ ١١ صفر سنة ١١٧٠هـ/١٧٥٦م .

٧-سجل حلب محاكم شرعية، رقم ١٠٥ ، صورة ٥٣ ، ص ١٠١، تاريخ سنة ١١٨٦هـ/١٧٧٢م.

٨-سجل حلب محاكم شرعية، رقم ٩٨، صورة ٨٧، وثيقة ١٦٠، تاريخ ٩ ربيع الأول سنة ١١٧٨٩ه/١٧٦٥م.

١١٧٨٩ه/١٧٦٥م.

٩-سجل حلب محاكم شرعية، رقم ٩٩، صورة ٥٠ ، ص ٩٣-٩٤، تاريخ سنة ١١٩٢هـ/١٧٧٨م.

١٠-سجل حلب محاكم شرعية، رقم ٨٦، صورة ١٤٩ ،ص ٢٩٢ ، تاريخ ٢٧ صفر سنة ١١٧٠هـ/١٧٥٦م .

سوق البن، سوق البهرامية، سوق التبن سوق البياضة، سوق الجمال، سوق الجمعة، سوق الحبال، سوق الحرير سوق خان الجمرك، سوق السلاح، سوق الصباغين..الخ[١].

٥-الخانات : برزت أهمية الخانات في العمارة الاسلامية، وهي الأبنية المخصصة لإقامة التجار من جهة ، وخزن بضائعهم من جهة أخرى ، وازدهرت في العهد العثماني بسبب توسع وازدياد المبادلات التجارية بين الولايات الخاضعة للدولة العثمانية ، وازدياد عدد الخانات يعكس الأهمية الاقتصادية لمدينة حلب [٢]، فقد أشار أحد الأوامر السلطانية أنه بلغ عددها في أقضية ولاية حلب في القرن الثامن عشر (٢٧٥٦) خان[٣] .

أكثر ما يميز هذه الخانات وجود الصحن الواسع في أغلبها ، ويتوسطه وجود بركة الماء المستطيلة أو المضلعة على اختلاف الفترات الزمنية، وتتوزع المخازن والغرف على طبقتين مفتوحتين على الصحن ، خصصت الطوابق العليا لإقامة التجار ، والسفلى لإيداع البضائع وخزنها وتميزت بوجود مساجد صغيرة تابعة للخان تتوسط الصحن[٤].

وقد اشتهرت الخانات بسُقف الدهليز والأروقة الأرضية والأقبية بالقبوات المتصالبة والأروقة العلوية والغرف بالقبوات السريرية، أمّا واجهاتها فقد اشتهرت بالزخارف كالأبلق والحجارة المعشقة والتخاريم الحجرية والنقوش الكتابية، والمداخل لقوسية الضخمة ، وأهمّ خانات تلك المرحلة:

أ-خان الوزير: ويقع بين قلعة حلب والجامع الكبير، بني في العام ١٦٨٣، وتميز هذا الخان بأنه ضم في بوابته وجدرانه الداخلية جميع أشكال الزخارف، الأبلق والحجارة المعشقة والتخاريم الحجرية، إضافة إلى أشرطة المكعبات المتناوبة، والرنوك على جانبي الواجهة الخارجية، وله صحن سماوي واسع تحيط به المستودعان والمخازن[٥].

---

١ -الأسدي، أحياء حلب،ص٢٢٠-٢٤٠.

٢- ريمون، حلب، ص٢٢٣.

٣- سجل حلب أوامر سلطانية رقم ٢٨ ، صورة ١٦٥، ص ١٤٩، وثيقة ٢٣٠، تاريخ ١ شوال ١٢١٤هـ/١٧٩٩م

٤- طعمة ، الخانات العثمانية. ص١٢٠.

٥- طعمة ، الخانات العثمانية ، ص١٥٩. الحمصي ، حلب ، ص١٣٦.

ب-خان الجمرك : يقع في منطقة الأسواق الرئيسية في المدينة، بناه الوالي محمد باشا وأوقفه في العام ١٥٧٤ [١]، والخان بواجهتين ، الأولى: عند سوق القصابين، مزخرفة وعلى جانبيها سويرتان وبلي الباب ردهة سقفها عبارة عن قبة ، وتتألف واجهة الخان من شريط زخرفي هندسي عريض بداخله صفوف من الأحجار، تتناوب باللونين الأبيض والأسود[٢]. ويتألف المدخل من قوسين، الأول مثل الواجهة ، والأصغر هو قوس الباب، وأمّا الصحن فهو مربع يتوسطه مسجد الخان[٣] .

ج-خان القاضي : يقع في محلة باب قنسرين ، قرب البيمارستان الارغوني ، أنشأه قاضي حلب كمال الدين المعري في العام ١٤٥٠ [٤].

د-خان العبسي أو عبسي زاده: يقع في سوق المحمص[٥] ، وهو من أوقاف المدرسة الأحمدية سنة ١٧٥١ [٦]،

ه-خان القصابية: يقع في سوق القصابية ، وهو جزء من مجموعة أسواق مدينة حلب المسقوفة أنشأه نائب قلعة حلب ابرك في العام ١٥١٠ [٧]، وكان قائماً في فترة البحث، واستخدم تجار حلب هذا الخان كمستودع للحرير المستور إلى حلب[٨].

و-خان تيتانجي باشا : كان هذا الخان في النصف الثاني من القرن الثامن عشر مؤجراً للقنصلية الفرنسية، واتخذته مقراً تجارياً لها ، وقد دلّ أحد الأوامر السلطانية عن وجود خلاف بين قنصل فرنسا المعزول ستمارسل وبين خلفه الجديد ميشو فيما يتعلق بالسكن في الخان المذكور وتمنع القنصل القديم من تسليم الخان، وبعد المشاورات بين السلطنة والحكومة الفرنسية ، بان يبقى

١- الغزي، ج٢، ص٦٥.

٢- عثمان ، مساجد حلب ، ص٢٦٣.

٣-تقصي الحقائق، ص٤٧٩. وانظر أيضاً :سجل حلب أوامر سلطانية ، رقم ٦ ،صورة ٢٨، ص ٤٦ ، وثيقة ٩٧، تاريخ ٢ ذي الحجة ١١٧٥هـ/١٧٦١م. وانظر أيضاً: سجل حلب محاكم شرعية ، رقم ٨٥، صورة ١٧٢، ص ٣٣٩، تاريخ ٤ صفر سنة ١١٦٩هـ/١٧٥٤م

٤-الحمصي، حلب، ص١٣٥.

٥-سجل حلب محاكم شرعية ، رقم ٨٧، صورة ٢٥ ، ص ٤٤، تاريخ ٤ ربيع الثاني سنة ١١٧٠هـ/١٧٥٦م.

٦- جوشقون ، تقصي خطى الدولة ، ص٤٥٧.

٧ - الحمصي ، حلب،ص١٣٤.

٨- سجل حلب أوامر سلطانية ، رقم ٦ ، صورة ٤٣، ص ٧٥ ، وثيقة ١٥٠، تاريخ ١٣ رجب ١١٧٥هـ/١٧٦١م

الخان تحت تصرف القنصلية طالما أن عقد الايجار ساري المفعول ، وإذا عزل أو نقل أي قنصل جديد يسلم القديم للجديد هذا الخان [١].

ز-خان الحرير : يقع ضمن أسواق المدنية ، في شارع سوق الحرير، وبني في النصف الثاني من القرن السادس عشر، وظل قائماً في فترة البحث [٢] . تألف الخان من طابقين علوي وسفلي العلوي يتألف من خمس أنصاف أعمدة محززة ، تيجانها مزخرفة يعلوها إفريز حجري وأما السفلي فقد بني على نظام الأبلق، والباب الرئيسي عبارة عن فتحة قوسها مدبب تحيط به زخارف تستند على مقرنصات في الجانبين[٣].

ح-خان الصابون: يقع داخل رأس سوق الطيبة، وأنشأه نائب السلطنة المملوكية(أزتيمور بن مزيد) في أواخر القرن الخامس عشر ، وامتاز بزخارف هندسية ونباتية[٤] .

وإلى جانب الخانات التجارية، انتشرت المنازلخانة وهي أماكن خاصة للعسكريين تؤمن لهم كافة احتياجاتهم أثناء تنقلهم بمهمات رسمية، ودلت أحد الأوامر السلطانية" على إهمال القائمين على المنازلخانة في تقديم الخدمات الضرورية للنزّل ومكوثهم بدون عمل، وعدم إعطائهم وسيلة الركوب من الكدش"[٥]. كما وجد في حلب خانات قائمة أخرى في القرن الثامن عشر منها: خان تومان[٦] خان البصل في بانقوسا[٧]، المحمصانية[٨]، الفضيات[٩] .

٦-الحمامات : حظيت الحمامات في حلب بالعناية والتطوّر، وتميزت ببنائها وزخارفها وبنيت على طراز يحمي المتحمم من الأذى، ومن الانتقال من البرودة إلى الحرارة أو بالعكس وذلك بتقسيم الحمام إلى ثلاثة أقسام تتدرج فيها الحرارة: البراني وهو القسم البارد الخارجي ويكون مؤلفاً من ساحة مبلطة بالرخام الملون، وتحيط بها المصاطب ذات الحواف الخشبية، وعلى هذه المصاطب يخلع المستحم ثيابه ويعلقها على المشاجب الخشبية أو يحفظها في الخزائن

١- سجل حلب أوامر سلطانية ، رقم ٢٥ ، صورة ١٢٣، ص٩١ ، وثيقة ١٧١، ١٢١٠هـ/١٧٩٥م .
٢- سجل حلب رقم ٨٥، صورة ١٩١، ص ٣٧٨، تاريخ ١٨ ربيع الأول سنة ١١٦٩ هـ/١٧٥٥م.
٣- جوشقون، تقصي خطى الدولة ، ص٤٨٩.
٤ -حجار، معالم حلب، ص١٣٥.
٥ -سجل حلب أوامر سلطانية ، رقم ٢٤ ، صورة ٤٨- ٤٩، ص٦٤ ، وثيقة ٨٤، تاريخ ١٢٠٩هـ/١٧٩٤م.
٦-سجل حلب أوامر سلطانية ، رقم ٧ ، صورة ٨، ص ١٨، وثيقة ٢٣، تاريخ ١٠ محرم ١١٧٧هـ/١٧٦٣م.
٧ سجل حلب محاكم شرعية رقم ٩٨، صورة ٦٠، وثيقة ص١١٢، تاريخ ١١٧٨ه/١٧٦٤م.
٨ سجل حلب أوامر سلطانية رقم ٦ ، صورة٩٩ ص ١٥٧ ، وثيقة ٢٠٥، تاريخ ١١٧٦هـ/١٧٦٢م.
٩ سجل حلب أوامر سلطانية رقم ٢٥ ، صورة ٦٥، ص٤٥ ، وثيقة ٨٨، تاريخ ١٢١٠هـ/١٧٩٥م

الجدارية[١]. والوسطاني وهو القسم المعتدل ومؤلف من ساحة أصغر من البراني تحيط به الخلوات الخلوات الصغيرة ذات القباب العالية وفيه أجران. والجواني وهو القسم الحار، ويوجد فيه بيت النار. وقد اتصلت واجبات الحمام بالواجبات الدينية والاجتماعية ، فلم يقتصر على إزالة الأوساخ ، وإنما صارت وسيلة للاستعداد للعبادة ، مما له تأثير واضح في تطور أجزاء الحمام ومرافقه[٢].

أ-حمام بهرم باشا: يقع في محلة الجديدة بناه بهرام باشا في القرن السادس عشر الميلادي ويتكون الحمام من قسمين حمام كبير وصغير، الكبير يتألف من وسطاني وجواني وبراي، وأما واجهته فيتناوب فيه الحجر الأصفر والأسود على شكل مداميك ، يعلو المدخل قوس نصف دائري وتعلوه زخارف نباتية جميلة [٣].

ب-حمام التل : يقع في محلة بحسيتا، ويتألف من مشلح براني، فيه بركة ماء يجري إليه الماء من فائض ما قسطل سويقة الحجارين الجاري إليها الماء من قناة حلب، وعلى وسطاني وجواني وأجران وحاصل وخزان وماعون من النحاس مركب بالخزان ، وعلى أقميم متصل بالحمام، واحتوى على بيت نار وعلى حوش سماوي ودولاب ماء معين ومنشر ومنافع [٤].

ج-حمام يلبغا الناصري: يقع أمام البرج الجنوبي لقلعة حلب، ويعود بناؤه إلى أوائل حكم المماليك[٥]، وللحمام واجهة جميلة من الحجر الأصفر والأسود، ويتألف الحمام من ثلاثة أقسام وهي البراني وتعلوه قبة عالية وزخارف جدارية مع بركة للماء، والوسطاني، ويحوي بعض الخلوات وتعلوه القبب والقمريات الجصية بأشكالها النجمية وزخارفها المتداخلة، والجواني : وفيه بيت النار وهو في وسطه قبة واسعة مثمّن الاضلاع ، ويحيط بالجواني ثلاث ايوانات وفيه بئر ماء وكان يسخن بالفخار من تحت أسف أرضيته[٦].

د-حمام النحاسين: يقع جنوب الجامع الكبير، وكان تابعاً لوقف المدرسة الخسروية، ويعتقد أنه هو حمام الست الذي يعود إلى القرن الثالث عشر[٧]، وامتاز بقبته المزينة بالفتحات الزجاجية

١-طلس، الآثار ،ص٢٦٥.

٢-الحمصي، حلب، ص١٣٧.

٣- جوشقون ، تقصي خطى الدولة ،ص٥٦٧. حمصي ، ص١٤١.

٤-سجل حلب محاكم شرعية ، رقم ٨٥، صورة ١٣٧ ، ص ٢٧٠ ، تاريخ ٦ شعبان سنة ١١٦٨هـ/١٧٥٤م

٥ الغزي، نهر الذهب، ج٢، ص١٢.

٦- حجار ، معالم حلب ، ص٨٣.

٧ الحمصي، حلب، ص١٤٠.

وتألف من الأقسام الرئيسية للحمام براني ووسطاني وجواني ، وبيت النار على طريقة الحمامات الرومانية والعربية القديمة[١].

ه-حمام الصالحية : يقع في محلة باب المقام ، أنشأه أزدمر بن عبد الله الجركسي[٢] وتكون من خمسة أقسام رئيسية وهي البراني والوسطاني والجواني والمضافة والمسبح، والبراني عبارة عن صالة كبيرة تتوسطها بركة دائرية من الحجر الأصفر، وأحاط بجدرانه مصاطب حجرية للجلوس، أسفل كل وحدة أربع طاقات لوضع القباقيب، وسقف البراني بقبة واحدة مستندة على أربع مثلثات كروية، وفي قمة القبة نافذة للتهوية، أما الأرضية فهي مرصوفة بحجارة صفراء تخللتها حجارة سوداء، وفي شمال البراني مدخل يقود إلى المضافة وهي غرفة صغيرة لتعليق المناشف، والوسطاني سُقف بقبة تتخللها نوافذ زجاجية، وضم ثلاث حجرات كبيرة ، وفي شمال الوسطاني باب يؤدي إلى الجواني وضم أيضاً ثلاث حجرات كبيرة، وفي الزوايا الأربعة للجواني أربع حجرات أصغر حجماً مسقوفة بقباب دائرية[٣]

ووجدت حمامات أخرى في حلب : حمام الجواهري في باب قنسرين، حمام البياضة، حمام ساحة بزة، حمام سوق الغزل في بانقوسا[٤]، إلى جانب حمامات أخرى أشارت إليها وثائق المحكمة الشرعية منها الحمام المرعشي خارج باب النصر [٥]، حمام الشيباني[٦]، حمام أوغلبك[٧] أوغلبك[٧] حمام الخواجه في زقاق الأربعين[٨] ،حمام رقبان[٩].

٧- الزوايا والتكايا والمشاهد:

تعددت الطرق الصوفية وتفرّعت خلال العهد العثماني، وكانت الزوايا والتكايا مجمع المريدين ومحط رحالهم في دينهم ودنياهم ، وتميّزت الزوايا والتكايا كمنشآت معمارية لها هندسة

١- حجار ، معالم حلب، ص ٤١.

٢- الغزي، نهر الذهب، ج٢، ص٣٦٧.

٣- جوشقون، تقصي خطى الدولة ، ص٥٦٥.، طلس ، الآثار الاسلامية ، ص٢٨٦.، عثمان، نقائش، ص١٥٨.

٤- الحمصي، حلب، ص١٣٩-١٤٠. طلس ، الآثار الاسلامية ، ص٢٨٠.

٥- سجل حلب محاكم شرعية، رقم ٨٧، صورة ٣٦ ، ص ٦٥، تاريخ ٦ جمادى الأولى سنة١١٧٠هـ/١٧٥٦م

٦- سجل حلب محاكم شرعية، رقم ٨٠، صورة ٢٥ ، ص ٤٤، تاريخ ١٨ شعبان سنة ١١٦٥هـ /١٧٥١.

٧- سجل حلب محاكم شرعية، رقم ٨٤، صورة ٢١٧ ، ص ٤٢٤ ، تاريخ ١٥ محرم سنة ١١٦٨هـ/١٧٥٤م.

٨- الغزي، نهر الذهب ، ج٢،ص٧٣. سجل حلب محاكم شرعية ، رقم ٨٥، صورة ٣٩ ، ص ٧٤ ، تاريخ ٢٤ ٢٤ شوال سنة ١١٦٧هـ/١٧٥٣م. انظر أيضاً: سجل حلب محاكم شرعية ، رقم ١٠٦ ، صورة ٢٨ ، ص ٥٠ تاريخ ٢٠ جمادى الآخر سنة ١١٨٥هـ/١٧٧١م.

٩- سجل حلب محاكم شرعية ، رقم ٨٥، صورة ١٤٤ ،ص ٢٨٣ ، تاريخ ٤ شوال سنة ١١٦٨هـ/١٧٥٤م

وتخطيط جديد وتألّفت من غرفاً للسكن، ومسجد الذي شغل جناحاً خاصة في القبلية، والمطابخ ومخازن التموين والقاعات والحدائق ، وأُلحق ببعضها مكاتب لتعليم الأولاد ، ونذكر منها :

أ-زاوية بني الناشد: تقع في الزاوية الشمالية الغربية داخل جامع المشاطية ، وأنشأت زمن الشيخ عبد القادر الناشد (ت١٧٨٩) وهو خليفة الشيخ سعد اليماني[١]، وتألفت الزاوية من قاعة الأذكار وهي مستطيلة الشكل، ومقسمة إلى ثلاثة أقسام بواسطة عقدين، ضمّ كل منهما قوسين مدببين مرتكزين على عمود مقرنص في الوسط، أما واجهتها الشرقية فتكونت من نافذه يعلوها قوس مجزوء فوقها طاقة مستطيلة يعلوها نجفة حجرية تحتها طبقة خشبية، وواجهتها الجنوبية المبنية بالحجارة الصغيرة وضمت باب المدخل يعلوه قوس مجزوء وفوقه طاقة[٢] .

ب-زاوية النسيمي: تقع في محلة الفرافرة ، ونسبت إلى عماد الدين النسيمي الصوفي (ت١٤١٧م) الذي قتل لاتهامه بالزندقة والالحاد أيام يشبك نائب حلب[٣] ، ودفن النسيمي في الزاوية، والبناء المستطيل الشكل ، والمدفن مسقوف بقبو متطاول سنمي يرتكز فوق صفين من المقرنصات وواجهته الجنوبية مطلة على القلعة ، وتتألف من نافذتين يعلوها قوس مجزوء فوقه نصّ مكون من ثمانية سطور مؤرخ للعام ١٧٢٥[٤].

د-تكية الخسروية :

تقع تحت القلعة في ساحة بزة ، أنشأ التكية خسرو باشا والي حلب عام ١٥٤٤ ، وضم مبنى الخسروية، شملت جامعاً كبيراً ومدرسة وغرفاً للسكن، وصمم هذا المجمع المعمار السلطاني سنان وللتكية ثلاثة مداخل تؤدي إلى باحة كبيرة تتوسطها بركة ماء، ويحدها جنوباً قاعتان للضيوف أو لمشايخ التكية، وتزيّن الحرم ألواح القاشاني، وتعلو القبلية خمس قباب[٥]، واستخدمت الزخرفة بمقرنصات يعلوها أقواس مثلثية ، ونظام الأبلق والنصوص الكتابية والزخارف النباتية [٦].

ه-التكية المولوية : تقع خارج الأسوار في محلة العينين في باب الفرج ، وبنيت لتجمع دراويش المولوية، إضافة إلى إطعام المساكين والمحتاجين، أنشأها الدرويشان الفارسيان (ميرزا

١- الطباخ ، اعلام النبلاء، ج٧، ص١٩-٢٠.

٢- جوشقون، تقصي خطى الدولة ، ص٢٥٥.

٣- الغزي، نهر الذهب، ج٢، ص١٣٨.

٤- طلس ، الآثار الاسلامية ، ص٢٥٤. جوشقون، تقصي خطى الدولة ، ص٢٧٧.

٥- الطباخ ، ج٣، ص١٤٩. الحمصي ، ص٥٠.

٦- جوشقون، تقصي خطى الدولة ، ص١٧٩.

فولادا وميرزا علوان) في بداية العهد العثماني، وتميزت التكية بوجود صحن واسع، وتميزت جهته الشرقية بواجهة أثرية طرازها مملوكي[١]، ولها حرم كبير، وقبلية كبيرة سميت (سماح خانة)وكان الشيوخ والدراويش يقومون فيها بأذكارهم ورقصهم[٢]، وكانت السماح خانة مربعة تقسم بواسطة أربع عقود ثلاثية مدببة أوسطها هو الأكبر، تستند على أربع ركائز ضخمة، وجزء مربع واسع في الوسط وهو مكان الفتلة وتحيط به أربعة ممرات وهي مكان المتفرجين، وأيضاً شملت التكية خلوات كان يسكنها الشيخ والدراويش، وفي التكية مكتبة ومطبخ، وسلسبيل على شكل قوس نصف دائري من الحجر الأصفر ضمنه قوس من الرخام الأبيض، وضم السلسبيل في أسفله حوضاً يخرج الماء منه بشكل مموج وغرفة السلسبيل هي مربع الشكل يعود بناؤها للعام ١٧٦٢[٣].

و-التكية الوفائية: تقع شمال حلب بين جبل الغزالات وجبل العظام، ونسبت إلى الشيخ أبو بكر الوفائي، أنشأها الشيخ أحمد القاري في العام ١٦٣٢ للطريقة الوفائية الصوفية[٤]، وكان ولاة حلب يقيمون فيها ويستفادون منها لأغراض عسكرية [٥]، وعاصرت هذه التكية جملة من الأحداث ، فقد نزل فيها الوالي محمد باشا العظم في العام ١٧٦٥[٦]، وجعل منها الوالي أحمد عزت باشا وأعيان حلب والسباهية، في العام ١٧٧٦ مقراً لهم لشنّ ضرباتهم ضد أشقياء اللاوند[٧]، ولقد اشتملت على إيوان كبير وقبلية صغيرة وحجرة واسعة في وسطها ضريح الشيخ أبو بكر الوفائي، وفي فنائها محراب من الرخام الأصفر، والايوان من الرخام الأصفر وهو مقبو بالحجارة وفيه ثلاث قناطر محمولة، وفي تربة التكية عدة قبور منها قبر الشيخ أحمد القاري وقبور لبعض ولاة حلب منهم حاجي محمد باشا ١٧٥٢ ، الوالي عبد باشا الفراري في العام ١٧٦٠ [٨]، وسليمان باشا الفيضي ١٧٩٣[٩]، ومن الزوايا والتكايا التي كانت موجودة في النصف

---

١ – الحمصي، ص٥١. حريتاني ، حلب والسلطنة، ص٢٩.

٢– طلس ، ص٢٥٦.

٣– جوشقون، تقصي خطى الدولة ، ص١٩١.

٤ – تمّ ذكر هذه الطريقة في الفصل الثالث (بحث التصوف).

٥– سجل حلب أوامر سلطانية ، رقم ٦ ، صورة ٥٥، ص ١٠٠، وثيقة ١٩٢، تاريخ ٩ صفر ١١٧٦ه/١٧٦٢م.

٦– الطباخ، إعلام النبلاء، ج٣،.ص٢٧٧.

٧– الطباخ، إعلام النبلاء، ج٣، ص٢٨٤.

٨– الطباخ، إعلام النبلاء، ج٣، ص٢٧٣.

٩– جوشقون، تقصي خطى الدولة ، ص١٩٩.

النصف الثاني من القرن الثامن عشر ، زاوية الطواشية[١]، تكية اخلاص دده[٢]، تكية سعد الله المالطي [٣].

ز-مشهد الحسين: يقع غربي حلب في سفح جبل الجوشن ،وأنشأ أيام الملك الصالح الأيوبي في العام ١١٧٦[٤]، ويعدّ هذا المشهد من أروع المباني الأيوبية، وهو عمارة ضخمة كأنها مدرسة فيها باحة سماوية محاطة بثلاثة أروقة، وإيوان ومصلى مسقوف بثلاث قباب، وتتميز القباب بجمال مقرنصاتها[٥] .

ح-مشهد محسن (مشهد الدكة): يقع غربي حلب وسمّي بهذا الاسم، لأن سيف الدولة الحمدانية كان له دكة على الجبل الذي يطل على المشهد، ويجلس عليها لينظر إلى حلبة السباق وسبب البناء أن سيف الدولة "رأى نوراً ينزل على مكان المشهد وحفره فوجد حجراً عليه كتابة " هذا قبر المحسن بن الحسين بن علي بن أبي طالب"[٦]. فعمّره سيف الدولة في العام ٩٦٢م وأطلق وأطلق عليه أيضاً اسم مشهد محسن، وفي الحرم ضريح مصنوع من الخشب المحفور مزين بالزخارف والكتابات تعود للقرن الثالث عشر[٧].

٨- **الدور السكنية والقصور :**

أ-دار قصر جنبلاط : يقع داخل باب النصر، كان يعرف في فترة البحث باسم دار عبد السلام وبني في القرن السادس عشر، وتعود ملكيتها لبني الإصبع، اشتراها أمير لواء الأكراد في شمال حلب، جانبولاد ابن قاسم الكردي الملقب ابن عربو ، ومعها دوراً أخرى وجعل الكل داراً واحدة[٨] وكانت مساحة الدار(٥٠٠٠م٢) ، أضيف إليها ملحقات خارجية كمقر للقواد العسكريين ورؤساء القبائل، وتميزت الدار في عهده بأعمدتها ومنجورها المنقوش بالذهب واللازورد[٩]

١-سجل حلب أوامر سلطانية ، رقم ٦ ، صورة ٥٤، ص ٩٩، وثيقة ١٩٠، تاريخ أوائل صفر ١١٧٦ه/١٧٦٢م.
١١٧٦ه/١٧٦٢م.

٢-سجل حلب أوامر سلطانية ، رقم ٦ ، صورة ٣٥، ص ٦٢، وثيقة ١٢٤، تاريخ أوائل صفر ١١٧٥ه/١٧٦٣م.

٣- الحمصي ، حلب ، ص٥١. جوشقون، تقصي خطى الدولة ، ص٢٢٣.

٤ -الغزي، ج٢، ص٢٧٨.

٥- طلس ، الآثار الاسلامية ، ص٦٩. الحمصي ، حلب، ص٥١.

٦- الغزي، ج٢، ص٣٧٩.

٧- الحمصي، حلب، ص٥٢.

٨ الطباخ ، إعلام النبلاء، ج٧، ص١١٠

٩- الطباخ ، إعلام النبلاء، ج٦، ص٨٨-٨٩.

والباحة تتوسطها بركة ماء عظيمة وقد ملأت الزخارف جدرانه، يحيط بالباحة أشجار السرو وأشجار مثمرة، وأيضاً يمتاز البناء باحتوائه على أكبر ايوان في حلب ،وعلى طرفيه غرفتان في الطابق الأرضي، كان يعلوهما غرفتان في الطابق الأول، وفي أمام الإيوان قوس كبير مدبب[١] وقد استعمل الحجر والرخام الملون في أرضيته على شكل موزاييك، وكذلك قطع القاشاني التي غطّت جدران الايوان العالي. ويوجد في صدر الإيوان تجويف كان يحتوي سلسبيلاً كسيت واجهته ببلاطات القيشاني[٢] ويحدّ باحة الدار من الشرق قاعتان كبيرتان تطل عليها بنوافذ يعلو كل منها قوس مجزور، وفي الأعلى مظلات يحد كل منها قوس نعل الفرس المدبب العثماني، ويملأ فراغها تخاريم خشبية مختلفة[٣].

ب–دار كبّة: يقع جنوبي كاتدرائية الروم الكاثوليك ، ويعود بناءه إلى بداية القرن الثامن عشر وتمتلكه عائلة كبة المعروفة بأعمالها التجارية ، وأكثر ما يميّز الدار السقف الخشبي الملون في قاعتها الجنوبية والذي بني في العام ١٧٨٠ [٤]، والأبواب والنوافذ والجدران الخشبية المزخرفة المزخرفة وأيضاً امتازت الدار بسلسبيلها الجميل بأحواضه الصغيرة المتدرجة في وسط صحن الدار[٥].

١- جوشقون، تقصي خطى الدولة ، ص٦١٧.

٢-حجار، معالم ص٨٩.

٣- جوشقون، تقصي خطى الدولة، ص٦١٧.

٤ -حجار ، معالم، ص٤٣.

٥- طلس ، الآثار،ص٢٩٦.



- لقد ظهر جلياً أنه كان لولاية حلب في فترة البحث أهمية جغرافية واجتماعية، وتميّزت بتركيبها السكاني المتنوع سواء أكانوا من المسلمين أو المسيحيين أو يهود، أو كانوا من أعراق مختلفة عرباً أو أكراداً أو تركماناً. ويمكن القول أن البنية الاجتماعية سادت فيها الفوارق الواضحة، من خلال أمور عديدة أهمّها: تفاوت الثروة والانساب والمكانة الاجتماعية والدينية والسياسية، فأنتجت الفئات العليا والوسطى والدنيا. من خلال التركيز على أوضاع الأسرة، فقد تبيّن أن عوامل اجتماعية واقتصادية وصحية أثرت في خصوبة المجتمع الحلبي، ومن اللافت للانتباه أن الأسر الثرية وأبناء الفئة العليا اختارت الاستقرار في محلات معينة داخل أسوار مدينة حلب، وقلّما سكنت في الأرياف.
- طبقت أغلب المحاكم الشرعية في حلب أحكام الأحوال الشخصية للمسلمين على المذهب الحنفي من زواج وطلاق وغيره. وكانت المحاكم الحنفية تثبت قرارات المحكمة الشافعية، وتركت مسائل الأحوال الشخصية للمسيحيين واليهود لشرائعهم الكنسية، ولكن الجدير بالذكر أن وثائق المحاكم الشرعية، أشارت إلى رغبة البعض من الذميين للخروج عن شرائعهم، وممارسة أنواع الطلاق عند المسلمين، وتثبيتها في المحاكم الشرعية. ويمكن القول أنّ مردّ ذلك لغايات شخصية أو تأمين أحكام الحقوق والنفقات، يصعب تأمينها لدى قوانينهم.
- ساهمت العادات والتقاليد عبر مسيرة التاريخ بتشكيل هوية المجتمعات، ولقد بدا واضحاً من خلال تفاعل الحلبيون ضمن مجتمعهم، أن عاداتهم وتقاليدهم تأثّرت بالتشريعات الحكومية والدينية بل وبالأوضاع الاجتماعية السائدة، ولا سيما الفوارق الطبقية الاجتماعية، من حيث نوع الطعام والشراب وشكل اللباس ولونه، وبالنسبة لأوقات فراغهم فقد أمضوها بوسائل تسلية مختلفة فالذكور مالوا إلى ارتياد دور المقاهي وأغلبهم من الفئة العامة، وبالمقابل مالت النساء ومن جميع الفئات إلى دخول الحمامات العامة أكثر من غيرها للتسلية، واعتبرت ملتقى للأصدقاء والمناسبات

الاجتماعية. ومن الجدير بالذكر أن أثر الجاليات الغربية في العادات والتقاليد الحلبية كان محدوداً في فترة البحث .

- تركت الفوضى السياسية والأمنية أثرا سلبيا كبيرا على ولاية حلب في فترة البحث، ولا سيما أن السلطنة العثمانية كانت تمر بمرحلة ضعف أفقدتها سيطرتها الكاملة على البلاد، إلى جانب الحروب الدامية بين الانكشارية والاشراف، مما انعكس تدريجياً على المجتمع وظهور حالات الانحراف الاجتماعي، كالإخلال بالأمن العام، والفساد الاجتماعي.
- لا شك أن الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية تركت أثرها على الواقع الصحي في ولاية حلب لكن الخلل الاداري للحكومة، وتخلّف الوسائل الطبية، ونقص التوعية الاجتماعية واجراءات الوقاية من الأوبئة والأمراض السارية، ساهم بموت الآلاف من السكان.
- ومن الواضح أن التقاليد العلمية الموروثة هي التي كانت سائدة في حلب في مرحلة البحث، ولم تولِّ السلطنة العثمانية الاهتمام الكافي للحركة التعليمية في حلب، ولم يحدثوا شيئاً ملحوظاً عمّا كان عليه من العهود السابقة، وحتى منح الإجازات العلمية العالية والتي تخول صاحبها التدريس والافتاء فلا بدّ من دراستها واجتياز مراحلها ودرجاتها في العاصمة العثمانية استانبول، وليس من المستغرب إعطاء الدرجات جزافاً للدارسين الذين هدفهم الجاه والمال من الوظائف الحكومية وكان جلّ اهتمام الحكومة الإشراف على الموارد المالية العائدة من أوقاف المدارس التعليمية، أكثر من العملية التعليمية نفسها، وعلى الرغم من ذلك برز في حلب علماء وأدباء، في علوم عديدة غلبت عليها مواضيع اللغة والدين والفقه.
- ومن اللافت للانتباه أن الحالة الفكرية الصوفية سادت كل المجتمع الحلبي، وتركت آثارها على جميع نواحي الحياة التعليمية والثقافية والاجتماعية والاقتصادية والدينية، فإنّ سمة العصر في تلك الفترة، منحت أولياء المتصوفة كل الاحترام والتقدير في المجتمع، ونجد علماء المتصوفة أدباء وشعراء، وكثر انتشار التعليم الصوفي في الزوايا والتكايا، وحتى التركيب الهرمي للتنظيمات الحرفية قد تأثر بالمراسم الصوفية في شعائرها وتركيبها وأفكارها الروحية، وحتى القدود الحلبية المعروفة فإن أصل ألحانها دينية صوفية، كانت تؤدى في حلقات الأذكار، وبدّلت كلماتها بكلمات غزلية.
- من الجدير بالذكر أن الموسيقى وفنون الغناء، لاقت الإعجاب الكبير من المجتمع الحلبي، فقد تفرّدت حلب عن باقي الولايات العربية بطابع طربي وغنائي خاص بها، وأرّخت فترة النصف

الثاني من القرن الثامن عشر بداية ظهور الموشحات الحلبية، واللوحات الموسيقية الغنائية كفصل (اسق العطاش)، والتي مازالت موسيقاها تصدح حتى الوقت الحاضر .

- إن أهمّ ما كان يميّز المنشآت العمرانية في حلب، التصاميم العمرانية والنقوش والزخارف والتشكيلات الهندسية وألواح الخطوط العربية الكوفية، والتي أعطت طابعاً خاصاً وأسلوباً رائعاً للعمارة الحلبية، ومن الواضح أن فترة النصف الثاني من القرن الثامن عشر، لم تشهد نشاطاً وتوسعاً عمرانياً كبيراً في حلب مقارنة مع الفترات السابقة التي شهدت النشاط العمراني للولاة والباشوات ، ومرد ذلك إلى أن السلطنة العثمانية أصابها الضعف في تلك الفترة، واقتصر اهتمامها ببناء المنشآت الحكومية الخاصة كالقلاع والحصون في حلب، وإهمال بناء المنشآت العمرانية الجديدة، ولكن أكثر ما كان يميز فترة البحث، من توسّعات عمرانية جديدة، ظهور أحياء وأزقة جديدة مسيحية في الضاحية الشمالية للمدينة .
- من اللافت للانتباه أن النشاط العمراني في حلب، في فترة البحث غلب عليه أعمال الترميم والصيانة، والتي مولتها ميزانيات الأوقاف وملاك العقارات، إلى جانب تمويل الأهالي للشوارع والأماكن الدينية .
- لقد بدا جلياً أن حلب اشتهرت بمنشآتها العمرانية على مستوى مدن العالم، واحتفظت بأقدم آثارها واتضح ذلك في عدد كبير من المنشآت العمرانية والأوابد الأثرية، كالقلاع والمدارس والجوامع والزوايا والحمامات رغم عدم ازدهار الحركة العمرانية آنذاك. ولكن حلب استطاعت أن تحافظ على أهميتها كأحدى أهم حواضر السلطة العثمانية .

تاريخ ولاية حلب في النصف الثاني من القرن الثامن عشر ـــــــ

تاريخ ولاية حلب في النصف الثاني من القرن الثامن عشر ـــــــ

تاريخ ولاية حلب في النصف الثاني من القرن الثامن عشر ـــــــ

٤. ابن خلدون ،عبد الرحمن محمد، مقدمة ابن خلدون ،نشر علي عبد الواحد وافي، ط٢ ثلاثة أجزاء، دار النهضة ، القاهرة،١٩٨٠

٥. ابن سينا ، أبو علي الحسين بن عبدالله (ت١٠٣٧م)، القانون في الطب ، ثلاث أجزاء، دار الطباعة المصرية، ١٢٩٤ه

٦. ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور المصري، لسان العرب ١٥ جزء، تصحيح محمد عبد الوهاب –محمد الصادق ، دار احياء التراث العربي، بيروت ١٩٩٩

٧. إخوان الصفا ، "رسائل إخوان الصفا" ،أربع أقسام، دار بيروت، دار صادر ١٩٥٧

٨. الجيلاني، عبد القادر، الفتح الرباني والفيض الرحماني، (٤٧٠-٥٦٠هـ) دار الريان للتراث.١٩٨٨.

٩. الحنبلي ، عبد الحي بن أحمد عبد الحي ابن العماد العكري (١٠٣٢-١٠٨٩هـ/١٦٢٣-١٦٧٩م) ،شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا ٩ أجزاء،ج٤ دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٨م

١٠. الحلبي، يوسف ديمتري، حوادث حلب اليومية ١٧٧١-١٨٠٥م، المرتاد في تاريخ حلب وبغداد، تحقيق فواز محمد الفواز، ط١، شعاع للنشر والعلوم، حلب، ٢٠٠٦

١١. السهروردي، أبو حفص عمر، عوارف المعارف، مؤسسة الحلبى، القاهرة، ١٩٦٨

١٢. الغزي، كامل الحلبي، نهر الذهب في تاريخ حلب، ثلاثة أجزاء، دار القلم العربي، ط٢ ١٩٩٩

١٣. القلقشندي، أبو العباس أحمد، صبح الأعشى، ١٤ جزء، دار الكتب المصرية، القاهرة١٩٩٢

١٤. أحمد بن إبراهيم بن محمد بن خليل، موفق الدين، أبو ذر سبط ابن العجمي، كنوز الذهب في تاريخ حلب،ط١، جزأين ، دار القلم، حلب،١٩٩٦

١٥. الدبس ،المطران يوسف ، تاريخ سورية الدنيوي والديني (سورية في أيام السلاطين العثمانيين)، مراجعة وتدقيق، مارون رعد، اشراف نظير عبود، دار نظير عبود

١٦. المرادي، أبي الفضل السيد محمد خليل أفندي ، سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر ، أربعة أجزاء ، ط٣، دار البشائر الاسلامية ، دار ابن حزم، ١٩٨٨ .

١٧. النعيمي ، عبد القادر محمد ، الدارس في تاريخ المدارس ، اعداد إبراهيم شمس الدين، ط١، جزءان، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٠.

١٨. خليفة ، حاجي ، مصطفى بن عبد الله الشهير بحاجي خليفة وكاتب جلبي ، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، عني بتصحيحه وطبعه وتليق حواشيه محمد شرف الدين يالتقايا، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، (د.ت)

١٩. نوفل،نوفل أفندي، سوسنة سليمان في أصول العقائد والأديان، بدون رقم الطبعة، بيروت، ١٨٧٦.

ثالثاً: المراجع العربية :

١. الأسدي ، محمد خير الدين :

– موسوعة حلب المقارنة تنقيح محمد كمال ، جمعية العاديات ، حلب ٢٠٠٩ .

– أحياء حلب وأسواقها، تحقيق عبد الفتاح رواس قلعة جي ، منشوران وزارة الثقافة، دمشق ١٩٨٤

٢. الأنطوني ،الأب سركيس الطبر ، تأسيس المدرسة المارونية في روما ، مجلة المنارة ، عدد خاص بالمدرسة المارونية سنة ١٩٨٤م

٣. آصاف ، يوسف ، تاريخ سلاطين آل عثمان، تحقيق بسام الجابي ط٣ ، دار البصائر ، دمشق ١٩٨٥

٤. أبو جبل ، كاميليا، يهود اليمن(دراسة سياسية واقتصادية واجتماعية منذ نهاية القرن التاسع عشر وحتى منتصف القرن العشرين)، ط١، دار النمير ، دمشق، ١٩٩٩

٥. أبو المجد ، ليلى، عقود الزواج ، ترجمة وتعليق على متن المشنا وشروح التلمود ، ١٩٩٥

٦. أبو نهرا ،جوزيف، الظروف التاريخية لنشأة المدرسة المارونية الحديثة ، مجلة المنارة ، عدد خاص بالمدرسة المارونية سنة ١٩٨٤م

٧. أثناسيو، الأب متري هاجي، كنائس حي الميدان ، دمشق ، ٢٠٠٤م

– موسوعة بطريركية أنطاكية التاريخية والأثرية، مج ٩، دمشق ، ٢٠٠١

٨. الأحمد، عبد المنعم ، مدينة حلب في الفترة الحميدية(١٨٧٦–١٩٠٩م)، رسالة ماجستير ، اشراف د. محمود عامر، جامعة دمشق، دمشق، ٢٠٠٥

٩. الخطيب ، مصطفى عبد الكريم ، معجم المصطلحات والألقاب التاريخية، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٦

١٠. اوغلي، خليل ساحلي، تاريخ الاقطار العربية في الدولة العثمانية ، مركز الابحاث للتاريخ، استانبول ،٢٠٠٠.

١١. الجاسر، لمياء ، مدارس حلب الأثرية (تاريخها وعمارتها)،ط١، دار الرضوان ، حلب، ٢٠٠٠.

١٢. البرواري، محمد زكي ملا حسين ،الكورد والدولة العثمانية ، ط١، دار الزمان ، دمشق، ٢٠٠٩

١٣. الدباغ، عائشة، الحركة الفكرية في حلب في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين ،ط٢، مديرية الكتب المطبوعات الجامعية ،جامعة حلب ،٢٠٠٧.

١٤. الشطي ، ضحى ، توسع البدو في بلاد الشام وانحسارهم ، المؤتمر الدولي الثاني لتاريخ بلاد الشام (١٥١٦-١٩٣٩) ، جامعة دمشق.

١٥. الجندي، محمد سليم ، تاريخ معرة النعمان ،جزءان، تحقيق عمر رضا كحالة، ط٢، وزارة الثقافة السورية ، دمشق، ١٩٩٤.

١٦. الصباغ ، ليلى، المجتمع العربي السوري مطلع العهد العثماني ، الطبعة الأولى ، وزارة الثقافة ، دمشق١٩٧٣.

١٧. الصابوني ،عبد الرحمن ،شرح قانون الأحوال الشخصية، جزءان، الطلاق وآثاره، ط١١، منشورات جامعة دمشق،٢٠٠٦.

١٨. صبحي الصواف ، الكتابات العربية في قلعة حلب، مجلة عاديات حلب ،الكتاب الأول، جامعة حلب ،١٩٧٥م.

١٩. الصلابي ، علي محمد محمد ، الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط، ط١، دار التوزيع والنشر الإسلامية ، بورسعيد /مصر ،٢٠٠١.

٢٠. الرفاعي، محمود فيصل ، حلب بين التاريخ والهندسة ، معهد التراث العلمي العربي ، جامعة حلب ، ١٩٩٦.

٢١. الجباوي ،علي ، عشائر النَّورَ في بلاد الشام، التلوين للتأليف والترجمة والنشر، دمشق ٢٠٠٦.

٢٢. الجندي ،أدهم ، أعلام الأدب والفن، جزءان، مطبعة مجلة صوت سورية ، دمشق ١٩٥٤.

٢٣. الجوهري، عبد الحميد ، التصوف مشكاة الحيران، مطبعة افريقيا الشرق، الدار البيضاء،١٩٩٦.

٢٤. الحاج ، الخوري نبيل . التولاري ، الخوري بطرس وأثره في النهضة، مجلة المنار ، عدد خاص بالمدرسة المارونية ١٩٨٤.

٢٥. الحمصي ، فايز ، حلب القديمة ، منشورات المديرية العامة للآثار والمتاحف ، دمشق، ١٩٨٣.

٢٦. الحموي ، شهاب الدين أبي عبدالله ياقوت بن عبد الله الرومي البغدادي ، معجم **البلدان**، خمسة مجلدات ،مجلد١، دار صادر ، بيروت ، ١٩٩٧.

٢٧. الحصري، ساطع البلاد العربية والدولة العثمانية ط٣ ، دار العلم للملايين ، بيروت.

٢٨. الخالدي، أحمد سامح ، أنظمة التعليم ، جزءان، الطبعة الأولى ، القدس ، ١٩٣٣.

٢٩. الذخيرة ،محمود، أهل الرقة ١٦٠٠-١٩٥٠م ،جزءان، ج١ ، قبائل عنزة وشمر والبوشعبان والموالي وجيس وفروعها المهاجرة ، ط١ ، دار الفرقد –دمشق، ٢٠٠٢ .

٣٠. الرفاعي، شمس الدين ، تاريخ الصحافة السورية ، جزءان، الصحافة السورية في العهد العثماني ١٨٠٠-١٩١٨ ، دار المعرف بمصر، ١٩٦٩.

٣١. السعدي ،محمد ، دراسة في الأناجيل الأربعة والتوراة، جمعية الدعوة الاسلامية (مالطا)، ط١، منشورات دار الثقافة ، الدوحة ، ١٩٨٥.

٣٢. السعدي ،غازي ، الأعياد والمناسبات والطقوس لدى اليهود، ط١، دار الجليل، عمان، ١٩٩٤

٣٣. الخالدي، الكردي ،أحمد الحجي ، الأحوال الشخصية (الأهلية- والنيابة الشرعية –والوصية –والوقف–والتركات) منشورات جامعة حلب، ٢٠٠٤.

٣٤. الطباخ، محمد راغب، اعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء، سبعة أجزاء، دار القلم العربي حلب، ١٩٩٨.

٣٥. الطويل ، توفيق ، التصوف إبان العصر العثماني،ط١، مكتبة الآداب بالجماميز، مطبعة الاعتماد،١٩٤٦.

٣٦. اليان، جوزف، بنو سيفا في طرابلس١٥٧٩-١٦٤٠، منشورات دار لحد خاطر بيروت ١٩٨٧

٣٧. العلبي ، أكرم ، دمشق بين عصر المماليك والعثمانيين ،ط١ الشركة المتحدة للطباعة، دمشق ١٩٨٢.

٣٨. القاسمي، محمد سعيد، قاموس الصناعات الشامية، حققه وقدم له ظافر القاسمي، ط١، دمشق ، دار طلاس ، ١٩٨٨.

٣٩. المحامي ، محمد فردريك، ، تاريخ الدولة العلية، تحقيق إحسان حقي ط١ دار النفائس، بيروت١٩٨١.

٤٠. المجلس الوطني لشؤون الأسرة (NCFA) ، دليل الزواج للطوائف المسيحية ، مطبعة الجامعة الأردنية، (د.ت) .

٤١. المصري، محمود ، الموشحات الحلبية عمر البطش نموذجاً، أبحاث وقائع الندوة العلمية الدولية التراث الثقافي غير المادي لمدينة حلب في العصور الإسلامية ، ط١، وزارة الثقافة دمشق، ٢٠١٠

٤٢. الملاذري، سهيل، الطباعة والصحافة في حلب، مديرية الكتب والمطبوعات في جامعة حلب ٢٠٠٧

٤٣. المنجد في اللغة والإعلام ، ط٣٣ ، دار المشرق، بيروت ١٩٩٢.

٤٤. النجار،عامر، الطرق الصوفية في مصر، نشأتها ونظمها وروادها ،ط٥، دار المعارف، القاهرة

٤٥. بخاش، نعوم، أخبار حلب، تحقيق وتعليق الأب يوسف قوشاقجي، مطبعة الإحسان، حلب ١٩٨٧.

٤٦. بدر، حبيب. و سليم ، سعاد . وأبو نهر، جوزيف ، المسيحية عبر تاريخها في المشرق، ط١ مجلس كنائس الشرق الأوسط، بيروت ، ٢٠٠١.

٤٧. بركات ، مصطفى ، الألقاب والوظائف العثمانية (١٥١٧-١٩٢٤)،دار غريب، القاهرة، ٢٠٠٠

٤٨. بولاديان ،أرشاك ، الأكراد حسب المصادر العربية ، ترجمة خشادور قصباريان عبد الكريم أبازيد ، معهد الاستشراق ، أكاديمية العلوم في أرمينية السوفيتية ، ريفان ١٩٨٧

٤٩. بوبس ، أحمد ، فنون الغناء في حلب ، أبحاث وقائع الندوة العلمية الدولية ، التراث الثقافي غير المادي لمدينة حلب في العصور الإسلامية ، ط١، وزارة الثقافة ، دمشق،٢٠١٠.

٥٠. بيات، فاضل :

– الدولة العثمانية في المجال العربي، دراسة تاريخية في الأوضاع الإدارية في ضوء الوثائق والمصادر العثمانية حصراً (مطلع العهد العثماني – أواسط القرن التاسع عشر)، ط١، مركز دراسات الوحدة العربية.لبنان، ٢٠٠٧.

– دراسات في تاريخ العرب في العهد العثماني (رؤية جديدة في ضوء الوثائق والمصادر العثمانية)، دار المدار الإسلامي، بيروت ، ٢٠٠٣.

٥١. بيطار، زينات، الاستشراق في الفن الرومانسي الفرنسي، مجلة عالم المعرفة ، العدد ١٥٧ــ المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٩٩٨.

٥٢. توينبي ،ارنولد، مختصر دراسة التاريخ ، ترجمة مجمد شلل ، مراجعة شفيق غربال، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة.

٥٣. توتل ، فردينان، وثائق تاريخية عن حلب ، ج٤ ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، ١٩٥٨.

٥٤. حتي، فيليب ، ادوارد جرجي ، جبرائيل جبور – تاريخ العرب ، دار غندور ، بيروت ١٩٩٠ .

٥٥. حجار ،عبد الله ، معالم حلب الأثرية ، منشورات جامعة حلب وجمعية العاديات بحلب،١٩٩٠

٥٦. حسون ،علي ، العرب والدولة العثمانية ، ط١ ، دار الرؤية ،دمشق ،٢٠٠٦ .

٥٧. حريتاني ، محمود :

– تاريخ اليهود في حلب ، شعاع للنشر والعلوم ، ط١ ، ٢٠٠٥

– حلب والسلطنة العثمانية(الوقف والعمران١٥١٦-١٩١٦) ط١،شعاع للنشر والعلوم، حلب ٢٠٠٦

٥٨. حنا ، عبد الله ، حركات العامة الدمشقية في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، ط١، دار ابن خلدون ، ١٩٨٥

٥٩. جوشقون ، يافور ، تقصي خطى الدولة العثمانية في حلب ، BASKI-GAZIANTEP ، ٢٠١٠ .

٦٠. خلاف ،عبد الوهاب ، أحكام الأحوال الشخصية في الشريعة الاسلامية وفق مذهب أبي حنيفة وما عليه العمل بالمحاكم ، ط٢، دار القلم للنشر والتوزيع ، الكويت، ١٩٩٠

٦١. درنيقة، محمد أحمد ، الطريقة النقشبندية وأعلامها ، جروس برس، بيروت،١٩٨٧ .

٦٢. دويدري، أنور، البيمارستانات في حلب، مجلة عاديات حلب،الكتاب الأول، جامعة حلب ١٩٧٥م

٦٣. دويز، ديك، العثمانيون تاريخ من الجور ، ترجمة مصطفى العلواني ، ط١ ، دار المعرفة ، بيروت ، ٢٠٠٨.

٦٤. ديك ، الأرشمندريت أغناطيوس ، الحضور المسيحي في حلب خلال الألفين المنصرمين من نشأة المسيحية إلى الفتح العثماني ،ج١، حلب ٢٠٠٢

٦٥. رافق ، عبد الكريم :

- دراسات اقتصادية واجتماعية في بلاد الشام الحديث ، ط١، مكتبة نوبل، دمشق، ٢٠٠٢.
- العرب والعثمانيون(١٥١٦-١٩١٦)، ط٢، مطابع ألف باء- الأديب ، دمشق،١٩٩٣.

٦٦. رحيم ، مقداد ، الموشحات في بلاد الشام منذ نشأتها حتى القرن الثاني عشر الهجري، ط١، مكتبة النهضة العربية، بيروت ، ١٩٨٧.

٦٧. زكريا، وصفي : -عشائر الشام ، جزءان ، دار الفكر ، دمشق ، ١٩٨٣.

- الريف السوري ، جزءان، دار البيان ، دمشق ، ١٩٥١.
- جولة أثرية في بعض البلاد الشامية ،ط٢، دار الفكر، دمشق ،١٩٨٤.

٦٨. زيدان ، جرجي ، تاريخ آداب اللغة العربية،٣ أجزاء، دار الهلال ،القاهرة، د.ت

٦٩. سليم ،شاكر مصطفى ، قاموس الأنثروبولوجيا انكليزي عربي ، ط١ ، د.م ١٩٨١.

٧٠. شبلي ، أحمد ، تاريخ التربية الإسلامية ،ط٤ ، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ، ١٩٧٣م

٧١. صابان، خليل ، تاريخ فن الطباعة في الشرق العربي،جزءان، ج١، دار المعارف بمصر، ١٩٩٩م .

٧٢. صابان ،سهيل، المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية، مكتبة الملك فهد، الرياض، ٢٠٠٠.

٧٣. طعمة ، أنيت ، الخانات العثمانية في سوريا والمحافظة على الهوية العمرانية (دراسة تحليلية مقارنة لخانات دمشق-حلب-اللاذقية)، رسالة ماجستير في الهندسة المعمارية، اشراف د.عبير عرقاوي، جامعة دمشق. دمشق.٢٠٠٩.

٧٤. طلس ، محمد أسعد ، الآثار الاسلامية في حلب، مطبوعات مديرية الآثار العامة السورية، مطبعة الترقي، دمشق، ١٩٥٦.

٧٥. طنوس، الأب أغناطيوس، جبرائيل الصهيوني، مجلة المشرق، السنة ٣٨، عـــدد٢، أيلـــول ١٩٤٠

٧٦. عبد الرزاق ، ماسينون ومصطفى، التصوف، لجنة ترجمة دائـــرة المعـــارف الاســـلامية، ابراهيم خورشيد، عبد الحميد يونس، حسن عثمان، ط١، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٨٤.

٧٧. عامر ، محمود ، تاريخ الدولة العثمانية ، منشورات جامعة، دمشق، ٢٠٠٤

٧٨. عثمان، نجوى :

– دراسة نقائش العهد العثماني في محافظة حلب (المباني وشواهد القبور) تحقيـــق محمـــد كمال عباس صباغ ، مديرية أوقاف حلب – المكتبة الوقفية ، حلب،٢٠١٠.

– الهندسة الانشائية في مساجد حلب، منشورات جامعة حلب، حلب ، ١٩٩٢

– الآثار التاريخية في حلب وكلس وغازي عنتاب، برنامج التعاون الإقليمي السوري –التركي ،جامعة حلب ،٢٠٠٩.

٧٩. عزام ، صلاح ، أقطاب التصوف الثلاثة (البـــدوي،الرفاعي،القناوي)، تقـــديم عبـــد الحلـــيم محمود، دار الشعب، القاهرة ، ١٩٦٨.

٨٠. علي ، جواد ، المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام،١٠ أجـــزاء ، ط٢، جامعـــة بغـــداد ، ١٩٩٣

٨١. عبد السلام ، عادل ، جغرافية سورية الإقليمية ، منشورات جامعة دمشق ، مطبعة الروضة ، دمشق ، ١٩٨٢ .

٨٢. عطا ، عبد القادر أحمد ، التصوّف الاسلامي بين الأصالة والاقتباس في عصر عبد الغنـــي النابلسي، ط١، بيروت.

٨٣. عطوان عبد الله ناصح ،الرق في الاسلام ،ط٥ ، دار السلام للطباعة ٢٠٠٤

٨٤. عمران ،خضر ،الحياة الاجتماعية في ولاية حلب في النصف الثـــاني مـــن القـــرن الســـابع عشر١٦٥٠–١٧٠٠م، رسالة دكتوراه، اشراف عبد الكريم رافق ،جامعة دمشق، دمشق، ١٩٨٩.

٨٥. عماد،عبد الغني، السلطة في بلاد الشام في القرن الثامن عشر،ط١، دار النفائس، بيروت ١٩٩٣

٨٦. عون ، فيصل بدير، التصوّف الإسلامي الطريق والرجال ، مكتبة سعيد رأفت ، جامعة عين شمس ،١٩٨٣.

٨٧. عوض ،عبد العزيز ، الإدارة العثمانية في ولاية سورية (١٨٦٤-١٩١٤) تقديم أحمد عزت عبد الكريم ، دار المعارف بمصر،١٩٦٩.

٨٨. عِيسى، أَحمد تاريخ البيمارستانات في الإسلام ،ط٢،جزءان ، دار الرائد العربي، بيروت ١٩٨١.

٨٩. غالب ،عبد الرحيم، موسوعة العمارة الإسلامية ، جروس برس ، بيروت ، ١٩٨٨ .

٩٠. غنيمة ، محمد عبد الرحيم، مقدمة لتاريخ التعليم الجامعي في الإسلام ، مكتبة الانجلو المصرية القاهرة ، ١٩٥٣.

٩١. فاخوري، محمود ،المكتبات في حلب، مجلة عاديات حلب،الكتاب الثاني، جامعة حلب ،١٩٧٥.

٩٢. قاسم ، عبد الحكيم عبد الغني ، المذاهب الصوفية ومدارسها(البغدادية، البصرية، الرفاعية، القنائية، الشاذلية،) ط١، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٩٩.

٩٣. قجة ، محمد ، التصوف والموسيقى ، أبحاث وقائع الندوة العلمية الدولية، التراث الثقافي غير المادي لمدينة حلب في العصور الإسلامية ، ط١، وزارة الثقافة ، دمشق، ٢٠١٠ .

٩٤. قدورة ،وحيد، أوائل المطبوعات العربية في تركيا وبلاد الشام، ندوة تاريخ الطباعة العربية حتى انتهاء القرن التاسع عشر- ط١، مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث ،دبي، نشر المجمع الثقافي، أبو ظبي ١٩٩٦.

٩٥. قسطون، وديع ، الإفرنج في حلب في القرن الثامن عشر ، مطبعة الضاد ، حلب، ١٩٦٩.

٩٦. قمبر ، محمد وآخرون، دراسات في التربية الإسلامية، ط١، دار الثقافة ، الدوحة، ١٩٨٩.

٩٧. كرد علي ، محمد ، خطط الشام ،٦أجزاء ،ط٣، دار العلم للملايين، بيروت،١٩٨٣ .

٩٨. كوبريلي ، محمد فؤاد ، قيام الدولة العثمانية، ترجمة أحمد سليمان ،ط١،القاهرة، دار الكتاب العربي،١٩٦٧م.

٩٩. كيالي، سامي ، محاضرات عن الحركة الأدبية في حلب ١٨٠٠-١٩٥٠، القاهرة، مطبعة نهضة مصر.

١٠٠. كحالة ،عمر رضا:

- معجم قبائل العرب القديمة والحديثة ،ثلاثة أجزاء ،المطبعة الهاشمية – دمشق، ١٩٤٩.
- معجم المؤلفين، ١٣ جزء، دار احياء التراث العربي، بيروت، تاريخ الطبع مفقود

١٠١. محبك ،أحمد زياد ، أطعمة وولائم في مدينة حلب ، أبحاث وقائع الندوة العلمية الدولية ، التراث الثقافي غير المادي لمدينة حلب في العصور الإسلامية ، ط١، وزارة الثقافة ، دمشق، ٢٠١٠

١٠٢. مارينو، بريجيت ، حي الميدان في العصر العثماني، ترجمة ماهر الشريف، ط١، ، دار المدى للثقافة والنشر، دمشق، ٢٠٠٠

١٠٣. مشلح ،عبد الحميد ، المنطقة الغربية لولاية حلب إدلب في القرن الثامن عشر (١٧٠٠-١٨٠٠) ، مطابع وزارة الثقافة ، دمشق، ٢٠٠٦

١٠٤. مصطفى ،أحمد عبد الرحيم ، في أصول التاريخ العثماني، ط٢ دار الشروق، بيروت ١٩٨٢.

١٠٥. مطر ،سليم ، جدل هويات (عرب ، أكراد ، تركمان ، سريان ، يزيدية) صراع الانتماءات في العراق والشرق الأوسط ، ط١ ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ٢٠٠٣ .

١٠٦. ميلاد ، سنوى علي ، وثائق أهل الذمة في العصر العثماني وأهميتها التاريخية ، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، القاهرة، ١٩٨٣.

١٠٧. نصر الله ، جوزف ، تاريخ الحركة الأدبية في الكنيسة الملكية، مجلد ٤ ، جزء٢

١٠٨. نيكلسون، في التصوف الاسلامي وتاريخه، ترجمة ابو العلا غفيفي ، القاهرة.

١٠٩. نعيسة ، يوسف:

- مجتمع مدينة دمشق (١٧٧٢-١٨٤٠م)، ط٢،جزءان، دمشق، دار طلاس، ١٩٩٤ .
- يهود دمشق، ط١، دار المعرفة، دمشق،١٩٨٨

١١٠. هلال ، فؤاد ، حلب القديمة والحديثة ،دراسات تاريخية وأثرية واجتماعية واقتصادية وإدارية عن حلب، احتفالية حلب عاصمة للثقافة ٢٠٠٦.

١١١. همو ،عبد المجيد ، الفرق والمذاهب اليهودية منذ البدايات، ط٢، الأوائل للنشر والتوزيع، دمشق ٢٠٠٤.

١١٢. ولاية ، جميل ، حلب بيت النغم ، دار طلاس ـــ دمشق ٢٠٠٨.

١١٣. ياغي ،إسماعيل ،العالم العربي في التاريخ الحديث ،ط١ ، مكتبة العبيكات، الرياض ، ١٩٩٧.

رابعاً- المصادر والمراجع الأجنبية المترجمة :

١. أردافازد، سورمايان ، تاريخ حلب ، ترجمة الكسندر كشيشيان ، دار النهج ، حلب ، ٢٠٠٣.

٢. أتينجر ،صموئيل ، اليهود في البلاد الاسلامية (١٨٥٠-١٩٥٠م)،ترجمة جمال الرفاعي، سلسلة عالم المعرفة، العدد ١٩٧، الكويت ،١٩٩٥.

٣. انطونيوس ، جورج ، يقظة العرب، ترجمة ناصر الدين الأسد واحسان عباس،ط٨، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٨٧.

٤. اوغلي ،أكمل الدين أحسان، ومجموعة من المؤلفين ، الدولة العثمانية تاريخ وحضارة،، ترجمة صالح سعداوي، مجلدان، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون باستانبول ، ١٩٩٩.

٥. أورهونلو ، جنكيز: إسكان العشائر في عهد الإمبراطورية العثمانية ،ترجمة فاروق زكي مصطفى ،الطبعة التركية ١٩٨٧ ،دار الطليعة الجديدة ط١ دمشق، ٢٠٠٥.

٦. اوبنهايم ماكس، فرايهيدون و برونيلش، آرش و كلكسل ،فرنز : ٤أجزاء،ج١ البدو في ما بين النهرين العراق الشمالي وسوريا ، تحقيق : ماجد شبر ، دار الوراق – لندن،٢٠٠٤.

٧. آن بلنت ، قبائل بدو الفرات ١٨٧٨ م ، ترجمة أسعد الفارس ، نضال خضر معروف، ط١، دار الملاح، دمشق، ١٩٩١ .

٨. جيب، هاملتون. بوين، هارولد ، المجتمع الاسلامي والغرب ، ترجمة أحمد عبد الرحيم مصطفى، جزءان ، دار المدى للثقافة والنشر، دمشق، ١٩٩٧م

٩. حوراني ،البرت و حتي، فيليب ، ويلسون ،ماري ك، الشرق الأوسط الحديث ، ترجمة أسعد صقر، ٤ أجزاء ، ط١، دار طلاس، دمشق، ١٩٩٦

١٠. حوراني ، البرت ، الفكر العربي في عصر النهضة ١٧٩٨-١٩٣٩، دار النهار، بيروت ،١٩٦٨.

١١. ريمون ،أندريه :

- المدينة العربية حلب في العصر العثماني من القرن السادس عشر إلى القرن الثامن عشر، ترجمة ملكة أبيض ، منشورات وزارة الثقافة ، دمشق ٢٠٠٧ .

- المدن العربية الكبرى في العصر العثماني، ترجمة لطيف فرح، ط١، دار الفكر للدراسات، القاهرة، ١٩٩١.

١٢. راسل ، الكسندر وباتريك ، تاريخ حلب الطبيعي ، ترجمة خالد الجبيلي، شعاع للنشر والعلوم، حلب ، ط١ ، ١٩٩٩.

١٣. سايكس ،مارك: القبائل الكردية في الإمبراطورية العثمانية ،ترجمة :خليل علي مراد ، تقديم عبد الفتاح بوتاني، ط١، دار الزمان للطباعة والنشر، دمشق، ٢٠٠٧.

١٤. غاوبه ،هاينتز و فيرت ،أويغين ، حلب (دراسات تاريخية وجغرافية حول البنية العمرانية والتركيبة الاجتماعية والحركة الاقتصادية لأحد مراكز التجارة الدولية في الشرق الأدنى) جزءان، تعريب صخر علبي ، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة، دمشق، ٢٠٠٧.

١٥. فوتيراس ، ستا فروس ، امتيازات الجماعات المسيحية في المملكة العثمانية ، تعريب غطاس أفندي قندلفت، مطبعة الوطنية ، طرابلس الشام ، ١٩١٢ .

١٦. فشر ،هربرت ، أصول التاريخ الأوربي الحديث من النهضة الأوربية إلى الثورة الفرنسية، ترجمة زينب عصمت راشد واحمد عبد الرحيم مصطفى ، منشورات دار المعارف بمصر، ١٩٦٥.

١٧. مانتران، روبير : تاريخ الدولة العثمانية ، جزءان ،ترجمة بشير السباعي ،ط١، القاهرة، ١٩٩٣

١٨. ماركوس، ابراهام ، الشرق الأوسط عشية الحداثة (حلب في القرن الثامن عشر)، ترجمة هيثم حمام ، مطبعة جامعة حلب ٢٠٠٦.

١٩. نسكايا ،ايرينا سميليا ، البنى الاقتصادية والاجتماعية في المشرق العربي على مشارف العصر الحديث ،ط١، نقله إلى العربية يوسف عطا الله ، تقديم مسعود ضاهر ، دار الفارابي ، بيروت ،١٩٨٩.

خامساً- المصادر والمراجع الأجنبية :

١. Anameric ,Hakan And Rukanci ,Fatih, Libraries in the Middle East During the Ottoman Empire (١٥١٧-١٩١٨),university of Ankara, Turkey,٢٠٠٩

٢. Browne ,W.G, Travels in Africa, Egypt and Syria, from the years ١٧٩٢ to ١٧٩٨. Printed for T. Cadell Junior and w. Davies, ,pater Noster –Row, London, ١٧٩٩

٣. Bodman Harbart , Political faction in Aleppo ١٧٦٦-١٨٢٦ , the University of north Carolina press ١٩٦٣.

٤. classics ,Elibron. Modren Syria or native society in Damascus,Aleppo and the mountains of thw Druses from notes made in those parts during the yars ١٨٤١-٢-٣, paternostat ,London,١٨٤٤

٥. Lady Anne Blunt,the Bedouin tribe of the Euphrates,Murray,١٨٧٩

٦. Hussein I. El-Mudarris et Olivier Salmon, Les relations entre les Pays-Bas et la Syrie ottomane au XVIIe siècle Lés ٤٠٠ ans du Consulat des Pays-Bas à Alep (١٦٠٧-٢٠٠٧)

٧. Shaw ,(S.J). " History of the ottoman Empire and Modren turkey" London Newyork melboume ١٩٧٨

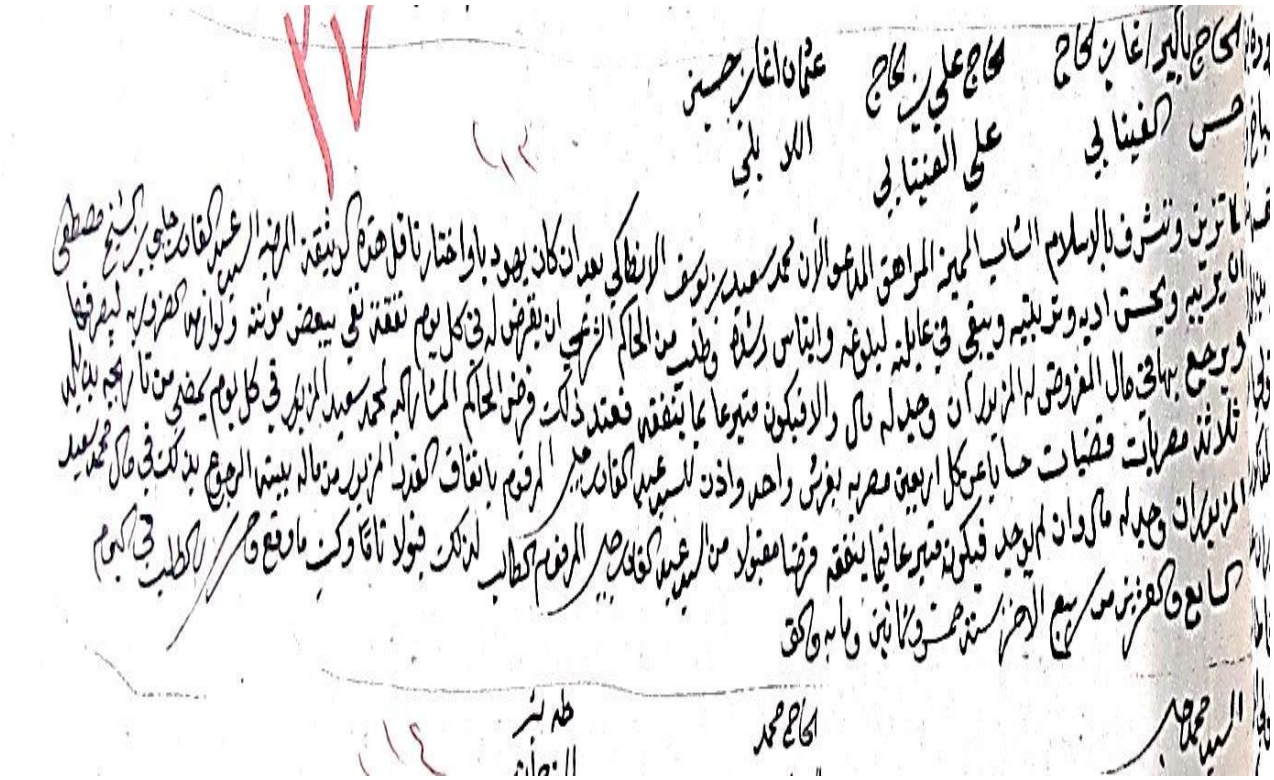
٨. Volny, Travels through Syria and Egypt, in the years ١٧٨٤,and١٧٨٥, printed for G.G J. and j.Robinson, pater Noster Row. MDCCL XXXVIII

٩. Margaret L, Meriwether, Family and Society in Ottoman Aleppo, ١٧٧٠-١٨٤٠ University Of Texas Press,١٩٩٩

١٠. Yusuf Halachoglu, XIV.-XVII. Yuzyillarda Osmanlilarda Devlet Teskilati ve Sosyal Yapi, Ankara,١٩٩٦

الملاحق

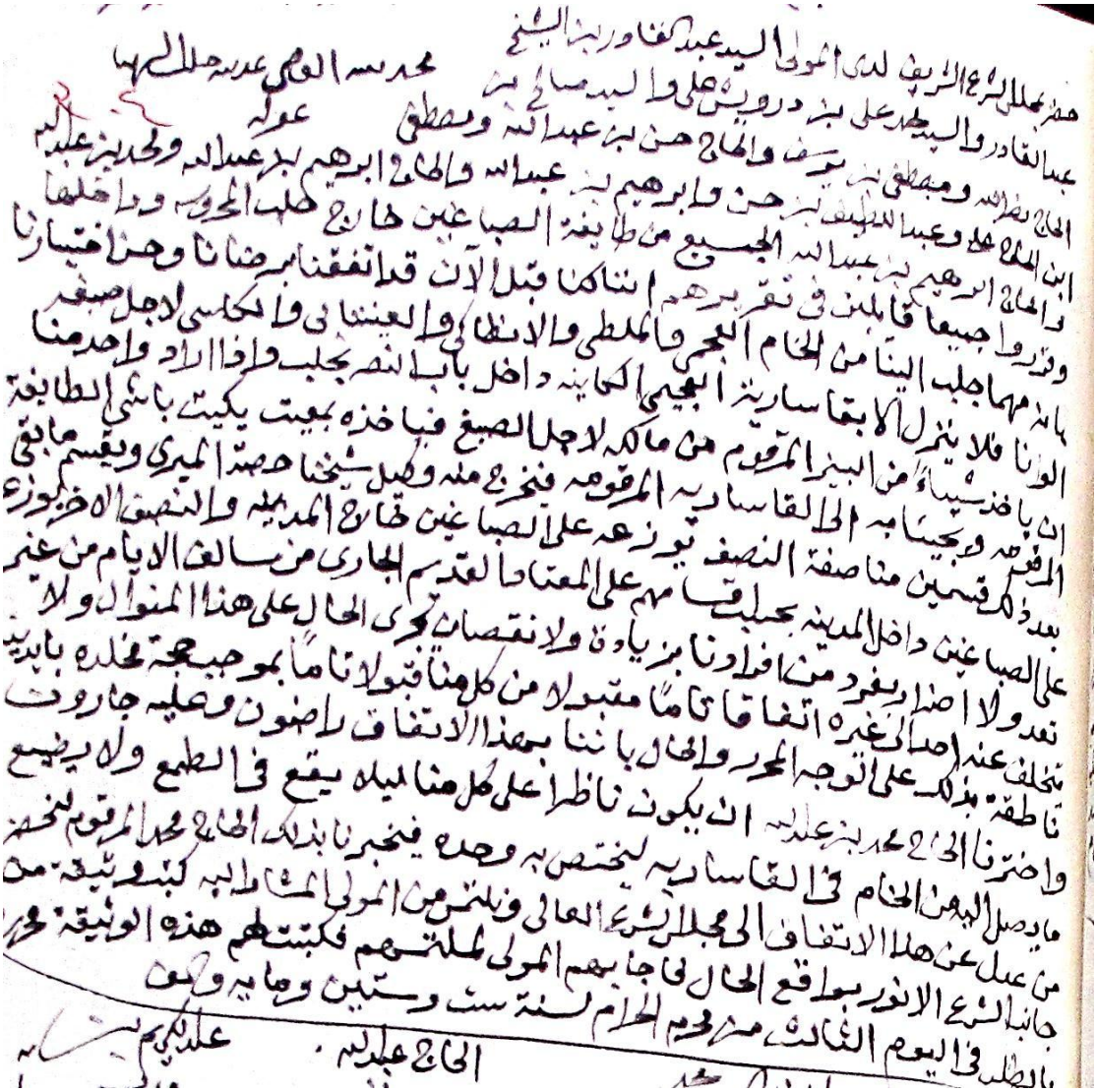
الملحق رقم ١



سجل حلب رقم ١٠٧، صورة ٢٢ ، ص ٣٧ ، تاريخ ٢٧ ربيع الآخر سنة ١١٨٥هـ/١٧٧١م.

تحول ديني من اليهودية إلى الإسلام

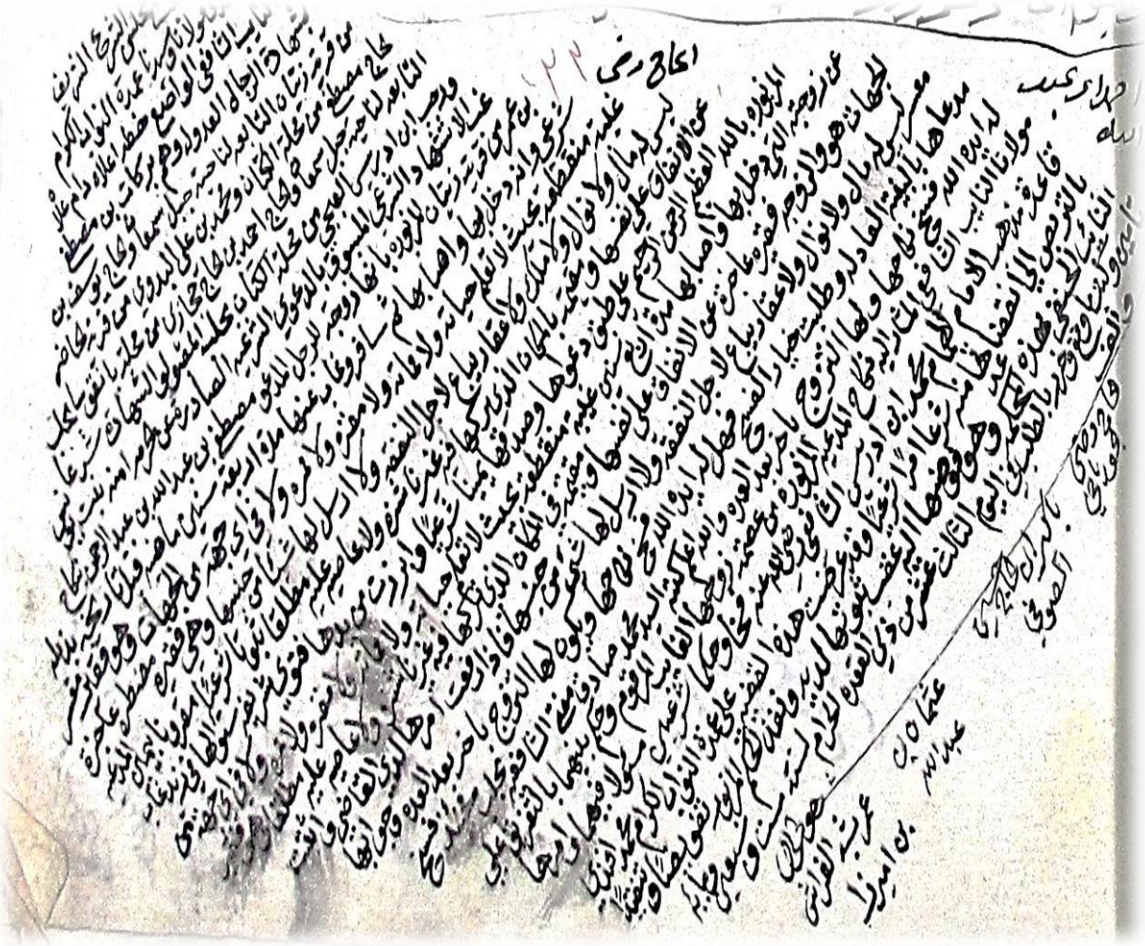
الملحق رقم ٢



وثيقة تعبر عن مهام اليكيت باش(مساعد النقيب) في متابعة أمور الحرفة، وحلّ مشاكلها

سجل حلب محاكم شرعية رقم٨٠، صورة ٦١، ص١٦٠، تاريخ ٣ محرم سنة ١١٦٦هـ/١٧٥٢م

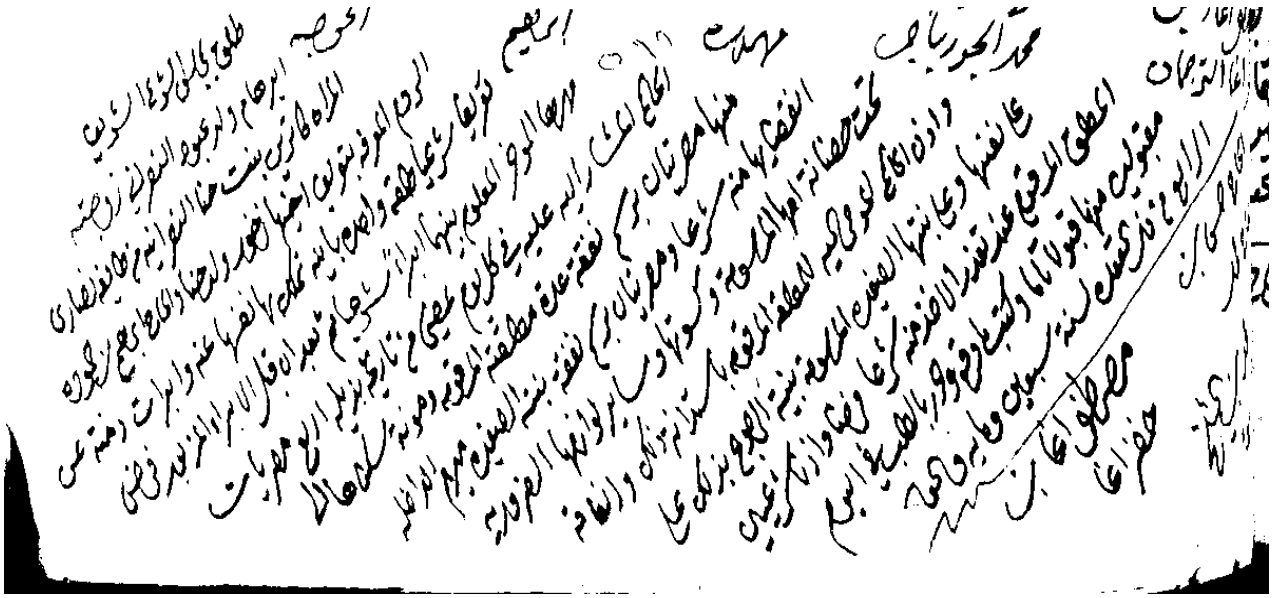
الملحق رقم ٣/أ



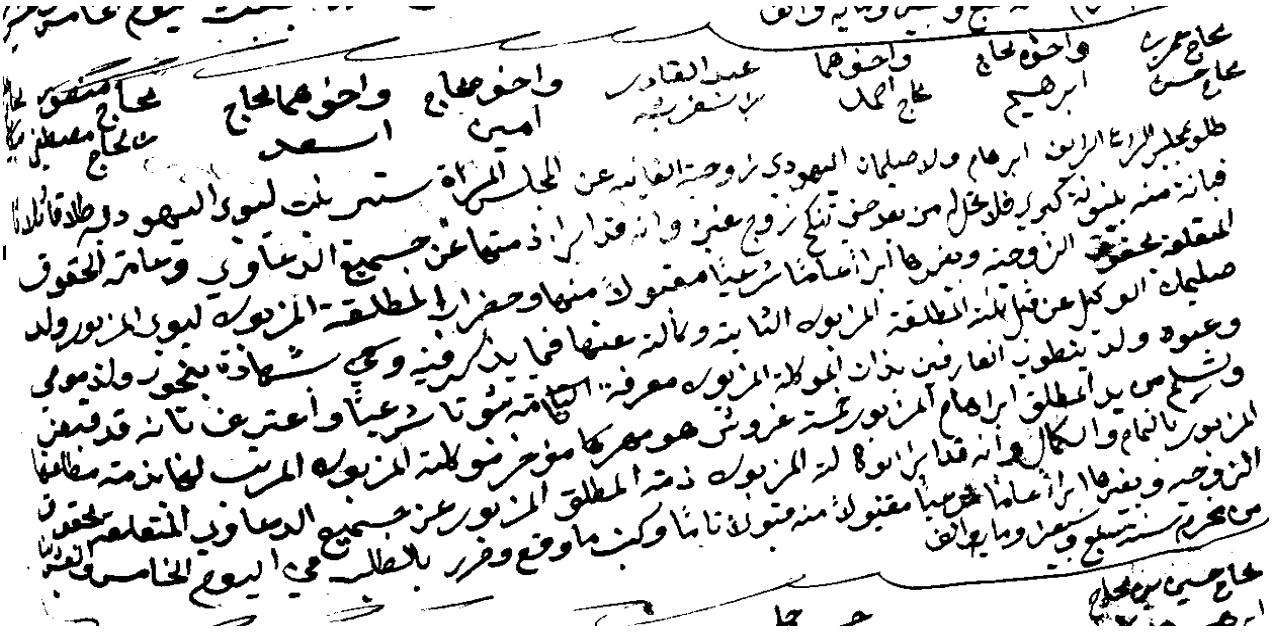
إحدى حالات التفريق لغياب الزوج في المحكمة الشافعية

سجل حلب محاكم شرعية رقم ٩٥، صورة ٣٣ ، ص ٥٧، تاريخ ١٣ ذي القعدة سنة ١١٧٧هـ/١٧٦٣م.

الملحق رقم ٣/ب



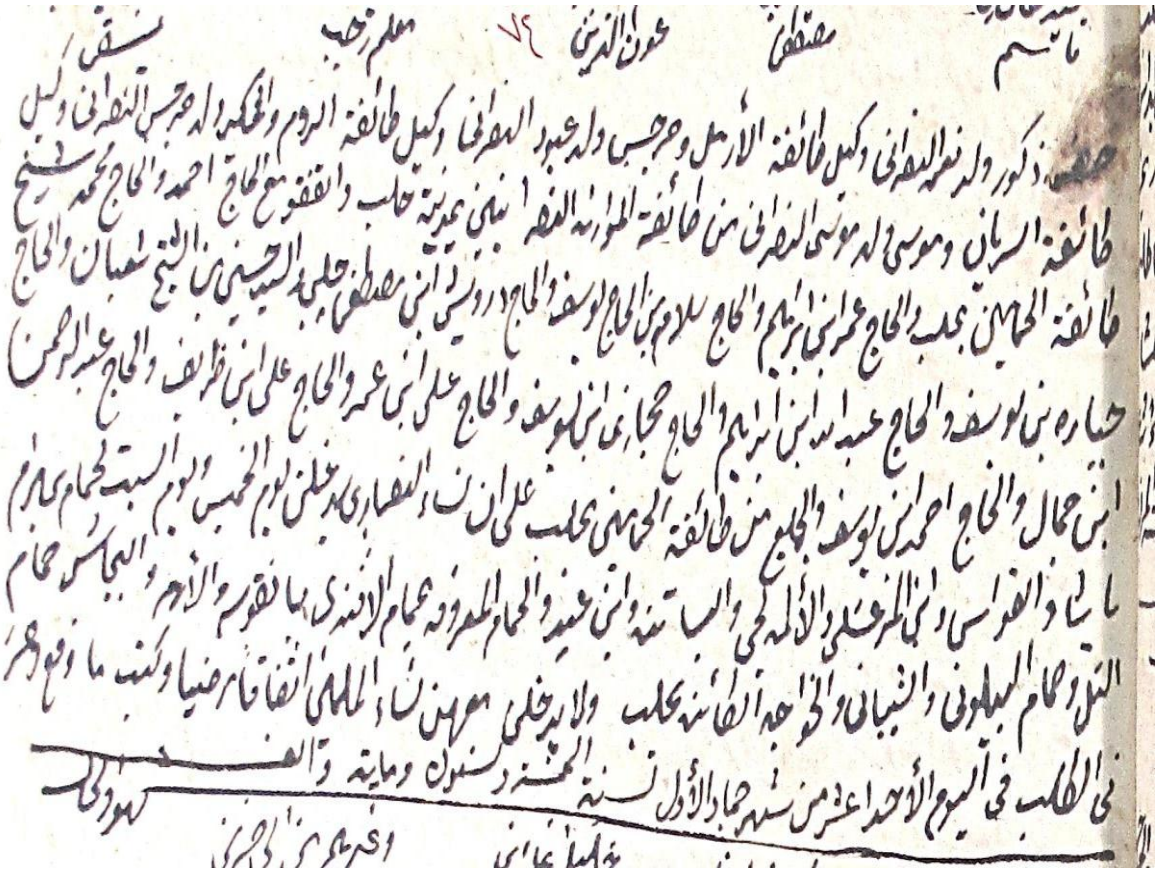
سجل حلب محاكم شرعية رقم ٨٧، صورة ١٣٢ ، ص ٢٥٢، تاريخ ٤ ذي القعدة سنة ١١٧٠هـ/١٧٥٦م .



سجل حلب محاكم شرعية رقم ٩٦، صورة ٤٨ ، ص ٨٨، تاريخ ٢٥ محرم سنة ١١٧٧هـ/١٧٦٣م.

ممارسة بعض المسيحيين واليهود لحالات الطلاق عند المسلمين

الملحق رقم ٤



تخصيص أيام محددة في الأسبوع، لارتياد بعض الحمامات الحلبية لكل من المسلمات والمسيحيات واليهوديات

سجل حلب محاكم شرعية رقم ٨١، صورة ١٧، ص ٢٩، تاريخ١١٦٥هـ/١٧٥١م.

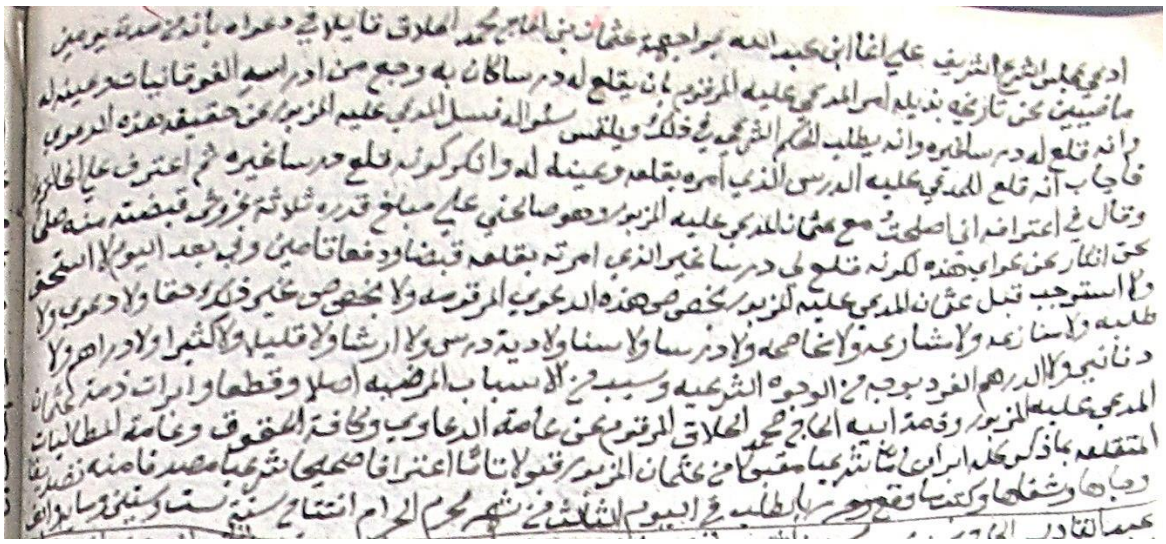
الملحق رقم ٥

جوانب من الواقع الصحي في حلب



قيام التجار والعطارين، ببيع مواد غذائية مغشوشة، واستبدال مكونات مرتفعة الثمن بأخرى رخيصة أدت إلى الأمراض

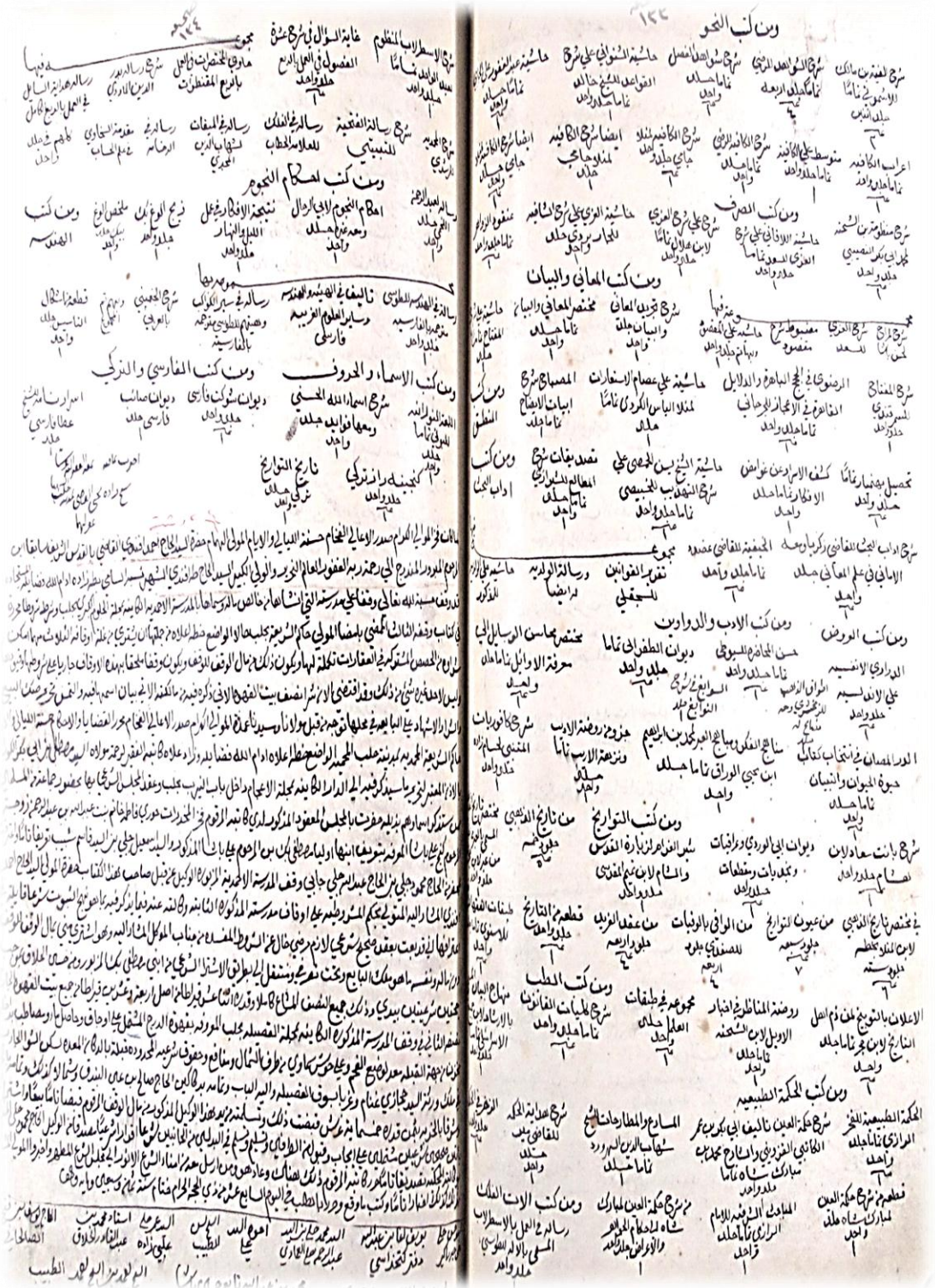
سجل حلب محاكم شرعية رقم ٨٥، صورة ١٥٢، ص ٢٩٩، تاريخ١١٦٨هـ/١٧٥٤م.



لجوء المرضى إلى المعالجين الشعبيين، كالحلاقين، واعتمادهم على وسائل بدائية في العلاج، كان علاجهم أحياناً يؤدي إلى زيادة وضع المريض سوءاً

سجل حلب محاكم شرعية رقم ٨٣، صورة ٨٨، وثيقة ص ١٧٢، تاريخ ١١٦٦هـ/١٧٥٢.

الملحق رقم ٦



مجموعة الكتب التي أوقفها القاضي أحمد أفندي

سجل حلب رقم ٩٨، صورة ٧٢ ، ص ١٣٣-١٣٤، تاريخ ١٧ ذي الحجة سنة ١١٧٨هـ/١٧٦٤م.

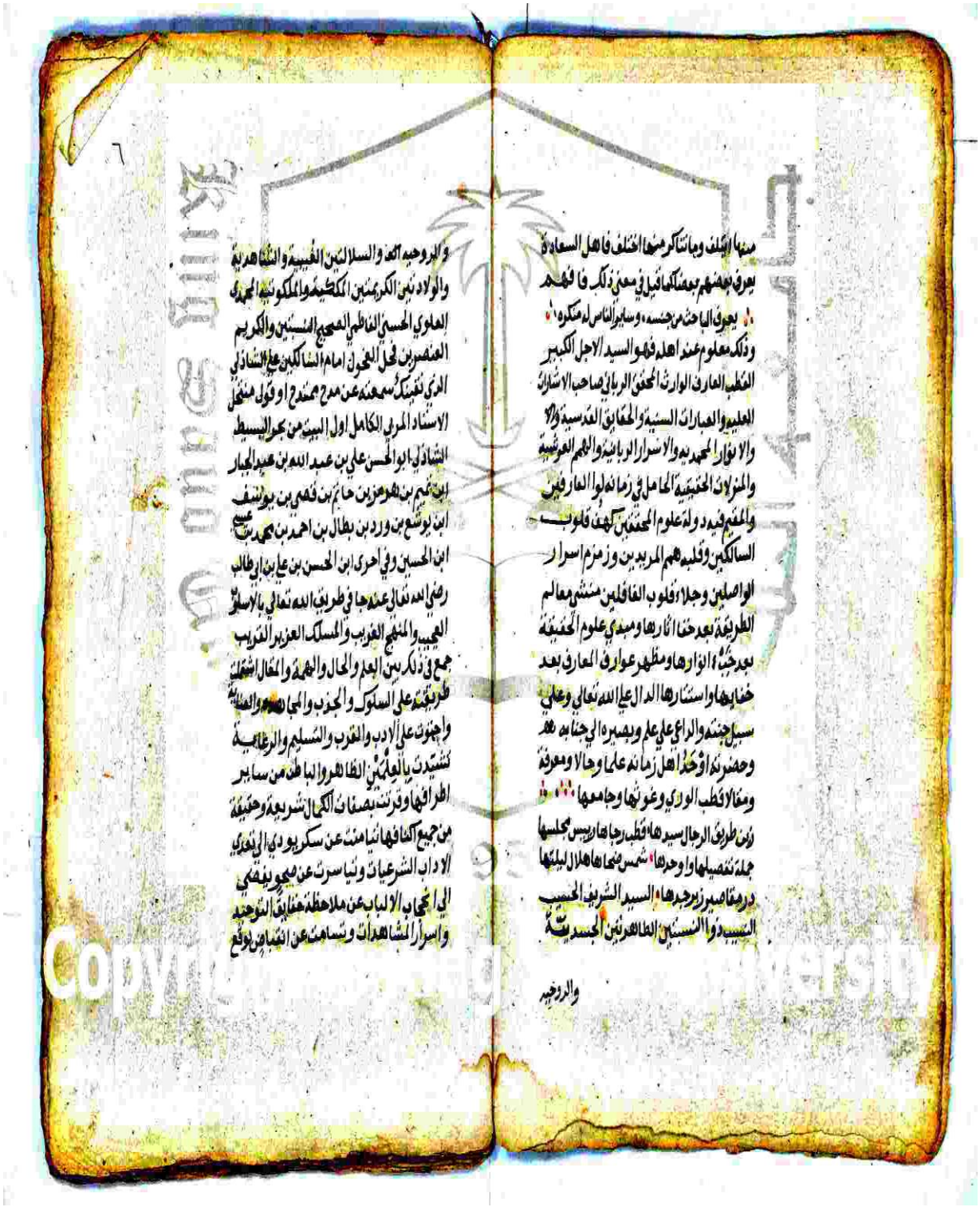
الملحق رقم ٧



ترميم وقف ابشير باشا، وتخمين المعماران لمواد البناء ، وأجرة الطوائف المعمارية:

سجل حلب محاكم شرعية ، رقم ٨٥، صورة ٣١، ص ٥٨، تاريخ ٢٥ شعبان سنة ١١٦٧هـ/١٧٥٣م

الملحق رقم ٨



مخطوط لمؤلف مجهول ، كُتب في القرن السابع عشر الميلادي،
يشرح التصوف على الطريقة الشاذلية

الملحق رقم ٩



نعيسة، مجتمع مدينة دمشق،ص

الملحق رقم ١٠



جوقة السلطان أو الوالي (مهتار خانه) الموسيقية

سورنازن باشي — رئيس نافخي البازمير.

إيج أوغلان باش جاويش آغا — رئيس غلمان القصر الهمايوني.

نقاره زن باشي آغا — رئيس قارعي الطبول.

بوريزن باشي — رئيس نافخي الأبواق.

باش مهتر — القائد الثاني للفرقة الموسيقية أو النائب.

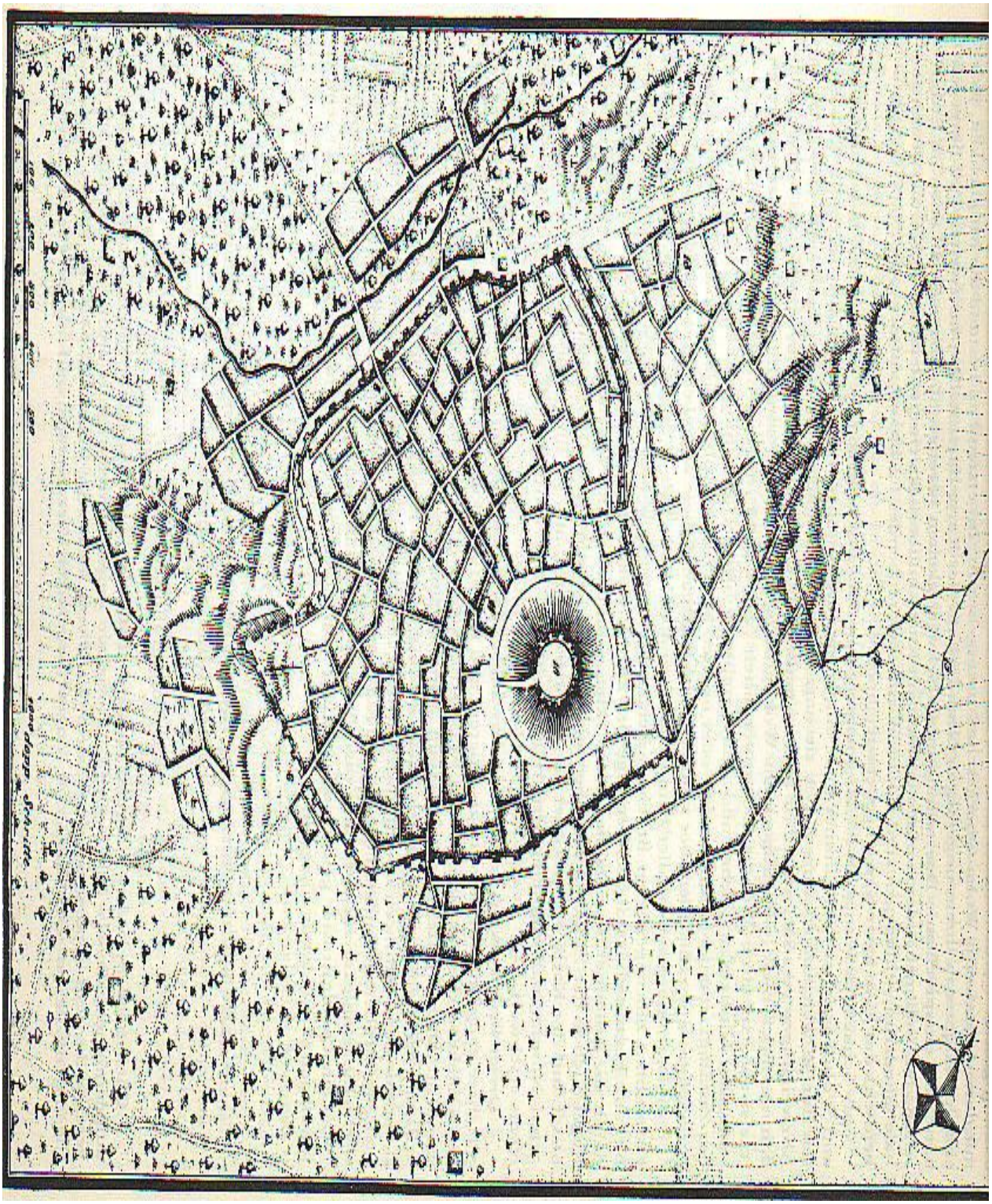
نعيسة، مجتمع مدينة دمشق،ص

الملحق رقم ١١



صورة توضيحية عن طقوس الرقص المولوية

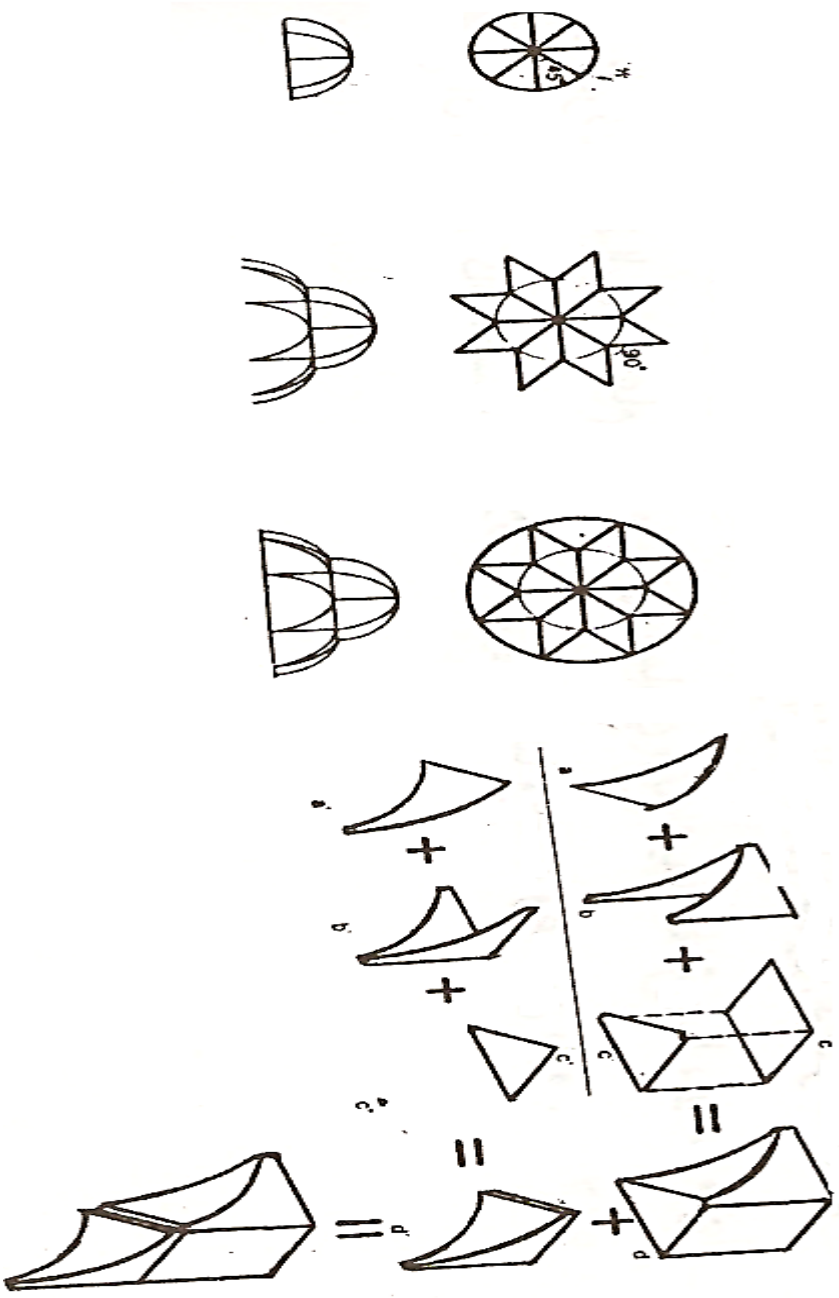
الملحق رقم ١٢



مخطط مدينة حلب عام١٧٧٨م

غاوبه، فيرت ، ص٨٩

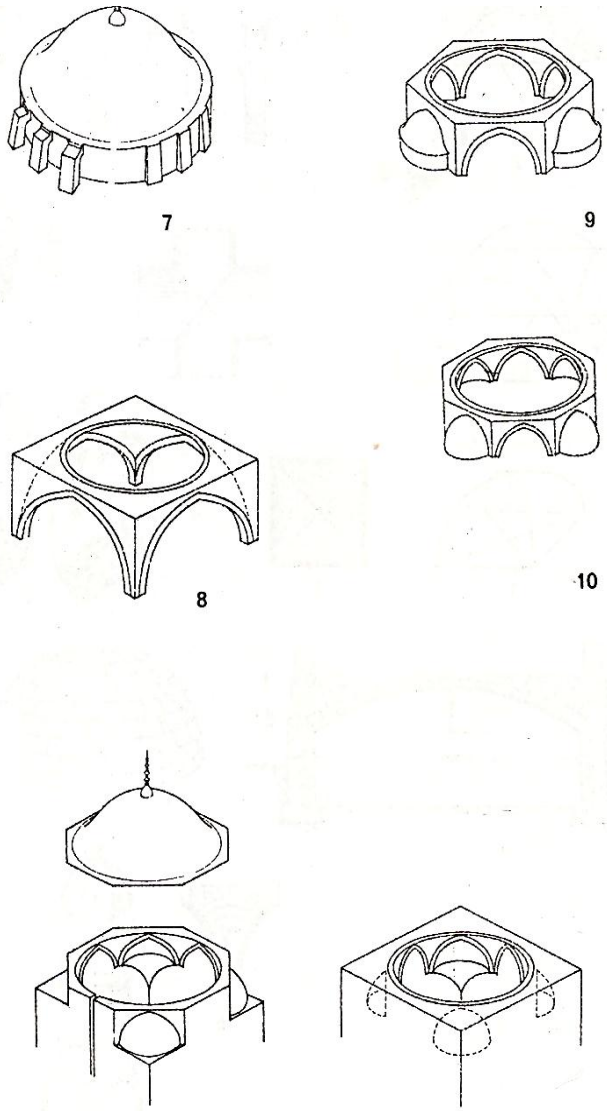
الملحق رقم ١٣



أشكال المقرنصات الحجرية

مرعي ، حلب بين التاريخ والهندسة ، ص٢١٨

الملحق رقم ١٤



٧ـ قبة ماعمة ٨ـ قبة تستند على قاعدة

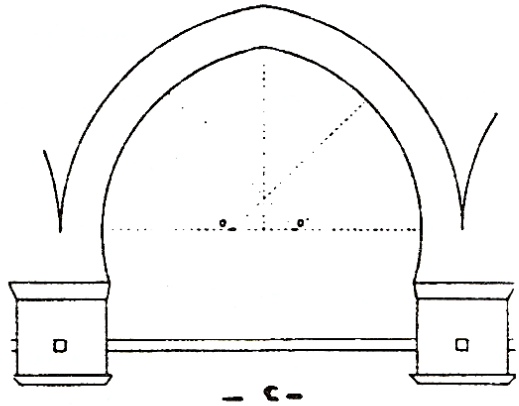
٩ـ قبة تستند الى قاعدة مسدسة ذات قباب داعمة ١٠ـ قبة تستند الى قاعدة مثمنة ذات قباب داعمة

١١ـ قاعدة مربعة نموذجية بمثلثات كروية داخلية داعمة ١٢ـ استناد قبة داعمة داخلية وخارجية ويوجد رقبة للقبة

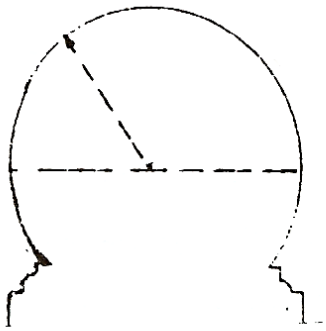
أنواع التسقيف المقبب

مرعي ، حلب بين التاريخ والهندسة ، ص٢٠٦

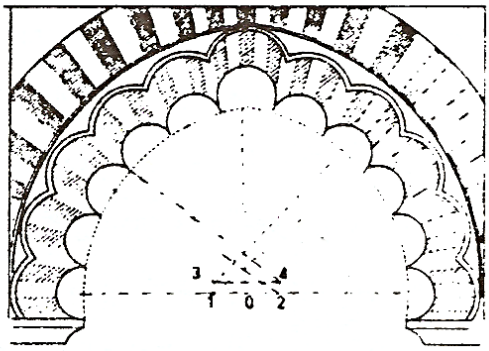
الملحق رقم ١٥



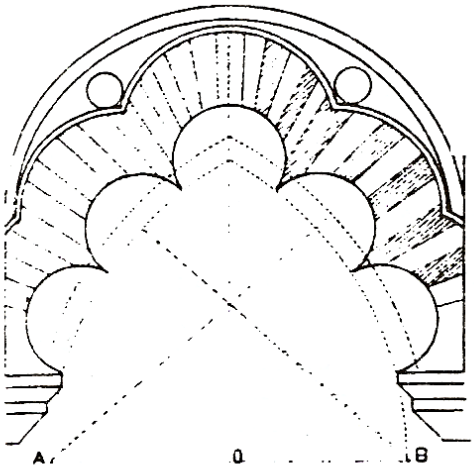
- ٢ -



- ١ -



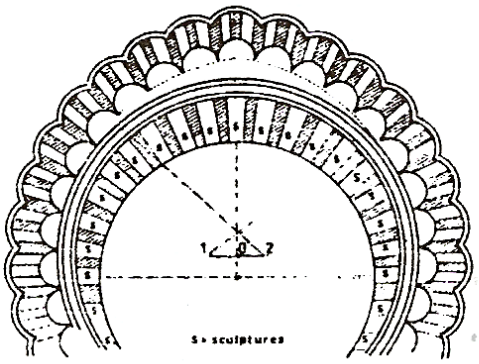
- ٤ -



- ٣ -



- ٦ -

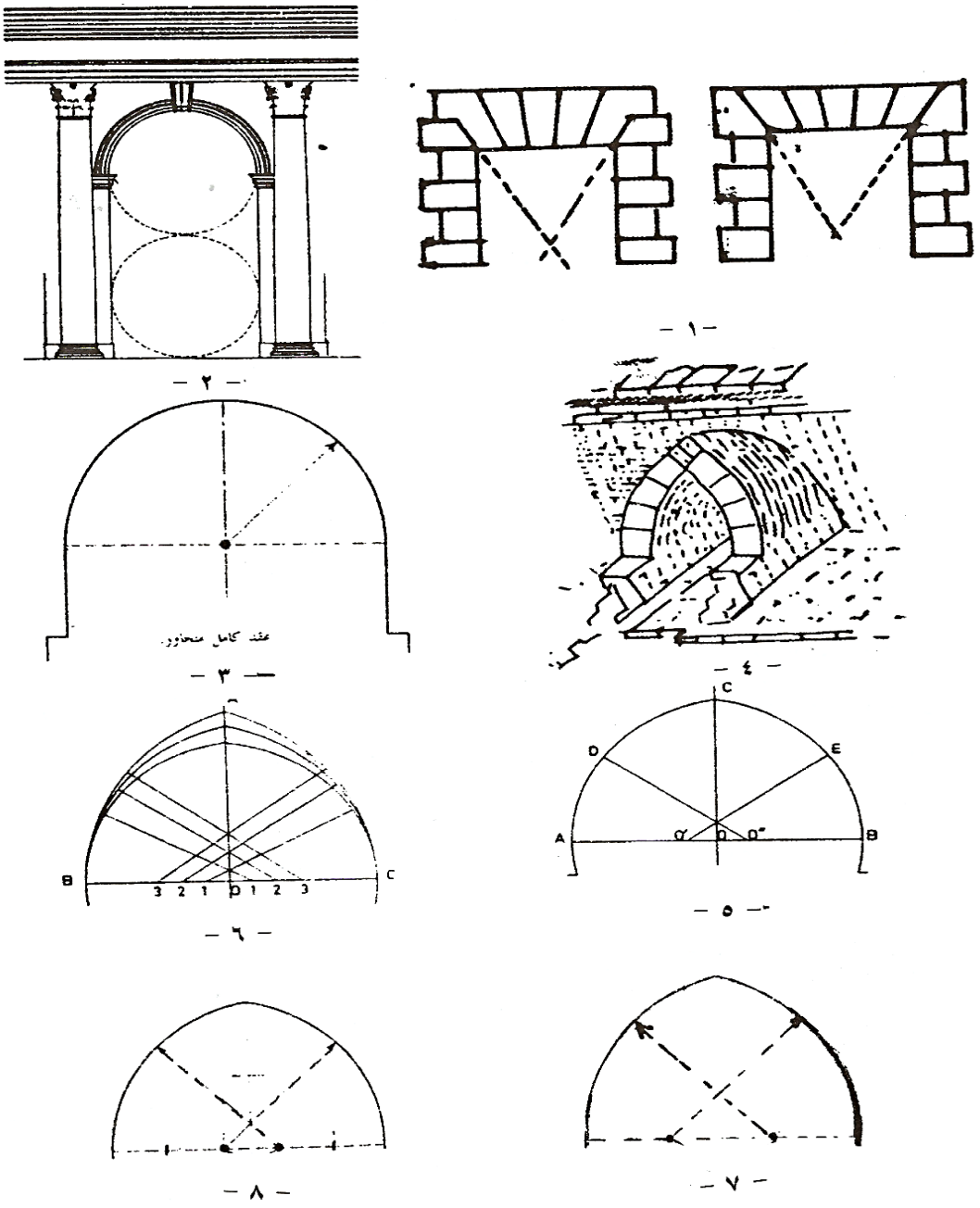


- ٥ -

(شكل ٢٥) ١ – قوس نعل الفرس (حدوي) الدائري. ٢ – قوس نعل الفرس المدبب.

٣- ٤- ٥ أقواس مفصصة.

الملحق رقم ١٦

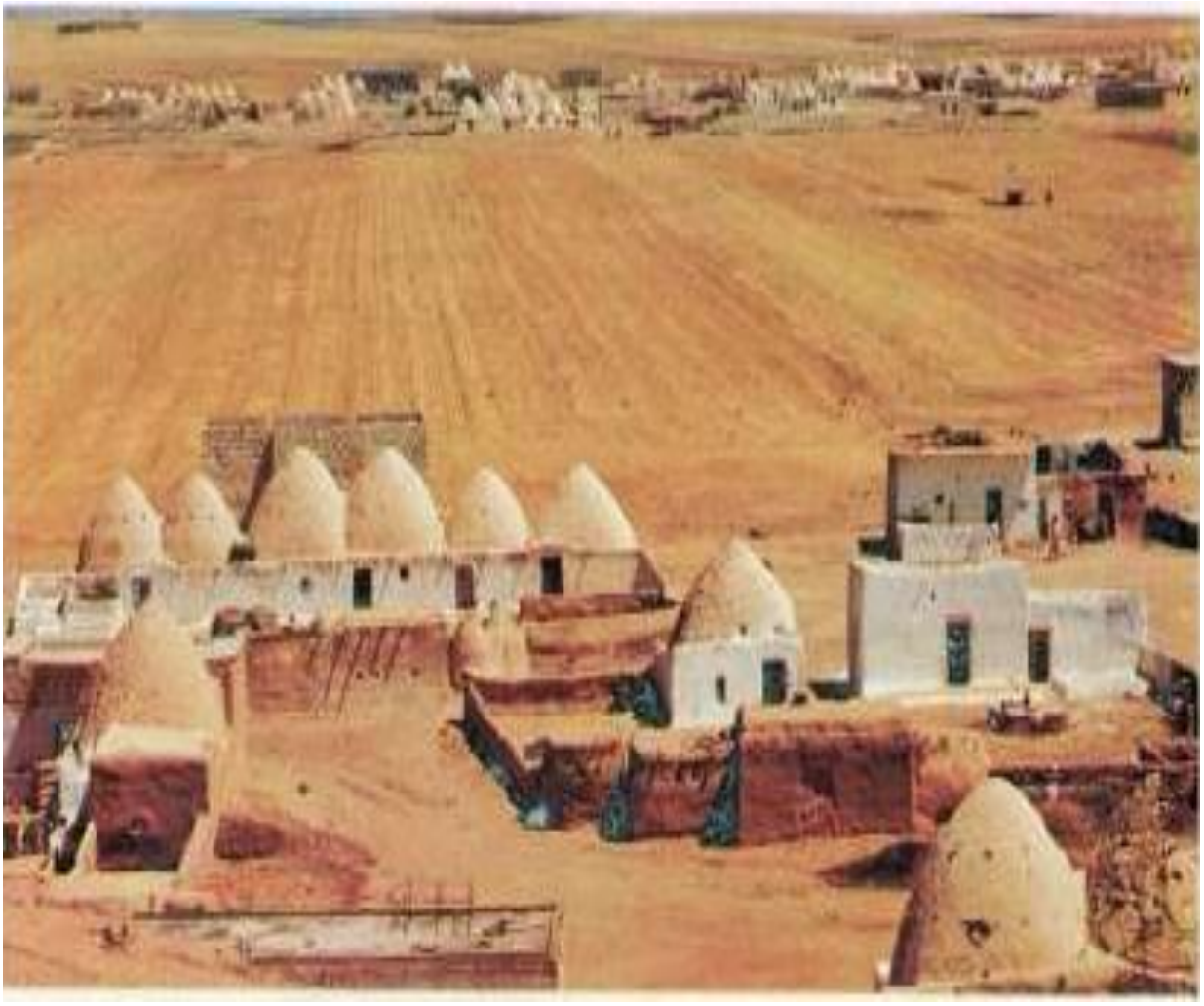


(شكل ٢٣) ١- قوس مستقيم . ٢- قوس نصف دائري . ٣ - قوس نصف دائري متجاوز . ٤ - قوس مدبب رافدي (سوسة) . ٥ - قوس مدبب ذو مركزين . ٦ - تحولات القوس المدبب بتحول البعد بين المركزين. ٧ - قوس مدبب ثلاثي . ٨ - قوس مدبب مخموس

أشكال الأقواس الحجرية في المنشآت العمرانية في حلب

لمياء الجاسر، مدارس حلب الأثرية. ص٨٣

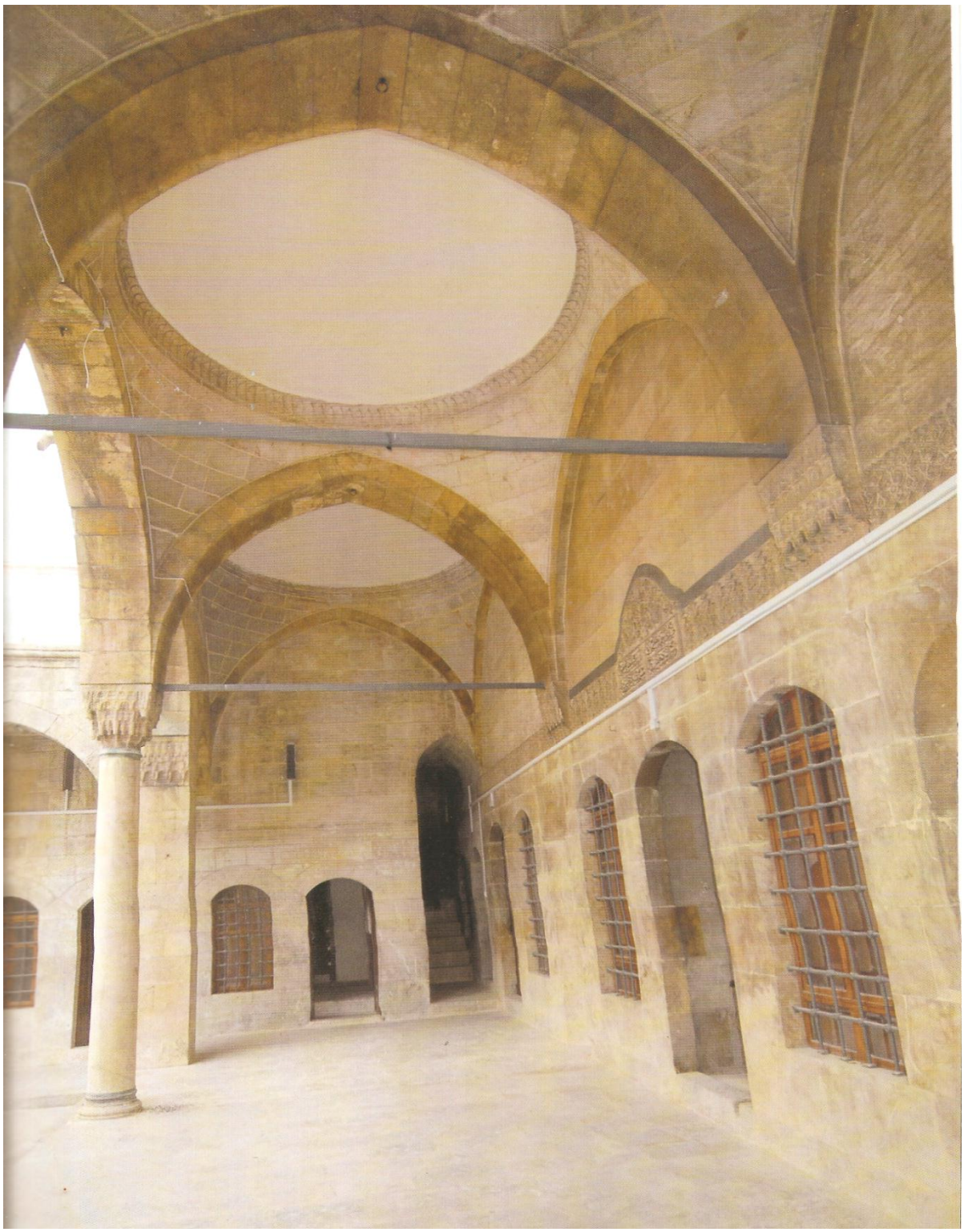
الملحق رقم ١٧



صورة توضيحية عن قرى القبب في ريف حلب

هلال، حلب القديمة ، ص١١٩

الملحق رقم ١٨



المدرسة الأحمدية

جوشقون ، تقصي خطى الدولة، ص٣٠٥

الملحق رقم ١٩



باب الأسدين في قلعة حلب

الملحق رقم ٢٠



خان الوزير

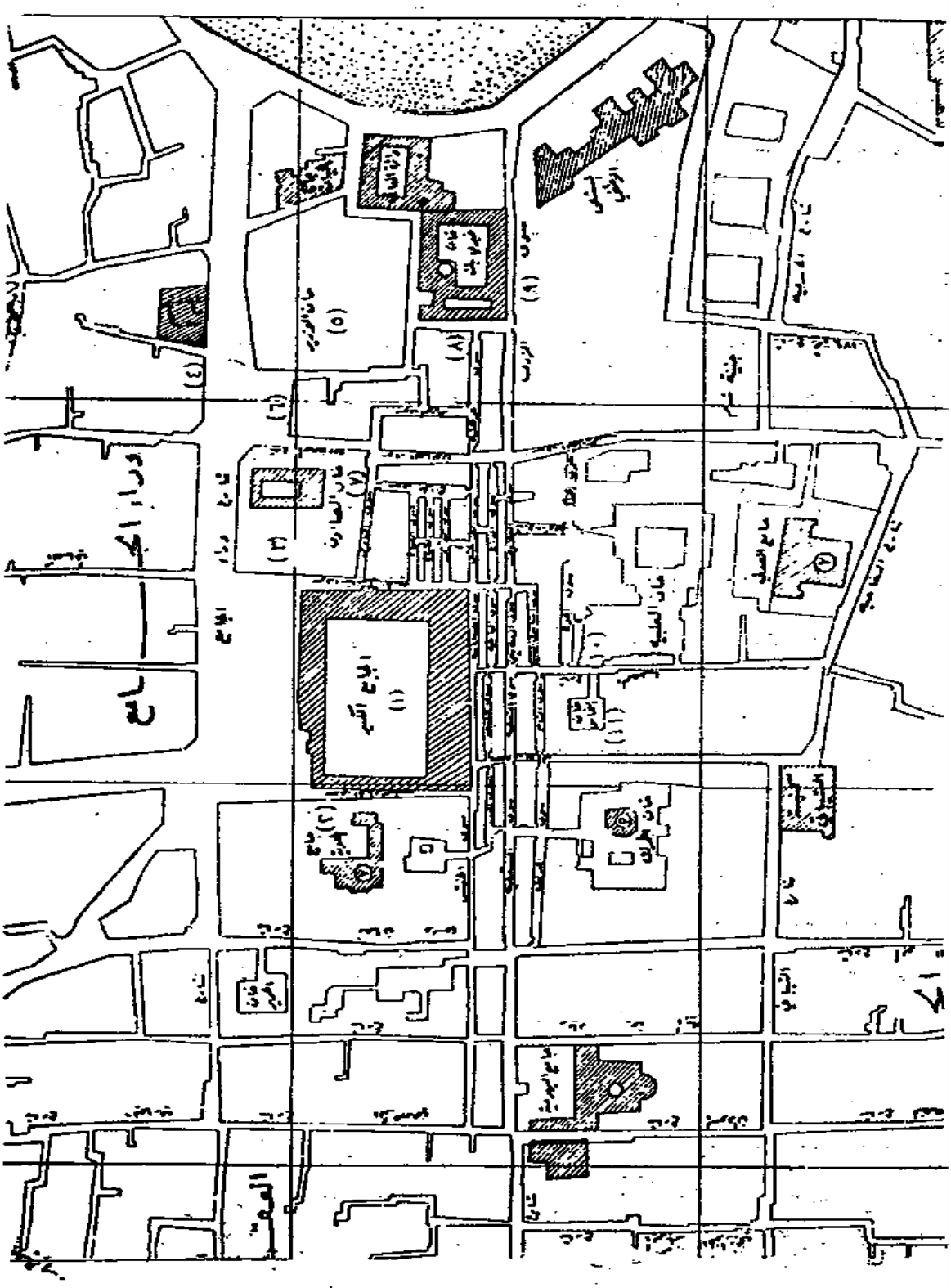
تقصي خطى الدولة في حلب ، ص٥٥٩

الملحق رقم ٢١



دار أجقباش في حلب . تقصي خطى الدولة العثمانية في حلب ، ص٦٢٥

الملحق رقم ٢٢



توزع الجوامع والخانات في المدينة

حجار، معالم حلب، ص٤٠.